

سلسلة التراث

273

الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى

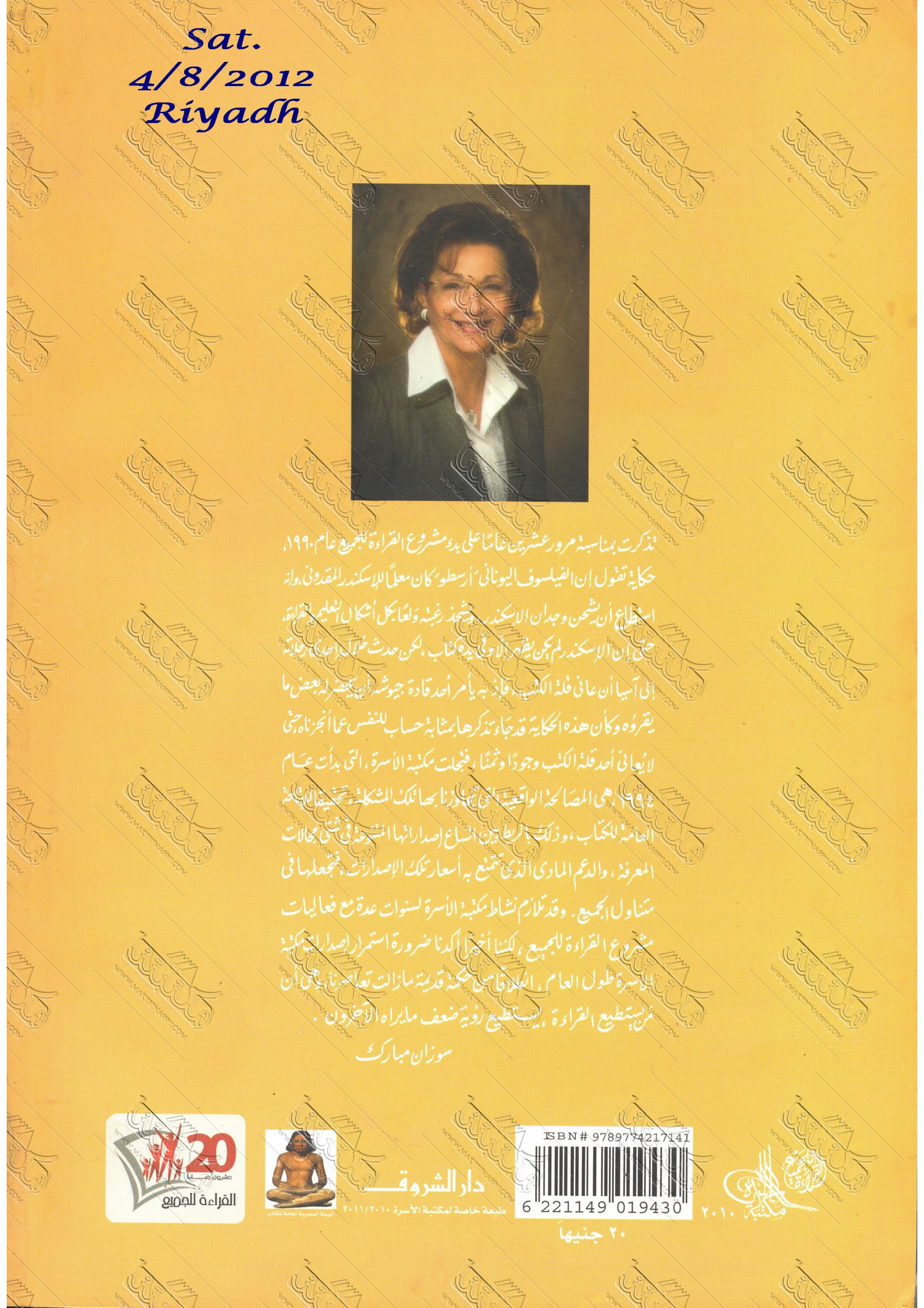
فى الدين واللغة والأدب

Ahmed Mady

الجزء الخامس

دراسة وتحقيق

د. محمد عمارة


Sat.
4/8/2012
Riyadh
تذكرت بمناسبة مرور عشرين عامًا على بدء مشروع القراءة للجميع عام ١٩٩٠،
حكاية تقول إن الفيلسوف اليوناني "أرسطو" كان معلمًا للإسكندر المقدوني، وإنه
استطاع أن يشحن وجدان الإسكندر، ويشحذ رغبته ولعًا بكل أشكال التعليم والقراءة،
حتى إن الإسكندر لم يكن يظهر إلا وفي يده كتاب، لكن حدث خلال إحدى رحلاته
إلى آسيا أن عانى قلة الكتب، فإذا به يأمر أحد قادة جيوشه أن يحضر له بعض ما
يقرؤه وكأن هذه الحكاية قد جاء تذكرها بمثابة حساب للنفس عما أنجزناه حتى
لا يعاني أحد قلة الكتب وجودًا وثمنًا، فتجلت مكتبة الأسرة، التي بدأت عام
١٩٩٤، هي المصالحة الواقعية التي تجاوزنا بها تلك المشكلة، [illegible] الهيئة
العامة للكتاب، وذلك بالربط بين اتساع إصداراتها المتنوعة في شتى مجالات
المعرفة، والدعم المادي الذي تتمتع به أسعار تلك الإصدارات، فتجعلها في
متناول الجميع. وقد تلازم نشاط مكتبة الأسرة لسنوات عدة مع فعاليات
مشروع القراءة للجميع، لكننا أخيرًا أكدنا ضرورة استمرار إصدارات مكتبة
الأسرة طول العام، انطلاقًا من حكمة قديمة مازالت تعاصرنا تقول إن
من يستطيع القراءة، يستطيع رؤية ضعف ما يراه الآخرون.
سوزان مبارك
20 عشرون عامًا
القراءة للجميع
الهيئة المصرية العامة للكتاب
دار الشروق
طبعة خاصة لمكتبة الأسرة ٢٠١٠/٢٠١١
ISBN# 9789774217141
6 221149 019430
مكتبة الأسرة ٢٠١٠
٢٠ جنيهًا



الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي

الجزء الخامس

في الدين واللغة والأدب

دراسة وتحقيق

د. محمد عمارة

مكتبة الأسرة ٢٠١٠



الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى

لوحة الغلاف من أعمال الفنان: عبدالسلام عيد

رفاعة الطهطاوى ، رفاعة رافع بن بدوى بن على
الطهطاوى، ١٨٠١ - ١٨٧٣ .
الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى/ دراسة
وتحقيق: محمد عمارة .ـ القاهرة: الهيئة المصرية
العامة للكتاب، ٢٠١٠.
مج٥" ٥٣٠ ص؛ ٢٤ سم .. (مكتبة الأسرة ٢٠١٠
- سلسلة التراث).
المحتويات: فى الدين واللغة والأدب
تدمك ١ - ٧١٤ - ٤٢١ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ ـ رفاعة الطهطاوى - المؤلفات الكاملة
٢ - الأدب العربى - مجموعات
أ - عمارة؛ محمد (محقق)
ب - العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٤٣٧ / ٢٠١٠

I.S.B.N 978-977-421-714 -1

ديوى ٩٢٨,١

توطئــة

مثل كل الأحلام الكبرى التى بزغت منها مشاريع عملاقة أدت إلى تطور مجتمعاتها، ولهذا أرسى **مهرجان القراءة للجميع** جذوره الراسخة فى الأرض المصرية منذ عشرين عامًا.. لقد انطلق أهم مشروع ثقافى فى العالم العربى عام ١٩٩٠ تحقيقًا لحلم السيدة الفاضلة **سوزان مبارك** راعية المهرجان، وصاحبة فكرته والتى دشنته آنذاك بافتتاح عشرات المكتبات فى جميع ربوع الوطن، وأطلقته فى سماء الواقع برؤية واضحة ومحددة تستند على الإيمان بأن الثقافة هى وسيلة الشعوب لتحقيق التقدم والتنمية بما لها من قدرة على تحويل المعارف المختلفة إلى سلوك متحضر، وإعلاء المُثل العليا، وقيم العمل والإنجاز، وإشاعة روح التسامح والحرية والسلام التى دعت إليها جميع الأديان، بهدف أن تُكوِّن ثقافة المجتمع بتأصيل عادة القراءة وحب المعرفة، لذا فإن وسيلة المعرفة الخالدة ستظل هى الكتاب الذى يسهم فى إرساء دعائم التنمية، وتحقيق التقدم العلمى المنشود.

لقد اتسعت روافد الحملة القومية **للقراءة للجميع** طوال الأعوام العشرين الماضية، وأصبحت تشكل فى مجملها دعوة حضارية للبناء الروحى والفكرى والوجدانى للإنسان المصرى نابعة من الإيمان العميق بأن الثقافة هى بكل المقاييس أفضل استثمار لبناء مجتمع المستقبل، وهى الجسر الرئيسى للشباب للحاق بركب الحضارة المعاصرة، بل تكاد تكون هى الوسيلة الوحيدة لنشر قيم العلم والتسامح والديمقراطية والسلام الاجتماعى والتطور الحضارى، وترسيخ قيم المواطنة وقيمة دور المرأة، وتعزيز قيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى

والحوار ومعرفة الآخر والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وأيضًا إبراز تواصل الإبداع المصرى من خلال نشر الآثار الأدبية لـ «مختلف أجيال المبدعين».

ومنذ العام الرابع لمهرجان **القراءة للجميع**؛ أصبحت **مكتبة الأسرة** من أهم روافده، وقدمت طوال ستة عشر عامًا دون توقف ملايين النسخ بأسعار رمزية لإبداعات عظيمة لشباب المبدعين وكبار الكتاب الذين أثروا المشروع فكريًا وثقافيًا وعلميًا ودينيًا وتراثيًا وأدبيًا، كما قدمت الموسوعات الكبرى التى تُعتبر أعمدة هذه المكتبة، والتى شكلت مسيرة فكر النهضة فبعثت فى نفوس الشباب من جديد الإحساس بالفخر بما قدمته أمتهم من كنوز إبداعية ومعرفية وفكرية للبشرية، وأقامت جسرًا يصل بين ماضيهم وحاضرهم، ويصل بين حاضرهم ومستقبلهم، كما بعثت فيهم روح الانتماء القوى لهويتهم المصرية والعربية، ولما لا وقد أطلت عليهم مكتبة باذخة الثراء تتكئ على مؤلفات حضارة مصرية قديمة ما زالت قادرة على إدهاش العالم حتى هذه اللحظة بما احتوته من تقدم فنى وفكرى وعلمى وفلسفى وأدبى شكَّل فجر «ضمير الإنسانية» وحضارة إسلامية أنارت ظلمات أفلاك البشرية لحقب طويلة من الزمان، ووضع أعلامها بعض أعمدة الحضارة المعاصرة فى مجالات الطب والفلك والرياضيات والآداب!.

لهذا كله ستواصل **مكتبة الأسرة** هذا العام نشر رسالتها بالسعى قدمًا نحو تطوير أدائها، وتحقيق حلمها الأكبر بتكوين ثقافة المجتمع كله بأيسر السبل، والتأكد من اطلاعه على جميع ما أنتجته عبقرية الأمم ممثلة فى تراثها الأدبى والعلمى والفكرى المستنير.

مكتبة الأسرة

٢٠١٠

فهرس الموضوعات

[القول السديد فى الاجتهاد والتقليد]

[بقاء حسن الذكر باستخدام الفكر]

[التحفة المكتبية فى تقريب اللغة العربية]

[جمال الأجرومية]

[الكواكب النيرة فى ليالى أفراح العزيز المقمرة]



القول السديد فى الاجتهاد والتقليد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن جعل من الأجر لكل مجتهد نصيبا، وصلاة وسلاما على شمس الأمة وبدر الأئمة النبى الحبيب، وعلى آله الأعلام، وصحبه الذين جاهدوا واجتهدوا لنصرة الإسلام، وعلى علمائه الذين حفظوا وحافظوا على علوم خير الأنام. . .

العلم علم محمد وكتابه   يا هائما بقياسه وكتابه

لولا محبة قدوتى بمحمد   زاحمت رسطاليس فى أبوابه

أما بعد، فقد كنا أشرنا فيما سبق نشره فى هذه (الروضة)[1] فى ترجمة بقاء حُسْن الذكر باستخدام الفكر إلى ذكر بعض الجهابذة الأعلام.

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ   ـل ومل الحادى وحار الدليل

ومنهم الإمام «تقى الدين السبكى»:

وها هو شخص قضى نحبه   ولكنه أمة قد خلت

---

(١) (روضة المدارس) مجلة أصدرها على باشا مبارك سنة ١٨٧٠م، وأسند الإشراف عليها إلى رفاعة الطهطاوى. ولم يكن لها اهتمام بالسياسة، وإنما كان تل جهدها منصرفا للثقافة والآداب والعلوم. . ومن الذين اشتركوا فيها وأشرفوا على أقسامها. غير على مبارك والطهطاوى: عبدالله فكرى، والشيخ حسين المرصفى، ومحمد قدرى، والشيخ حسونة النواوى، والشيخ حمزة فتح الله، وصالح مجدى، وعبدالله أبوالسعود، ومحمود الفلكى، والمسيو «بروكشر» ـ ناظر مدرسة اللسان المصرى القديم ـ وإسماعيل الفلكى، والعالم النباتى أحمد ندا. . إلخ. . إلخ. .

وأشرنا إلى القول باجتهاده، ثم فسرناه بالاجتهاد النسبى، وأنه مجتهد منتسب، ثم رأيت «السيوطى» نقل فى (حسن المحاضرة) عن (طبقات الشافعية) لابنه «التاج السبكى» أن والده مجتهد اجتهاداً مطلقًا، فأحببت أن أبسط القول فى هذا المقام، لما أن هذه(الروضة) الأنيقة معدة فى أصل الوضع لترييض الأفهام، فجمعت فى ذلك نبذة سميتها (القول السديد فى الاجتهاد والتجديد) وعلى الله الاعتماد فى سلوك سبيل السداد.

{ تعريف المجتهدين}

المجتهدون: هم الأئمة أرباب المذاهب الشرعية. والمذهب: هو الطريق، سميت به الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية التى هى طرائق المجتهدين، يمرون فيها بإقدام عقولهم الراجحة لتحصيل الظن بها، فيتفرع على ذلك العمل الصحيح المشروع بحسب مقتضى آرائهم فى مجتهداتهم. وإن شئت قلت: المذهب ما اختص بالمجتهد من الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية المستفادة من الأدلة الظنية. فيشمل جميع المذاهب الاجتهادية المستقلة التى يسمى صاحبها بالمجتهد المطلق لاختصاصه بأحكامه الاجتهادية.

فمذهب «الشافعى» مثلاً هو ما اختص به من الأحكام الاجتهادية المضافة إليه، والمراد بالأحكام: الأحكام الشرعية الفرعية، فيخرج بقولنا «الشرعية»، الأحكام العقلية والطبيعية، ويخرج بقولنا: «الفرعية»، الأحكام الأصولية كعقائد التوحيد، ويخرج بقولنا: «الاجتهادية»، الأحكام الشرعية اليقينية المعلومة من الدين بالضرورة، كأركان الإسلام، فإنها لا تعد من الاجتهادية ولا من مذهب من المذاهب بعينه، وإن كانت من فروع الدين، إذ لا اختصاص لها بمذهب دون آخر، بل نسبتها إلى الكل على حد سواء، لأنه لو قال قائل: وجوب الصلاة فى كل يوم هو مذهب «مالك» مثلاً، لنبا عنه السمع ونفر منه الطبع، بخلاف قولنا: وجوب التدليك فى الطهارة مذهب «مالك»، ووجوب الوِتْر مذهب «أبى حنيفة»، ومسح

بعض الرأس مذهب «الشافعى»، إذ لا يتبادر فى الذهن منه إلا وقع الاختصاص دون ما اشترك فيه السلف والخلف.

{ تعريف الفقه والرأى }

وأما الفقه، فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من أدلتها التفصيلية. فهو عبارة عن العلم، والمذهب عبارة عن المعلوم، وهو رأى المجتهد.

ولا يخلو اختلاف المجتهدين عن فائدة للمجتهد، وهو إحياء الذكر وتحصيل الأجر، كما لا يخلو عن فائدة للأمة، وهو التسهيل عليهم فى الدين، كما فى حديث: «الدين يسر، ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه، فسددوا وقاربوا». مع قوله ﷺ «اختلاف أمتى رحمة». حيث قيل: إن المراد منه الاختلاف المتعلق بالفقه فى أمر الدين رحمة للعالمين. وكل مجتهد يرى فائدة مذهبه، ولذلك قيل:

مذهب شتى للمحبين فى الهوى   ولى مذهب فرد أقول به وحدى

وقال آخر:

ومالى إلا مذهب الحق مذهب   ومالى إلا مطلب الحق مطلب

{ مطلب: أركان الاجتهاد }

وللاجتهاد ركنان: مجتهد، ومجتهد فيه، فالمجتهد، من اتصف بصفة الاجتهاد، وهو استفراغ الوُسْع لتحصيل الظن بحكم شرعى، والمجتهد فيه: هو حكم ظنى شرعى عليه دليل، ومداركه الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وزاد «الشافعى»: الاستصحاب عند عدم الدليل، كما زاد «أبوحنيفة»: الاستحسان.

وعرفوه.. أى الاستحسان.. بأنه ما ينقدح فى نفس المجتهد العالم بعلل

الأحاديث التى هى من أغمض الأمور وأدقها على الأفهام، بحيث إنها قد تُدْرك ذوقًا وتعجز عنها العبارات، وإن مثل ذلك الاستحسان الذوقى لا يحصل إلا لأكابر الفن، فالآخذون بالاستحسان فى الاجتهاد «كأبى حنيفة» وأصحابه، واشتهروا بالأخذ بالقياس، والاستحسان فى الاجتهاد «لانقداح» دليله فى نفس المجتهد مع انضمام الورع إلى ذلك، فإن الورع يقتضى أنه إذا دار الأمر بين المنع والجواز فالأحوط الإمساك، ولذلك قال الصوفية: إذا خطر لك أمر فزنه بالشرع، فإذا لم تطمئن نفسك إليه فامسك عنه. وذلك كما حكى عن «أبى حنيفة» رضى الله عنه، أنه كان يقول: لو وضعوا السيف على رأسى أن أقول إن النبيذ حرام ما قلته، ولو وضعوه على رأسى أن أشربه ما شربته. والمراد بالنبيذ عصير العنب قبل قذفه بالزَّبَد[1]. وما ذاك إلا لانقداح دليل الحلّ فى نفسه، الذى حمله على القول به، كما حمله ما عنده من الورع على الإمسَاك عن تعاطيه، فكأن ذوق تمييز الأدلة واستحسان ما يعمل به منها عند أهل الرأى كنوع من الإلهام للوقوف على علل الأحاديث بالممارسة، فكانوا يقولون: هذا علم رزقنا معرفته، كالصيارف غي تمييز اذهب من البهرج، وكالجوهرية فى تمييز فص الياقوت من الزجاج. فقد حصلت فى نفوس أصحاب الرأى ملكة صحيحة وهيئة نفسانية لا معدل لهم عنها تهجم على قلوبهم فلا يمكنهم ردها، فكانوا يستفتون فى الاستحسان قلوبهم فتظهر لهم دلائل الحل أو الحرمة، ولا شك أن قلب العالم المراقب لدلائل الأحوال هو الذى يمتحن به خفايا الأحكام، وما أعز هذا القلب فى القلوب، بخلاف قلب الموسوس والمتساهل فهو يطمئن إلى كل شىء، ولا عبرة بهذا القلب.

وبالجملة، فإن الأحكام المستنبطة لا تكون مبنية إلا على الدلائل القوية التى لا يدرك سرها إلا قلوب سماسرة الفقهاء المجتهدين المراقبين للدقائق، وليست فى طوق كل عالم، وليس كل تدقيق يعد ورعا، ولذلك لما سأل أهل العراق ابن عمر، رضى الله عنه، عن دم البعوض، قال أتسألون عنه وقد قتلتم الحسين؟ فالعبرة بالقلوب النيرة لا المحجوبة بالظلمات!

---

(١) أى قبل بلوغه درجة التخمر التى يسكر بعدها.

{ تعريف التقليد وتجزى الاجتهاد }

ويقابل الاجتهاد التقليد، وهو العمل بقول الغير من غير حجة، ويقال للفقيه: مفت، ومُستَدل، وللمقلد: مُسْتَفْت.

ثم اختلف: هل لا يجوز تجزى الاجتهاد؟ يعنى أنه اشترط فى المجتهد كونه مجتهداً فى الكل، أو يجوز التجزى؟ فعلى الأول يكون من ليس مجتهداً فى الكل مُسْتَفْتِيًا، وعلى الثانى إن المجتهد فى البعض يكون مُسْتَفْتِيًا فيما ليس مجتهداً فيه، وفقيهاً فيما هو مجتهد فيه، ولا يمتنع ذلك، لأن شرط التَقابل اتحاد الجهات.

ومع أن مدارك الاجتهاد السابقة كانت كافية فى زمن الصحابة وما بعده، فمنصب الاجتهاد فى الأزمان التى بَعْدُ إنما تحصَّل بممارسة الفروع الاجتهادية التى صارت من طرق الاجتهاد، لا سيما لغير المجتهد المستقل، وهو المجتهد المنتسب، ومع ذلك فكل من المجتهدين يختلف فى التفقه بالدين، حيث إن الله تعالى يعطى كل واحد من الفقه ما أراد، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، حتى أن غير الصحابى قد يستنبط من كلام النبوة ما لا يخطر ببال الصحابى، كما يشهد لذلك قوله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين، فرب مبلغ أوعى من سامع». وفى هذا الحديث بشارة للمشتغل بالفقه من حيث إن فيه إعلاماً بسيادته، لما أن المراد بالخير: الخير الكامل الذى فيه وفى أمته، ﷺ، إلى يوم القيامة.

{ ما قيل فى اجتهاد الإمام تقى الدين السبكى، وأمثاله، ومراتب الاجتهاد }

فالإمام «تقى الدين السبكى» إمام مجتهد بدون ريب فى اجتهاده، وإنما رتبة اجتهاده واجتهاد أمثاله من بعد المجتهدين المتفق عليهم هى محل النظر، فقد نقل

القطب «الشعراني» في (ميزانه) عن «الجلال السيوطى» أن الاجتهاد المطلق على قسمين: مطلق غير منتسب، كما عليه الأئمة الأربعة، ومطلق منتسب، كما عليه أكابر أصحابهم. قال - يعنى «السيوطى»: «ولم يدع الاجتهاد المطلق، غير المنتسب، بعد الأئمة الأربعة إلا الإمام محمد بن جرير الطبرى، ولم يسلم له ذلك». انتهى.

ومع ذلك فقد ادعى الإمام «السيوطى» الاجتهاد المطلق، وأثبت هو وغيره أن الاجتهاد فى كل عصر فرض، وأنه لا يتأدى الفرض إلا بالاجتهاد المطلق، وأن بابه لا زال مفتوحًا لا يغلق، وعبارة «التاج السبكى» فى أبيه: «إنه بقية المجتهدين الاجتهاد المطلق». انتهى.

{ اجتهاد سفيان الثورى، وبيان التفاوت فى الرتبة بينه وبين التقى السبكى }

قال الصلاح الصفدى: «الناس يقولون: ما جاء بعد «الغزالى» مثل «التقى السبكى»، وعندى أنهم يظلمونه بهذا، وما هو عندى إلا مثل سفيان الثورى». انتهى.

وتسويته «بسفيان الثورى» لا تخلو عن شئ، فإن «سفيان» كان أحد الأئمة المجتهدين، أصحاب المذاهب المدونة، ويقال إن الشيخ أبا القاسم الجنيد كان على مذهبه. قال سفيان بن عيينة: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثورى. ويقال: كان عمر بن الخطاب فى زمانه رأس الناس، وبعده عبدالله بن عباس، وبعده الشعبى، وبعده سفيان الثورى، سمع منه الأوزاعى[١]، وابن جريج[٢]، ومحمد بن إسحاق، ومالك، وتلك الطبقة كلهم أئمة مجتهدون.

---

(١) أبوعمرو عبدالرحمن بن عمرو (المتوفى سنة ٧٧٤م عن سبعين عامًا) محدث وفقيه، تعد آراؤه الفقهية من أقدم الحلول التى قدمتها الشريعة الإسلامية للقضايا التى عرض لها الفقه والفقهاء.

(٢) عبد الملك بن عبدالعزيز (٨٠ـ ١٥٠هـ ٦٦٩ ـ ٧٦٧م) مولى لقريش، من أصل رومى كان إمام الفقه فى عصره، وهو أول من صنف تصانيف العلم بمكة، التى ولد وتوفى بها.

وحكى عن بعض السادة الأئمة الأكابر فى الحفظ والدين أنه قال: إنى لأحسب يجاء بسفيان الثورى يوم القيامة حجة من الله على الخلق، يقال لهم إن لم تدركوا نبيكم عليه الصلاة والسلام فلقد رأيتم سفيان الثورى، ألا اقتديتم به! وبالجملة، فهو مجمع على دينه وورعه وزهده، وثقته وإماميته فى الحديث وغيره من العلوم، وامتناعه من قضاء الكوفة، وقذفه فى دجلة ورقة عَهْد قضائها المحررة له من المهدى، وهروبه من ذلك معلوم. قال بعض الشعراء:

لو أن سفيان على حفظه   فى بعض همى أنسى الماضى

نفسى وعرسى ثم ضرسى انفرى   فى غربتى والشيخ والقاضى

فكيف لا ومذهب سفيان معدود من المذاهب المدونة التى كانت متبعة، وأما السبكى فالظاهر أنه من طبقة أخرى.

وقال ابنه نقلاً عن شهاب الدين النقيب صاحب (مختصر الكفاية) وغيرها من المصنفات: «جلست بمكة بين طائفة من العلماء، وقعدنا نقول: لو قدر الله تعالى بعد الأئمة الأربعة فى هذا الزمان مجتهداً عارفًا بمذاهبهم أجمعين، يُركّب لنفسه مذهبا من الأربعة، بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلها إلا ازدان الزمان به وانقاد الناس له، فاتفق رأينا على أن هذه الرتبة لا تعدو الشيخ تقى الدين السبكى، ولا يتهيأ لها سواه». انتهى كلام التاج السبكى. وهذا لا يفيد مساواته لسفيان الثورى.

وأما قاضى القضاة التاج السبكى، المذكور، وصاحب (جمع الجوامع ومنع الموانع) فهو أيضًا مجتهد كأبيه، فقد نقل عنه أنه كتب ورقة إلى نائب الشام يقول فيها: «وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الإطلاق، لا يقدر أحد يرد على هذه الكلمة». انتهى. قال السيوطى: «وهو مقبول فيما قال عن نفسه». انتهى. وما قيل فى اجتهاد أبيه يقال فيه.

ثم إن المجتهد المنتسب هو ما يطلق عليه أيضًا مجتهد المذهب، كما أن المجتهد المطلق يسمى أيضًا مجتهداً مستقلاً، وثَمَّ رتبة ثالثة فى الاجتهاد وهى اجتهاد الفتوى، فأعلى المجتهدين رتبة المجتهد المستقل، ثم المنتسب، ثم مجتهد الفتوى.

وجعل بعضهم بين المستقل والمنتسب المجتهد المطلق، فتكون مراتب الاجتهاد أربعة، وذلك أن العَالم إذا استقل بقواعد يؤصلها وأدلة يحررها وبراهين يقررها وفَرَّع على ذلك وأبانَ المقاصد والوسائل فهو المستقل الأكمل، ودرجة الاستقلال متفاوتة. وإن اختار طريقة إمامه فى استدلاله وتفصيل أمره فى النظر وإجماله ومراصد نظره ومقاصد خَبَره، وخَبَرَه وفرع على ذلك حسب ما يؤدى إليه اجتهاده ويقوى به اعتضاده، فمنتسِب، ويقال: مذهبى أيضًا: ولتخصيص تلك الطريقة بالاتباع والحمل على أصول ذلك الإمام فى استخلاص الفروع ومحاسن الانتزاع دعى بهذين الوضعين. قال بعض الكبار من أصحاب الإمام الشافعى: وهذا لا يخلو عن رائحة تقليد نظرًا إلى تقيده بطرق استدلال المستقل واقتفائه فى الاحتجاج به أثر ذلك المستنبط المستدل، فبهذا كان مجتهدًا منتسبًا مذهبيًا، ولكن يصح أن يقع عليه اسم المطلق أيضًا نظرًا إلى عدم تقيده بالمستقل فى التفريع، وعدم تقيده به فى جزئيات المسائل على ما يعتريها من تقسيم وتوزيع، فحيث وقع اختياره لتلك القواعد الاجتهادية والطرق الاستدلالية فموافقة نظر فقط، لا لعجزه عن تأسيس أدلة مستقلة يكون بها تفريعه انضبط، فهو مجتهد مطلق منتسب، ولا يصل إلى رتبة المستقل الذى ظهر من غوصه فى العلوم وجولان نظره فى المنطوق منها والمفهوم استخراج درر المسائل من لجج بحار الكتاب والسنة على أساليب دلت على انفراده فيما تحمله من أعباء تلك المنّة، بخلاف الذى دعوناه مطلقًا منتسبًا، فإن طباق مذهبه لذلك المستقل، حيث لَا يخرج عن قواعده، دليل على عدم اتساع باع النظير، فإن ذلك المستقل كثيرًا ما يقع له الانفراد فى قواعد وأدلة عن سابقيه، ولا كذلك هذا، على أنا لنا سبيل فى أن نجعل المطلق المنتسب معنى إطلاقه خروجه فى بعض الأحيان عن قواعد المستقل وتقيده بها فى البعض وأن المنتسب فقط هو الخارج عن ترجيح ذلك المستقل وإن لم يخرج عن قواعده، فالمطلق المنتسب هو مطلق باعتبار ومنتسب باعتبار، وهو واسطة بين المجتهد ومجتهد المذهب، فهو الثالث، وعليه يحمل من قيل فى اجتهادهم إنه مطلق، وربما كان الواحد من المجتهدين مطلقًا فى بعض المسائل ومنتسبًا فى البعض بناء على أن المُعْتَمَد تجزى الاجتهاد، ويقع ذلك كثيرًا لأصحاب الوجوه فى المذاهب.

وإنما أحوج إلى هذا كله ادعاء بعضهم أن الرتب أربع ، وإلا فالمشهور أنها ثلاث :

الأولى رتبة المجتهد المطلق وهو الذى يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة . قال بعضهم : وقد انقطع من نحو الثلاثمائة ، وإن ادعى الجلال السيوطى بقاءه إلى آخر الزمان ، وكذلك ادعاه من السادة البكرية محمد بن محمد بن عبدالرحمن البكرى الصديقى ، الذى كان فى أثناء القرن العاشر ، كما نقله عنه ابنه محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن البكرى الصديقى ، الشافعى ، سبط آل الحسن ، حيث قال فى كتاب له يسمى (الاقتصاد فى مراتب الاجتهاد) : «وأما والدى ، رضى الله عنه ، فإنه كان المنفرد بنشر لواء هذا الولاء الاجتهادى فى زمانه ، والواحد بالقيام بوظيفة الاستقلال بين كافة أقرانه ، وسمعناه يذكر ذلك عن نفسه مرارًا ، وشاهدنا من أمارات صدقه ، كيف وهو الصادق بن الصديق آثارًا ، حتى قال يومًا وهو يسلك فى تقريره بالمسجد الحرام من المباحث الاجتهادية أعدل المسالك : أنا كالشافعى ومالك ، ولعمر الله إنه لكذلك ، فكم من عمياء أنارها بنظره الصائب ، ومقفلة فتحها بذهنه الثاقب ، ومنار أقام صفاه ، وغامض ألاح مغزاه ، بحيث تراه إلى مرماه فى أقصى رتب الاجتهاد أسرع من سيل صادف المنحدر ، والسهم فارق الوتر ، بل ربما يحصل لسامعه إذا كان ممن أحكمت الفضائل حنكته ، وعدلت العلوم فطرته ، العلم الضرورى بأنه مجتهد مستقل بلا نزاع ، وإمام قامت به حجة الله بلا دفاع ، ثم لا ينافى ما قلناه عند جريه فى التأليف على طرائق المتأخرين ، فإنه إنما أراد بذلك عموم النفس للمسلمين ، فإن الهمم راكدة ، والفطن خامدة ، والحسد غلب على أهل الأزمان ، والمكابرة كثرت فى أهل الأوان ، على أنى ربما لا أعدم منهم لمقالتى فى والدى ، رضى الله عنه ، جاحدًا ، وغمرًا عن الحق حائدا ، يقول : إنما حملته الحمية لأبيه ، ونزع به عرق العصبية فى هذا التوصيف والتنويه ، ومعاذ الله كيف لى بذلك وأنا عالم بأنى أُسْأل عما رقمته ، وأحاسب فيما قلته ، وإنما علمت أنى لو لم اعترف له ، رضى الله عنه ، بذلك كنت ممن كتم شهادة عنده من الله ، وعياذًا بالله ثم عياذًا بالله :

وهبنى قلت هذا الصبح ليل أيعمى العالمون عن الضياء؟

ومع ذلك كله فقد أراد الله تعالى أنه لم يصل هذا الشيخ فى الشهرة درجة أحد من مشاهير المقلدين، كالرملى[١]، وابن حجر». انتهى.

والثانية رتبة مجتهد المذهب، وهو من يستنبط الأحكام من قواعد إمامه كالمزنى[٢]، والبويطى[٣]، والربيع الجيزى[٤]، من أصحاب الشافعى، وإن كان المزنى انفرد عن الشافعى بأمور عدها الأصحاب خارجة عن المذهب بالكلية، فلهذا كان فيه شائبة الإطلاق، الذى زاده بعضهم وجعله وسطا بين الاستقلال والانتساب. وعلى هذا يحمل ما نقل عن الرافعى[٥] فى قوله: إن المزنى صاحب مذهب مستقل.

والثالثة رتبة مجتهد الفتوى، وهو المقتدر على الترجيح فى أقوال إمامه كالرافعى، والنووى. قال بعضهم: وقد انقطع اجتهاد الفتوى بوفاة النووى، رضى الله تعالى عنه. وأما أصحاب الاختلافات المعتبرة كالرملى، وابن حجر، فإنهما لم يبلغا مرتبة الترجيح، بل هما مقلدان فقط، وقال بعضهم، بل لهما ترجيح فى بعض المسائل، بل وللشبراملسى[٦] أيضًا، فعلى ذلك يكون أمثال الرملى وابن

---

(١) من مشاهير فقهاء الشافعية الذين اشتهروا بلقب الرملى: أبو العباس شهاب الدين الرملى أحمد بن حسين (٧٧٣ـ ٨٤٤هـ) وينسب إلى الرملة «بفلسطين». وشهاب الدين الرملى أحمد بن حمزة (المتوفى ٩٥٧هـ) وينسب إلى «رملة» المنوفية بمصر. والرملى خير الدين بن أحمد (٩٩٣ـ ١٠٨١هـ) وينسب إلى رملة فلسطين. والرملى شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة (٩١٩ـ ١٠٠٤هـ) وينسب إلى رملة المنوفية بمصر. وهو المراد يقول الطهطاوى هنا، فلقد كان فقيه مصر فى عصره، حتى لقد لقب بالشافعى الصغير. وله مصنفات كثيرة فى الفقه والفتاوى.

(٢) إسماعيل بن يحيى (١٧٥ـ ٢٦٤هـ ٧٩١ـ ٨٧٨م) مصرى، من أصحاب الشافعى. وقال عنه الشافعى: المزنى ناصر مذهبى، ولو ناظر الشيطان لغلبه!

(٣) أبو يعقوب يوسف بن يحيى (المتوفى سنة ٨٤٥م) فقيه مصرى، من أخص أصحاب الشافعى، عهد إليه الشافعى بدرسه من بعده، ولكنه اعتزل بقريته، ثم سجن فى أثناء المعركة الفكرية التى دارت حول خلق القرآن أو قدمه.

(٤) أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبدالجبار (١٧٤ـ ٢٧٠هـ ٧٩٠ـ ٨٨٤م) مصرى، كان أول من أملى الحديث بجامع أحمد بن طولون.

(٥) أبو القاسم عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم (٥٥٧ـ ٦٢٣هـ ١١٦٢ـ ١٢٢٦م) من كبار فقهاء الشافعية، كان له مجلس تفسير وحديث ببلده قزوين، كما ترك فى الفقه والتفسير مصنفات.

(٦) أبو الضياء نور الدين على بن على (٩٩٧ـ ١٠٨٧هـ ١٥٨٨ـ ١٦٧٦م) من فقهاء الشافعية بمصر، ونسبته إلى «شبراملس» بالغربية بمصر. ترك حواشى على عدد من مصنفات الفقه الشافعية.

حجر والشبراملسي داخلين في طبقة مجتهدي الفتيا إن لم نجعلهم - مثل السادة الحنفية - في طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين الصحيح والأصح والضعيف وظاهر المذهب وظاهر الرواية، وإلا كانوا طبقة رابعة وهي طبقة محرري الأقوال والآراء، وهي أيضًا طبقة مثلي.

[بيان طبقات فقهاء الحنفية والمقابلة بينهم وبين فقهاء الشافعية في مجرد العدد]

قد نقل بعض مؤلفي الحنفية عن ابن كمال باشا[1] تقسيم الفقهاء إلى سبع طبقات:

الأولى: طبقة المجتهدين في الشرع كالأئمة الأربعة ومن سلك مسلكهم في تأسيس قواعد الأصول، واستنباط أحكام الفروع عن الأدلة الأربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، على حسب تلك القواعد من غير تقليد لأحد، لا في الفروع ولا في الأصول.

والثانية: طبقة المجتهدين في المذهب، كأبي يوسف، ومحمد[2] وسائر أصحاب أبي حنيفة القادرين على استخراج الأحكام من الأدلة المذكورة على مقتضى القواعد التي قررها إمامهم أبوحنيفة وإن خالفوه في بعض أحكام الفروع، ولكن يقلدونه في قواعد الأصول، وبه يمتازون عن المعارضين في المذهب ويفارقونهم كالأئمة الثلاثة المخالفين له في اجتهاده.

والثالثة: طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب،

---

(1) كمال باشا زاده (المتوفى سنة ١٥٣٥م) مؤرخ وفقيه عثماني، وعالم من علماء الدين، من آثاره الفكرية قصة (يوسف وزليخة) وترجمته لكتاب (النجوم الزاهرة) لابن تغرى بردى من العربية إلى التركية.

(2) محمد بن الحسن الشيباني (٧٤٩ - ٨٠٥م) تولى منصب قاضي القضاة بعد أبي يوسف، وهو راوية الفقه العراقي.

كالطحاوى[١]، وقاضى[٢]، خان، وأمثالهم ممن لا يقدرون على المخالفة لشيخ، لا فى الأصول ولا فى الفروع، لكن يستنبطون الأحكام من المسائل التى لا نص عنه فيها على حسب أصول قررها ومقتضى قواعد بسطها.

والرابعة: طبقة أصحاب التخريج من المقلدين، كالرازى الحنفى وأضرابه، فإنهم لا يقدرون على الاجتهاد أصلاً، لكنهم لإحاطتهم بالأصول وضبطهم للمآخذ يقدرون على تفصيل مجمل ذى وجهين وحكم مبهم يحتمل الأمرين منقول عن صاحب المذهب أو عن أحد من أصحابه المجتهدين، برأيهم ونظرهم فى الأصول والمقايسة على أمثاله ونظرائه فى الفروع، ومن هذا القبيل ما وقع فى بعض المواضع من (الهداية) من قوله كذا فى تخريج الكرخى[٣] وتخريج الرازى.

والخامسة: طبقة أصحاب الترجيح من المقلدين، كأبى الحسين القدورى[٤]، وصاحب (الهداية[٥]) وشأنهم تفضيل بعض الروايات على بعض، قولهم: هذا أولى، وهذا أصح رواية، وهذا أرفق بالناس.

والسادسة: طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين الأقوى والقوى والضعيف، وظاهر المذهب وظاهر الرواية، والرواية النادرة، كأصحاب المتون المعتبرة من المتأخرين مثل صاحب (الكنز[٦]) وصاحب (الدار المختار[٧]) وغيرهما، ممن شأنهم أن لا ينقلوا فى كتبهم الأقوال المردودة والروايات الضعيفة.

---

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (٢٣٩ ـ ٣٢١هـ) من فقهاء الحنفية بمصر، انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفى بمصر على عصره، وله فيه وفى التفسير والتاريخ مصنفات.

(٢) فخر الدين حسن بن منصور بن أبى القاسم (المتوفى سنة ٥٩٢هـ ١١٩٦م) من كبار فقهاء الحنفية وهو من أوزجند بنواحى أصبهان، قرب فرغانة، ترك فتاوى وشروحا وأمالى فى فقه الحنفية.

(٣) أبو الحسن عبيد الله بن الحسين (٢٦٠ ـ ٣٤٠هـ ٨٧٤ ـ ٩٥٢م) انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفى بالعراق فى عصره، وله فيه رسائل وشروح.

(٤) أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر ٣٦٢ـ٤٢٨هـ ٩٧٣ ـ ١٠٣٧م) رأس علماء الحنفية بالعراق على عهده. ومن مصنفاته (التجريد) و(النكاح) وكتاب عرف باسمه فاشتهر بكتاب (القدورى).

(٥) هو شيخ الإسلام برهان الدين أبو الحسن على بن أبى بكر بن عبدالجليل الفرغانى (المتوفى سنة ٥٩٣هـ).

(٦) هو أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، المعروف بحافظ الدين النسفى (المتوفى سنة ٧١٠هـ).

(٧) هو الحصكفى محمد بن على بن محمد بن على بن عبدالرحمن (المتوفى سنة ١٠٨٨هـ) كان عالمًا ومحدثًا وفقيها.

والسابعة: طبقة المقلدين الذين لا يقدرون على ما ذكر، ولا يفرقون بين الغث والثمين، انتهى ملخص ما نقل عن ابن كمال باشا.

وفى الحقيقة هذه الطبقات السبع ترجع إلى طبقات الشافعية الثلاث أو الأربع، بتداخل بعضها فى بعض، كما يفهم بالتأمل، فالتقسيم لها جَعْلِى كمن قسم - من الفقهاء - المشتغلين بالفقه إلى ست مراتب: الأولى: رتبة المبتدى، وهو من لم يقدر على تصوير المسألة. والثانية: رتبة المتوسط، وهو من قدر على تصويرها ولم يقدر على إقامة الدليل عليها. والثالثة: رتبة المنتهى، وهو من قدر على تصوير المسألة وعلى إقامة الدليل عليها. والرابعة: رتبة مجتهدى الفَتَوىّ، وهو من قدر على ترجيح الأقوال كالنووى والرافعى. والخامسة: رتبة مجتهد المذهب، وهو من قدر على استنباط الفروع من قواعد إمامه كالبويطى والمزنى. والسادسة: رتبة المجتهد المستقل، وهو من قدر على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة بشروطها المذكورة فى الأصول. وإن زيد المجتهد المطلق المنتسب المنفرد بآراء خاصة به كانت سبعا كالحنفية.

{ الكلام على قول بعضهم: إن العصر خلا عن المجتهد }

قال الغزالى والقفال[1]: إن العصر خلا عن المجتهد، فقال ابن دقيق العيد: أما قول الغزالى والقفال: خلا عن المجتهد، فالظاهر أنه خلا عن المجتهد القائم بالقضاء، فإنه لا يمكن الحكم على الأعصار بخلوها عن المجتهد، والقفال نفسه يقول للسائل فى مسألة الصبرة: أتسألنى عن مذهب الشافعى؟ أم ما عندى؟؟ وقال هو والشيخ أبوعلى[2] والقاضى الحسين[3] والأستاذ أبو إسحاق[4] وغيرهم: لسنا مقلدين للشافعى، بل وافق رأينا رأيه. فما هذا كلام من يدعى زوال رتبة الاجتهاد. قال ابن الرفعة[5] لا يختلف اثنان فى أن ابن عبدالسلام وابن دقيق العيد بلغا رتبة الاجتهاد. انتهى وحمل ابن دقيق العيد كلام الغزالى فى قوله، كالقفال: إن العصر خلا عن المجتهد، أى عن مجتهد القضاء، ولعل الأظهر من ذلك أن يقال: إن مراده المجتهد بالمعنى الأكمل، الذى هو المجتهد المستقل المطلق، وفى الحقيقة لا يدعى أحد أن الزمان لا يخلو عن مجتهد على تلك الصفة، لا سيما وأن من المعلوم أن مثل الإمام الغزالى لا يقول ذلك، ولا يجزم به هذا الجزم إلا بعد التتبع والتفحص، أو على حسب ما بلغه، أو يحمل كلامه على مجتهد تمذهب الناس بمذهبه. على أن القفال قال ـ كما نقله عنه الشيخ محمد الشوبرى فى حاشيته على (شرح الرملى

---

(١) أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل الشاشى (٢٩١ ـ ٣٦٥هـ ٩٠٤ ـ ٩٧٦م) من بلاد ما وراء النهر، نشر مذهب الشافعى فيها، وكان مقدما فى الفقه والحديث واللغة والأدب والأصول.

(٢) هو أبو على بن شعيب المروزى السنجى (المتوفى سنة ٤٢٧هـ) له شروح فى الفقه، كما أنه أول من جمع بين طريقتى الخراسانيين والعراقيين فى فقه الشافعى.

(٣) أبو على بن محمد بن أحمد الرورذى (المتوفى سنة ٤٦٢هـ) من كبار أصحاب القفال، وكان يلقب بحبر الأئمة.

(٤) إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى (المتوفى سنة ٤٧٦هـ) كان شيخًا للإسلام، مقدما فى الفقه والزهد.

(٥) أبو العباس نجم الدين أحمد بن محمد بن على الأنصارى (٦٤٥ ـ ٧١٠هـ ١٢٤٧ ـ ١٣١٠م) من فقهاء الشافعية بمصر، تولى وظيفة محتسب القاهرة، وألف فى السياسة والحسبة والفقه.

على المنهاج) ـ إنه لا يوجد فى زمانه المجتهد المطلق، وأما المجتهد المقلد فهو الذى ينتحل مذهب واحد من الأئمة، وقد عرف مذهبه، وصار حاذقًا فيه بحيث لا يشذ عنه شىء من أصول مذهبه، أى منصوصاته، بحيث إذا سئل عن مسألة لا يعرف فيها نصا لإمامه اجتهد فيها وخَرَّجها على أصوله وأفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده، فهذا أعز من الكبريت الأحمر . انتهى نقل الشوبرى .

فيفهم من كلامه أن المجتهد المتبحر الذى هو مجتهد المذهب أو مجتهد الفتوى له وجود، إلا أن وجوده نادر، فلا عبرة بمن يجترئ على الشريعة ويكذب نسبة هذا المقام الاجتهادى لبعض أئمتها، ويخوض فى حق من نسب الاجتهاد ـ من حيث هو ـ للمتأهلين للقيام بهذه الرتبة من علماء الشريعة، فلم يزل هذا المقام معروفًا بأناس ومعروفا به أناس، ومتخالف الرتبة تخالف ما بين الشمس وشعلة النبراس، وادعاه لنفسهم أقوام ظهرت أمارة صدقهم ظهور شمس الظهيرة، وأصبحت أقطار هذه الرتبة العلية بهم مستنيرة، ومن آخرهم الحافظ الجلال السيوطى .

{ الكلام على ادعاء الجلال السيوطى الاجتهاد المطلق ومستنده فى ذلك }

قد ألف الجلال السيوطى فى صحة الاجتهاد فى أى عصر من الأعصار كتبا، وبين لذلك من صادق الاستدلال سببًا، حتى قال لمن شدد عليه النكير من الحساد، ممن حملته المعاصرة على الخصام واللداد: إنك من إنكار الاجتهاد علىَّ بمكان، وتزعم أنه فى حيز الإحالة وعدم الإمكان، وهذا كلام من خلا عن العلم صدره والفؤاد، ومن بينه وبينه ألف واد، فإن نصوص الأئمة بفريضة الاجتهاد فى كل عصر طافحة، وبتأثيم أهل العصر إذا قصروا فى القيام به لائحة، وقد جمعتها فى الكتاب الذى سميته (الرد على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض) وقالوا: لا يتأدّى الفرض إلا بالاجتهاد المطلق، وأن يستمر بابه مفتوحًا لا يغلق، فإن قلت: إن أحدًا الآن لن يناله، فقد نسبت كل من فى الأرض إلى المعصية لا محالة، والأمة منزهة عن ذلك للحديث الصحيح: «إن الله عصم

هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة». ثم أين أنت من قول سيد المرسلين وإمام المقتدين : «إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر الدين».

وفسر العلماء هذا المبعوث برجل يقوم بالاجتهاد، ويحيى ما خفا دثوره بين العباد، فإن آمنت بأن النبى ﷺ لا يخلف خبره، وأنه لا بد لكل قرن من مجتهد يعمره، فقد لزمتك الحجة، وسكنت منك الضجة، وعرفت خصوصية هذه الأمة الشريفة، حيث لم تفرط فى هذا الواجب، ولاحجبها عنه حاجب، بخلاف حملة (التوراة) فإنهم قصروا فيه حتى انقرضت منهم المجتهدون، وخلا زمانهم عن إمام به يقتدون ويهتدون، وإن زعمت أن خبر رسول الله أخلف، وأنه فى هذا القرن تخلف، فنستفتيك من نفسك على نفسك، ونعرف فرق ما بينك وبين أبناء جنسك، ثم إذا اعترفت بوجود الاجتهاد فيما مضى، وأنكرته الآن، وقلت : إنه قد انقضى، فما لك إلا جواب الشيخ أبى الحسن الشاذلى إذ قيل له : هنا قوم بكرامات الأولياء السابقين يعترفون، وينكرونها لمن هو موجود ولا يصغون، فقال : إنما هم إسرائيلية، فإن بنى إسرائيل صدقوا بنبوة موسى ومن تقدم من الأنبياء قبل أوانهم، وكذبوا نبوة محمد ﷺ لكونه موجودا فى زمانهم. انتهى المقصود من كلامه.

ولما ادعى الجلال السيوطى، رحمه الله، مقام الاجتهاد، وكان يفتى الناس بالأرجح من مذهب الإمام الشافعى، قالوا له : لم لا تفتيهم بالأرجح عندك؟ قال : لم يسألونى ذلك، وإنما سألونى عما عليه الإمام وأصحابه.

ومستند ادعاء السيوطى الاجتهاد بناء على بقائه إلى آخر الزمان حديث : «يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها». أى ما اندرس من أحكام الشريعة وهى من معالم السنن وخفى من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة.

ومستند منع الاستدلال بهذا الحديث أن المراد بمن يجدد أمر الدين من يقرر الشرائع والأحكام لا المجتهد المطلق.

{ الكلام على المجددين لهذه الأمة أمر الدين }

يظهر من كلام العلماء أن المجدد على رأس المائة الأولى عمر بن عبدالعزيز[(١)]، وعلى رأس المائة الثانية محمدبن أدريس الشافعى[(٢)]، وعلى رأس المائة الثالثة أحمدبن عمربن سريج[(٣)] الباز الأشهب، قاضى شيراز، أفضل أصحاب الشافعى، الذى قويت به كل سنة وضعفت به كل بدعة، وعلى رأس المائة الرابعة القاضى أبوبكر محمد بن الطيب الباقلانى[(٤)]، وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد محمد بن محمد الغزالى[(٥)]، وعلى رأس المائة السادسة أبو عبدالله محمد بن عمر الرازى[(٦)]، ويوازيه الرافعى[(٧)]، وعلى رأس المائة السابعة ابن دقيق العيد[(٨)]، وعلى رأس المائة الثامنة السراج البلقينى[(٩)]، ويوازيه الحافظ العراقى[(١٠)]، وعلى رأس المائة التاسعة شيخ الإسلام زكريا الأنصارى[(١١)]،

---

(١) عاش من سنة ٦٣ حتى سنة ١٠١هـ (٦٨٢ - ٧١٩م).

(٢) عاش من سنة ١٥٠ حتى سنة ٢٠٤هـ (٧٦٧ - ٨١٩م).

(٣) توفى سنة ٣٠٦ هـ (٩١٨م) وهو من أكبر علماء الشافعية فى القرن الثالث الهجرى، ومصنفاته تبلغ الأربعمائة، ولقد ضاعت كلها، ومن المجالات الفكرية التى اهتم بها مناقشة الظاهرية والرد عليهم.

(٤) عاش من سنة ٣٣٩ حتى سنة ٤٠٤هـ (٩٥٠ - ١٠١٣).

(٥) عاش من سنة ٤٥١ حتى سنة ٥٠٥ هـ (١٠٥٩ - ١١١١م).

(٦) عاش من سنة ٥٤٤ حتى سنة ٦٠٦ هـ (١١٤٩ - ١٢٠٩م).

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) موسى بن على بن وهب (٦٤١ - ٦٨٥هـ ١٢٤٤ - ١٢٨٦م) من علماء مصر وفقهائها وشعرائها، وله فى فقه الشافعية كتاب (المغنى) وهو أخو ابن دقيق العيد تقى الدين أحمد بن على صاحب (العمدة).

(٩) عاش من سنة ٧٢٥ حتى سنة ٨٠٦ هـ (١٣٢٤ - ١٤٠٣م).

(١٠) أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن (٧٢٥ - ٨٠٦هـ ١٣٢٥ - ١٤٠٤م) من أصل كردى، تعلم ونبغ وعاش بمصر، وله مصنفات شروح كثيرة.

(١١) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى (٨٢٣ - ٩٢٦هـ ١٤٢٠ - ١٥٢٠م) من أفاضل علماء مصر، ولى القضاء على عهد السلطان قايتباى، ثم عارض مظالمه فعزله، فتفرغ للتعليم والتأليف.

والسيوطى[1]، وعلى رأس المائة العاشرة شمس الدين الرملى[2]، كما سيأتى، قال السيوطى:

والشرط فى ذلك أن تمضى المائة	**وهو على حياته بين الفئة**
يشار بالعلم إلى مقامه	**وينصر السنة فى كلامه**
وأن يكون جامعا لكل فن	**وأن يعم علمه أهل الزمن**
وأن يكون فى حديث قد روى	**من آل بيت المصطفى وهو قوى**
وكونه فردا هو المشهور	**قد نطق الحديث والجمهور**
وهذه تاسعة المائتين قد	**أتت ولا يخلف ما الهادى وعد**
وقد رجوت أننى المجدد	**فيها ففضل الله ليس يجحد**

وفى (خلاصة الأثر) نقلاً عن عبدالله بامخرمة[3]، من علماء اليمن، أنه قال: ويقرب عندى أن المجدد للقرن التاسع، الذى يرجو السيوطى أن يكون مجدده، القاضى زكريا[4]، لشهرة الانتفاع به وتصانيفه واحتياج غالب الناس إليه، لا سيما فيما يتعلق بالفقه وتحرير المذهب، بخلاف كتب السيوطى، فإنها وإن كانت كثيرة، فليست بهذه المثابة، على أن كثيراً منها مجرد جمع بلا تحرير، وأكثرها فى الحديث من غير تميز الطيب من غيره، بل كأنه حاطب ليل وساحب ذيل، والله تعالى يرحم الجميع، ويعيد علينا من بركاتهم. انتهى.

وكلامه لا يخلو من الجرأة فى الخوض فى حق الإمام السيوطى، وإن كان فى موقعه فى حق شيخ الإسلام.

وقال بعضهم بمناسبة حديث إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من

(١) عاش من سنة ٨٤٩ حتى سنة ٩١١ هـ (١٤٤٥ـ ١٥٠٥م).
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) عبدالله بن أحمد بن على بن مخرمة الحميرى الشيبانى (٨٣٣ـ ٩٠٣هـ ١٤٣٠ ـ ١٤٩٧م) فقيه، تولى الإفتاء والتدريس فى عدن، وله رسائل وفتاوى ومصنفات.
(٤) أى زكريا الأنصارى الذى ترجمنا له هنا.

يجدد لها دينها: بُدئت بعمر وختمت بعمر، يريد بدأت بعمربن عبدالعزيز وختمت بشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني، مجتهد عصره وعالم المائة الثامنة، فإنه كان له ترجيحات في مذهب الإمام الشافعي خلاف ما رجحه النووي، وله اختيارات خارجة عن المذهب كإفتائه بجواز إخراج الفلوس في الزكاة، وله تصانيف في الفقه والتفسير والحديث منها حواشي (الروضة) وشرح (البخاري) وشرح (الترمذي) وحواشي (الكشاف)ويليق قول الشاعر:

في رأس كل مائة يجيء من   يجدد الدين بحسن الوصف

ومثل ذا مجدداً للدين لا   يجيء إلا واحد في الألف

وكان أحق الناس من أهل زمانه بالتجديد، وقد توفي في سنة خمس وثمانمائة[1] على رأس القرن. انتهى. ببعض تصرف.

ولكن هذا القول لا يلائم منطوق الحديث المؤذن بالتجديد في كل قرن، والمفيد لتناوب دول المجددين، إلا أن يحمل على أنه لا يوجد بعد البلقيني مثله، وأن المجددين الخلف لا يصلون إلى درجة السلف، ولا شك أن مرتبة التجديد كمرتبة الاجتهاد متفاوتة، فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أن الإمام شمس الدين الرملي، المنوفي، المصري، الأنصاري، الشهير بالشافعي الصغير، مجدد القرن العاشر، ووقع الاتفاق على المبالغة في مدحه، وأنه محيي السنة وعمدة الفقهاء في الآفاق، وفيه يقول الشهاب الخفاجي[2]، وهو أحد من أخذ عنه:

فضائله عد الرمال فمن يطق   ليحوي معشار الذي فيه من فضل

فقل لغبي رام إحصاء فضله   تربت استرح من جهد عدك للرمل

---

(١) هجرية، وتوافق سنة ١٤٠٢م.

(٢) شهاب الدين المصري (١٥٧١ ـ ١٦٥٩م) فقيه وطبيب، تولى القضاء بالروملي، وبمصر، ومن مصنفاته كتاب (عناية القاضي) وهو شرح على تفسير البيضاوي، وكتاب (ريحانة الألبا) وكتاب (طراز المجالس).

واختلف فى رأس المائة المذكور فى الحديث، هل يعتبر من المولد النبوى؟ أو البعثة؟ أو الهجرة؟ أو الوفاة؟ قال بعضهم: ولو قيل بأقربية الثانى لم يبعد. انتهى.

ولعل ترجيحه كونه ﷺ هو الذى جاء بهذا الدين القويم، وهدى إلى الصراط المستقيم، وكان تقوية هذا الدين بعده لصحبه الكرام والتابعين، فصار هذا القرن يعد منسوبًا له ﷺ وللخلفاء الراشدين، ورأس القرن الحقيقى الآتى بيانه يوافق عهد عمربن عبدالعزيز، الذى هو خامس الخلفاء الراشدين أو سادسهم، فإن عمربن عبدالعزيز كان موجودًا فى رأس القرن بالحساب من الهجرة، وعلى ذلك ففرق القرن بين البعثة والهجرة نحو ثلاث عشرة سنة، فكان على رأس القرن، يعنى انتهت المائة حال وجوده، واحتياج الدين لتجديده ببعد العهد من الصدر الأول، فيكون موافقًا لما قاله بعضهم: إن المراد بالبعث فى كل قرن بعث من انقضى القرن، يعنى المائة سنة، وهو حى عالم مشار إليه، فإذا حسبنا من البعثة نجد أن عمربن عبدالعزيز عاش بعد القرن زمنًا طويلاً، ودخل عليه القرن الثانى وهو حى عالم مشار إليه، فهو مجدد.

لكن صنيع السبكى وغيره مصرح بأن المراد اعتبار القرن من الهجرة، وعلى كلا القولين فيوافق بالكلية تجديد عمربن عبدالعزيز.

وقال بعضهم: إن تخصيص الرأس إنما هو لكونه مظنة انخرام علمائه غالبًا، وظهور أهل البدع والخارجين، وإلا فقد يكون فى أثناء المائة من هو كذلك موصوفًا بالتجديد، بل قد يكون أفضل من المبعوث على رأس القرن، ولذلك قيل بتعدد المجددين المقيمين للحجج على تعضيد الدين.

وفى بعض الروايات زيادة: «من أهل بيتى»

قال التاج السبكى: وفيها دقيقة ينبغى التنبيه عليها وهى أن عمربن عبدالعزيز والشافعى قرشيان تصدق عليهما الرواية المذكورة، وقال: وبذلك يتعين عندى أن المجدد بعد الشافعى يكون شافعى المذهب، فإنه هو الذى من أهل بيت النبى ﷺ.

ولذا حمل بعضهم أن المراد بكونه من أهل البيت أهل البيت المعنوى كحديث سلمان: «منا أهل البيت». ولاشك أن الشافعى إنما كمل علمه وتقريره للدين فى آخر المائة الثانية وأول المائة الثالثة، فكان صالحًا لأن يكون هو المراد بهذه الحديث لانطباقه عليه من وجوه:

الأول: أن الحديث الذى ذكرناه يدل على أنه لا بد على رأس المائة من إمام يسعى فى تقوية الدين مع حديث: «الأئمة من قريش»، ولم يظهر فى رأس المائة إمام قرشى يسعى فى تقوية الدين ونصرته غيره، وهذا فى غاية الظهور، لأن علم «مالك» و«أبى حنيفة» لم يظهر فى أول المائة الثالثة، وأما علوم أبى يوسف ومحمدبن الحسن وأحمدبن حنبل فهى وإن ظهرت فى أول المائة الثالثة، إلا أنهم لم يكونوا من قريش.

الثانى: وهو يقوى ما ذكرناه، أن قوله ﷺ: «إن الله يبعث»، إلى آخره، لا يليق به إلا من كان له تصرف فى علم الدين واستقلال بتقوية أصوله وفروعه، وقد علمنا أن مالكًا وأبا حنيفة خارجان عن هذا الحديث لظهور علمهما فى وسط المائة، فبقى معنا أبو يوسف ومحمد وزفر وسائر أصحاب أبى حنيفة ومالك، فمثل هذا الحديث لا يتناول مثل هؤلاء، لأنهم أتباع للمجتهدين، فالأقرب أن لا يتناول إلا من كان مستقلاً بنفسه فى وضع المذاهب والأقوال مستبدًا باجتهاده وهو الإمام الشافعى.

وأما الإمام أحمد بن حنبل فإنه وإن كان موجودًا فى أول المائة الثالثة إلا أنه ما كان صالحًا لأن يكون هو المراد. وبيانه من جهات:

الأولى: أنه كان مقرًا بأن المراد بهذا الحديث هو الشافعى، فقد روى البيهقى فى (كتاب المناقب) ذلك عنه بطرق كثيرة.

والثانية: أنه ما كان فى علم أصول الفقه كالشافعى، فإن الشافعى كان له أيضًا مذهب فى الأصول، بل هو أول من وضع علم أصول الفقه ودوّنه، وقد قال أيضًا الإمام أحمد بن حنبل: لولا الشافعى لبقيت أفقه أصحاب الرأى، أى الاجتهاد،

فلما ثبت بالدليل أن من سوى الشافعى من الفقهاء لا يصلح واحد منهم أن يكون مرادًا بالحديث ثبت أن المراد به ليس إلا الإمام الشافعى القرشى المطلبى.

والثالثة: أن الأئمة قبل الشافعى كانوا فريقين: أصحاب الحديث، وأصحاب الرأى، أى الاجتهاد، فكان أصحاب الحديث عاجزين عن المناظرة والمجادلة لمناقضة طريقة أصحاب الرأى، فما كان يحصل بسببهم قوة فى الدين ولا نصرة للكتاب والسنة على وجه تام، وكان أصحاب الاستحسان سعيهم برأيهم وترتيب فكرهم فى الأغلب، فما كان جهدهم واجتهادهم مصروفا إلى نصرة النصوص، فلما ظهر الشافعى قوى جانب أهل الحديث، وحمل الحديث على تقرير النصوص أولى، لأن حمل لفظ الدين على النص أولى من الاستحسان، وبهذا كان الحديث أشد انطباقًا على من كان أقوى معرفة بالنصوص من القرآن والأخبار وبأصول الفقه وشرائط الاستدلال بتلك النصوص، وهو الإمام الشافعى، فهو الذى وضعها ورتب أصولها وفتح فصولها، وكان أيضًا قويا فى المناظرة والمجادلة، وقد رجع كثير من أتباع المذاهب إلى مذهبه، ولولا ذلك لامتنع فى مجارى العادات أن يرجع كثير من الناس عن قول أبى حنيفة وقول مالك لسبب مخالفته لهما، فإذا كان الأمر كذلك فقد ثبت أنه رضى الله تعالى عنه متعين لأن يكون مرادًا بهذا الحديث.

والذى يقوى ذلك أن أصحاب الاجتهاد أظهروا مذاهبهم وكانت الدنيا مملوءة من المحدثين ورواة الأخبار، ولم يقدر أحد منهم على الطعن فى أقاويلهم، ثم إنه لما قوى مذهبهم واشتهر وعظم وقعد فى القلوب اتفق اتصال أبى يوسف ومحمد بخدمة هارون الرشيد فعظمت تلك القوة جداً بنفوذ العلم والسلطنة معًا، فلما جاء الشافعى وأظهر ما كان معه من الدلائل والبيّنات رجع كثير من أنصارهم وأتباعهم، وما جاء من ذلك الوقت إلى الآن من قدر أن يطعن فى مذهب الشافعى، أو من بين ضعف قوله فى مسألة واحدة، ولولا أن الله تعالى قد خص الشافعى بالبينات الواضحة والدلائل اللائحة لكان هذا الأمر كالمتعذر، فثبت أن الشافعى هو الذى قوى الحق بسبب بيانه وقوة برهانه، فوجب الجزم بأنه هو المراد بهذا الحديث لا غيره، وأنه المجدد للقرن.

وكونه هو المجدد لا يقدح شيئًا فى مراتب غيره من أصحاب المذاهب، لا سيما وأن فيهم من أشياخه، فأكابر المجتهدين أرباب فضائل ومزايا وخصائص مع ما سيأتى فى تعميم التجديد.

{ الكلام على الإجماع على تقليد الأربعة المجتهدين دون غيرهم }

أكابر المجتهدين، المستقلون الذين انعقد الإجماع على تقليدهم دون غيرهم هم الأئمة الأربعة الذين انتشرت مذاهبهم، وضبطت بالتدوين، وانعقد الإجماع على تقليدها، وجواز العمل بها، حيث اختيرت لذلك، وهم الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان، والإمام مالك بن أنس، والإمام الشافعى محمد بن إدريس، والإمام أحمدبن حنبل. وسبب الاقتصار عليها انقراض المذاهب ما عداها مما ترتب عن قتل التتار للخليفة المعتصم سنة ٦٥٩ من الهجرة بمكيدة وزيره ابن العلقمى من نكبة بغداد وإلقاء كتب الأئمة المجتهدين وغيرهم فى نهر الدجلة.

فأما أبوحنيفة، رحمه الله، فهو إمام تقى، قيل أدرك فى زمانه أربعة من الصحابة، رضى الله عنهم أجمعين: أنس بن مالك، خادم رسول الله، ﷺ، وعبد الله بن أبى أوفى بن علقمة، وسهل بن سعد الساعدى، وأبا الطفيل، عامر بن وائلة وبالجملة، فقد قيل إنه تابعى، وكفاه بذلك فضيلة، إنه صاحب ذكاء وفطنة، وتوفى ببغداد سنة خمسين ومائة[1]، وهو ابن سبعين، ودفن فى مقبرة الخيزران. رحمه الله تعالى ورضى عنه.

وأما الإمام مالك بن أنس فهو إمام تقى، مجتهد، قد أخذ العلم عن ربيعة بن عبدالرحمن، وجلس إليه أكثر ممن كان يجلس إلى ربيعة، فكانت حلقة مالك فى زمن ربيعة مثل حلقة ربيعة وأكثر، روى أن المهدى قدم المدينة فبعث إلى مالك بألفى دينار، أو ستة آلاف دينار، ثم أتاه الربيع بعد ذلك فقال له: أمير المؤمنين يحب أن

(١) هجرية، وتوافق سنة ٧٦٧م.

تُعادله[1] إلى مدينة السلام فقال له مالك رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ ، والمدَينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والمال عندى على حاله!

وبالجملة ، فهو نجم السنة النبوية ، وفضائله كثيرة فوق الوصف ، توفى بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة [2] ، وولد سنة إحدى أوأربع أو سبع وتسعين[3] .

وأما الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، فهو إمام جليل القدر ، مجتهد ، قد أخذ الفقه عن مسلم بن خالد الزنجى ، وغيره ، وهو صاحب الفتوى والتقوى ، وله مناقب لا تعد ولا تحصى ، توفى رحمه الله ليلة الخميس آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين[4] بمصر ، ودفن يوم الجمعة بعد العصر ، وصلى عليه أميرها ، وولد سنة خمسين ومائة[5] .

وأما الإمام أحمد بن حنبل فهو إمام تقى ، مجتهد ، محدث ، قال عبدالرزاق : ما رأيت أفقه ولا أورع من أحمدبن حنبل ، وقال أبوزرعة : كان يحفظ ألف ألف حديث ، وكان كثيراً ما يقول دُبُر كل صلاة : اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصن وجهى عن المسألة لغيرك . وبالجملة ، فمناقبه كثيرة جدا ، توفى ببغداد سنة إحدى وأربعين ومائتين[6] ، وولد سنة أربع وستين ومائة[7] ، رضى الله عنهم أجمعين ، ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة .

وكان بمنزلة هؤلاء المجتهدين أبو عبدالله سفيان بن سعد الثورى ، الكوفى ، مات بالبصرة ودفن بها لإحدى وستين ومائة[8] ، ولم يزل مقلدوه إلى القرن السادس .

---

(١) بضم التاء ، أى أن تصحبه إلى مدينة السلام . والمعادل هو المقابل والمصاحب فى المحمل والمركب .
(٢) هجرية ، وتوافق سنة ٧٩٥م .
(٣) هجرية ، توافق سنة ٧٠٩م ، أو سنة ٧١٢م ، أو ٧١٥م .
(٤) هجرية ، توافق سنة ٨١٩م .
(٥) هجرية ، وتوافق سنة ٧٦٧م .
(٦) هجرية ، توافق سنة ٨٥٥م .
(٧) هجرية ، وتوافق سنة ٨٧٧م .
(٨) هجرية ، وتوافق سنة ٧٧٧م .

ومن الناس من يعد من أصحاب المذاهب سفيان بن عيينة، والأوزاعى، إمام الشام، وإسحاق بن راهويه، وداود الظاهرى، والليث بن سعد، بل ومحمد بن جرير الطبرى.

فإن قيل: كيف يعد منهم داود الظاهرى، وإمام الحرمين يقول: إن المحققين لا يقيمون للظاهرية وزنا، وأن خلافهم لا يعتبر؟ فالجواب عن ذلك: أن ابن السبكى حمل قول إمام الحرمين على ابن حزم وأمثاله، قال: وأما داود فمعاذ الله أن يقول إمام الحرمين أو غيره إن خلافه لا يعتبر، فلقد كان جبلاً من جبال العلم والدين، وله من سداد النظر وسعة العلم ونور البصيرة والإحاطة بأقوال الصحابة والتابعين، والقدرة على الاستنباط ما يعظم وقعه، وقد دونت كتبه، وكثرت أتباعه، وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى طبقاته من الأئمة المتبوعين فى الفروع، وقد كان مشهوراً فى زمن الشيخ وبعده بكثير، لاسيما فى بلاد فارس شيراز وما والاها إلى ناحية العراق وفى بلاد المغرب، وأما ابن حزم فقد قال بعضهم بمناسبة تحليله آلات اللهو واللعب:

فاجزم على التحريم أى جزم والرأى أن لا تتبع ابن حزم
فقد أبيحت عنده الأوتار والعود والطنبور والمزمار

والظاهر أن له بعض تَجَرِّى كقوله فى حق أبى حنيفة وأصحابه البيتين المشهورين، وهما:

إن كنت كاذبة الذى حَدَّثْتنِى فعليك إثم أبى حنيفة أو زفر
الواثبين على القياس تمردا والراغبين عن التمسك بالأثر

حتى اضطر بعض الحنفية إلى الرد عليه بقوله:

ما كان يحسن يا ابن حزم ذم من ... حاز العلوم وفـاق فضلاً واشتـهر
فأبـو حنيفـة فضـله متـواتـر ... ونظيـره فى الفضل صاحبـه زفر
إن لم تكن قـد تبت من هذا ففى ... ظنى بأنك لا تـباعـد عن سَقَر
وقـياسـه لا مَعْ وجـود أدلة ... للحكم من نص الكتاب أو الخبر
لكـن مع عـدم تقـاس أدلة ... وبذاك قـد وصى معـاذًا إذ أمر[1]

{ الكلام على الانتقال من مذهب إلى آخر }

هل لمقلد إمام من الأئمة الأربعة الانتقال من مذهب إلى آخر؟ أو ليس له ذلك؟ قال الإمام الشعرانى، فى ميزانه: رأيت بخط الجلال السيوطى ما نصه: «الذى أقول به إن للمنتقل من مذهب إلى آخر أحوالاً:

أحدها: أن يكون الحامل له على الانتقال أمرًا دنيويًا اقتضته الحاجة إلى الرفاهية اللائقة، كحصول وظيفة أو مرتب أو قرب من الملوك وأكابر الدنيا، فهذا حكمه حكم مهاجر أم قيس لأنه الأعز من مقاصده.

ثانيها: أن يكون الحامل له على الانتقال أمرًا دنيويًا كذلك، لكنه عامى لا يعرف الفقه وليس له من المذهب سوى الاسم، وإنما انتقل إلى هذا المذهب لكونه عليه العمل حتى يدخل فى إفتاء أو تدريس أو نحوه، فمثل هذا أمره خفيف إذا انتقل عن مذهبه الذى كان يزعم أنه متقيد به، ولا يبلغ إلى حد التحريم، لأنه إلى الآن عامى

(١) الإشارة إلى الحديث الذى رواه معاذ بن جبل، قال: «لما بعثنى رسول الله ﷺ، إلى اليمن، قال: بم تقضى إن عرض لك قضاء؟ قال، قلت: أقضى بما فى كتاب الله، قال: فإن لم يكن فى كتاب الله؟ قلت: أقضى بما قضى به رسول الله، قال: فإن لم يكن فيما قضى الرسول؟ قال قلت: أجتهد رأيى ولا آلو. قال: فضرب صدرى وقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ﷺ، لما يرضى رسول الله». انظر (الطبقات الكبرى) لابن سعد. جـ٣ قسم ٢ ص ١٢١.

لا مذهب له، فهو كمن أسلم جديدًا، فله التمذهب بأى مذهب شاء من مذاهب الأئمة.

ثالثها: أن يكون الحامل له أمرًا دنيويًا كذلك، ولكنه من القدر الزائد عادة على ما يليق بحاله، وهو فقيه فى مذهبه وأراد الانتقال لغرض الدنيا الذى هو من شهوات نفسه المذمومة، فهذا أمره أشد، وربما وصل إلى حد التحريم لتلاعبه بالأحكام الشرعية لمجرد غرض الدنيا، مع عدم اعتقاده فى صاحب المذهب الأول أنه على كمال هدى من ربه، إذ لو اعتقد أنه على كمال هدى ما انتقل عن مذهبه.

رابعها: أن يكون انتقاله لغرض دينى، ولكنه كان فقيهًا فى مذهبه، وإنما انتقل لترجيح المذهب الآخر عنده لما رآه من وضوح أدلته وقوة مداركه، فهذا ما يجب عليه الانتقال أو يجوز له، كما قاله الرافعى.

وقد أقر العلماء من انتقل إلى مذهب الشافعى حين قدم من مصر، وكان خلقا كثيرين مقلدين للإمام مالك كمحمد بن الحكم وأمثاله.

خامسها: أن يكون انتقاله لغرض دينى، لكنه كان عاريًا من الفقه، وقد اشتغل بمذهبه فلم يحصل منه على شىء، ووجد مذهب غيره أسهل عليه بحيث يرجو سرعة إدراكه والتفقه فيه، فهذا يجب عليه الانتقال قطعًا، ويحرم عليه التخلف، لأن تفقه مثله على مذهب إمام من الأئمة الأربعة خير من الاستمرار على الجهل، لأنه ليس له من التمذهب سوى الاسم، والإقامة على الجهل نقص عظيم فى المؤمن، وقلّ أن تصح منه عبادة.

قال الجلال السيوطى: وأظن أن هذا هو السبب فى تحول الطحاوى حنفيا بعد أن كان شافعيًا، فإنه كان يقرأ على خاله الإمام المزنى فتعسر يومًا عليه الفهم، فحلف المزنى أنه لا يجىء منه شىء، فانتقل إلى مذهب الإمام أبى حنيفة، ففتح الله تعالى عليه وصنف كتابا عظيما شرح فيه المعانى والآثار، وكان يقول لو عاش خالى ورآنى اليوم لكفر عن يمينه. انتهى.

سادسها: أن يكون انتقاله لا لغرض دينى ولا دنيوى، بأن كان مجردًا عن القصدين

جميعًا، فهذا يجوز مثله للعامى، أما الفقيه فيكره له أو يمنع منه، لأنه قد حَصَّل فقه ذلك المذهب الأول ويحتاج إلى زمن آخر ليُحَصِّل فيه فقه المذهب الآخر، فيشغله ذلك عن الأمر الذى هو العمل بما تعلمه قبل ذلك، وقد يموت قبل تحصيل مقصوده من المذهب الآخر، فالأولى لمثل هذا ترك ذلك. انتهى كلام الجلال السيوطى بتصرف.

{ بيان أن المجدد للدين يجوز أن يكون من المجتهدين أو المقلدين }

المجدد للدين قد يكون من المجتهدين أو المقلدين، بناء على أن التجديد للدين هو التقرير والتأييد للدين، وليس مقصوراً على الاجتهاد، فقد قال الحافظ عماد الدين بن كثير: «قد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث. والظاهر أنه يعم حملة العلم من كل طائفة، وكل صنف من أصناف العلماء، محدثين وفقهاء ونحاة ولغويين». انتهى ما نقله عنه صاحب [خلاصة الأثر] ثم قال: وقال فى [جامع الأصول]، أى ابن الأثير الجزرى، الشافعى: لا تكلموا فى تأويل هذا الحديث، وكل أشار إلى القائم الذى هو من مذهبه، وحمل الحديث عليه، والأولى العموم، فإن «من» تقع على الواحد والجمع، ولا يختص أيضا بالفقهاء، فإن انتفاع الأمة يكون أيضا بأولى الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ، لكن المبعوث ينبغى كونه مشاراً إليه فى كل فن من هذه الفنون، ففى رأس الأولى من أولى الأمر عمر بن عبدالعزيز، ومن الفقهاء محمد الباقر، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله، والحسن، وابن سيرين، وغيرهم من طبقتهم، ومن القراء ابن كثير، ومن المحدثين الزهرى، وفى رأس الثانية من أولى الأمر المأمون، ومن الفقهاء الإمام الشافعى، واللؤلؤى، من أصحاب أبى حنيفة، وأشهب، من أصحاب مالك، ومن الإمامية على بن موسى الرضى، ومن القراء الحضرمى، ومن المحدثين ابن معين، ومن الزهاد الكرخى، وفى الثالثة من أولى الأمر المقتدر، ومن الفقهاء ابن سريج، الشافعى، والطحاوى، الحنفى، والخلال، الحنبلى، ومن المتكلمين الأشعرى، ومن المحدثين النسائى، وفى الرابعة من أولى الأمر القادر بالله، ومن الفقهاء الإسفرائينى، الشافعى، والخوارزمى، الحنفى، وعبدالوهاب، المالكى، والحسين،

الحنبلى، ومن المتكلمين الباقلانى، وابن فورك، ومن المحدثين الحاكم، ومن الزهاد الثورى، وهكذا يقال فى بقية القرون».

وقال فى [الفتح]: «نبه بعض الأئمة على أنه لا يلزم أن يكون فى رأس كل قرن واحد فقط، بل الأمر فيه كما ذكره النووى فى حديث: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق». من أنه يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وزاهد وعابد، ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد، بل يجوز اجتماعهم فى قطر واحد، وتفرقهم فى الأقطار ويجوز اجتماعهم ببلد، وأن يكونوا فى بعض دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولا فأولا إلى أن يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا أتى أمر الله».

وقال الحافظ زين الدين العراقى فى أول تخريج [الإحياء] فى ترجمة الغزالى، بعد أن ذكر نحو ما مر: «وإنما قلت من تعيين من ذكرت على رأس كل مائة بالظن، والظن يخطئ ويصيب، والله أعلم بمن أراد ونبيه ﷺ، ولكن لما جزم أحمد بن حنبل فى المائتين الأوليين بعمر بن عبدالعزيز والشافعى تجاسر من بعده بابن سريج والصعلوكى، وسبب الظن فى ذلك شهرة من ذكر بالانتفاع بأصحابه ومصنفاته، والعلماء ورثة الأنبياء، وكذلك من ذكر أنه مظنون فى المائة الثامنة فعلمه إلى الله تعالى، والله تعالى يبقى العلماء ويديم النفع بهم إلى أزمان متطاولة» انتهى.

ولعل عد المأمون مجددا للدين من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾(1) وإلا فما نقله السيوطى عن أبى حاتم فى تفسيره من رواية عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: «ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة إلا كان عند رأس المائة أمر».

انتهى. يفيد أن المأمون لا يصح عده فى المجددين للدين وإن جدد العلوم النافعة الأخرى، فإن السيوطى قال فى بيان الأمر الذى يكون عند رأس المائة سنة.

---

(1) التوبة: ١٠٢.

«كان عند رأس المائة الأولى من هذه الملة فتنة الحجاج، وما أدراك ما الحجاج!

وفى المائة الثانية فتنة المأمون وحروبه مع أخيه حتى درست محاسن بغداد وباد أهلها، ثم قتله، ثم امتحانه الناس بخلق القرآن وهى أعظم الفتن فى هذه الأمة وأولها بالنسبة إلى الدعاء إلى البدعة، ولم يدع خليفة قبله إلى شئ من البدع.

وفى المائة الثالثة خروج القرمطى، وناهيك به، ثم فتنة المقتدر لما خلع وبويع إلى ابن المعتز وأعيد المقتدر ثانى يوم، وذبح القاضى وخلقا من العلماء، ولم يقتل قاض قبله فى ملة الإسلام، ثم فتنة تفرق الكلمة وتغلب المتغلبين على البلاد، واستمر ذلك إلى الآن، ومن جملة ذلك ابتداء الدولة العبيدية[١]، وناهيك بهم إفسادا وكفرا وقتلا للعلماء والصلحاء.

وفى المائة الرابعة كانت فتنة الحاكم بأمر الله[٢]، وناهيك بما فعل.

وفى المائة الخامسة أخذ الفرنج الشام وبيت المقدس.

وفى المائة السادسة كان الغلاء الذى لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف ﷺ، كان ابتداء أمر التتار.

وفى المائة السابعة كانت فتنة التتار العظمى التى لم يسمع مثلها، أسالت من دماء أهل الإسلام بحارا.

وفى المائة الثامنة كانت فتنة تمرلنك[٣] التى استصغرت بالنسبة إليها فتنة التتار على عظمها». انتهى.

فقد قال فى حق المأمون ما قال، إلا أنه لم يل الخلافة من بنى العباس أعلم منه،

---

(١) وهى الدولة الفاطمية، أسسها بالمغرب عبيد الله المهدى الفاطمى (٨٧٢- ٩٣٤م) وكان تاريخ تأسيسها مبايعة أهل المغرب له (٩٠٩- ٩١٠م)

(٢) الحاكم بأمر الله، ابن العزيز (٩٨٥- ١٠٢١م) سادس خلفاء الدولة الفاطمية. انظر تاريخه فى: [الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية] لمحمد عبدالله عنان. طبعة القاهرة، الثانية، سنة ١٩٥٩م.

(٣) تيمورلنك (١٣٣٦- ١٤٠٥م) الفاتح المغولى الشهير بغزواته فى الهند وتركيا العثمانية، والذى اكتسح ودمر بلاد المشرق العربى، وخاصة حلب ودمشق وبغداد.

وكان أمَاراً بالعدل، فقيه النفس، يعد من كبار العلماء فى سائر الفنون، فقد قال له يحيى بن أكثم ذات يوم فى محاورته له: «يا أمير المؤمنين، إن خُضنَا فى الطب كنت جالينوس فى معرفته، أوفى النجوم، كنت هرمس فى حسابه، أوفى الفقه كنت على بن أبى طالب فى علمه، أو ذكر السخاء كنت حاتم طىء فى صفته، أو صدق الحديث كنت أبا ذّر فى لهجته، أو الكرم فأنت كعب بن مامه فى فعاله، أو الوفاء فأنت السموءل بن عاديا فى وفائه».

وقال بعضهم: استخرج المأمون كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرص، وبرع فيها، بعد أن برع فى فنون التاريخ والأدب والعلوم الشرعية، ولولا قوله بخلق القرآن لكان يعد من أكمل الخلفاء، وكان فيه إنصاف، فمن إنصافه أنه رأى أن آل النبى ﷺ أحق بالخلافة من غيرهم فهمّ بخلع نفسه وتفويض الأمر إلى على بن موسى الكاظم، ولقبه بالرضى، وضرب الدراهم والدنانير باسمه، وزوجه ابنته، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة، وجعله ولى عهده فى الخلافة، فتوفى الإمام على بن موسى الرضى فى حياته، فهذا ما كان من إنصافه، فلعل هذا هو الحامل لابن الأثير على عده من المجددين للدين، أو أن التجديد حاصل بعنايته ومترتب على أفعاله، واعتزاله فى مسألة لا يمنع من التجديد، كما قال بعضهم فى حق ولاة الأمور، والله لا يصلح الدين إلا بهم وإن جاروا، وإن ما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، فلو أبقى هذا الخليفة مسألة القرآن لعلماء عصره يقولون فيها حكم الله ما بقيت له هذه الزلة على مدى الأزمان، لاسيما وأن عصره مشحون بالعلماء.

{ بيان أنه ليس لولاة الأمور من الأمراء أن يحكموا فى التحريم والتحليل }

قال بعضهم: ليس من وظائف ولاة الأمور أن يحكموا فى التحريم والتحليل بما يخالف الأوضاع الشرعية المستنبطة عند الأئمة المجتهدين من أدلة الكتاب والسنة والإجماع، ولا عبرة بالاستكراه النفسانى والاستحسان الطبيعى والتقبيح العقلى، فالتحسين والتقبيح العقليان المجردان عن الدليل الشرعى لا عبرة بهما، والحاكم فى

امتثال الأوامر والنواهى كأحد رعاياه القائم بمصالحهم والناظر فى أمورهم والمدبر لمملكته بالعدل والإنصاف على القانون الشرعى الذى أصوله الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستصحاب أو الاستحسان، فقد ثبت بالإجماع أن ما لا دليل عليه صريحا فى الكتاب والسنة فالعمل فيه بما انعقد عليه الإجماع واجب، وكذلك القياس، فإن ما لا نص فيه لا يلحق بالوقائع المنصوصة المشبهة له، واعتبار الإجماع والقياس إنما يكون إذا صدرا من الذين يمكنهم استنباط الأحكام من الكتاب والسنة، وهم المسمون بأهل الحل والعقد فى الأصول، ولذلك فسر به بعضهم (أولى الأمر) فى الآية وقال: ينبغى أن تكون أوامر الحكام ونواهيهم موقوفة على فتاوى العلماء وأقوال المجتهدين فى الدين، وهذا لا يمنع أن الإمامة[1] تخلف النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا، فتقف عند حدود الله تعالى المُعَضَّدَة بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2] بناء على تفسير إكمال الدين في الآية بإكمال الفرائض والأحكام كما ذهب إليه جماعة منهم «السدى»[3]، وقال ابن عباس: إن إكمال الدين هنا معناه عدم مشاركة المشركين للمسلمين فى حج البيت الحرام فكان ذلك من إتمام النعمة على المؤمنين، وعلى كل حال فدين الإسلام كامل لا يقبل الزيادة والنقصان بالآراء العقلية.

وكذلك لا يجوز للحكام أن ينهوا عن المباحات إلا إذا رأوا فى ذلك مصلحة ظاهرة للرعية شرعية مرعية، كمخافة ضرر يلحق الرعية فى دينها ودنياها، كما إذا

---

(١) يخطئ الطهطاوى هنا، وفى مواطن أخرى من آثاره، فيقول «الإمارة» بدلا من «الإمامة». . ولقد صححنا هذا الخطأ، لأن الذى قال عنه: الكلاميون والفقهاء إنه خليفة للنبى هو «الإمام» وليس «الأمير» فالإمارة مرتبة تلى الإمامة، ومثلها مثل القضاء فى تبعيتها للإمام وصدور قراراته بتعيين أصحابها وعزلهم. اللهم إلا إذا كان مراد الطهطاوى بالإمارة إمارة المؤمنين، كما كان يسمى خليفتهم بأمير المؤمنين، فإن قوله يستقيم على هذا التخريج، ولكنه يبقى فيه اللبس والاشتباه بعد أن حدد الأدب السياسى الإسلامى المعانى المرادة من وراء هذه المصطلحات. لذلك رأينا ضرورة هذا التنبيه وذلكم التصحيح.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) إسماعيل بن عبدالرحمن (المتوفى سنة ١٢٨ هـ ٧٤٥م) وهو من التابعين، أصله من الحجاز، سكن الكوفة، واشتهر بالمغازى والسير والتفسير.

نهى الحاكم عن اجتماع أهل الحل والعقد بعضهم مع بعض مخافة أن يتفقوا على فتنة، فأصل الاجتماع مباح، ولكن ما يتوقع فيه من الضرر يصيّره بالأمر حراما، وكما إذا أمر من عنده قوت من قمح ونحوه زائدا عن حاجته أن يبيعه للناس، فأصل البيع مباح، ولكن من حيث أن الضرورة العامة تندفع به صار واجبا، ففى الحقيقة إنما أمر الحاكم بالأمر الواجب، وكذلك إذا أمر بنوافل من صلاة أو صيام أو صدقة أو عتق صار واجبا على الرعية إذا كان يترتب عليه أمر من الأمور المهمة في حقهم، كما إذا وقع القحط وتهاونوا في صلاة الاستسقاء أو فى صدقة التطوع وتهاونوا فى العتق من بعض الوجوه، فإذا أمرهم حينئذ بذلك وجب عليهم امتثال أمره، فأوامر أولى الأمر منوطة بمصالح الرعايا دينا ودنيا، ولذلك قال بعض العلماء: إن اجتمع أهل قرية على ترك السواك قاتلهم ولى الأمر لتهاونهم بالأمور المستحبة، وليس لولى الأمر فى الاجتهاد المعتبر أمر ولا نهى، فإذا كان إمام المسجد شافعيا مثلا يرى الجهر بالبسملة فى الصبح القنوت فيه لم يكن لولى الأمر الحنفى أن ينهاه عن ذلك ولا للمأمومين كذلك أن ينكروا عليه، وكذلك إذا كان إمام المسجد حنفيا يرى ترك القنوت وترك الجهر بالتسمية عمل على رأيه و لم يعارض فيه.

قال الحسن[1]، رحمه الله تعالى: أخذ الله تعالى على الحكام الميثاق أن لا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس ولا يشتروا بآياته ثمنا قليلا، ثم قرأ: **(يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلكَ عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)**[2] فالحاكم المتخذ العلماء شعارا والصلحاء دثارا والحَكَم النصوح مستشارا حتى تدور مملكته بين نصائح العلماء ودعوات الصلحاء ووصايا أهل الإخلاص من الحكماء، ولا يتبع إلا القوانين المرعية التى لها أصل فى الشريعة المحمدية، يعد من المجددين للدين والدنيا لاسيما إذا سلك فى العدل خير سَنَن، وأمات البدع وأحيا السُّنَن، فلا شك فى أنه مجدد عصره، لما أن حكمة الله مطوية

---

(١) أى الحسن ابن أبى الحسن، الشهير بالحسن البصرى.
(٢) آية ص٢٦ .

فيما يأمر به على ألسنة رسله لا على ما يحدثه ذو العقل بعقله، فعلى ولى الأمر الحازم أن يضرب أعناق البدع بسيوف الأبطال، ويقبل الحوالة فيها على خزائن ذى الأفضال، ليجزى الحسنة بعشرة أمثالها، ويعوض عن قليل حرام الدنيا بكثير حلالها، ويفيض العدل على الرعية إفاضة اللباس، ويطهر ظواهرهم وبواطنهم من الأدناس والأرجاس، وليبذل جهد سيرته الحسنة، ليكون ممن سن سنة حسنة، ولا شك أن من سن سنة حسنة كان من مجددى الدين بحسب الأحوال والأوقات، وكانت الحسنة فى ميزانه من الباقيات الصالحات، لحديث: «من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».

{ بيان من كان فريدا فى فنه }

ذكر بعضهم من كان فريدا فى فنه فقال: «انفرد أبوبكر رضى الله عنه فى الأنساب، وفى القوة بأمر الله عمر بن الخطاب، وعثمان فى الحياء، وعلى فى القضاء، وأبى بن كعب فى القراءة، وزيد فى الفرائض، شيَد الله ثناياه، وأبوعبيدة بن الجراح فى الأمانة شهير، وابن عباس، رضى الله عنه، فى التفسير، وأبوذر فى صدق اللهجة عمر باعه، وخالد بن الوليد فى الشجاعة، والحسن البصرى فى التذكير، ووهب بن منبه فى القصص، وابن سيرين فى التعبير، ونافع فى قراءته، وأبوحنيفة فى فقهه وروايته، وابن إسحاق فى المغازى، ومقاتل فى التأويل، وبالعروض انفرد الخليل، وفضيل بن عياض فى العبادة، وسيبويه فى النحو أطلق جياده، ومالك فى العلم فاز بالسير الحثيث، والشافعى فى فقه الحديث، وأبوعبيدة فى الغريب، وعلى بن المدائنى فى العلل نعم المجيب، ويحيى بن معين فى الرجال، وأبوتمام فى الشعر من الأبطال، وأحمد بن حنبل فى السُّنَّة، والبخارى فى نقل الصحيح شيد الله ركنه، والجنيد فى التصوف مشهور، ومحمد بن زكريا فى الطب صادفه السرور، وأبومعشر فى النجوم، والكرمانى فى التعبير بلا وجوم، وابن نباتة فى الخطب الفاخرة، وأبو الفرج الأصفهانى فى المحاضرة، وأبوالقاسم الطبرانى بالعوالى يفاخر، وابن حزم فى الظاهر، والحريرى فى مقاماته، والمتنبى

فى الشعر صاحب السمعة، والصولى فى الشطرنج شاه الرقعه، والخطيب البغدادى فى سرعة القراءة والضبط، وعلى بن هلال فى الخط، والموصلى فى القضاء، وعطاء السلمى فى لحوق الرضا، والقاضى الفاضل فى الإنشاء، والأصمعى حُلل النوادر قد وشى، ومعبد فى الغناء، وابن سينا للفلسفة جنى». انتهى.

وجمعه غير حاصر فلم يذكر مثل شهرة صاحب القاموس باللغة، ولا مثل شهرة سراج الدين بن الملقن بكثرة التصانيفة البالغة، ولا العراقى بدراية الحديث، وسكت عن كثير ممن انتهت إليهم الرئاسة بالانفراد بأمر فى القديم والحديث، ولو كان فى عهده فارس [الجوائب[1]] صاحب [سر الليال] لحكم له بأنه فى إحياء مآثر العرب بهذا العصر مقدم الرجال، وعلى كل حال فأرباب المعارف يستفيد بالمعارضة فى الفنون بعضهم من بعض قال المناوى فى [شرح الجامع الصغير].

(تنبيه) فى تذكرة أبى حيان «سألنى قاضى القضاة أبوالفتح القشيرى ابن دقيق العيد: ما وجه الاستثناء الواقع فى خبر: «ما منكم من أحد يقوم فيتمضمض ويستنشق وينثر إلا خرت الخطايا من فيه وأنفه؟» فأجبته: «أحد» مبتدأ، و «من» زائدة، و «منكم» حال من أحد، و «يقوم» و «يتمضمض» و «يستنشق» و «ينثر» صفات لأحد، و «إلا خرت» هو الخبر، لأنه محط الفائدة، والمعنى: ما أحد يفعل هذه الأشيآء إلا كان كذا وقس على ذلك». انتهى. وكان ابن دقيق العيد مالكيا ثم صار شافعيا، وبلغ درجة الاجتهاد، وتولى مرتبة قاضى القضاة، ومن شعره:

الحمد لله كم أسعى بعزمى فى ... نيل العلا وقضاء الله ينكسه

كأنى البدر أبغى الشرق والفلك الأ ... على يعارض مسعاه فيعكسه

وقال يمدح رسول الله ﷺ:

---

(١) هو أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٨م) أديب، ومدرس، وصحفى، أصدر صحيفة [الجوائب] فى الآستانة، ونشرت مطبعته عددا من كتب التراث العربى، وكتابه الذى يشير إليه الطهطاوى هو [سر الليال فى القلب والإبدال] وله أيضا فى نقد قاموس الفيروزابادى كتاب سماه [الجاسوس على القاموس].

لم يبق لى أمل سواك فإن يفت ودعــت أيــام الحيــاة وداعــا
لا أستلذ لغير وجهك منظــرا وسوى حديثك لا أريد سماعـا

[بيان كون المجتهد غير المقصر يثاب على اجتهاده مطلقا]

ثم إن المجتهد يثاب على اجتهاده إن أصاب أو أخطأ، ما لم يقصر فى تحرير الإصابة، إذ ليس كل مجتهد مصيبا، لأن الحق واحد، فالمجتهد المصيب مأجور مرتين، فله أجر طلبه الحق، وإصابته له، وللمخطئ غير المقصر أجر طلبه للحق، وإن لم يصبه، لحديث البخارى: «إذا اجتهد الحاكم فحكم فأصاب فله أجران، وإذا حكم خطأ فله أجره». وهذا فى الفروع، وأما فى العقائد فالأجر للمصيب، والمخطئ آثم.

وذلك أن العلماء فى الإسلام ثلاث درجات: فقهاء، ومتكلمون، وصوفية.

فالفقهاء إنما يتكلمون بالأصالة على الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات مالية وغيرها من عقود وحدود وما يتعلق بها بدون تكلم بالأصالة على علم التوحيد المجموع فى معنى الشهادتين اللتين هما أصل الإسلام.

والمتكلمون يتكلمون من طريق السماع أو الحكم العقلى على العقائد الدينية، من معرفة الله، والإيمان به وبرسله وملائكته واليوم الآخر، والقضاء خيره وشره، ومما هو معنى الشهادتين اللتين هما أساس الدين والمدار عليهما فيه.

وأما الصوفية، وهم العارفون بالله، فيتكلمون على ما يتكلم عليه علماء التوحيد من طريق المعرفة بالله عزوجل، ويضيفون إلى ذلك أعمالا باطنية ومرقبات إلهية، قال محيى الدين بن العربى فى [فتوحاته]: التكلم على الظواهر نطق مقال، وعلى البواطن نطق أحوال.

فكل من الفقيه والمتكلم ينظر بالدليل والبرهان فيهتدى إلى أحكام الله ومعرفة حدوده، والعارف بالله تعالى ينظر بنور المعرفة الإلهية فيهتدى إلى شهود الله ومعرفة

وجوده، فمن نظر بالدليل عرف الحكم، ومن نظر بالنور عرف الوجه، فالعارفون بلغوا الكمال فى معرفة مراتب الشريعة، فحاشا أن يقع منهم مخالفة شريعة سيد المرسلين حيث هم أعرف بها ظاهرا وباطنا، فإذا ظهر منهم حال يخالف الشريعة ظاهرا فلا ينبغى اعتراضهم بل يفوض أمرهم لله تعالى، لأن ما يرى منهم من الخلاف إنما هو قصور فهم ممن لم يبلغ درجتهم، فيجب احترام مشايخهم الواصلين حيث قد علم كل أناس مشربهم وفهم كل رجال مذهبهم، قال ابن العربى:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله	**فقم بها أدبا لله بالله**
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم	**على الدلالة تأييدا من الله**
الوارثون همو للرسل أجمعهم	**فما حديثهم إلا عن الله**
كالأنبياء تراهم فى محاربهم	**لا يسألون من الله سوى الله**
فإن بدا منهم حال يولههم	**عن الشريعة فاتركهم مع الله**

وقال الإمام على، كرم الله وجهه: «ليس العلم بكثرة الرواية إنما هو نور يجعله الله فى القلوب». انتهى. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، فلعلم الحقيقة وعلمائه مزية على علم الظاهر بنور التوحيد الباطنى المتجلى به على قلوبهم.

قال بعض العارفين: «وقعت لى واقعة فى مرض كنت فيه، فرأيت جميع العلوم أتت إلىّ، وسلمت على، وجلست عندى، منها علم وهو التوحيد وله نور عظيم يخطف بالأبصار، شبيه بنور البرق اللامع، بل أبهى منظرا، وأحسن صورة، وألطف ضياء، فقلت له: إن جميع العلوم سلّمت علىّ وانصرفت إلا أنت، سلّمت علّى وأقمت عندى، فقال لى: إن العلوم كلها محلها الدنيا، تبقى مع صاحبها مدة حياته، وحين الموت تفارقه، ويخرج من الدنيا إلى الآخرة مجردا عنها إلا أنا فأبقى مع صاحبى فى الدنيا والبرزخ والآخرة لا أفارقه أبدا، وأنا أنيس له فى قبره، ونور له على الصراط، وخليل له فى الجنة، فقلت له: إذاً لا أصحب فى الدنيا خليلا إلا أنت، فقال: وأنا أغنيك عن الجميع». انتهى. وعلم الشرع الذى هو فعل الأوامر وترك المناهى أصله التوحيد، ومآل حال المجتهدين من الأئمة أن يطلع عليهم قمر السعادة من

فلك الإرادة، وتشرق على قلوبهم شمس الأصول فى مشارق الوصول، فيغرقوا فى بحر الوحدة، ولا يراقبون إلا الله وحده، كالإمام أبى حامد الغزالى حيث يقول:

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل	وسرت إلى محبوب أول منزل
ونادتنى الأطلال أهلا ومرحبا	ألا أيها الساعى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد	له ناسجا غيرى فكسرت مغزلى

يعنى أنه بلغ بالقرب درجة الإمامة، وأبرز إلى حيز الوجود ما يحيى به القلوب فلم يجد من يفهم كلامه.

وبالجملة إن جميع العلماء من الأئمة وغيرهم مأجورون على اجتهادهم وجهادهم وبذل أنفسهم لله تعالى، والنبى ﷺ هو الذى سن الشريعة، فكل أجر حصل لمجتهد أو عامل حصل بسببه مثله للنبى ﷺ، زيادة على ما يناله ﷺ من الأجر الخاص فى هدايته للمهتدى، وعلى ما ناله من الأجور على حسناته الخاصة من الأعمال والمعارف والأحوال التى لا يصل جميع الأئمة إلى عرف نشرها، ولا يبلغون معشار عشرها، مما يقصر العقل عن إدراكها، وكل مهتد وعامل إلى يوم القيامة يحصل له أجر، ويتجدد لشيخه فى الهداية مثل ذلك الأجر، ولشيخ شيخه مثلاه، وللشيخ الثالث أربعة، وللرابع ثمانية، وهكذا يُضَعَّف فى كل مرتبة بعدد الأجور الحاصلة بعده إلى أن ينتهى إلى النبى ﷺ، وكذلك يحصل للصحابة والتابعين والمجتهدين فى كل عصر بعدد الأجور التى ترتبت على فعلهم، وجميعه بجملته حاصل للنبى ﷺ. قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام فى مختصره [بداية السول فى تفضيل الرسول]: «ما من درجة علية ومرتبة سنية نالها أحد من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضموما إلى درجته ﷺ». انتهى. وهذا مصداق لقوله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله». فما يفعله الأمراء والملوك والسلاطين من العدل والإحسان، ويقتدى بهم رعاياهم فيه من أمور الدنيا والدين، تضاعف به أجورهم إلى يوم الدين، ويكون مثل ذلك أضعافا مضاعفة لخاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه و على آله وأصحابه والتابعين. تم.

(بقاء حُسْن الذّكر باستخدام الفِكر)[1]

قد اتصف سبحانه وتعالى بصفة البقاء، فاتصاف العبد بما أمكن من البقاء النسبى هو أعلى صفاته وأفضلها، إذ ليس للعبد من نفسه إلا العدم، وأما الوجود فقد جاء من قبل الله تعالى، وقد تقرر فى موضعه من الحكمة أن لكل شئ غاية، فغاية المعدن أن يصير ذهبا، وغاية النبات النخلة، وغاية الحيوان الإنسان، وغاية الإنسان أن يكن عالما، وغاية العالم أن يكون كاملا فى وقته باقيا بذكره، كما قيل:

وكل قرن ناجم فى زمن   فهو شبيه زمن فيه بدا

والناس ألف منهم كواحد   وواحد كالألف إن أمر عنى

والمراد بالقرن الإنسان، فالكامل هو الذى يحرص على بقاء ذكره دائما، قال الله تعالى، حكاية عن إمام الحنفاء خليله إبراهيم، جد المصطفى عليهما الصلاة والسلام: (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين)[2] فسره بعضهم بالثناء الحسن، فليست أمة إلا وهى توده.

وكما صار الذكر الحسن للخليل بدعائه سرى منه إلى ابنيه إسماعيل وإسحاق، ثم منهما إلى بنيهما، ومن إسماعيل سرى إلى أكمل ذريته، وهو نبى آخر الزمان

---

(١) روضة المدارس. السنة الأولى. عدد٣ ص١٠-١٥ .

(٢) الشعراء: ٨٤ .

الذى قام بالحق، وهو نبينا محمد ﷺ، فاستجاب الله دعاء سيدنا إبراهيم، وجعل كماله فى نبينا محمد ﷺ بإعطائه الذكر الحسن له إلى قيام الساعة، واستمر أثر هذا الدعاء باقيا أيضا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام بذكره فى الصلاة الإبراهيمية، إذ ليس أحد يصلى على النبى ﷺ فى صلاته إلا صلى على إبراهيم عليه السلام.
وإنما صادفت دعوة إبراهيم حصول مظهرها فى النبى ﷺ لأنه هو الذى من بنيه جمع ما تفرق من مكارم الأخلاق، حيث وصف الله تعالى خُلُقَه بأنه عظيم فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم)[1]، فكان فيه حلم إبراهيم وزهد عيسى وعزم موسى وشدة نوح وصبر أيوب وسعة سليمان، ثم دعا الله عباده للاقتداء به والتخلق بأخلاقه فقال: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة)[2] وأبقى معجزه الأكبر الأبهر وهو القرآن العظيم الشأن، وتفضل الحفيظ سبحانه وتعالى بحفظه ليتحدى به إلى آخر الزمان، فقال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[3]. وكذلك أقام لشريعته السمحة، التى - هى - لسواها ناسخة، من يحفظها فى كل عصر، فلا تزال محكمة مستمرة إلى قيام الساعة راسخة، واختاره الله سبحانه وتعالى من ذرية إسماعيل أبى العرب حتى حسد نسل يعقوب العرب على كون إسماعيل منهم، بل حسد عموم العجم العرب على كون النبى ﷺ منهم.

ألزم العالمون حبك طرا ... فهو فرض فى سائر الأديان

وعن الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه أنه قال: لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحا وأن يرى فى عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى. وقال تعالى ممتنا على نبيه وكليمه موسى عليه السلام: (وألقيت عليك محبة منى)[4]، وقال تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)[5] أى حبا فى قلوب

---

(١) القلم: ٤ .
(٢) الأحزاب: ٢١ .
(٣) الحجر: ٩ .
(٤) طه: ٣٩ .
(٥) مريم: ٩٦ .

عباده وثناء حسنا. فنبه سبحانه وتعالى بقوله: (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين)[1] على استحباب ما يورث الرجل الذكر الجميل، إذ الذكر هو الحياة الباقية وقد قال حاتم الطائى بن عبدالله بن سعد بن الحشرج، الجواد المشهور، من أبيات:

أيـــامى إن المـــال غاد ورائـــح ويبقى من المال الأحاديث والذكر

وكان ينشد:

وما الجود يفنى المال قبل فنائـه ولا البـخل فى مال البخيل يزيـد

فلا تلتـمس ما لا تعيش بكـده لكل غـــد رزق يعـود جديـــد

وقد أثنى رسول الله ﷺ عليه بسبب مكارم أخلاقه حين تعرفت إليه ابنته بأبيها، وذلك أنها سبيت فى جمع من نساء قومها، فلما خرج رسول الله ﷺ من المسجد قامت إليه فقالت: يا محمد، مات الوالد وغاب الوافد، فلا تشمت بى أحياء العرب، فإنى ابنة من كان يقرى الضيف ويفك العانى ويطلق الأسير ويعطى السائل! فقال ﷺ من أبوك؟ فقالت: حاتم الطائى، فقال: خلوا عنها، إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، فأثنى على أبيها، وخلى عن ابنته ومن معها لأجله.

وممن اشتهر من فرسان العرب بالفروسية عامر بن مالك، المعروف بملاعب الأسنة، أحد المشهورين من كبار العرب، كما اشتهر أيضا ابن أخيه عامر بن الطفيل، سيد بنى عامر، القائل:

وإنى وإن كنت ابن سيد عامـر وفارسها المشهور فى كل موكب

فما سودتنى عامر عن وراثـــة أبى الله أن أسمو بـــأم ولا أب

ومما نظم فى هذا المعنى من العقود الحسان:

يسود من يســود بغيـر ريب إذا الأسبـاب كـان لهـا وجـود

ألم تسـمع أخى مـا قـيل قِـدْما بأمـــر ما يسوّد من يســـود

---

(٥) الشعراء: ٨٤ .

وكان صعصعة بن ناجية يحيى الوئيدات، ولم يشركه فى هذه المكرمة أحد، فكان ينادى فى أحياء العرب: لا أسمع رجلا يئد وئيدة إلا اشتريتها بلقْحَتَيْن[1]، فعمل بذلك حتى جاء الإسلام ونزل قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادَكم خشية إملاق)[2] الآية. وبصعصعة افتخر الفرزدق فى قوله:

ومنا الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم توأد

وكان هشام بن المغيرة المخزومى من أجاويد العرب حتى اتخذت قريش يوم موته تاريخا، وقيل فيه من الرثاء:

وأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

وقال بعضهم:

ثمن الإحسان شكر ويد المعروف ذخر
وثناء الحى بعد الموت للميت عمر

وقال بعضهم: ولعمرى إن الزمان الذى يثنى فيه على الميت بعد موته أحسن عمريه وأطولهما وأشرفهما كما قيل:

ردّت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشور

وقال آخر:

كل الأمور تزول عنك وتنقضى إلا الثناء فإنه لك باقى
ولو اننى خيرت كل فضيلة ما اخترت غير محاسن الأخلاق

وقال ابن دريد فى مقصورته، فى هذا المعنى:

وللفتى فى ماله ما قدمت يداه قبل موته لا ما اقتنى
وإنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

---

(١) مفردها لقحة بكسر اللام أو فتحها، وسكون القاف والمراد بها هنا: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.
(٢) الإسراء: ٣١.

وقـد مَنَّ الله تعـالى على نوح وإبراهيم ومـوسى وهارون، عليـهم الصـلاة والسـلام، بقـوله: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾(١) الآية، ومعناه تركنا عليه ثناء حسنا فى كل أمة، ومَنَّ الله تعالى على رسوله بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾(٢) قال ابن عباس رضى الله عنهما: يعنى القرآن شرف لك ولقومك.

وقال تعالى ممتنا على نبيه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾(٣)، أى إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معى. وعن نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام: الذكر الجميل خيرٌ من الرائحة الطيبة، والإنسان يوم يموت خير من يوم يولد، لأن الرائحة الطيبة قد لا تبلغ ربع ميل والثناء الحسن والصفات الجميلة قد تبلغ أقصى الآفاق، وذلك لأن الإنسان ما دام حيا يزهد فيه (نظراؤه) فإن النفوس كأنها ظافرة به، ومن شأن المرء أن يزهد فيما ظفـر به، لأنه فى يه وقـد أمن من فـوته، وأن يحـرص على طلب مـا غـاب عنه، ويرغب فى تحـصيله، فإذا مـات الإنسان فقـد فات، فتلهج الألسنة حينئـذ بتكرار أخباره وآثار فضائله ونشر مآثره، وإذاعة محاسنه، حتى كأنما موته سبب لاشتهار فضائله أكثر من اشتهارها فى حياته.

وما ينفع الانسـان مما يحـــوزه إذا فارق الدنيا سوى طيب ذكره

فالقول بأن يوم وفاة المرء خير من أيام ولادته إنما يراد به أن الإنسان حصل على الغاية، وغاية الإنسان إما عالم مطاع باق أو جاهل مضاع فان.

وللخير أهل لم تكن أقعدتهـم عن الخير فيمن أقعدته الطبائـع

وللشر أهل قد تشيـــر إليهـم على كل حال بالأكف الأصابع

فولادة الإنسان إنما هى ليكون له لسان صدق فى الآخرين بحسن السيرة، فإن الفضائل كانت فيه وقت ولادته بالقوة فإذا صارت له الفضائل بالفعل استحق الثناء

---

(١) الصافات: ٧٨، ٧٩.

(٢) الزخرف: ٤٤.

(٣) الشرح: ٤.

عليه أيام حياته، وكثر انتشار فضائله بعد مماته، وانتشارها بعد مماته حياة باقية يتوجه إليها الصالحون، ويرغب فيها العارفون، فيوم كمال الغاية المطلوبة والفضيلة المرغوبة أكمل من يوم الولادة، وهى الموجبة لتأييد السعادة.

وبالجملة، فإن الإنسان إذا سلك مسلك التهذيب وتشبث من الفضائل بإبداع العجيب، وإيداع الغريب، وحبس نفسه على جلبه لوطنه أسباب السعادة، كان ممن تجلى عليهم المولى الباقى بصفة البقاء، وممن سبقت لهم الحسنى وزيادة، وهذا هو الإنسان الفاضل، المهذب الكامل.

وبقاء الذكر بفضل العلم من أشرف الكمالات، والجامع لفضيلتى المعقول والمنقول أفضل من المنفرد بواحدة منهما، الكامل فيها خير من غير الكامل فيهما. قال العلماء الماضون: لا أضل من نصف أصولى، ولا ألحن من نصف نحوى، ولا أجهل من نصف فقيه، ولا أقتل من نصف طبيب، ولا أهذى من نصف معقول! فالأول يفسد الأديان، والثانى يفسد اللسان، والثالث يفسد الأحكام الشرعية، والرابع يفسد الأبدان، والخامس يفسد الأصول الشرعية، فإن كثيرا ممن ينسب إلى المعقولات عارض كثيرا من الكتاب والسنة، وأنكر ما وردت به الشرائع، وذلك لكلال ذهنه، ووقوف فهمه، لما تمكن منه من النظر فى علم المعقولات التى ما أتقنها ولا حققها، فاختلطت عليه الأمور والتبست. وعلى هذا الوصف كان فلاسفة الحكماء وغالب أهل المنطق، وذلك لأنهم لما لم يتقنوا المعقول كل الإتقان خاضوا فى الشرائع والأديان بالقول إنها تخالف القواعد العقلية، فلم يسعهم إلا ردها أو تحريفها، لتوافق المعقول بزعمهم، ولو أتقنوا المعقول لعلموا أن الشرع لم يرد بما يخالف العقل ألبتة، فكانوا يطبقون الأحاديث على المعقولات.

وقد وقع لبعض علماء المعقول مع التقى السبكى ما يشبه هذا فى بعض الأحاديث حيث قال: إنه مخالف لقواعد المعقول، فبين له السبكى أن سبب الالتباس عليه هو عدم إتقانه للقاعدة العقلية، حتى قال السبكى فى حقه: إنه إما مجنون أو مطبوع على قلبه!

* * *

والإمام السبكى هو العلامة أبو الحسن على بن عبدالكافى، الملقب بتقى الدين، الفقيه، الحافظ، المفسِّر، الأصولى، النحوى، اللغوى، الجدلى، الخلافى، النظّار، شيخ الإسلام، بقية المجتهدين، ولد بسبك، من أعمال المنوفية، فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة[1]، وبرع فى العلوم، وانتهت اليه الرئاسة بمصر، وصنف تصانيف عديدة، وتوفى بجزيرة الفيل على شاطئ النيل يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة[2]، ذكره الزرقانى فى شرح المواهب: ونقل عنه ولده فى طبقاته كلمات تشهد بصلاح باطنه وأنه ذو دين متين وقوة يقين، فمنها قوله إن الله يعلم منى أنى لا أقصد أذية مخلوق، ولا أجد فى قلبى بغضا لأحد، وإذا توقعت أذية من أحد أقصد الله أن يدفعه عنى كما شاء من غير أن أقصد أذاه، وإنى لأتعجب من قول الفقهاء: إن العدو هو الذى يفرح بمساءة عدوه ويساء بمسرته، وأقول فى نفسى: كيف يتفق هذا وان الشخص يسوؤه مسرة غيره من حيث هى، فإنى لا أجد ذلك فى نفسى، وأتعجب إن كان ذلك يقع لأحد. انتهى.

قال الشاعر:

إبغ للناس من الخير   كما تبغى لنفسك

وارحم الناس جميعا   إنهم أبناء جنسك

ومن كلامه: مجامع السعادة سبعة أشياء: الدين، والدنيا، والعقل، والأدب، وحسن السمت[3]، والتودد إلى الناس، ورفع الكلفة عنهم.

وقول الزرقانى فى حق السبكى: إنه بقية المجتهدين، أى المنتسبين، وليس المراد الاجتهاد المطلق، لأنه شافعى، فهو فى اجتهاده كأمثال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد، وسنذكره قريبا إن شاء الله تعالى.

قال بعضهم: لم يسم المجتهدون بهذا الاسم إلا لبذل أحدهم وسعه فى استنباط

---

(١) هجرية.. وتوافق سنة ١٢٨٤م.

(٢) هجرية.. توافق سنة ١٣٥٥م.

(٣) فى الأصل: الصمت

الأحكام الكائنة فى الكتاب والسنة، فإن الاجتهاد مشتق من الجهد، وهو المبالغة فى اتعاب الفكر وكثرة النظر فى أدلة مدارك الحق. ففضل المجتهدين عظيم، ونفعهم للأمة جسيم، فإنهم لولا استنبطوا للأمة الأحكام من الكتاب والسنة ما قدر أحدهم من غيرهم على ذلك.

فإن قلت: فما الدليل للمجتهدين على جواز اجتهادهم فى زيادتهم الأحكام التى استنبطوها من الكتاب والسنة على صريحهما، وهلا كانوا وقفوا على حدة، ولم يزيدوا شيئا، لحديث «ما تركت لكم شيئا يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به، ولا شيئا يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه»؟

فالجواب أن دليلهم فى ذلك الاتباع لرسول الله ﷺ فى تبيينه ما أنزل من القرآن مع قوله تعالى: (ما فرطنا فى الكتاب من شئ)[1] فإنه لولا بين لنا ﷺ كيفية العبادات والمعاملات وغيرها من مكارم الأخلاق ما اهتدى أحد من الأمة لمعرفة استخراج ذلك من القرآن فكما أن الشارع ﷺ بين لنا بسنته ما أجمل فى القرآن فكذلك الأئمة المجتهدون بينوا لنا ما أجمل فى أحاديث الشريعة، ولولا بيانهم ذلك لبقيت الشريعة على إجمالها، مع قوله ﷺ «إن الله يبعث فى كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها».

والفضل فى اجتهاد الصدر الأول للصحابة، رضى الله عنهم، فقد اختارهم الله تعالى لصحبة رسوله ﷺ ولمواجهة خطابه فى تنزيله، فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة فى عنقه منن لا تحصى وأياد لا تنسى، فهم الذين حملوا إلينا عنه ﷺ الحكم والأحكام، وبينوا الحلال والحرام وفهموا الخاص والعام، وفتحوا الأقاليم والبلاد، وبثوا نور العدل بين العباد، وقال فى حقهم النبى ﷺ «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

علامة أصحاب النبى كما رووا ... لنا أنهم كالنجم هاد لمهتدى

فمهما ترى نورا إلى الحق مرشدا ... فذاك من الأصحاب فاتبعه تهتد

---

(١) الأنعام: ٣٨.

وقال تعالى فى حقهم : ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ . . .** ﴾[1] ولم ينف عنهم الأسباب ولا التجارة ولا البيع ولا الشراء، فلا يخرجهم عن المدحة غناهم إذا قاموا بحقوق مولاهم، كما أقام ﷺ بمنصب النبوة مع عدم التنزه عن المعاملات .

فقد ذكر المناوى فى [شرحه الكبير للجامع الصغير] نقلا عن ابن القيم أن النبى ﷺ قد باع واشترى وشراؤه أكثر، وآجر واستأجر، وإيجاره أكثر، وضارب وشارك، ووكل وتوكل، وتوكيله أكثر، وأهدى وأُهدى له، وأوهب واتهب، واستدان واستعار، وضمن عاما وخاصا، ووقف وشفع، فقبل تارة ورد اخرى، فلم يغضب ولا عتب، وحلف واستحلف، ومضى فى يمينه تارة وكفّر أخرى، ومازح وَوَرَّى ولم يقل إلا حقا، وهو القدوة والأسوة، ﷺ ، فاقتدى به فى أحواله وأخلاقه الصحابة، ولا سيما فى بيان الأحكام، وتبعهم التابعون وتابع التابعين، وهكذا أهل كل دور بالنسبة للدور الذى قبلهم إلى يوم القيامة، فإن الإجمال لم يزل ساريا فى كلام الأمة محتاجا إلى البيان والتفصيل، وهذه وظيفة المجتهدين المجددين لأمر الدين، وكلهم على الحق، واختلافهم فى مذاهبهم رحمة للخلق .

عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكــل إلى ذاك المقام يشيــــر

فمثل هؤلاء ذكرهم باق إلى يوم التلاق

---

(١) النور : ٣٦، ٣٧.

فى اسمه تعالى

المصــور

واتصافه به حقيقة واتصاف غيره به مجازا[1]

المصور بالمعنى الحقيقى مخصوص به تعالى، حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب، وصورها أحسن تصوير، وهذا من أرفع الفعل، ولا يعلم صقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل، فإن العالم كله فى حكم شخص واحد مركب من أعضاء متفاوتة على الغرض المطلوب منه، وإنما أعضاؤه وأجزاؤه السموات والكواكب والأرضون وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما، وقد رتب أجزاءه ترتيبا محكما، لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام، فخصص بجهة الفوق ما ينبغى أن يعلو وبجهة السفل ما ينبغى أن يسفل، وكما أن البناء وضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها، لا بالاتفاق بل بالحكمة والقصد لإدارة الإحكام، فلو قلب ذلك الوضع فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب أسفلها لا نهدم البناء ولم تثبت صورته أصلا، وكذلك ينبغى أن نفهم السبب فى علو الكواكب وسفل الأرض والماء، وسائر أنواع الترتيب فى الأجزاء العظام من أجزاء العالم، ولو أردنا (أن)[2] نصف أجزاء العالم وتخصيصها، ثم نذكر الحكمة فى ترتيبها لطال الكلام.

وكل من كان أوفر علما بهذا التفصيل كان أكثر إحاطة لمعنى اسم المصور، وهذا

(١) روضة المدارس. عدد ٢ من السنة الأولى فى غاية محرم سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) ص ٢ ـ ٤.
(٢) مزيدة، ليست بالأصل.

الترتيب أو التصوير موجود فى (كل)[1] جزء من أجزاء العالم، وإن صغر، حتى فى النملة والذرة، بل فى كل عضو من أعضاء النملة، بل الكلام يطول فى شرح صورة العين التى هى أصغر عضو فى الحيوان، ومن لم يعرف طبقات العين وعددها وهيئاتها وتشكلها ومقاديرها وألوانها ووجه الحكمة فيها فلن يعرف صورتها، ولن يعرف مصورها إلا بالاسم المجمل، وهكذا القول فى كل صورة لكل حيوان ونبات، بل لكل جزء من كل حيوان ونبات!

وحظ العبد من هذا الاسم أن يحصل فى نفسه صورة الوجود كله على هيئته وترتيبه، حتى يحيط بهيئات العالم كله كأنه ينظر إليها، ثم ينزل من الكل إلى التفاصيل، فيشرف على صورة الإنسان من حيث بدنه (وأعضائه) الجسمانية، فيعلم أنواعها وعددها وترتيبها، والحكمة في خلقها وترتيبها، ثم يشرف على صفاته المعنوية ومعاينة الشريفة التى بها إدراكاته وإراداته، وكذلك يعرف صورة الحيوانات وصورة النبات، ظاهرا (وباطنا)، بقدر ما فى وسعه، حتى يحصل نقش الجميع وصورته فى قلبه.

وكل ذلك يرجع إلى معرفة صورة الجسمانيات وهى مختصره بالإضافة إلى معرفة ترتيب الروحانيات وفيه يدخل معدفة الملائكة ومعرفة مراتبهم وما وكل إلى كل واحد منهم من التصرف في السموات والكواكب، ثم التصرف في القلوب البشرية بالهداية والإرشاد، ثم التصرف بالحيوانات الإلهامات الهادية لها إلى مظنة الحاجات، فهذا حظ العبد من هذا الاسم، وهو اكتساب الصورة العلمية المطابقة للصور الوجودية.

وعلم الله تعالى بالصور سبب لوجود الصور فى الأعيان، والصور الموجودة فى الأعيان سبب لحصول الصور العلمية فى قلب الإنسان، وبذلك يستفيد العبد العلم بمعنى اسم المصور من أسماء الله تعالى، ويصير أيضا باكتساب الصورة فى نفسه كأنه مصور، وإن كان ذلك على سبيل المجاز، فإن تلك الصور

---

(١) مزيدة، ليست بالأصل.

العلمية إنما تحدث فيه على التحقيق بخلق الله تعالى واختراعه، لا بفعل العبد، ولكن العبد يسعى فى التعرض بفيضان رحمة الله تعالى، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولذلك قال ﷺ «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها».

وأما الخالق والبارى: فلا مدخل للعبد أيضا فى هذين الاسمين إلا بنوع من المجاز بعيد، ووجهه: أن الخلق والإيجاد يرجعان إلى استعمال القدرة بموجب العلم، وقد خلق الله تعالى للعبد علما وقدرة، وله سبيل إلى تحصيل مقدوراته على وفق تقديره وعلمه، والأمور الموجودة تنقسم إلى ما لا يرتبط حصوله بقدرة العباد أصلا، للأسماء والكواكب والأرض والحيوانات والنباتات وغيرها، وإلى ما لا حصول له إلا بقدرة العباد، وهو الذى يرجع إلى أعمال العباد، كالصناعات والسياسات والعبادات والمجاهدات، فإذا بلغ العبد فى مجاهدة نفسه بطريق الرياضة فى سياستها وسياسة الخلق مبلغا ينفرد فيه باستنباط أمور لم تسبق إليه، ويقدر مع ذلك فعلها والترغيب فيها، كان كالمخترع لما لم يكن له وجود من قبل، إذ يقال لواضع الشطرنج إنه الذى وضعه واخترعه، حيث وضع ما لم يسبق إليه، إلا أن وضع ما لا خير فيه لا يكون من صفات المدح، فكذلك فى الرياضات والسياسات والصناعات التى هى منبع الخيرات صور وترتيبات تعلمها الناس بعضهم من بعض، وترتقى لا محالة إلى أول مستنبط وواضع، كان ذلك الواضع كالمخترع لتلك الصور والخالق المقدر لها حتى يجوز إطلاق الإسم عليه مجازا.

ولما كان عالم الأرواح متقدما بالوجود والمرتبة على عالم الأجسام، وكان الإمداد الربانى الواصل إلى الأجسام موقوفا على توسط الأرواح بينها وبين الحق، وكان تدبيرها مفوضا إلى الأرواح، وتعذر الارتباط بين الأرواح والأجسام بالمباينة الذاتية بين المركب والبسيط، فإن الأجسام كلها مركبة والأرواح بسيطة فلا مناسبة بينهما فلا ارتباط، وما لم يكن إرتباط لا يحصل تأثير ولا تأثر ولا إمداد ولا استمداد، خلق الله لإيجاد ذلك الارتباط عالم المثال

برزخا جامعا بين عالم الأرواح وعالم الأجسام ليصح ارتباط أحد العالمين بالآخر فيتأتى حصول التأثر والتأثير ووصول الإمداد والتدبير، فكل ما له وجود فى االعالم الحسى هو فى عالم المثال موجود وجودا مناسبا لعالمه، فلذلك قيل: إن العالم الحسى بالنسبة إلى العالم المثالى كحلقة ملقاة فى بيداء لا نهاية لها، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى ظهور ما لا صورة لنوعه فى هذا العالم فى الصورة الحسية، كالعقول المجردة وغيرها، شَكّله بأشكال المحسوسات بالمناسبات التى بينها وبينهم على قدر استعداد ماله التشكل، كظهور جبريل عليه السلام بصورة دحية الكلبى وبصور أخرى كما نقل عن أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه فى حديث السؤال عن الإسلام والإيمان والإحسان، وكذلك باقى الملائكة السماوية والعنصرية والجن أيضا.

وتمثل جبريل عليه السلام وتجليه لرسول الله ﷺ فى صورة دحية الكلبى وغيرها من الصور ليس بمعنى أنه انقلب ذات جبريل إلى صورة دحية، بل بمعنى أنه ظهرت تلك الصورة للنبى عليه الصلاة والسلام مثالا، مؤديا من جبريل إلى النبى ﷺ ما أوحى إليه، وكذلك قوله تعالى فى حق مريم: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1] فحينئذ لم تكن تلك الحالة استحالة فى ذات الملك ولا انقلابا، بل بقى جبريل عليه السلام على حقيقته وصفته وإن ظهر للنبى ﷺ فى صورة دحية الكلبى، كما أشار إليه الإمام ابن الفارض، رحمه الله تعالى، فى قصيدته التائية:

وها دحية وافى الأمين تهيأ ... بصورته فى بدء وحى النبوة

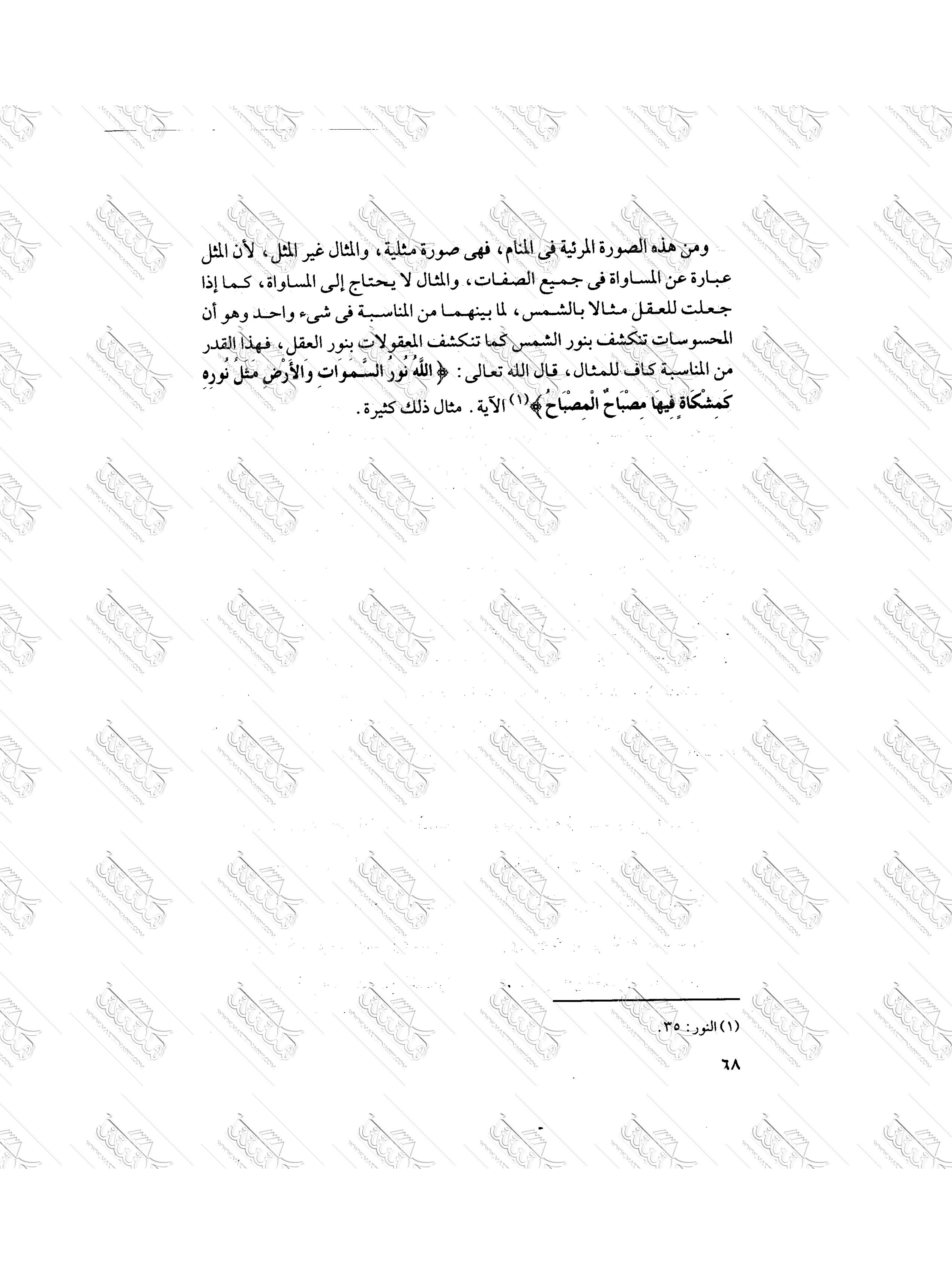
أجبريل قل لى كان دحية إذ بدا ... لمهدى الهدى فى صورة بشرية

وفى علمه عن حاضريه مزية ... بماهية المرئى من غير مرية

يرى ملكا يوحى إليه وغيره ... يرى رجلا يرعى لديه بصحبة

ولى من أتم الرؤيتين إشارة ... تنزه عن رأى الحلول عقيدتى

(١) مريم: ١٧.



ومن هذه الصورة المرئية فى المنام، فهى صورة مثلية، والمثال غير المثل، لأن المثل عبارة عن المساواة فى جميع الصفات، والمثال لا يحتاج إلى المساواة، كما إذا جعلت للعقل مثالا بالشمس، لما بينهما من المناسبة فى شىء واحد وهو أن المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بنور العقل، فهذا القدر من المناسبة كاف للمثال، قال الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ** ﴾[1] الآية. مثال ذلك كثيرة.

(١) النور: ٣٥.



رسالة

البدع المتقررة فى الشيع المتبربرة

(نشرها الطهطاوى فى روضة المدارس، فصولاً مجزأة وذلك فى الأعداد:

١٣ من السنة الأولى فى ١٥ رجب سنة ١٢٨٧هـ. ص ٢ ــ ١٠.

١٤ من السنة الأولى فى غاية رجب سنة ١٢٨٧هـ. ص ٢ ــ ١٠.

١٧ من السنة الأولى فى ١٥ رمضان سنة ١٢٨٧هـ. ص ٢ ــ ٧.

١٨ من السنة الأولى فى غاية رمضان سنة ١٢٨٧هـ. ص ٣ ــ ١٨.

٢٠ من السنة الأولى فى غاية شوال سنة ١٢٨٧هـ. ص ٥ ــ ١٥.

١ من السنة الثانية فى ١٥ محرم ١٢٨٨هـ. ص ٦ ــ ١٩).

مقدمة

لاشك أن العقائد الفاسدة، والأوهام الكاسدة، لا تكاد تخلو عنها أمة فى قديم الزمان، قبل تشريع الشرائع وإرسال الرسل للإرشاد إلى الإسلام والإيمان، فلذلك كان أكثر البدع فى أزمنة الجاهلية، حيث كانت منبع الخشونة والبربرية، ولو اتصفت فى تلك الأحقاب الخالية بجودة الصنائع، ووجود كثير من المنافع، وبقى أثر ذلك فى كثير من الأمم المتبربرة المتأخرة على طريقة قوية متنشرة، فلا تعهد أمة إلا وفيها فريق مبتلى بذلك، لا يرضى أن ينقاد إلى خير المسالك، ولا يتيسر قطع عرق الضلال إلا بتوفيق الله تعالى وإظهاره الحق وإبطاله الباطل، وذلك لا يكون إلا بممارسة الكتاب والسنة، وكثرة العلوم والمعارف، وصقل مرآة الحق ليظهر من خلالها أنوار الحقائق. فلذلك كانت الأوهام فى البلاد المتبربرة أكثر منها فى الأقاليم المتمدنة، فكانت حجابا مانعا من التقدم فى العلوم والفنون، وكانت البدع مختلفة فى أقسام الدنيا قوة وضعفا، فلهذا كثرت حكايات غرائب البدع عن قسم إفريقية[1]، فكان مما يحكى عن عقائد بعض سودان إفريقية أن الإنسان فى تخليده فى الدار الآخرة يكون على الحالة التى كان عليها فى الدنيا، فلهذا إذا مات السيد عندهم يذبحون له بعض الأرقاء ليلحق بخدمة سيده فى الدار الآخرة، لاعتقادهم حاجة سيدة هناك إليه، وقريب من هذا ما يحكى عن جزيرة برنيو، إحدى جزائر بحر الهند، من أن الميت إذا مات عن زوجات أوجبت على نفسها أحب زوجاته إليه

---

(١) قسم إفريقية، أى قارة إفريقية.

أن تقتل نفسها لتلحق به فى الآخرة بدون أن يقهرها أحد على ذلك، ولكن إن لم تفعل ذلك كانت سببا فى حجب أولادها عن الميراث، ويثبت الميراث لأولاد زوجة أخرى تقتل نفسها لذلك!

فإذا كان الميت من هؤلاء زوجة ماتت أو قتلت نفسها لتلحق بروجها ذبحوا معها عبدا ليخدمها فى الدار الآخرة، فإن كان الميت ليس فى ملكه شىء من الرقيق اشتروا له من ماله عبدا وذبحوه، فإن لم يذبح فى الجنازة رقيق كانت الجنازة غير مستوفية للآداب المرغوبة عندهم!.

وأغرب شىء عند بعض أمم السودان أنهم يعبدون الفتش، وهو أصنام مختلفة، حتى إن كل قبيلة منهم لها صنم تلتجئ إليه، وتكون تحت حمايته، من حيوان أو شجر أو حجر، بل وكل مكان له أصنام مخصوصة، حتى قيل إن عبادة الفتشية هي أقبح جميع العبادات، ودين أهلها أقبح سائر الأديان القائلة بتعدد الآلهة، فلا يوجد هذا الأمر القبيح إلا عند الطوائف الهمل، أصحاب البدع البشعة، المستغرقين فى الظلالات والمتوغلين فى الجهالات.

ويقال إن أكثر الناس بدعا بعض مجوس الهند، وإن كانوا أصحاب لطافة جليلة وآداب جميلة، فهم فرق كثيرة، ولهم ضلالات كبيرة.

فمنهم فرقة تسمى الغاروس، يحرقون موتاهم فى إناء يلقى فى موقد، ويجمعون الرماد ويدفنونه فى محل الحرق ثم يبنون فوقه ضريحا يوقدونه بمصباح إلى ثلاثين ليلة، وإن كان الميت من ذوى الثروة قتلوا أحد عبيده وحرقوا جثته مع جثة سيده، وعند بعضهم أن المرأة تحرق نفسها حية مع جثة زوجها.

ومن مجوس الهند من يعتقد أن العبادة قتل الإنسان نفسه بإذنه فى المعابد ليموت شهيدا، فلذلك يرى فى المعابد من هو مشبوك من فقار ظهره فى علاقة فيمكث على هذه الحالة حتى يموت، ومنهم من يقتل نفسه بالوقوع على أطراف سلاح حاد أو بالتعرض لعربة تهرسه، ومنهم من يتخذ أنواع العذاب آدابا، معتقدا أن تعذيبه نفسه فى الدنيا يوجب له الراحة فى العقبى.

ومن بدع بعض أمة الهند أنهم يحملون المريض الذى لا يرجى برؤه إلى نهر الكنك ويتركونه يغرق يجذب الأمواج له، معتقدين أن من مات بذلك لا حساب عليه، فإذا هم المريض إلى داره أو رغب فى العلاج احتقره أهله وتبرأوا منه وطردوه، معتقدين أنه ليس أهلا لتلك الكرامة، وقد شوهد أن كثيرا من هؤلاء المرضى يصيح بأعلى صوته ويرجو من أهله أن يهبوه البقاء فلا يرضون بذلك بل يغمسونه فى النهر ويسدون فمه بالطين ليموت سريعا!

ويقال إن بعض قرى بنغالة بالهند عامرة من المرضى الذين نجوا من الهلاك فى نهر الكنك وفاقوا من مرضهم، ولعدم إمكان الرجوع فى أوطانهم سكنوا فى قرى بنغالة.

ولمجوس الهنود بغض عظيم للإسلام وأهل الكتاب حتى أنهم يحكمون بنجاسة فم من شرب من إناء شرب منه مسلم أو كتابى.

ومن الأمور الغريبة ما يحكى عن نساء قبيلة فى بر الملبار فى الهند لها شرف بين أمثالها أنها ممتازة بعادة عجيبة، وهو أن رجال هذه القبيلة كلهم أصحاب حرب وضرب، وليس لهم شغل غير ذلك، ولا تهمهم معيشة النساء، فالنساء هن اللائى يشتغلن بأمور المعاش، ولكل امرأة بيت تتزوج فيه بعدة أزواج يتعاقبون فى الدخول عندها واحدا بعد واحد، ويقال إن كل زوج يدخل من باب مخصوص به ويترك سلاحه خارج الدار، وللمرأة بعض أيام تدعو فيها جميع أزواجها وتعمل لهم وليمة وتأكل معهم مع الأنس التام ليقع بينهم التوادد والتحابب، فإذا ولدت المرأة ولدا ربته من غير أن تعرف أباه.

ومع تقدم التمدن بالعلوم والمعارف والإرشاد إلى الشريعة الغراء فلا تكاد تخلو البلاد الإسلامية الباقية على حالة الخشونة من بقايا أوهام وبدع قديمة أو مختلفة كقبيلة إسلامية تنسب الأولاد لأمهاتهم دون آبائهم، فقد ورد من بعض علماء السودان سؤال فى العهد القريب يدل على أن بعض الجهة السودانية بإفريقية لم تزل فيها هذه العوائد الجاهلية، والتمسك بالأحكام الضلالية، تزحزحها عن السنة السنية، وتقضى بأن أهلها من أهل البدعة الدنية، لا من الفرق السُّنِّية وصورة هذا السؤال الآتى من السودان تقضى

لهذه الفرقة بذلك العنوان، ولوقوعه موقع الغرابة، وبلوغ غرض الإجابة عنه أسدّ إصابة، أوردناه هنا لتمرين تلامذة (المدرسة الفقهية) على إدراك مدارك الأحكام الشرعية، مع إضافة بعض زيادة لا تخلو عن إفادة، وها هى الصورة:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«الحمد لله وحده، ولا إله غيره، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. ساداتنا، أدامكم الله نورا فى الأرض، وجعلنا وإياكم من الفائزين يوم العرض، ماذا تقولون فى نازلة طلب لتحريرها جوابكم الشافى، ولكم على الله سبحانه الثواب الوافى، وذلك أن قوما من أطراف بلد السودان يهللون ويصومون ويحجون ويفعلون سائر أنواع العبادة سائرين على قواعد الشريعة، إلا أنهم قدموا ما أخرته الشريعة، واتبعوا ما يدل على أنهم إبتدعوا، وألحقوا الفرع بغير أصله، ونسبوا أنفسهم لأمهاتهم دون آبائهم.

وتفسير ذلك على التفصيل: أن الأم هى الأصل، وأمها هى الجد، والبنت هى الفرع الصحيح والعقب والذرية، والابن ينسب لأمه، وهى لأمها، إلى إنقراض الدنيا، وقبيلة الشخص عندهم من فيه رائحة الأم وأم الأم، والأخوال عندهم إخوة الأم لأمها وأولاد الخالات وما تناسلن وتفارعن، ضدا لما وضعه الله تعالى، والعم أخو الأب لأمه، فأما الأخوال الذين جعلهم الله تعالى أخوالا حقيقة والأعمام الذين جعلهم الله أعماما حقيقة وأبناء الأعمام، وكل من انتسب إلى الأب، مطروحون جميعا.

فمثال ذلك أن يتزوج رجل إفريقى بامرأة مصرية فيولد له منها ولد أو أولاد، فهؤلاء الأولاد لا ينسبون إليه ولا ينسب إليهم، فلا يسمى الولد إفريقيا أبدا، وإنما يقولون مصرى، لكونه اين مصرية، ويتزوج الشريف أنصارية مثلا، فما ولد له منها لا يسمى شريفا عندهم، وإنما يكون أنصاريا، ولا يعتبرون كون الأم وضيعة والأب شريفا، بل النسبة للأم مطلقا، ويكون للشخص بنو عمه حقيقة، ولكن من حيث تخالفت أمهاتهم، يكون من قبيلة أمه، ويكون ابن عمه المذكور من قبيلة أخرى، ويكون للرجل أولاد كثيرون من صلبه وكل من الأولاد له أم غير أم

الآخر، فإنهم يكونون من قبائل، ولا يكونون من قبيلة واحدة أبدا إلا إذا كانوا أشقاء أو لأم.

وهذا المذهب عندهم صحيح جدا كما صح عند أهل الشرع مذهبهم.

وإذا ماتت امرأة ولها أولاد ذكور متعددون ولم يكن لها بنات يقولون إن فلانة ماتت عن غير عقب، وأما لو خلفت ولو بنتا واحدة قالوا إن لها عقبا وذرية، وأولاد البنات أبناؤها، وأما أولاد أبنائها فمن قوم آخرين بعيدين منها. وفى نسبتهم أيضا أن الرجل إذا قدر الله عليه بولد من أمة فهذا الولد يتبع أم أبيه وهى تتبع أمها وهلم جرا، وإذا كان للرجل أخوات وبناتهن فإنهن يقلن لأولاد أخيهن من الأمة أبناء أمتنا ولا يقلن أبناء أخينا أو خالنا، وربما إتفق أن سلطاناً تولد له أولار من امرأة ليست من قبيلته فإن ابنه لا يكون ابداً سلطاناً وأما إن كانت أمهم من قبيلة السلطنة فإنهم يدخلون فى مكان أمهم لا أبيهم.

فالحاصل أن الأنثى وما ولدت جميعا يكونون من قبيلة أمهم وأما الذكر وما ولد فمن قبيلة آخرى.

فهل، حفظك الله تعالى، هؤلاء القوم الموصوفون بما ذكر، يحكم الشرع بإسلامهم، مع تواطئهم على هذا النسب، والرضى به، والتصحيح عليه، بحيث لا يقدر أحد على تغييره، ولا ينكر عليهم أحد إلا قالوا: هذا ما وجدنا عليه أمهاتنا وآباءنا؟ أو هم كفار؟ وإن قلتم: مسلمون، فهل هم مبتدعة؟ أو سنية عصاة؟ وإن قلتم: بالكفر، فمن أى قبيل من الكفر؟ وهل الأولون الذين وضعوا هذا النسب هم الكفار؟ ومن بعدهم عصاة باتباعهم إياهم؟ أو كفار أيضا مثلهم؟ وهل يفصل بين العالم بذلك فيكفر والجاهل فيعذر؟ أم سواء؟ وإن قلتم: بالمبتدعة، فمن أى فرقة من المبتدعة؟ وهل يجوز لمن فتح الله عليه بفهم هذا الشأن ولم يرض به وبغضهم وبغض هذا الفعل منهم أن يسكن عندهم ويتزوج منهم، مع معرفته بأن أولاده لا يتبعونه ولا ينتسبون إليه أبدا؟ أم لا؟ ومن عرف هذا وتزوج عندهم فهل يفسخ نكاحه؟ أم لا؟ وهل يذنب؟ أم لا؟ وهل أولاده يكونون كأولاد الزنى؟ أم لا؟ وهل النسل يكون نسبه للنساء؟ أو للرجال؟ وهل يجوز لمن أنقذه الله من هذا الشأن، وجعله من أهل الصلاح

والدين، وشغل نفسه بالأوراد والتسبيح، وقطع نفسه منهم ومن كل من انتسب إليه، وهو رجل من الأنصار، إذا طلبوه لإمارة أن يرضى بذلك، ويدخل معهم فى هذا النسب، ويأمر فيه وينهى عنه ويحكم به؟ أم لا؟ وهل إذا وقع ونزل ودخل يذنب؟ أم لا؟ وهل يجوز له الخروج منهم بعد رضائه على الإمارة؟ أم لا؟ وهل يجب عليه الدخول إن علم أنه إن لم يدخل تقع بين الناس فتنة ويتنافسون على الإمارة ولا يسكن ذلك إلا بدخوله ولا تجتمع كلمة الناس إلا به؟ أو مع ذلك يمتنع من الدخول؟

هذا وإن أكبر ما عضد به هذا النسب وأخطره ما وقع فى القلوب موقع الحسد، وأقوى عروة اشتد بها تحبسهم على البنات دون البنين أرضا وجدارا وغيرهما، بحيث أنهم يكتبون فى الرسوم: وقف وحبس فلان أو فلانة على بناتها وبنات بناتها وبناتهن ما تناسلن، الإناث دون الذكور، فإذا انقرضن فإنه يرجع لبنات خالاتهن ما تناسلن وتفارعن كذلك، فإذا انقرضن فإنه يرجع إلى الاناث التى فيهن رائحة المحبسة، لأمها لا لأبيها، فهل رحمكم الله يجوز هذا التحبيس ابتداء على هذه الصيغة؟ أم لا؟، وهل وقع مثله فى زمن السلف الصالح من الصحابة والتابعين؟ أوهو بدعة؟ وإن قلتم: إنه بدعة، فهل محرمة؟ أو جائزة؟ وهل له مسند فى الشرع؟ أم لا؟ وهل فيه رخصة؟ أو قول ضعيف؟ أم لا؟ وهل إن كان التحبيس مباحا، وعرض له تقوية هذا النسب يكون ممنوعا بسبب ذلك؟ أم لا؟ وهل تؤكل غلته ويشرب من مائه؟ أم لا؟ وإن قلتم: بالمنع ووقع ونزل هل يذنب من فعله ذنبا يحتاج معه إلى توبة؟ أم لا؟ وإن كان ماء هل يجوز التطهير منه؟ أم لا؟ وإن قلتم: بالمنع، وتطهر منه إنسان فهل تبطل صلاته؟ أم لا؟ وإن قلتم: بالمنع، ولم يوجد ماء غيره، هل ينتقل المحدث للتيمم؟ أم لا؟ وهل يؤجر من أبطله؟ أم لا؟

عاملونا بعوائدكم السديدة بأجوبة حميدة، وتوضيح وتصريح من غير تلويح ولا تلميح، وساعدوا أفهامنا القاصرة وإدراكاتنا الفاترة، بما يشفى ويكفى، والمطلوب من فضل مولانا الحميد أن يمد مددكم لنفع العبيد، وأن يبارك لنا فى أعماركم المنورة السعيدة».

* * *

فلما رفع هذا السؤال لمفتى المدينة المنورة، السيد محمد أبى السعود الداغستانى، أجاب بما صورته:

«أما بعد، الحمد لمستحقه وأهله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، لا مرية فى أنهم قوم عصاة، أجابوا الشيطان فى دعوته إلى اتباع هواه، بل أخرجوا أنفسهم عن رياض المعالم باختيارهم المذموم إلى مرابض البهائم، وإنما التردد فى ابتداعهم ومجرد عصيانهم، والظاهر من عموم هذا فيهم، واتفاقهم عليه، علمائهم وجهالهم، قديما وحديثا، دون تناه بينهم، إنهم مبتدعة، على ما ستقف عليه. وأما أنهم كفار فلا، ما لم يجرهم ذلك إلى صريح إنكار ما علم من الدين ضرورة، فإن المذهب إن لازم المذهب ليس بمذهب مطلقا، على ما فى [الدر المختار][1] ومتنه، فى «الردة»، ولا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان فى كفره خلاف، ولو كان ذلك رواية ضعيفة، كما حرره فى [البحر][2] وعزاه فى الأشباه إلى [الصغرى][3] وفى [الدرر][4] وغيرها إذا كان فى المسألة وجوه توجب الكفر وواحد يمنعه فعلى المفتى الميل لما يمنعه. اهـ.

قال العلامة أبو السعود فى [حاشية الأشباه] ولو الرواية الضعيفة لغير مذهبنا. وفى بحث من تكره إمامته: ومبتدع أى صاحب بدعة، وهى اعتقاد خلاف المعروف عن الرسول، لا بمعاند بل بنوع شبيهة، وكل من كان من قبلتنا لا يكفر بها، حتى الخوارج الذين يستحلون دماءنا وأموالنا وسب أصحاب الرسول، يعنى ما عدا الشيخين، وينكرون صفاته تعالى وجواز رؤيته، لكونه عن تأويل وشبيهة، بدليل قبول شهادتهم، إلا الخطابية[5]. (منع قبول شهادتهم لكونهم يعتقدون جواز

---

(١) (الدر المختار فى شرح تنوير الأبصار) للحصكفى، محمد بن على (١٠٨٨هـ) وهو من مراجع الفقه الحنفى الشهيرة.

(٢) (البحر الرائق فى شرح كنز الدقائق) لابن نجيم المصرى.

(٣) (الصغرى فى المنطق) من مؤلفات الجرجانى - «السيد الشريف» - (٧٤٠-٨١٦هـ).

(٤) هناك مجموعة كبرى من المراجع يبدأ اسمها بـ «الدرر» وفى معجم سركيس يزيد عددها على الأربعين، وجملة منها فى الفقه والكلام.

(٥) الخطابية: أتباع أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى، الأجدع، وهم من غلاة الشيعة الإسماعيلية، وبعضهم يزعم نبوة أبى الخطاب هذا.

الشهادة لمن كان على مذهبهم إذا حلف لهم أنه صادق فى دعواه)ـ ومنا من كفرهم. وإن أنكر بعض ما علم من الدين ضرورة كفر بها كقوله: إن الله جسم كالأجسام، وإنكاره صحبة الصديق. اهـ.

زاد فى [البحر]: وإنكاره الإسراء. غير أن الخوارج فى كلام الحصكفى من خرج عن طريقة أهل السنة، كما فى الحواشى، ويؤيده ما فى [جمع الجوامع][(١)] وشرحه: ولا نكفر أحدا من أهل القبلة ببدعة، كمنكرى صفات الله تعالى وخلقه أفعال العباد وجواز رؤيته تعالى يوم القيامة، ومنا من كفرهم. أما من خرج ببدعته عن أهل القبلة كمنكرى حدوث العالم والبعث والحشر للأجسام والعلم بالجزئيات فلا نزاع فى كفرهم، لإنكارهم بعض ما علم مجيء الرسول به ضرورة. انتهى.

وقال العلامة الحلبى[(٢)] فى [حاشية الدر المختار]: والحاصل أن المذهب عدم تكفير أحد من المخالفين فيما ليس من الأصول المعلومة من الدين ضرورة، وأما الفروع المنقولة من [الخلاصة][(٣)] وغيرها بصريح الكفر فلم تنقل عن الإمام رحمه الله، وإنما هى من تفريعات المشايخ، والله تعالى الموفق. اهـ.

وارجع إلى ما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾[(٤)].

فإن قلت: فحيث علل العلامة عدم الكفر بكونه عن تأويل وشبهة فقد أفاد، بمفهومه، أنه إذا لم يكن كذلك يكفر كلهم، ومن أين التأويل والشبهة للقوم المسؤول عنهم؟ قلت: لو سلم عدمهما فالمفاد المذكور ممنوع، إذ لم يسلم المتأخرون هذا المفاد.

---

(١) (جمع الجوامع) لتاج الدين السبكى (٧٢٧ـ ٧٧١هـ). وهو من مراجع أصول الفقه.

(٢) الحلبى هذا هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، الحلبى (المتوفى ١٥٤٩م) نشأ بحلب، ورحل إلى مصر، واستقر بالقسطنطينية، وحاشيته على الدر المختار اسمها (تحفة الأخبار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار).

(٣) (خلاصة فقه الكيدانى) للطف الله النسفى المعروف بالفاضل الكيدانى (١٤٩٤م) وهو من مراجع الفقه الحنفى، وله عدة شروح.

(٤) التوبة: ١١.

فإن قلت: فالمفهوم من هذا انحصار البدعة فى الاعتقاد فما تقول فى أفعالهم؟

قلت: قد تعقبوا صاحب [الدر] بقولهم: ظاهره اقتصارها على الاعتقاد، وليس كذلك، وعرفها ـ أى البدعة ـ الشمنى[1] بقوله: هى ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ من علم أو عمل أو حكم بنوع شبهة واستحسان، وجعل دينا قويما وصراطا مستقيما.

فإن قلت: أخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر حديثا آخره: «وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة، كلها فى النار إلا ملة واحدة، فقيل له: ما الواحدة؟ قال: ما أنا عليه وأصحابى»، ورواه آخرون بألفاظ أخر، ففى [المواقف][2] ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى ما أنا عليه وأصحابى».

وخلاصة ما فى [المواقف] أن أصول فرق أمة الإجابة ثمانية: المعتزلة، وهم عشرون، والشيعة، وهم اثنتان وعشرون، والخوارج، وهم عشرون، والمرجئة، وهم خمس، والنجارية، وهم ثلاثة، والجبرية والمشبهة، والناجية. . . فيلزمك رد هؤلاء الناس إلى واحدة من الاثنتين والسبعين فرقة.

قلت: يمكن حمل الحديث على أن الحصر فى هذا العدد إنما هو للفرق التى إشتد الخلاف بينها بواسطة الاحتجاج، وكانوا بحيث يضلل بعضهم بعضا. وفيما قدمناه إشارة إلى عدم انحصار أهل الابتداع.

وفى حاشية [فتح القدير] للعلامة الشيخ أبى الحسن السندى الكبير: قلت: وقد اشتهر استعمال اسم المبتدع عندهم فيمن اختل اعتقاده، لا من اختل عمله، ولذا يذكرونه فى مقابلة الفاسق. اهـ. وعليك بإمعان النظر فى قوله عليه الصلاة والسلام: «وتفترق» أو: «ستفترق» ، دون سوف تفترق، على أن أكثر مفاهيم المخالفة فى النصوص غير معتبر سواء كان مفهوم وصف أو شرط أو غاية أو لقب أو

(١) أحمد بن محمد الشمنى (تقى الدين أبو العباس (١٣٩٩ ـ ١٤٦٨م) مصرى، ألف فى الفقه والأصول والتفسير والحديث والنحو.

(٢) (المواقف فى علم الكلام وتحقيق المقاصد وتبيين المراد) للقاضى عضد الدين الإيجى، عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار (١٣٠٨ ـ ١٣٥٥م).

عدد أو غيرها، كما هو مصرح به في أصولنا، وما هو متفق عليه بيننا وبين الشافعية كما في الزيلعي[1] أن الفسق من حيث الاعتقاد أغلظ من الفسق من حيث التعاطى. اهـ.

ومما يزيدك علما بما أردنا أن الولد يتبع الأم فى اثنى عشر حكما دون تسعة أحكام كما بسط فى [الأشباه] زاد فى [البحر] ولا فى نسب، حتى لو نكح هاشمى أمة فولدها هاشمى كأبيه رقيق كأمه. اهـ.
قال السيد الحموى[2]: هذا نص صريح فى أن ابن الشريفة ليس بشريف وإن كان له شرف نسبى. هـ.

وقد نقل العلامة أبو السعود عن أهل المذهب أقوالا ثلاثة فى ذلك، وعلل فى [البحر] تبعيته إياها دون الأب فى الاثنى عشر بأن ماءه مستهلك بمائها فيرجح جانبها، وبأنه متيقن به من جهتها، ولهذا يثبت نسب ولد الزنى وولد الملاعنة منها، زاد الزيلعى: وأنه قبل الانفصال هو كعضو واحد من أعضائها حسا وحكما حتى يتغذى بغذائها ويتنقل بانتقالاتها، ثم قال: وكذلك يعتبر جانب الأم فى البهائم، إلى أن قال: والأب فى النسب، لأنه للتعريف، والأم لا تشتهر، ولخيرهما فى الدين.

ولولا خشية فرط السآمة بالتطويل لأوردت كلام الزمخشرى والرازى والقاضى مع ما يتعلق به من كشف وتعليل عند قوله عز من قائل: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ**﴾[3] إلى آخر ما خوطبنا به فى بديع التنزيل.

وأما التزوج منهم فصحيح حينئذ لتصريحهم بصحة مناكحة أهل البدعة، فمناكح هؤلاء لا يكفر.

---

(١) محمد بن على الزيلعى (المتوفى سنة ١٣٣٠م) صاحب (شرح اللمع) فى الفقه.
(٢) أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسن الشريف، من فقهاء القرن الثامن عشر الميلادى.
(٣) الأحزاب: ٤، ٥.

قال المحقق فى [فتح القدير]: وأما المعتزلة فمقتضى الوجه حل مناكحتهم، لأن الحق عدم تكفير أهل القبلة، وإن وقع إلزاما فى المباحث بخلاف من خالف القواطع المعلومة بالضرورةمن الدين، مثل القائل بقدم العالم، ونفى العلم بالجزئيات على ما صرح به المحققون.

أقول: وكذا القول بالإيجاب بالذات ونفى الاختيار. اهـ.

ومثله فى [البحر] و [النهر] و [الدر المختار] وغيرهما، وحل الذبيحة يدور مع صحة المناكحة وجودا وعدما، كما هو صريح كلامهم.

وأما وقفهم على الاناث خاصة فصحيح حينئذ. والأصل فى الوقف الإباحة، وتعرض له الأحكام بحسب ما يعرض له، كما هو مفصل فى محله، بل فى [البحر الرائق]: لو شرط المعتزلى فى وقفه أن من صار سنيا خرج عنه لزم. انتهى.

ووقوع مثله فى زمن السلف ليس فى محفوظى الآن، غير أنه وقع ما يقاربه، ففى [الإسعاف الجامع لكتابى هلال والخصاف] عن ابن عمر قال: أصاب عمر مرة أرضا بخيبر، فقال: يا رسول الله، إنى أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندى منه، فما تأمرنى؟ فقال رسول الله ﷺ: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بثمرتها، فجعلها عمر رضى الله عنه لا تباع ولا توهب ولا تورث، وتصدق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب والغزاة فى سبيل الله والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف وأن يطعم صديقا، غير متمول منها، وأوصى بها إلى حفصة أم المؤمنين ثم إلى الأكابر من آل عمر. انتهى.

ولا ينبغى لمن نوّر الله تعالى قلبه بالهداية إلى طريقة أهل السنة والجماعة أن يسكن عندهم، تبرئة لدينه، ونظافة لصالح عمله، ويكره التزوج منهم، لأنه لا يأمن أن يكون بينهما ولد فينشأ على طبائعهم فلا يستطيع السنى قلعه عن تلك العادة، نظير ما ذكره صاحب [المحيط]، ولم نعرف أحدا من علمائنا قال: يفسخ هذا النكاح، ولا تكون أولاد هذا النكاح كأولاد الزنى، ويكون النسل للرجال والنساء، فيتبع النساء فى أشياء والرجال فى أشياء أخر، ويتبع خيرهما دينا وعملا،

كما بيناه سابقا. وذكرنا هناك أنه يتبع الأب فى النسب، ولا يجوز له أن يتأمر عليهم هذا الرجل المذكور، وعليه الخروج بعد الوقوع ويمنع من الدخول مطلقا حيث كان ذلك مستلزما لموافقتهم أو رضاه بفعلهم أو عدم إنكاره عليهم على النحو الذى أوضحته السنة الغراء من قوله عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». أما إذا كان المترتب على دخوله نهيهم وارتداعهم وانزجارهم ورجوعهم إلى الحق فلا، ويكون مأجورا، وحينئذ فيجب التبصر فى حال هذا الرجل آينهى أم لا، وفى أحوالهم أينتهون أم لا، وقال المناوى[1] فى [شرح الجامع الصغير] عند قوله عليه الصلاة والسلام: «لا هجرة بعد الفتح»: وأما الهجرة المندوبة، وهى الهجرة من أرض يهجر فيها المعروف ويسمع فيها المنكر أو من أرض أصاب فيها ذنبا فهى باقية. انتهى. فتأمل.

وهذا غاية ما أردنا تحريره، وسنح ببديع دقائقه البال، متضمنا قصارى محط مواقع كمال أنظار الرجال، فإذا استجليت نصوصه وحججه الساطعة، واستنتجت نقوله وبراهينه القاطعة، أبصرت شموس نتائجه مشرقة فى سماء العيان، وأحكام النازلة على منصة الظهور والفعل بعد أن كانت فى زوايا الخفاء والإمكان، على أنه إنما ينبغى الفرار إلى تجاوز صاحب الأفضال، وإلا فقد خابت الآمال إن وكلنا إلى محض الأعمال، ونسأل الله العصمة والتوفيق، ودوام الهداية بمنه إلى أقوم طريق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين، والحمدلله رب العالمين».

* * *

وصدق عليه المرحوم العلامة الشيخ أحمد التميمى مفتى الديار المصرية بمصر قائلا:

«الحمد لوليه، والصلاة والسلام على نبيه.

---

(١) زين الدين عبد الرءوف محمد بن تاج العارفين (٩٥٢ ـ ١٠٣١ هـ) وكتابه المشار إليه هو (التيسير بشرح الجامع الصغير).

اطلعت على هذا السؤال المذكور أعلاه، وعل ما تضمنه من الاستفهامات، وعلى جواب حضرة مفتى الحنفية، بمدينة خير البرية، وعلى ما أبداه من الإشارات، ونقله من صحيح المعتبرات، فوجدته هو المعول عليه، والمرجع فى الأحكام إليه. شكر الله سعيه، وبلغه فى الدارين سؤاله والله أعلم».

* * *

وكتب عليه العلامة الشيخ خليل الرشيدى بقوله:

«الحمد لله، قد طابق الجواب، ووافق الصواب، والله أعلم.».

* * *

وكتب عليه أيضا المرحوم العلامة الشيخ محمد الرافعى الطرابلسى قائلا:

«الحمد لمستحقه ولوليه، والصلاة والسلام على عبده ونبيه، وحزبه ومن والاه، قال الله تعالى: ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[2] قال جمع من المفسرين: أولى الأمر: العلماء، ولم ينقل عن أحد من العلماء ما قالت به هؤلاء الطائفة، وقد أمر الله تعالى باتباع النبى، والامتثال لما جاء به، والاجتناب لما نهى عنه، لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾[4] وقال ﷺ فى سياق حديث طويل: «الحق ما أنا عليه وأصحابى». وقد ثبت أن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، فمن علم ذلك وخالفه فهو مبتدع ضال، لا ريب فى ذلك ولا مرية، فحيث نسب هؤلاء القوم أنفسهم لأمهاتهم، ونفوا نسبهم عن

---

(١) الأحزاب: ٥

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) آل عمران: ٣١.

آبائهم، فلا شك فى ابتداعهم وضلالهم، لمخالفتهم الكتاب والسنة، وإن بنوا أمر الميراث على اعتقادهم ذلك، وخالفوا المنصوص، فلا شك فى كفرهم، وإلا فهم مبتدعة، يجب على القادر منعهم مما هم عليه، وإنقاذهم من الضلال، وردهم إلى إتباع الحق، كما ورد عن النبى وأصحابه والتابعين والعلماء أئمة الدين، والله ولى التوفيق.

وأما مناكحتهم وذبائحهم والأكل معهم والشرب من أوانيهم فجائز ذلك كله، إذا لم ينكروا ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وإلا فهم كفار. وأحكامهم مبسوطة فى محلها والله أعلم».

* * *

ومدار هذا الجواب على عدة أشياء:

الأول: إثبات أن هذه الفرقة مبتدعة، أى صاحبة بدعة، وأنها لا تكفر، وأن الخوارج بالمعنى الذى سبق تفسيره لا يكفرون أيضا، إلا الخطابية، بدليل قبول شهادتهم

الثانى: أن الولد يتبع أمه فى اثنى عشر حكما دون تسعة أحكام، وأن بعضهم زاد عدم تبعيتها فى النسب، وأن ابن الشريفة ليس بشريف وإن كان له شرف بنسبى.

الثالث: أنه يجب الإنكار على هذه الفرقة المبتدعة بشروطه.

فحسن أن نذكر هنا ثلاثة فصول:

(الفصل الأول)
(فى السُنّة وفى البدعة والشرع والعقل)

اعلم أن الخلق مَنَّ عليهم موجدهم بأن بعث فيهم أنبياء منهم، وأوحى إليهم ما ينفعهم فى العاجل والآجل، ويجمعهم على الفضائل، ويمنعهم من الرذائل، وأظهر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنواع المعجزات الخارقة للعوائد، دليلا على صدقهم، لقبول قولهم، فهذه الأمم أصحاب نواميس وشرائع، وهم الملّيون، يعنى المسلمون وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكل ملة من هذه الملل تفرقت فرقا كثيرة، كما قال ﷺ: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة، وهى أهل السنة والجماعة».

وقد اتفق المسلمون بأسرهم على رسالة خير خلق الله محمد بن عبدالله ﷺ، وقبول شريعته الكاملة الفاضلة، وكتابه المطهر المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن لو إجتمعت الإنس والجن لا يأتون بمثله، وأنه أوتى جوامع الكلم، وبه ختمت الرسالة ﷺ.

واتفقوا أيضا على دعائم الدين الخمس، التى هى: شهادة التوحيد، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج.

وإنما اختلفوا بعد ذلك فى إثبات الصفات لله تبارك وتعالى ونفيها عنه، والفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال، وبيان ما يجب لله تعالى وما يجوز فى حقه

وما يستحيل عليه، وفى القدر خيره وشره، وقدرة الله تعالى وقدرة العبد، وفى الوعد والوعيد، والتحسين والتقبيح، وأحواله النبوة، والإمامة وتحصيلها بالنص أو الاجتهاد أو الاختيار، فحصل من هذا الاختلاف فرق كثيرة ذكرها المتكلمون على أصحاب الملل والنحل، كالشهرستانى وغيره.

وسبب الاختلاف إتباع الأهواء والاستناد إلى محض العقل، ولا شك أن العقول متفاوتة، فالتفويض إليها يؤدى إلى الاختلاف ويفضى إلى اختلال النظام، ففوائد بعثه الرسل على العموم، وبعثته ﷺ بالخصوص على فترة لكافة الخلائق لا تحصى، فلا عبرة بأهواء أهل الأهواء القائلين بالأحكام المصلحية، المدركين بالعقول والنفوس، المنكرين ما وراءها من الشرائع والحقائق. على أن فى إرسال الرسل معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته، مثل وجود البارى تعالى وعلمه وقدرته، واستفادة الحكم من الرسول فيما لا يستقل العقل بمعرفته، مثل مباحث الكلام والرؤية والمعاد الجسمانى، وتعليم الأخلاق الفاضلة الراجعة إلى الأشخاص، والسياسات الكاملة العائدة إلى الجماعات من المنازل والمدن، وغير ذلك من الثمرات والفوائد والغايات الراجعة للإرسال حسبما جرت به العوائد.

وقد أدرج للعلامة الشيخ سليم، خطيب ومدرس الجامع العامر بالقلعة، فى هذه [الروضة][1] نبذةتتعلق بالعقل، وإن كانت نافعة فى حد ذاتها، إلا أن ما فيها من الأحاديث وغيرها يحتاج إلى تكميل، وقد وجدنا للعلامة المحقق الشيخ عبدالسلام اللقانى كتابة فى العقل نقلها عما كتبه وقرره والده على [جوهرة التوحيد] تستحق أن تثبت هنا برمتها لما فيها من الفوائد الغزيرة فيما يتعلق بالعقل تمرينا للمعلم والمتعلم ونص كلامه.

«اعلم أن العقل، لغة: المنع، سمى بذلك لمنه صاحبه عن الرذائل والقبائح، ولذا لا يقال له سبحانه العاقل، و اصطلاحا، اختلف فيه، فمن ذاهب إلى الوقف تأدبا، ومن خائض فى حقيقته مفسرا بها، ويدل للواقف عموم آية (ولا

(١) أى مجلة (روضة المدارس). عدد ٤ من السنة الأولى (غاية صفر سنة ١٢٨٧هـ) ص ٣ ـ ٥.

تقف ما ليس لك به علم)[1] إذ مثله إنما يتلقى من السمع، فعرفه شيخ أهل السنة أبو الحسن الأشعرى بأنه العلم ببعض الضروريات، محتجا عليه بأن العقل ليس غير العلم، وإلا لجاز انفكاكهما من الجانبين أو من أحدهما، وهو محال لامتناع عاقل لا علم له أصلا وعالم لا عقل له أصلا، فيجب بهذا الطريق أن العقل هو العلم. ولا يجوز أن يكون العلم بالنظريات، لأن العلم بها مشروط بكمال العقل، وكمال العقل مشروط بالعقل، فيكون العلم بالنظريات متأخرا عن العقل بمرتبتين، فلا يكون نفسه، فيجب أن يكون العقل العلم بالضروريات، ولا يجوز أن يكون العلم بكلها، فإن العاقل قد يفقد بعضها لفقد شروطه من التفاوت أو التجربة أو التواتر أو نحو ذلك مع أنه عاقل إتفاقا، فيجب أن يكون العلم ببعضها وهو المطلوب.

ورد متمسكه بمنع أنه لو كان العقل غير العلم جاز الانفكاك بينهما لجواز تلازم الغيرين فى بعض الأحوال بحيث يمتنع الانفكاك بينهما مطلقا كالجوهر والحصول فى الحيرة فإنهما متغايران ولا مجال للانفكاك بينهما.

وقال القاضى[2]، من أهل السنة: العقل بعض العلوم الضرورية، وهو العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات ومجارى العادات، كالعلم بوجوب افتقار الأثر إلى مؤثر، والعلم باستحالة اجتماع الضدين، وارتفاع النقيضين، وأنه لا واسطة بين النفى والإثبات، وأن الموجود لا يخرج عن أن يكون قديما أو حادثا، والعلم بجواز سكون الجسم تارة وتحركه أخرى، والعلم بطلوع الشمس من مشرقها.

واحتج إمام الحرمين[3]، بعد اختياره، على صحته بطريق السبر والتقسيم فقال: العقل موجود، إذ لو كان نفيا محضا لما اختصت به ذات دون أخرى، وإذا

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) الباقلانى، محمد بن الطيب (٩٥٠ـ١٠١٣م) من كبار متكلمى أهل السنة، ورئيس الأشعرية على عصره.

(٣) أبو المعالى الجوينى (١٠٢٨ ـ ١٠٨٥م) من أعلام المذهب الأشعرى وواضعى أسسه الفكرية.

كان موجودا فإما أن يكون قديما أو حادثا، ولا جائز أن يكون قديما، لامتناع قديم غيره سبحانه وصفاته كما يعلم من مسألة حدوث العالم، وامتناع حلول الإله أو شيء من صفاته فى المحدثات، فتعين أن يكون حادثا، وحينئذ فهو إما جوهر أو عرض، لا جائز أن يكون جوهرا إذ الجواهر متماثلة، فلو كان بعض الجواهر عقلا لكان كل جوهر عقلا، لأن ما ثبت لأحد المثلين ثبت للآخر، وأيضا لو كان جوهرا لما ثبت به للعاقل حكم، لأن الأحكام إنما تثبت للجواهر لا بها، فتعين أن يكون عرضا، لكن لا يجوز أن يكون عبارة عن مجموع الأعراض، فإذا هو بعض الأعراض، وحينئذ فإما أن يكون من العلوم أو غيرها، لا جائز أن يكون من غير العلوم وإلا لصح أن يتصف بالعقل من لم يعلم، فكيف وما من شيء من أجناس الأعراض إلا ويمكن تقدير العقل مع عدمه ما عدا العلوم وما يصححها، وإذا كان من العلوم فلا جائز أن يكون كل العلوم، لاتصاف الإنسان بالعقل مع تعريه عن معظمها، وإذا كان بعض العلوم فإما أن يكون ضروريا أو نظريا، لا جائز أن يكون نظريا إذ العقل شرط فى العلم النظرى، فلو كان العقل نظريا لكان دورا، وأيضا قد يتصف بالعقل من لم ينظر ولم يستدل أصلا، فتعين أن يكون ضروريا، وحينئذ فلا يمكن أن يكون مجموع العلوم الضرورية، فإن العلم بالمحسوسات من جملتها وقد يتصف بالعقل من لم يدرك شيئا منها، فإذا هو بعض العلوم الضرورية، وهو كل علم ضرورى يمتنع خلو الموصوف بالعقل عنه ولا يشاركه فيه من ليس بعاقل، كالعلم بأن النفى والإثبات لا يجتمعان، وأن الموجود لا يخرج عن كونه قديما أو حادثا أو نحوه.

قال بعض المتأخرين: وعليه فما أمكن الاتصاف بالعقل دونه، ولو فى حالة ما، فلا مدخل له فى مسمى العقل، كالعلوم العادية ونحوها، لجواز تغيرها. وهذا خلاف ما نقل عن القاضى. كما نقله عنه السيد فى [شرح المواقف]

ولا يخفى أنه يتوجه على طريق القاضى والإمام ما توجه على طريق الأشعرى.

فإن قلت: فهل ما ذهب إليه القاضى مخالف لما ذهب إليه الأشعرى؟

قلت: لما نقل عنه السيد ما مر قال: ولا يبعد أن يكون هذا تفسيرا لكلام

الأشعرى. انتهى. وإنما لم يبعد لأن بعض العلوم الضرورية وقع فى كلام الأشعرى مجملا، وفى كلام القاضى مفصلا، فيكون من باب حمل المجمل على المبين أو المطلق على المقيد، على أن صرائح كلامهم دالة على أن الأشعرى أراد من الضروريات ما تستعد به النفس لاكتساب النظريات منها، كما يعلم من كلام المواقف وشرحه للسيد، وبه يندفع ما عساه أن يورد على الشيخ من تفسيره بالمجهول. فليتأمل.

وقال بعض أهل السنة: العقل هو العلم، متمسكا بصحة قول أهل العرف العام لكل من علم شيئا: إنه عقله، ولكل من عقل شيئا: إنه علمه، واختاره الأستاذ أبو إسحاق الإسفراينى[1]، قال الآمدى[2]: وهو غير سديد، فإنه إن أراد به كل علم لزم أن لا يكون عاقلا من فاته بعض العلوم، وإن أراد بعض العلوم فهو من التعريف بالمجهول، وما ذكره من الاستدلال غير صحيح، لجواز أن يكون العلم مغايرا للعقل وهما متلازمان.

هذه جملة من أقوال من قال بعرضية العقل من أهل السنة، وأنه من العلوم. وأما من قال بعرضيته منهم، وأنه ليس من العلوم، فمنهم الفخر[3]، حيث عرفه قائلا: إنه الظاهر بأنه غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات. قال: والنائم لم يزل عقله وإن لم يكن عالما فى حالة النوم بشئ من الضروريات لاختلال وقع فى الآلات، وكذا الحال فى اليقظان الذى لا يستحضر شيئا من العلوم الضرورية لدهشة وردت عليه. فظهر أن العقل ليس عبارة عن العلم بالضروريات لا كلها ولا بعضها. ولا شك أن العاقل إذا كان سالما عن الآفات المتعلقة بالآلات كان مدركا لبعض الضروريات قطعا. قال السيد: وقد اتضح بما ذكرنا من حال

---

(١) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران (المتوفى سنة ١٠٢٧م) عالم بالفقه والأصول. له فى أصول الدين كتاب (الجامع) فى خمس مجلدات.

(٢) على بن أبى على بن محمد (١١٥٦ ـ ١٢٣٣م) من علماء الفقه والأصول والمنطق والكلام، بدأ حنبليًا ثم انتهى شافعيًا.

(٣) الفخر الرازى، أبو عبد الله محمد (١١٤٩ ـ ١٢٠٩م) متكلم وفيلسوف ومفسر للقرآن، جمع فى تفسيره آراء المتكلمين، وناقش فيه حجج المعتزله.

النائم أن العلم قد ينفك عن العقل، فلا يتم نفى النافى فى دليل الشيخ السابق كما لم تتم الملازمة أيضا. انتهى.

ومنهم من عرفه بأنه قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات. وجعله السيد مساويا لما قاله الفخر ومرادا به. وقال فى[شرح المقاصد]: والأقرب أن العقل قوة حاصلة عند العلم بالضروريات، بحيث يتمكن بها من اكتساب النظريات. وهذا معنى ما قال الإمام: إنها غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات. انتهى.

ومنهم الشيخ أبو اسحاق حيث عرفه بأنه نور روحانى تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية. انتهى.

ومنهم بعض الحنفية، حيث عرفه بأنه نور يضاء به طريق يبتدأ به من محل ينتهى إليه درك الحواس فيبتدئ المطلوب للقلب فيدركه القلب بتأمله وبتوفيق الله تعالى. قال صدر الشريعة[1]: أى نور يحصل بإشراق العقل، يعنى النفس، فكما أن العين مدركة بالقوة فإذا وجد النور الحسى يخرج إدراكها إلى الفعل فكذا القلب، أى الروح المسمى بالقوة العاقلة والنفس الناطقة، مع هذا النور الفعلى، وابتداء درك الحواس ارتسام المحسوس فى إحدى الحواس الخمس الظاهرة: اللمس، والذوق، والشم، السمع، والبصر، ونهايته ارتسامه فى الحواس الخمس الباطنة، فإن المدركات إما كلية أو جزئية، والأول إما صورة أو معنى، والثانى إما صورة، وهى ما تدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، وإما معنى، وهو ماينزع من الصور المحسوسة، ومدرك الكلى مطلقا وما فى حكمه من الجزئيات المجردة عن العوارض المادية هو العقل، ومدرك الصور هو الحس المشترك، ومدرك المعانى هو الوهم، نبه عليه السيد.

---

(١) هناك صدر الشريعة الأول: أحمد بن عبيدالله بن إبراهيم المحبوبى، النيسابورى (المتوفى ١٢٣٢م)، وهو حنفى، له (تلقيح العقول فى الفروق بين أهل النقول).. وهناك صدر الشريعة الأصغر: عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد (المتوفى سنة ١٣٤٦م. وهو حنفى أيضًا برع فى الفقه والأصول والجدل والحديث والتفسير واللغة والأدب والبيان، وله شرح على آثار صدر الشريعة الأول.. ولعله هو المشار إليه هنا.

ولا تغفل عما اتفق عليه المحققون من أن المدرك للكليات والجزئيات إنما هو النفس الناطقة، وأن نسبة الإدراك إلى قواها كنسبة القطع إلى السكين. قال الصدر: وتلك الحواس الباطنة: الحس المشترك، وهى قوة فى مقدم البطن الأول من الدماغ تدرك صور المحسوسات بأسرها، والخيال وهى قوة فى مؤخر هذا البطن تحفظ تلك الصورة. والواهمة وهى قوة فى آخر البطن الأوسط تدرك المعانى الجزئية كصداقة زيد وعداوة عمرو، والحافظة، وهى قوة فى البطن الأخير تحفظ ما يدركه الوهم، والمتصرفة، وهى قوة فى مقدم البطن الأوسط المسمى بالدودة تحلل وتركب الصور المخزونة فى الخيال والمعانى المخزونة فى الحافظة وتستعملها النفس على أى نظام تريد، فإن استعملتها النفس بواسطة العقل وحده أو مع الوهم سميت مفكرة، أو بواسطة الوهم وحده سميت مخيلة، فإذا تم هذا تنتزع النفس الناطقة من المفكرة علوما، مثل أن تنتزع الكليات من تلك الجزئيات المحسوسة أو تدرك الغائب من الشاهد، فهذا بداية تصرفها بواسطة إشراق العقل، ولهذا التصرف مراتب استعداده لهذا الانتزاع كما للأطفال، ويسمى العقل الهيولانى، ثم علم البديهيات على وجه يوصل إلى النظريات، ويسمى العقل بالملكة، ثم علم النظريات منها، ويسمى العقل بالفعل، ثم استحضارها بحيث لا تغيب وهذا نهايته، ويسمى العقل المستفاد، والمرتبة الثانية هى مناط التكليف، إذ بها يرتفع الإنسان عن درجة البهائم.

قال أستاذنا: وإيضاحه قول [شرح المقاصد] المشهور: إن مراتب النظرى أربعة، لأنه إما كمال، وإما استعداد نحو الكمال، قوى، أو متوسط، أو ضعيف، فالضعيف، وهو محض قابلية النفس للإدراك، يسمى عقلا هيولانيا، تشبيها بالهيولى الأولى الخالية فى نفسها عن جميع الصور القابلة لها، بمنزلة قوة الطفل للكتابة، والمتوسط، وهو استعدادها لتحصيل النظريات بعد حصول الضروريات، يسمى نقلا بالملكية، لما حصل لها من ملكة الانتقال إلى النظريات، بمنزلة الأمى المستعد لتعلم الكتابة. وتختلف مراتب الناس فى ذلك اختلافا عظيما بحسب اختلاف دربات الاستعداد، والقوى هو الاقتدار على استحضار النظريات متى

شاءت من غير افتقار إلى كسب جديد، لكونها مكتسبة مخزونة تحضر بمجرد الالتفات، بمنزلة القادر على الكتابة حين لا يكتب، وله أن يكتب متى شاء، يسمى عقلا بالفعل، لشدة دربه من الفعل، وأما الكمال فهو أن يحصل النظريات مشاهدة، بمنزلة الكاتب حين كتب، ويسمى عقلا مستفادا، أى من خارج، هو العقل الفعال الذى يخرج نفوسنا من القوة إلى الفعل فيما له من الكمالات، ونسبته إلينا نسبة الشمس إلى أبصارنا.

وتختلف عبارات القوم فى أن المذكورات أسامى لهذه الاستعدادت والكمال أو للنفس، باعتبار اتصافها بها، أو لقوى فى النفس هى مباديها. مثلاً يقال تارة إن الفعل الهيولانى هو استعداد النفس لقبول العلوم الضرورية، وتارة إنه قوة استعدادية أو قوة من شأنها الاستعداد المحض، وتارة إنه النفس فى مبدأ الفطرة من حيث قابليتها للعلوم، وكذا البواقى.

ثم قال: واختلفوا أيضًا في أن المعتبر فى المستفاد هو حضور النظريات الممكنة للنفس بحيث لا تغيب أصلاً، حتى قالوا: إنه آخر المراتب البشرية وأول المنازل الملكية وأنه يمتنع أو يستبعد[1] جدًا ما دامت النفس متعلقة بالبدن أو مجرد الحضور حتى يكون قبل الفعل بالفعل بحسب الوجود على ما صرح به الإمام رحمه الله، وإن كان بحسب الشرف هو الغاية والرئيس المطلق الذى تخدمه سائر القوى من الإنسانية والحيوانية والنباتية، ولا يخفى أن هذا أشبه بما اتفقوا عليه من حصر المراتب فى الأربع. نعم حضور الكل بحيث لا يغيب أصلاً هو كمال مرتبة المستفاد.

ثم قال: وأما ما ذكر فى المواقف من أن العقل بالفعل هو ملكة استنباط النظريات من الضروريات، أى ضرورة العقل بحيث متى شاء استحضر الضروريات واستنتج منها النظريات، فلم نجده فى كلام القوم. ولا يخفى أن هذا التعريف إنما يجرى على طريق الحكماء فى إثبات القوى الباطنة، وإن كان

---

(١) فى الأصل: يستعد.

قائله من أهل السنة، بل عزاه السيد فى (شرح الآداب) للفقهاء، من غير تفصيل.

وأما الحكماء فقالوا بجوهريته، وعرفه أكثرهم بأنه: جوهر مجرد غير متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، وأقلهم بأنه: جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله، وهو النفس الناطقة التى يشير إليها كل أحد بقوله: أنا، ومنهم من عرفه بأنه جوهر تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة.

والعقل على هذا التعريف ليس هو النفس الناطقة، ومن زعم أنه بهذا التفسير عبارة عنها فقد غفل، وكيف لم يتنبه من قوله: تدرك به، حيث جعله آلة الإدراك لا مدركا، والمتعارف بينهم إطلاق المشاهدة على المحسوس والغائب على المعقول، ومعنى إدراك النفس بسبب العقل للمحسوسات بالمشاهدة ظاهر، ومعنى إدراكها للمعقول بالوسائط أنها تتأمل فى أحوال المحسوسات وتقيس بعضها إلى بعض فتتنبه لمناسبات بينها ومباينات، فتدرك فيها معانى كلية، وتجزم بنسبة بعضها إلى بعض، ثم تتوسل بها إلى معان أخر، ثم هكذا إلى أن يستكمل جوهرها وجهدها وجهدها وجدها وجدها. قاله بعض المحققين.

قال: واستدلوا، يعنى الحكماء، على جوهرية العقل بقوله عليه السلام «إن الله تعالى خلق العقل فى أحسن صورة، فقال له: أقبل فأقبل، فقال له أدبر فأدبر، فقال: أنت أكرم خلقى، بك أكرم وبك أهين، وبك أعذب وبك أثيب». وبقوله عليه السلام «أول ما خلق الله العقل». فإنه يدل على أنه ليس من قبيل الأعراض، يعنى ضرورة أن العقل لا يستقل بالقيام بنفسه، فلا يكون أول مخلوق.

قال أستاذنا: ولعله أراد أن حكماء الإسلام استدلوا بذلك، فلا يرده تقدمهم على الإسلام، والحديثان موضوعان كما نبه على ذلك المجد فى (سفر السعادة) وابن تيمية والسخاوى، قال الجلال الأسيوطى: ولم يرد فى فضل العقل حديث،

وكل ما يروى فيه موضوع كذب، نقله عنه شيخ شيخنا الشمس العلقمى فى (حواشى جامعه الصغير).

وأما المعتزلة فعرفه بعضهم بأنه: ما يعرف به قبح القبيح وحسن الحسن، فإن أراد فى الأحكام فهو مبنى على فاسد أصلهم من إمكان تلقى الحسن والقبح الشرعيين من غير الشرع، وفساده معلوم، وإن أراد فى الصفات والهيئات من ملايمة الطبع ومنافرته، فهو محل وفاق، لكن الظاهر هو الأول، منهم من عرفه بأنه ما يميز به بين خير الخيرين والشر فلا يميز به بين خير الخيرين وشر الشرين.

وأما الخوارج فعرفوه بأنه ما عقل به عن الله أمره ونهيه. قال الآمدى فى إنكاره: وفيه تعريف الشىء بنفسه، وأنه يخرج عنه العاقل الذى لم تبلغه الدعوة من الشرع بأمرا لا نهى، أو بلغته غير أنه ما تعقل أمره ولا نهيه، فإنه عاقل وله عقل مع أنه ما عقل أمر الله لا نهيه.

وعرفه إمام المسلمين، وأعمد ركن فى الدين، سيدى وشافعى الإمام الشافعى، بأنه آلة التمييز.

فإن قلت: فهل هو قائل بجوهريته؟ أو عرضيته؟ قلت كلامه محتمل، نعم هو ظاهر فى أنه ليس منها، ضرورة أن آلة الشىء غيره، كما أن ما نقلناه عن المعتزلة والخوارج كذلك، وعلى العرضية لا يعلم هل هو من قبيل العلوم أولا، فليحرر.

وقد أشار الشهاب الأبشيطى إلى هذا الاختلال إشارة إجمالية حيث قال: اختلف الناس فى العقل من جهات شتى، هل له حقيقة تدرك؟ أولا؟ قولان، وعلى أن له حقيقة تدرك، هل هو جوهر؟ أو عرض؟ قولان، وهل محله الرأس؟ أم القلب؟ قولان، وهل العقول متفاوتة؟ أو متساوية؟ قولان، وهل هو اسم جنس؟ أو جنس؟ أو نوع؟ ثلاثة أقوال، فهى أحد عشر قولا. ثم القائلون بالجوهرية والعرضية اختلفوا فى رسمه على أقوال شتى، أعدلها قولان: فمما قاله أصحاب العرض: هو ملكة فى النفس تستعد بها للعلوم والإدراكات، ومما قاله أصحاب الجوهر: جوهر لطيف تدرك به الغائبات

بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدات خلقه الله فى الدماغ وجعل نوره فى القلب. انتهى.

وقد علمت أن أقوال أهل السنة متطابقة على عرضيته، وأن جلها أنه من قبيل العلوم، فيكون نوعا. والذى عليه المحققون تفاوت العقول، كما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «قلت: يا رسول الله، بم يتفاضل الناس فى الدنيا؟ قال: بالعقل، قلت: وفى الآخرة؟ قال: بالعقل، قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم؟ فقال: وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل؟ فبقدر ما اعطوا منه كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون». ذكره الغزالى.

ومذهب مالك والشافعى أن محله القلب، ونوره فى الدماغ، وينبنى على هذا الخلاف تعدد العقل بجناية خطأ فى الرأس أذهبته على قول مالك والشافعى، واتحاده على ما قاله الشهاب، لكون المعنى بمحل الجنان.

فإن قلت: ما وقت ابتدائه؟ قلت: قال فى (القاموس): حين نفخ الروح فى الجنين، ولا يزال ينمو للبلوغ.

وقد اتفقت كلمتهم فى (شرح آداب البحث) على أنه أجل النعمة، متمسكين بأحاديث قد بين حالها فيما مر، وقد ناقشهم بعضهم بأن أجل النعم إنما هو اتصاف النفس بالتجليات الإلهية والحضرات القدسية بحيث لا تغيب عنها، ثم أجاب بأن هذه ثمرة العقل، متمسكًا بحديث عائشة السابق.

فإن قلت: هل الخلاف الواقع بين أهل السنة فى الكشف عن حقيقته حقيقى؟ قلت: المأخوذ من كلام الغزالى أنه لفظى، فإنه قال: العقل يطلق بالاشتراك على أربعة معان أحدها: غريزة يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لإدراك الأشياء، ثانيها: بعض العلوم الضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. رابعها: علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال، ثالثها: انتهاء قوة تلك الغريزة إلى أن تعرف عواقب الأمور وتقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة وتقهرها. قال: ويشبه أن يكون الاسم لغة واستعمالاً وضع بإزاء

تلك الغريزة، وإنما اطلق على العلوم مجازا من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال: العلم هو الخشية. انتهى.

وبالجملة، فالوقف أسلم، وأبعد من القول بما لم نعلم.

وقد يطلق العقل عند أهل العرف العام على صحة الفطرة، وعلى كثرة التجربة، وعلى الهئة المستحسنة للإنسان فى حركاته وسكناته وملبسه ومركبه، وفى اصطلاح الفلاسفة على العقول العشرة المبنى إثباتها على ثبت المجردات وعلى أن الواحد من كل الوجوه لا يصدر عنه إلا واحد وعلى التأثير بالإيجاب الذاتى، وغيرها من القواعد التى تقرر على قواعد الإسلام بطلانها. والمراد من كونها عشرة أنها ليست أقل منها وأما فى جانب الكثرة فالعلم عند الله تعالى، كيف ولا قطع بانحصار الأفلاك الكلية فى التسعة، أعنى العرش والكرسى والسموات السبع، بل يجوز أن يكون لكل من الأفلاك الجزئية عقل يدبر أمره ويشبه هو به بوجه لا يعلم كنهه إلا الله تعالى وحده، وإنما كانت عشرة مع كون الأفلاك تسعة لأن الأول مصدر لفلك ونفس وعقل، وهكذا إلى الآخر، فتكون العقول الصادرة تسعة ومع الأول المصدر عشرة، والعاشر الذى هو عقل الفلك الأخير يدبر أمر عالم العناصر بحسب الاستعدادات التى تحصل للمواد العنصرية من تجدد الأوضاع الفلكية، والمراد بتدبير العقول: التأثير وإفاضة الكمالات، لا التصرف الذى للنفوس مع الأبدان، ولهم فى كيفية ترتيب الوجود وصدور الأجسام عن تلك العقول خبط كبير، قالوا: إن أول ما يجدر عن الواجب يجب أن يكون عقلاً، ولا شك أن له وجودًا وإمكانًا فى نفسه، ووجوبًا بالغير، وعلما بذلك، وبمبدئه، فقيل صدر عنه باعتبار وجوده عقل، وباعتبار وجوبه بالغير نفس، وباعتبار إمكانه، إسنادًا للأشرف إلى الأشرف، وهكذا من العقل الثانى عقل ونفس وفلك، إلى آخر ما أقاموا عليه أدلتهم من وجود الأفلاك، ثم تدبير عالم العناصر إلى العقل الأخير بمعونة الأوضاع والحركات، وقيل صادر عن العقل الأول باعتبار إمكانه هيولى الفلك الأعظم وباعتبار وجوده صورته، وباعتبار علمه بوجوب وجوده بعلته عقله، وباعتبار علمه بعلته نفسه، إلى غير

ذلك من هذياناتهم الفاسدة وشقاشقهم الكاسدة. فقد قام البرهان واتفقت كلمة أهل الإيمان أنه لا مؤثر على الحقيقة إلا الله، وأن لا تأثير فى شىء من أجزاء العالم لشىء سواه، فدع الإصغاء لأقوال أهل البطالة والتلاه، واتل عليهم فى جميع محاوراتهم: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[1] ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[2] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[3] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[4] ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[5] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[6] انتهى.

---

(١) مريم: ٧٨.
(٢) يونس: ٥٩.
(٣) الأنعام: ٩١.
(٤) غافر: ٤٤.
(٥) البقرة: ١٣٧.
(٦) البقرة: ١٣٨.

(الفصل الثانى)

(فى إتباع الفروع للأصول، وفى كون ابن الشريفة له شرف إن لم يكن حقيقيا فهو نسبى)

تقدم أن الولد يتبع أمه عند أبى حنيفة فى اثنى عشر حكما دون تسعة، وأن ذلك مبسوط فى (الأشباه) وأن صاحب (البحر) زاد أنه لا يتبعها فى نسب، وبنى عليه أن ابن الشريفة ليس بشريف، وإن كان له شرف نسْبىّ، وتقدم أيضًا نقل العلامة أبى السعود عن أهل المذهب أقوال ثلاثة فى نسب ابن الشَريفة، ونقول هنا: إن مذهب إمامنا الشافعى، رضى الله عنه، قاعدته فى تبعية الفروع للأصول مضبوطة فى قول الناظم:

يتبع الفرع فى انتساب أباه ... ولأم فى الرق والحريه

والزكاة الأخف والدين الأعلى ... والذى اشتد فى جزاء وديه

وأخس الأصلين جنسا وذبحا ... ونكاحا والأكل والأضحيه

فقوله: يتبع الفرع فى انتساب أباه الخ، يعنى أن الولد الحادث بين أبوين مختلفى الحكم على ثلاثة أقسام، الأول: ما يعتبر بالأب خاصة، وذلك فى سبعة أشياء النسب وتوابعه، والحرية إذا كان من أمته أو من أمة غرّ بحريتها أو ظنها زوجته الحرة أو أمته أو من أمة فرعه وأما الولاء فإنه يكون على الولد لموالى الأب. وقوله:

ولأم فى الرق والحرية، إشارة للقسم الثانى: وهو أن الولد يعتبر بالأم خاصة فى شيئين الحرية إذا كان أبوه رقيقا وأمه حرة، والرق إذا كان أبوه حرًا وأمه رقيقة، إلا فى صور ولد أمته ومن غر بحريتها ومن ظنها زوجته الحرة أو أمته وولد أمة فرعه وحمل حرته من مسلم. الثالث: ما يعتبر بأحدهما غير معين وهو ضربان، أحدهما ما يعتبر بأشرفهما كما فى الإسلام والحرية، يتبع من له كتاب، وثانيهما ما يعتبر بأخسهما فى النجاسة والمناكحة والذبيحة والأطعمة والأضحية والعقيقة واستحقاق سهم الغنيمة، وقد فصل ذلك فقال: والزكاة الأخف فيتبع أخفهما فى وجوب الزكاة، فلو تولد واحد بين إبل وبقر زكى زكاة البقر، ، لأنه المتيقن والأخف، فإن تولد بين زكوى وغيره فلا زكاة فيه، والدين الأعلى، أى يتبع الفرع شرف أبويه فى الدين، فلو تولد بين كافرة ومسلم كان مسلمًا، والذى اشتد فى جزاء ودية، بالتشديد للوزن، أى يتبع أغلظهما فى ضمان الصيد والدية والغرة، وأخس الأصلين رجسا أى نجاسة، كالمتولد بين كلب وشاة، فهو نجس العين، وذبحا، فلو تولد بين كتابى ووثنية لم تحل تذكيته، ونكاحا، فلو تولد بين كتابية ووثنى لم تحل مناكحته، والأكل، أى يتبع أخس أصليه فى تحريم تناوله، والأضحية، فلا تجوز بما تولد بين ما يجزى وما لا يجزى، كالمتولد بين شاة وظبى، ومثلها العقيقة، ويتبع الأخس أيضًا فى استحقاق سهم الغنيمة.

وولد المدبّرة والمعلق عتقها بصفة لا يتبعها فى العتق إلا إن كانت حاملاً عند العقد أو وجود الصفة، وولد المكاتبة الحادث بعد الكتابة يتبعها رقًا وعتقًا بالكتابة، ولا شيء عليه، وولد الأضحية والهدى الواجبين بالتعيين له أكله جميعه كما فى (المنهاج) وهو المعتمد، وولد المبيعة يتبعها، ويقابله جزء من الثمن، وولد المرهونة والجانية والمؤجرة والمعارة والموصى بها أو بمنفعتها، وقد حملت به فى الصورتين، بين الوصية وموت الموصى، سواء أولدته قبل الموت أم بعده، وولد الموقوفة، وولد ما القراض، والموصى بخدمتها، والمرهونة، إذا ولدته قبل القبض، لا يتبعها، أما إذا كانت الموصى بها أو بمنفعتها حاملاً به عند الوصية فإنه وصية، أو حملت به بعد موت الموصى، أو ولدته الموهوبة بعد القبض وقد حملت به بعد الهبة، فإنه يتبعها لحصول الملك فيها للقابل حينئذ، فإن كانت الموهوبة حاملاً به عند الهبة فهو هبة،

ولو رجع الأصل في الموهوبة لا يرجع في الذى حملت به بعد الهبة وولدته بعد القبض، وولد المغصوبة والمعارة والمقبوضة ببيع فاسد أو بسوم، والمبيعة قبل القبض يتبعها في الضمان، لأن وضع اليد عليه تابع لوضع اليد عليها، ومحل الضمان في ولد المعارة إذا كان موجوداً عند العارية أو حادثًا وتمكن من رده ولم يرده، وولد المرتد إن انعقد في الردة وأبواه مرتدان فمرتد، وإن انعقد قبلها أو فيها وأحد أصوله مسلم فمسلم، ولو نجز عتق أم الولد أو المدبرة لم يتبعها ولدها بخلاف المكاتبة، ولو كان لأم الولد بنت لم يجز للسيد وطؤها.

وأما ما يعتبر بالأبوين جميعا فذلك في الأكل وحل الذبيحة والمناكحة والتضحية به وجواز الصيد واستحقاق سهم الغنيمة. انتهى.

فاستبان من كون الفرع يتبع أباه في الانتساب كون ابن الشريفة ليس بشريف، وأن مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه موافق لمذهب أبي حنيفة فيما استنبط من كلام صاحب (البحر)، ومع ذلك فيفهم مما سبق أن لأهل مذهب أبي حنيفة في ذلك أقوالاً ثلاثة: أحدها: أنه شريف.

ثم إن هذا المقام يحتاج إلى زيادة توضيح هنا، وهو أن اسم الشريف يطلق في الصدر الأول، كما قاله السيوطي في رسالته (الزينبية) على كل من كان من أهل البيت، سواء كان حسنيًا أم حسينيًا أم علويًا من ذرية محمد ابن الحنفية أو غيره من أولاد علي بن أبي طالب أم جعفريًا أم عقيليًا أم عباسيًا، فلما ولي الخلافة الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط فأجلّ الأشراف الحسنيون والحسينيون واستمر قصر الشريف بمصر عليهم إلى الآن، فهو لقب لهم. كما أن الشريف ببغداد لقب لكل عباسي.

وقد يقال، على اصطلاح أهل مصر، الشرف ثلاثة أنواع: عام لجميع أهل البيت، وخاص بالذرية، فيدخل فيه ذرية البنات كالزينبيين من ذرية السيدة فاطمة رضى الله عنها، والعمريين من ذرية أم كلثوم، فأولاد أختي الحسن والحسين ينسبون إلى أبويهم عبدالله بن جعفر وعمر بن الخطاب لا إلى الأم ولا إليه ﷺ، لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته، فأولاد فاطمة ينسبون إليها، وأولاد الحسن

والحسين ينسبون إليها إليه ﷺ دون أولاد أختيهما، وهذه خصوصية دل عليها قوله ﷺ : «لكل بنى آدم عصبة إلا ابنى فاطمة أنا وليهما وعصبتهما»، وهذا الشرف هو القسم الثالث، وهو الأخص، حيث هو مختص بذرية الحسن والحسين، الذى هو الشرف العرفى، بدليل الحديث السابق.

وقد جرت العادة بتمييزهم بالعلامة الخضراء، وليس لهذه العلامة أصل فى الشرع ولا فى السنة ولا كانت فى قديم الزمان، بل حدثت بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة[1]، وهى بدعة مباحة لا بأس بها، لأنها لتمييز هؤلاء عن غيرهم، حيث من الجائز تخصيصها بذرية الحسن والحسين، كما لا مانع من أن يعمم فى كل الذرية كالزينبية وباقى العلوية والجعفرية والعقيلية، ولا يؤمر بها من تركها من الأشراف لأنهم مضبوطون بأنسابهم الثابتة، ولذلك لما قال بعض الشعراء:

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر بأعلام على الأشراف

فالأشرف السلطان خصهم بها ... شرفا ليمتازوا من الأطراف

عارضة بعضهم بقوله:

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى وسيم وجوههم ... يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

قال بعضهم: وقد يستأنس لاستحسان هذه العلامة بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ** ﴾[2] فيستدل بالآية على استحسان ذلك كما استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس خاص ليعرفوا فيعظموا تكريمًا للعلم.

والزينبيون الذين سبق ذكرهم هم بنات السيدة زينب، شقيقة الحسن والحسين،

---

(١) هجرية وبدايتها توافق ١٥ يوليو سنة ١٣٧١م.

(٢) الأحزاب: ٥٩.

زوجة ابن عمها عبدالله بن الجواد بن جعفر الطيار ذى الجناحين ابن أبى طالب، وهى المدفونة بقناطر السباع، وقد ولدت لعبدالله بن جعفر عليا وعوفا الأكبر وعباسا ومحمداً وأم كلثوم، قال السيوطى فى رسالته (الزينبية): وذريتها إلى الآن موجودة بكثرة.

ويجوز لبس علامة الشرف لمن كانت أمه من بنى هاشم الذين فيهم الشرف عند الإمام مالك وإن لم يكن معدوداً من الآل، إذ يجوز له أخذ الزكاة، وإنما جاز له لبس علامة الشرف لأن له نسبة ببنى هاشم، استدلالاً بحديث «ابن اخت القوم منهم» وقد اعتمد الأجهورى فى (شرحه على متن سيدى خليل) أن من جاز له لبس الشرف الذى هو شعار الأشراف فليس هذا الشعار على غيره حرام، وعند السادة الشافعية لا حرمة فيه، وجميع المذاهب متصادقة على أن ابن الشريفة له نسبة مميزة له عن غيره ممن أمه ليست بشريفة.

وصد صنف بعض المالكية كتابا سماه (بإسماع الصمت فى إثبات الشرف من قبل الأم)[1] واستدل على ذلك بأدلة منها أن رسل الله ﷺ أفضل الناس حسبا وأشرفهم نسبًا من أبيه وأمه، فنسبوه إلى نسب أمه كما نسبوه إلى نسب أبيه، وأن الناس يتفاخرون بنسب أمهاتهم كما يتفاخرون بنسب آبائهم، فقد قال أبو الأسود لبنيه: أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا، قالوا: كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال اخترت لكم من النساء من لا تسبون بهن.

ومما استدل به صاحب هذا الكتاب قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾[2] الآية، إنها نزلت وأراد ﷺ حضور المباهلة أخذ بيد الحسن والحسين ولم يكن له بنون غيرهما، وأما من قال: هذا مخصوص بهما دون غيرهما وأنهما يسميان ابنيه دون غيرهما، طولب بالدليل على ذلك، ومن قال مجاز، قيل له علاقته كونه ﷺ له عليهما ولادة، فتطرد، واستدل أيضًا بقول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

---

(١) مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن القسنطينى المغربى، المعروف بابن أبى زيد المراكشى (١٣٣٨ ـ ١٤٠٥م).

(٢) آل عمران: ٦١.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى»، فأحببت أن يكون بينى وبين رسول الله ﷺ سبب ونسب، فتزوج عمر أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولو لم يثبت لولدها الشرف لم يكن لذلك من عمر معنى.

ثم قال صاحب هذا الكتاب: استحقت العرب الشرف لكونه ﷺ منها، فما الظن بمن هو بعضه من وجه؟ فمن أطلق على متصل به من وجه أنه ليس بشريف خيف عليه أن لا يدخل فى شفاعته، وعضد هذا أيضًا بقوله ﷺ «ما بال أقوام يقولون: إن رحمى لا تنفع! بلى والله إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة». فالمتصل من جهة أم معدود من رحمه عليه الصلاة والسلام إجماعًا، وقصد الحديث تميز رحمه بالشرف على سائر الأرحام. قال: وهذا الحديث عندى من آياته ﷺ لأنه تضمن أن قوما يحدثون فيقولون لا يحكم لمن يمت أى ينسب إليه ﷺ بأم الشرف. واستدل أيضًا بحديث: «وانظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس». وقال هذا نص على شرف ابن الشريفة وخسة ابن الخسيسة، مع قوله ﷺ «تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها»، والغرض من حسب ذوات الحسب شرف الولد، ولا حسب أشرف من حسب امرأة شريفة منسوبة إلى رسول الله ﷺ .

والخلاف فى غير أبناء السيدة فاطمة الزهراء فإنهم ينسبون إليه ﷺ ويسمون أبناءه ﷺ وينتسبون إليه نسبة حقيقية نافعة فى الدنيا والآخرة كما ذكر ذلك بعض الصوفية عند بيان معنى أول البيتين اللذين أنشدهما سيد الكونين ﷺ للسيد الشريف الطباطبى مناما حين سلط عليه الأمير القرقماش الشعبانى وأخرجه من خلوته، وهما:

يا بنى الزهراء والنور الذى ظن موسى أنه نار قبس

لا أوالى الدهر من عاداكم إنه آخر سطر فى عبس

وذلك أن بعضهم سأل بعض الصوفية عن وجه نسبتهم إلى الزهراء أو إلى النور

الذي هو عبارة عنه ﷺ ، وعن وجوه ترك نسبتهم في ذلك البيت إلى أبيهم على بن أبي طالب، رضي الله عنه، كما هو قاعدة الشرع الأطهر، وما هذا النور الذى هو عين النار التي ظنها موسى عليه السلام كذلك فنودى منها: إنى أنا ربك؟ فأجاب: بأن ما قاله ﷺ في هذا البيت المنامى هو عين الشرع، إذ قد صرح العلماء بأن بنى الزهراء وذريتهم يسمون أبناءه، وينسبون إليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا والآخرة، كما تقدم، وإن من خصائصه ﷺ أن كل بنى أب ينسبون إليه إلا أولاد علي.

وأثبت الحنفية الشرف لأولاد البنت في أحد الأوجه، لأن أصل الشرف كان كذلك من فاطمة، رضى الله تعالى عنها، وفي الحديث: «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب»، رضى الله عنه، وروى نحوه من طرق. وفي غيره «لكل بنى أب عصبة ينتمون إليها إلا أولاد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم، فهم عترتي، خلقوا من طينتي، ويل للمكذبين». وصح عن عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي»، وفي رواية زيادة: «الصهر والحسب»، «وكل بنى أنثى فعصبتهم لأبيهم ما عدا ولد فاطمة فإنى أنا أبوهم وعصبتهم»، إلى غير ذلك من الأحاديث، فهذا وجه نسبتهم إليه وإلى الزهراء، وترك نسبتهم إلى على رضى الله عنهم أجمعين.

ولاشك في الشرع أن كل شيء ينسب إلى أصله الحقيقي، وهو ﷺ الشارع المشرع، ومنه كان كافة الناس لا ينسبونهم إلا إليه ﷺ ، لا إلى على، فيقولون: أولاد الرسول، ولايقولون أولاد على إلا نادراً حتى كأنه لم يكن له في أبوتهم شيء أصلاً.

فإن قلت: لاشك أن النسب بالجزئية الأبوية، فلماذا كانت هذه الخصوصية على خلاف الحكمة العقلية؟ قلت: بل ذاك موافق، لأنه لا مانع في قدرة الله أن يأخذ بعض جزئه النبوى بطريق السر المعنوى فيضعه في على، ويضعه على في فاطمة، ويخلق منه ما أراد كرامة لسيد العباد ﷺ ، ولقد وضع كثير من الأولياء أسراراً في

البعض يحملها إلى غيره حيًا وميتًا، وإذا ولدت مريم عليها السلام بلا أب أصلاً فلأن تلد بالأب المعنوى، بواسطة على، فاطمة رضى الله عنهما أولى. وقد كان بعض المحبين إذا فصد حبيبه خرج منه الدم! وإذا كان بعض أفراد الأولياء يربى بالنظر فالأجدر أن يولد بهذا المعنى لسيد البشر، فشأنه ﷺ من وراء أطوار الفطر.

وأما النور فهو النور الخاص الذى هو أول باد من تجلى شمس ذات الاختصاص المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (1) والمصرح به حديث: «أنا من نور الله، والمؤمنون من نورى».

فلا خفاء أن من انتسب إلى رسول الله ﷺ بأم أو أب ففيه سريان لحمه ودمه الكريمين، فالمنتمى إليه هو بعضه فى وجوب الإجلال والتعظيم والتعزيز والتوقير والبر والنصيحة، فبعضه ﷺ كجميعه، كما قيل فى مدح شريف:

هو بعض النبى والله قد صا ــ غ جميع النبى والبعض طهرا

وتوضيح ذلك أن فاطمة رضى الله عنه بُضْعَته ﷺ، وأولادها بُضْعَة منها، فهم بُضْعَة من تلك البُضْعَة فيكونون بعضه بواسطة تلك البُضْعَة، وهكذا بنوهم وبنو بنيهم وهلم جرا، فكل من يوجد منهم فى كل زمان بُضْعَة منه بالواسطة، فأقيم وجودهم مقام وجوده ﷺ، وفى هذا من مزيد الكرامة والتشريف ما لا يخفى، وحرمته ﷺ ميتا كحرمته حيا، وقد قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(2) أى أن تودوا قرباتى، وقد أراد بعض العلماء أن يقبل يد بعض كبار الأشراف فمنعه من ذلك فأنشده:

اتمنعنى اللثم من راحة ... نماها إلى الهاشمى الكرام

كأنى إذا أنا قبلتها ... لثمت يديه عليه السلام

---

(1) النور: ٣٥.

(2) الشورى: ٢٣.

وحسب أهل البيت من الكرامة قوله ﷺ ، «وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالوحدانية ولى بالبلاغ أن لا يعذبه» ومن الآثار الواردة عن سيدنا الحسين بن على، رضى الله عنهما، أنه قال: الزموا مودتنا أهل البيت، فإن من لقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا.

فينبغى للناس أن يؤثروا رضى الأشراف على أهوائهم، بما يجب من التبجيل والتعظيم عند الحضور معهم، لما سبق أنهم بعض رسول الله ﷺ ، وأن يبغضوا من يؤذيهم، لأنه يؤذيه ﷺ ، وأن يريدوا لهم التقدم بفضيلة نسبتهم إلى رسول الله ﷺ ، وأن يخلصوا لهم المودة ويؤازروهم وينصروهم أحياء وأمواتا، ويذبوا عن أعراضهم، ويضربوا عن مساوى ذى المساوى منهم صفحا، وأن ينشروا محاسنهم، ويتوسلوا بدعائهم إلى الله ورسوله لأنهم سلالة رسول الله ﷺ فى أمته وذريته فى أهل شريعته ونسله فى متبعى ملته وعقبه فى أهل رجاء شفاعته.

وينبغى تنبيه الأشراف على ما غفلوا عنه من أمر دينهم ودنياهم برفق ولطف، وإرشادهم إلى مصالحهم بالقول والفعل، وهذه الحقوق وإن كانت تجب لغيرهم إلا أن التخصيص فى حقهم[1] أوجب، ولذلك قال العلماء: ينبغى للصائم حفظ لسانه وجوارحه، وذلك لا يخصه فى هذه الحالة، ولكن لما جعل الله فى شهر رمضان ما لم يجعله فى غيره من فرض الصوم وإيجاب الكفارة تأكد الأمر بذلك فيه، فكذلك الشرفاء لما جعل الله فيهم ما لم يجعل فى غيرهم، وهو اتصالهم بسيد العالمين، تأكد الأمر بهذه الحقوق، وإن كانت عامة.

ومن حقوق الناس عليهم أن لا يفخروا بشرفهم، لأن فخرهم عليهم قد يؤدى من ضعف دينه إلى عدواتهم وبغضهم والنفرة عنهم والبحث عوراتهم، وذلك ممنوع لأنه يؤدى إلى الاستخفاف بحقه ﷺ ، وهو أن من أبطأ عمله لم يسرع به نسبه، قال الماوردى: يعنى أن الفضل والكرم بالعمل لا بالنسب، وما أحسن ما قاله بعضهم، مع ما فيه من حسن الاقتباس:

---

(١) فى الأصل: ألهم.

أحسن الفعل لا تمن بأصل إن بالفعل خسة الأصل توسى

نسب المرء وحده ليس يجدى إن فرعون كان من قوم موسى

وقد يؤدى فخر الشريف بنسبه أو بسببه لغيره المفخور عليه إلى الكفر فيكون قد فتح الذريعة إليه، فليحذر الشريف على نفسه وعلى المسلمين جهده، وليأخذ نفسه بالصبر والاحتمال، فقد أغضب عليه السلام فقال: «رحمة الله على موسى، أوذى بأكثر من هذا فصبر»، ومع ذلك فموسى وغيره من الرسل يحشرون تحت لوائه ﷺ، وما أحسن قول بعضهم:

لواء رسول الله فى الحشر خافق وهل تحته إلا النبيون والرسل

لذلك لاذ العالمون بجاهه وقد طاشت الألباب وازدحم الجهل

فقد علمنا ﷺ أنه ينبغى للإنسان أن يقتدى بمن دونه فى الفضائل، كالحلم والصبر، فالأليق بالأشراف أن يتخلقوا مع غيرهم بأخلاق جدهم عليه الصلاة والسلام من الحلم والاحتمال والعفو والصبر والجود والكرم والسخاء والسماحة والإغضاء وحسن العشرة والأدب وبسط الخلق والشفقة والرأفة والرحمة والوقار وحسن الهدى والتواضع والعدل والأمانة والعفة وصدق اللهجة والوفاء وحسن العهد وصلة الرحم، وغير ذلك من الأخلاق الكريمة والآداب الحميدة، وأن يضيفوا إلى تليد الشرف طريفه، ليحسن فيمن اتصف بذلك قول من قال:

حاز العلاء بِجِدِّه وبجَدِّه فاختال بين طريفه وتلاده

لم يجعل الآباء متكلا ولا آباؤه اتكلوا على أجداده

وعلى كل حال، فإن كل من يحب آل البيت النبوى يلتزم مودتهم والثناء عليهم وتعظيمهم واحترامهم وإسعافهم فيما يحتاجون إليه وإدخال السرور عليهم والتجاوز عن مسيئهم، فهذا كله من أعظم المثوبات وأجل القربات، وإن بغضهم وأذيتهم وتحقيرهم مما يوجب العقوبات عند رب البريات، كيف وهم عترة سيد السادات، وذرية مَنْ مِن أجله خلقت الكليات والجزئيات، فمن أحبهم فبحبه

أحبهم، ومن أبغضهم، فبيغضه أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاه، ومن آذاه فقد آذى الله تعالى.

وقد أخرج مسلم والنسائى عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ خطيبا فقال: «اذكركم الله فى أهل بيتى»، ثلاثا، فقيل لزيد بن أرقم: ومن أهل بيته؟ قال: أهله من حرم الصدقة بعده، فقيل: ومن هم؟ قال: آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، ومذهب الإمام الأعظم أنهم خمسة، بزيادة آل الحارث، ومذهب الإمام الشافعى والإمام أحمد، فى أظهر الروايتين، مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب، وعند الإمام مالك والإمام أحمد فى الرواية الأخرى مؤمنو بنى هاشم فقط، وهذا كله فى مقام الزكاة، ، وفى مقام المدح هم كل تقى، وفى مقام الدعاء كل مؤمن ولو عاصيا وسئل علامة وقته الشيخ على الأجهورى عن جماعة يجتمعون مع النبى ﷺ فى جده هاشم بن عبد مناف، كذرية سيدنا جعفر الطيار أخى سيدنا على، رضى الله عنهما، هل لهم الشرف على غيرهم ممن ليس بقرشى أم لا؟ وهل لأحد أن يطعن فى نسبهم؟ وإذا طعن فماذا يترتب عليه؟ فأجاب بقوله: لهم شرف النسب على من دونهم فى النسب، وأما من حيث العلم فشرف العلم يزيد على شرف النسب، ومن عرف بنسب هو وأبوه فإنه يحد من نفاه عنه.

وقوله: شرف العلم يزيد على شرف النسب. فى كتب التاريخ أن الرشيد قال ليحيى بن أكثم: ما أنبل المراتب؟ قال: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين، قال: أفتعرف أجل منى؟ قال: لا، قال: لكنى أعرفه، رجل فى حلقة، يقول: حدثنى فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ، فقال له: يا أمير المؤمنين، أهذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وولى عهد المسلمين؟ قال: نعم، ويلك! هذا خير منى، لأن اسمه مقرون باسم رسول الله ﷺ، لا يموت أبدا، ونحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقى الدهر! وروى عنه ﷺ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى لا يزال يغرس فى الدين غرسا يستعملهم بطاعته»، قال الإمام أحمد بن حنبل: هم أصحاب الحديث. انتهى. وفيهم قال ﷺ: «لا يزال طائفة من أمتى منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة، فهم أوتاد الله فى أرضه وخلفاء رسول الله فى

أمتـه». وروى عن على رضى الله عنه وكرم وجهه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «اللهم خلفائى»، قلنا يا رسول الله: ما خلفاؤك؟ قال: «الذين يروون حديثى وسنتى ويعلمونها الناس»، وكان أبوسعيد الخدرى إذا رأى طلبة الحديث قال: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ، قال لنا رسول الله ﷺ: «سيأتى من بعدى قوم يسألونكم الحديث عنى فإذا جاؤوكم فلطفوهم وحدثوهم»، وكان بعض العلماء إذا رأى أصحاب الحديث يقول:

أهلا وسهلا بالذين أحبهم ... وأودهم فى الله ذى الالاء

أهلا بقوم صالحين ذوى تقى ... غر الوجوه وزين كلا ملاء

يا طالبى علم النبى محمد ... ما أنتم وسواكم بسواء

وفيهم قال بعض السادة:

يا سادة لهم بالمصطفى نسب ... رفقا بكم إذ لكم بالمصطفى حسب

أهل الحديث هم أهل النبى وإن ... لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

وأنشد هبة الله بن الحسين الشيرازى:

عليك بأصحاب الحديث فإنهم ... على منهج للدين ما زال معلما

وما النور إلا فى الحديث وأهله ... إذا ما دجا الليل البهيم وأظلما

وأعلى البرايا من إلى السنن اعتزى ... وأغوى البرايا من إلى البدع انتمى

ومن يترك الآثار ضلل سعيه ... وهل يترك الآثار من كان مسلما

وأنشد أبو طاهر السلفى لنفسه:

دين الرسول وشرعه أخباره ... وأجل علم تقتفى آثاره

من كان مشتغلا بها وبنشرها ... بين البرية لا عفت آثاره

ولبعضهم:

حديث رسول الله أنسي وروضتي ... ومعدن لذاتي وراحي وراحتي

وحصني الذي آوي إليه وجُنّتي ... وحرزي من كل الخطوب وعدتي

وعوني على من خالف الحق وارتضى ... ضلالات أهواء بها الخلق ضلت

به وبآيات الكتاب تمسكي ... ومعتمدي في كل حال وعصمتي

وقال بعضهم :

لكل امرئ ما فيه راحة قلبه ... فيأنس إنسان بصحبة إنسان

وما راحتي إلا حديث محمد ... وأصحابه والتابعين بإحسان

فإذا كان من الأشراف من حاز فضيلتي العلم والشرف ، كسيدى محمد الباقر زين العابدين ، فهو شيء آخر ، فقد قيل إنه رضى الله عنه لقب بالباقر لما رواه جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «يا جابر ، إنك ستعيش حتى ترى رجلا من ولدى ، اسمه اسمى ، يبقر العلم بقرا ، فإذا رأيته فأقرئه منى السلام» . فلما دخل محمد الباقر على جابر رضى الله عنه وسأله عن نسبه فأخبره قام إليه واعتنقه وقال له : جدك ﷺ يقرئك السلام ، وفيه يقول بعضهم :

يا باقر العلم لأهل التقى ... وخير من صلى على الأجبل

وفيه أيضا قيل :

إذا طلب الناس علم القرآ ... ن كانت قريش عليه عيالا

وان قيل هذا ابن بنت النبـ ... ـى نال بذلك فروعا طوالا

نجوم تهلل للمدلجين ... جبال تورث علما جبالا

فآل النبى ومن ينتسب إليه من الأشراف والعلماء السنيين لهم الكرامة على جميع المؤمنين ، وقد نظم بعضهم فى مدحهم قوله :

لـذ بآل الـنبى فى كـل كـــــرب   وتمسك فـحـبلهم مـوصـول
وإذا مـــا دهـاك خطب دهّى   فـتـوسـل فـجـاههـم مـأمـول
هـم كـــــرام عنـد الإلـه وأنى   تدع باسـم الكريم يـأت القـبـول
وخصـوصا ريحـانتيه اللـذين قد طا   ب من طـيـبـهم شـمـال بليل
كـان مـأواهمـا إلـيـه كـمـا قـد كـا   ن يرعـاهمـا له جـبـريل
مـا رعى فـيـهم الـزمـام يزيد[1]   حـيث حـل البـلاء والتـقـتـيل
أبدل الـود بالقطـيـعـة فى القـر   بى فـأضـحى بربعـه التنكيل
وقـسـا قلبـه على من بكـى الكو   ن على فـقـدهم ولـذ العـويل
فـابكهم مـا استـطعت إن قليـلا   فى عـظيم المصـاب حـزن طـويل
آل بـيـت الـنبـى إن فــؤادى   ليس يسليـه عنكـم التـعليل
آل بـيـت النبى إنـى مـحـب   وفـؤادى بحـبكـم مـتـبـول
آل بـيت الـنبـى أنتم مـرادى   ومـرامى ورغـبـتى والسـول
آل بـيت الـنبـى أنـتم صـلاتـى   وصـيـامى وحـجى المقـبـول
آل بـيـت الـنبـى أنـتم هـدائى   ومـنائـى ورجـائى المأمـول
آل بيـت النبى حـبى فـيكم   ملـتى وهو عـهـدى المسـؤول
آل بيـت النبى مـدحى فـيكم   طاب إجـماله كـذا التـفـصـيل
فـالأمـان الأمـان إن فـؤادى   من ذنـوب أتيـتـهـا مكبـول
والأمـان الأمـان من حـرّ نار   وجـحـيـم فـيـهـا العـصـاة حلول
أنا حـسّان مـدحكم فـاسـمحوا لى   بمرادى عـسى يكون الـوصـول

(١) الإشارة ليزيد بن معاوية، قاتل الحسين فى كربلاء، وصاحب محنة آل البيت.

حـــــبكـم حـل فى الـعظـام فلـم يبق ســـلامى إلا به مــــشــغـــول

قـد جـعلت المديح فـيكم شـفـيـعى يوم حـــشــرى إذ ذاك يوم مـــهــول

فـالغـــيـاث الغـيـاث يـا سـادة الخلـ ـــق ومن جـــدهـم نبى رســـول

أشـــرف المرسلـين قـدرا ومـجـــدا وفـــخـــارا وهـو الحـبـيب الخـليل

جـــاءنا بالكـتـــاب فــــيـــه بيـــان فـــأبان العـــمى وبان الســـبـــيل

ثـم أســـــــرى بـه الإلـه إليــــــه لمقـــام لـم يرقـــه جــــبـــــريل

فـاز بـالعـز والفـخـار جـمـيـعـا وأتاه الـتكـريم والتــــبــــجـــيل

فـــعـليـــه مـع الصــــلاة ســـلام مـــا مـضت بكـرة وجـــاء أصـيل

وعـلى آلـه الـكرام وصــــــحـــب مـــا بدا الـنجم واعــتـــراه الأفـــول

ومن مستحسن هذه القصيدة البيت السادس وما بعده إلى العاشر لما فيه من الإشارة فى قوله: ما رعى الزمام فيهم يزيد، إلى قصة الحسين مع يزيد، وقتل سنان بن أنس النخعى له، ومشاركة شمر بن ذى الجوشن الأبرص لسنان فى قتله، وتقديم رأسه الشريف إلى ابن زياد ورؤوس من قتلوا معه من أصحابه وأهله وإخوته وبنيه وبنى أخيه الحسن وبنى عميه جعفر وعقيل وغيرهم، حيث كل ذلك كان بأمر يزيد، عامله الله بما يستحق، فعل قول الناظم:

أبدل الود بـالقـيـعـة فـى القـــربى فـــأضـــحـــى بربعـــه الـتنكيــــل

تلميح إلى ما قاله الإمام ابن الجوزى، رحمه الله: سألنى سائل عن يزيد بن معاوية، فقلت له: يكفيه ما به! فقال لى: أيجوز لعنه؟ فقلت: قد أجازه العلماء المتورعون، منهم الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، فإنه ذكر فى حق يزيد ما يزيد على اللعنة، فقد روى عن صالح بن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: قلت لأبى: إن قوما ينسبون إلىّ تولى يزيد فقال: يا بنى، وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟!

فقلت: ولم لا تلعنه؟ فقال: يا بنى، أرأيتنى لعنت شيئا! يا بنى، ولم لم يلعن

من لعنه الله فى كتابه! فقلت: وأين لعن الله يزيد فى كتابه؟ فقال: فى قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾[1] فهل يكون فساد أعظم من القتل؟ انتهى.

والصحيح ما وقع عليه اتفاق السلف والخلف من جواز لعن من قتل الحسين رضى الله تعالى عنه أو أوصى بقتله أو أمر به، من غير تعيين، والوقف فى أمر يزيد، والرجوع فيه إلى الله تعالى، لأنا لا نعلم علم اليقين رضى يزيد بقتل الحسين وإهانة أهل بيت رسول الله ﷺ، لأنه وإن تواتر معناه إلا أن تفاصيله أحادا، فاللعن بغير تعيين ولا تسمية متفق عليه، كما يجوز لعن مرتكب الكبيرة إجمالا، لأنه لعن على الوصف فهو محمول على الطرد من مواطن الكرامة لا على حقيقة الطرد من رحمة الله تعالى، لاسيما وأنه لم يعرف أن قاتل الحسين مات قبل التوبة، وقد قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾[2] وعلى هذا قول بعضهم:

أيها القاتلون جهلا حسينا ... أبشروا بالعذاب والتذليل

قد لعنتم على لسان بن داو ... ود وموسى وحامل الإنجيل

أى أنكم دخلتم فى عموم لعن القاتلين.

ومما أنشده الإمام الحسين رضى الله تعالى عنه حين فر عنه من بايعه من أهل الكوفة إلى أعدائه الخارجين لقتاله بكربلاء، وقد ثبت ثباتا تاما، مع كثرة أعدائه وقلة أصحابه، وجال عليهم رضى الله عنه والسيف فى يده، قوله:

أنا ابن على الحبر من آل هاشم ... كفانى بهذا مفخرا حين أفخر

وجدى رسول الله أفضل من مشى ... ونحن سراج الله فى الأرض يزهر

وفاطمة أمى سلالة أحمد ... وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله ينزل صادقًا ... وفينا الهدى والوحى والخير يذكر

---

(١) محمد: ٢٢، ٢٣.

(٢) الشورى: ٢٥.

وما أحسن ما فعلته زينب بنت الإمام على كرم الله وجهه أو زينب بنت عقيل رضى الله عنهما حين وصل الرأس الشريف المدينة المنورة وخرج جميع أهل المدينة يصيحون بالبكاء وهى تصيح مستغيثة بالنبى ﷺ : يا محمداه! يا محمداه! هذا حسين بالعراء، مزمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه! ثم صاحت تقول: وا حسيناه! وتنشد هذه الأبيات:

ماذا تقولون إن قال النبى لكم — ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتى وأولادى أما لكم — عهد، أما أنتم توفون بالذمم
ذريتى وبنو عمى بمسبعة — منهم أسارى وقتلى ضرّجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم — أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

ومن أعجب ما وقع أنه فى سنة من السنين أخذ أهل الكوفة جدرى أعمى منهم ألفا وخمسمائة رجل، كلهم ممن حضر قتل الحسين، وحكى عن الزّهرى أنه قال: لم يبق من قتلة الحسين أحد إلا عوقب فى الدنيا إما بالعقل أو بالعمى أو باسوداد الوجه أو بزوال الملك فى مدة يسيرة.

وأحسن ما قيل فى مدح آل البيت ما ذكره صاحب [معراج الأصول إلى معرفة فضل الرسول] فى حق الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه كان ينشد فى آل البيت مشيراً إلى نبلهم ومنبها على فضلهم ببيتين:

يا آل بيت رسول الله حبكمو — فرض من الله فى القرآن أنزله
كفاكمو من عظيم القدر أنكم — من لم يصل عليكم لا صلاة له

ولنا أبيات فى ذلك وهى:

انتمائى لكم بصفو صفاتى[1] يال بيت الزهراء أزهى صفاتى
جدكم فى الوجود شمس وأنتم أنجم زهر غير منكسفات
أنتم بُضْعَة النبى نشأتم عن صفىّ من بُضْعَة مصطفاة
سيد الكون طاب أصلا وفرعا فى شعاب على العلى مشرفات
أبطحّى لولاه ما فاح من مكو ـة عرف التعريف فى عرفات
لا ولا كان أهل بدر بدورا يتبوأن فى العلى غرفات
لسواكم ما رمت قط التفاتا وإليكم صرفت كل التفاتى
حاش لله أن أضام وأنتم ملجأ اللائذين كهف العفاة
ويقينى أرجو به أن يقينى من عظيم الأهوال والآفات
كم مجير منكم حمى مستجيرا وأغاث الملهوف بالمرهفات
كم لكم بالنوال دنيا وأخرى من أياد على الورى عاطفات
بخلوص المديح أرجو خلاصى من مساوى أيامى السالفات
إن نظمتم رفاعة فى ولاكم حاز أمنا من سطوة المرجفات
فأمانى من حادثات زمانى انتمائى لكم بصفو صفاتى

ومما يمدح به كل من الشاعرين الشهيرين وهما الكميت بن زيد الأسدى المشهور بطول الشعر المضروب به المثل، فى قولهم: أطول من شعر الكميت، والفرزدق، فإن الأول له اليد البيضاء على ما سيأتى ذكره عنهما فى مدح أهل البيت فى وقت قلب الزمان عليهم مجنه، وحين أضحت الأكدار لهم وقاية عن المسرات وجُنّة، فقد قال فيهم قصائده المشهورة بالهاشميات، وقصد البصرة وأتى الفرزدق وقال له: يا أبا فراس، أنا ابن أخيك، قال: من أنت؟ فانتسب له، قال: صدقت، فما

(١) فى الأصل: صفانى.

حاجتك؟ قال: أنت شيخ مضر وشاعرها، وأحببت أن أعرض عليك ما قلت، فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته، وإلا أمرتني بستره، فقال: يا ابن أخي، أحسب شعرك على قدر عقلك، فقل راشدا، فانشد:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ... ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

قال: بلى، فالعب فإنك في أوان اللعب! فقال:

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربني بنان مُخَضّب

قال: فما يطربك إذا؟ فقال:

ولا أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تعرض ثعلب

قال: ممن همك ويحك! فقال:

ولا السانحات البارحات عشية ... أمر صحيح القرن أم مر أعضب

فقال: أجل م تتطرب؟ فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب

قال: فمن هم، ويحك! فقال:

إلى النفر البيض الذين بحبهم ... إلى الله فيما نابني أتقرب

قال: أرحني ويحك! من هؤلاء؟ فقال:

بني هاشم رهط النبي فإنني ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
خفضت لهم مني جناحَيْ مودّة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... مِجَنّا على أني أُذم وأُقصب
وأدمى وأرمى بالعداوة أهلها ... وإني لأُوذى فيهم وأُأنب

فقال: لله درك يا بني، أصبت وأحسنت إذ عدلت عن الزعانف والأوباش، إذا

لا يصرد سهمك، ولا يثلب قولك! ثم مرّ فيها فقال: أظهر وأشهر، فأنت أشعر من مضى وأشعر من بقى. ومن هذه القصيدة البيت المشهور وهو:

ومالـــى إلا آل أحمــد شيعــة   ومالى إلا مشعب الحق مشعب

ويقـال إنه بشر بالغـفران له بهـذه القصـيـدة، فقـدم حينئـذ المدينة المنورة، فـأتى عبدالله بن حسين، فقال له: إن لى ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار، وهذا كتـابى قد أشهـدت لك بها شهـودا، فقال بأبى أنت وأمى! كنت أقول الشعـر فى غيركم أريد به الدنيا والمال، ووالله ما قلته فيكم إلا لله، وما كنت لآخذ على شىء جعلته لله ثمنا، فلما أبى عليه الأخذ مزقه ودفعه إلى أربعة غلمان، ثم أخذ يدور دور بنى هاشم ويقول: هذا الكميت، قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم، وعرض ذمه لبنى أمية، فأثيبوه بما قدرتم، فاجتمع له من حلى النساء ما قدره مائة ألف درهم، فجاء بها إلى الكميت، فقال: يا أبا المستهل، أتيناك بجهد المقل، ونحن فى دولة عدونا، فاستعن بهذا على دهرك، فقال: بأبى أنتم وأمى، قد أكثرتم وأطبتم، وما أردت بمدحى لكم إلا الله، فردوه على أهله، فجهد به بكل حيلة فأبى.

وكان لمدح الكميت بنى هاشم وتعرضه لبنى أمية يطلبه خلفاء بنى أمية، فهرب منهم عشرين سنة، فجد هشام بن عبدالملك فى طلبه فلم يستقر له قرار من خوفه، ثم انتهى الأمر إلى أن اجتمع به مسلمة بن الوليد فى مجلس فسمع شعره وتعجب لفصاحته وسأله عن سبب طول غيبته فذكر له سخط هشام عليه، فضمن له الأمان، وأدخله على هشام، وهشام لا يعرفه، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال هشام: نعم الحمد لله يا هذا، قال الكميت: مبتدأ الحمد لله ومبتدعه الذى خص بالحمد نفسه، ثم خطب خطبة بليغة، ثم قال: يا أمير المؤمنين، كم من عاثر أقلتم عثرته، ومجرم عفوتم عن جرمه، فقال له هشام، وقد عرف أنه الكميت: من لك أغوى؟ فقال: الذى أخرج آدم من الجنة (فنسى ولم نجد له عزما) فرضى عنه، وأمر له بمال كثير.

هذا ما كان من قصة مدح الكميت فى آل البيت.

وأما الثانى، وهو الفرزدق، فإنه مدح على بن الحسين بن على بن أبى طالب بقصيدته الميمية التى سارت بها[1] الركبان، وتناشدها الأدباء فى سائر البلدان.

وقصة ذلك أن هشام بن عبدالملك حج فى خلافة أبيه عبدالملك، فطاف بالبيت ولم يقدر أن يستلم الحجر الأسود من كثرة ازدحام الناس عليه، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه أهل الشام إذ أقبل علىّ الأصغر، المعروف بزين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنهم أجمعين، وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا وبالمحل الأرفع من المهابة، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى له الناس حتى استلمه، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام بن عبدالملك: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضرا، فقال الفرزدق: أنا أعرفه! فقال الشامى: من هو يا أبا فراس؟ فأنشد الفرزدق يقول:

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم

فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فلا يُكَلَّم إلا حين يبتسم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم

ينمى إلى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم

ينجاب نور الهدى عن نور غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم

حمال أثقال أقوام إذا افتدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم

(١) فى الأصل: به.

مـا قـال لا قط إلا فى تشـهـده	لولا التـشـهـد كـانـت لاءه نعم
هذا ابن فـاطمـة إن كنت جـاهله	بجـده أنبيـاء الله قـد ختـموا
الله فـضلـه قـدمـا وشـرفـه	جـرى بذاك لـه فى لوحـه القـلم
من جـده دان فـضل الأنبـيـاء له	وفـضـل أمـتـه دانـت له الأمم
عم البـرية بالإحـسـان فـانقـشـعت	عنهـا الغـيـاهب والإمـلاق والظلم
كلتـا يديه غـيـاث عـم نفـعـهـمـا	تستـوكـفـان ولا يعـروهمـا العـدم
سـهل الخليـقـة لا تُخـشى بوادره	يزينـه اثنان: حـسـن الخلق والكرم
لا يخلف الوعـد ميـمـون بـغـرته	رحب الفـناء أريب حـين يعـتـزم
من مـعـشر حـبـهم دين وبغـضـهم	كـفـر وقـربهم منجى ومـعـتـصم
يستـدفع السـوء والـبلوى بحبـهم	ويسـتـرب به الإحـسـان والـنعم
مـقـدم بعـد ذكـر الـله ذكـرهم	فى كل بـدء ومـحـتـوم به الـكلم
إن عـد أهل التـقى كـانوا أئمـتـهم	أو قيل مَنْ خير خلق الله؟ قـيل هم
لا يسـتطيع جـواد بعـد غـايتـهم	ولا يدانيـهم قـوم وإن كـرمـوا
هم الغـيـوث إذا مـا أزمـة أزمت	والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
يأبى لهـم أن يحل الذم سـاحـتـهم	خـيـم كـريم وأيـد بالنـدى ديم
لا ينقص العـسـر بسطا من أكـفـهم	سيـان ذلك إن أثروا وإن عـدموا
أى الخـلائق ليـست فـى رقـابهم	لأوليـة هـذا أولـه نـعـم
من يعـرف الله يعـرف أوليـة ذا	فـالـدين من بيت هذا نـاله الأمم
وليـس قـولك مـن هذا بضـائره	العـرب تعـرف من أنكرت والعـجم

قال: فغضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق بعسفان، بين مكة والمدينة، وبلغ

ذلك زين العابدين، فأرسل Nليه اثنى عشر ألف درهم، وقال: اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فردها الفرزدق وقال: يا ابن بنت رسول الله، ما قلت الذى قلت إلا غضبا لله ولرسوله ﷺ، وما كنت لآخذ عليه شيئا! فقال زين العابدين: شكر الله لك ذلك، غير أنا أهل بيت إذا أنفذنا أمرا لم نعد فيه، فقبلها، وجعل يهجو هشاما، فبعث إليه وأطلقه!

ثم يظهر أن هذه القصيدة لا تخلو عن أبيات دخيلة فيها، ليست من كلام الفرزدق، تظهر ببادئ الرأى لمن تأملها، مع تكرار بعض القوافى وتهافتها، وأنها فى ذلك نظير القصيدة المنسوبة لسيدنا عمرو بن العاص التى خاطب بها معاوية رضى الله عنهما التى مطلعها:

*** معاوية الفضل لا تنس لى ***

إلى آخرها، فقد رأيت فى بعض الكتب ما يدل على ذلك، ونص عبارة بعض كتب الأدب بعد ذكر تلك القصيدة الميمية: وقد روى أن الكنانى الشاعر وفد على عبدالله بن عبدالملك بن مروان، وهو أمير على مصر، فأنشده قصيدة منها:

لما وقفت عليه فى الجموع ضحى   وقد تعرضت الحجاب والخدم

حييته بسلام وهو مرتفق   وضجة القوم عند الباب تزدحم

وذكر بعد ذلك أبياتا من قصيدة الفرزدق فى مدح عبدالملك. اهـ.

فبهذا يتبين أنه دخل فى تلك القصيدة أبيات من قصيدة أخرى ميمية مدح بها عبدالله بن عبدالملك ابن مروان، بل ولا تخلو من أبيات أخر زادها بعض الشعراء حبا فى آل البيت زيادة عما قاله الفرزدق.

وأما القصيدة الأخرى المشار إليها، التى ذكرنا مطلعها، فبعضهم أوصلها إلى ثمانية وستين بيتا، ومنها البيت الجارى مجرى المثل:

فأين الثريا وأين الثرى   وأين معاوية من على

وقد ذكر الدينورى[1] لعمرو بن العاص فى تاريخه عشرة أبيات فقط مع اختلاف المطلع المشتمل على حسن الخطاب من الأول، ونص عبارته : وكان معاوية لما فارقه الحسن واستتب الأمر[2] له، رأى عمرو فى نفسه أن معاوية قد قصر فى حقه، فكتب إليه يطلب ما بذله من مصر، لأنها لم تكن فى يده بعد وهى :

معاوى عنى لا تغفل ... وعن سنن الحق لا تنكل

نسيت جدالى للأشعرى ... وفعلى فى دومة الجندل

ألمظه عسلا باردا ... وأمزج ذلك بالحنظل

ألين فيطمع فى غرتى ... وقد غاب سهمى فى المقتل

إلى أن بلغت عنان السماء ... فأصبحت تحلف للمرسل

وما كنت تأملها فى المنام ... فزفت إليك ولا مهر لى

وثَبَّتُّها فيك موروثة ... ثبات الخواتيم فى الأنمل

وهبت لغيرى وزن الجبال ... ولم تعطنى زنة الخردل

وإن عليا غدا خصمنا ... ويحتج بالله والمرسل

وما دم عثمان منج لنا ... وليس عن الحق من معدل

انتهى.

فالظاهر أن هذه الأبيات دون غيرها هى التى أرسل بها عمرو بن العاص إلى معاوية، وأن ما عدا ذلك من زيادات بعض الناس المبغضين لمعاوية استنبطوها من قصة حرب على معه، زيادة تشنيع وتوبيخ لا يليق بمقام عمرو بن العاص أن يقوله لخليفة الوقت مع صيانة مثله عن الهجر، وإن كان المعنى هو صورة الواقعة، وفى

---

(١) ابن قتيبة أحمد بن داود (المتوفى سنة ٨٩٥م) صاحب (المعارف) و(الأخبار الطوال) و(الشعر والشعراء).

(٢) فى الأصل : الأمور.

حد ذاته من قبيل الصدق، إلا أن قلم القصيدة المطولة ليس واحدا، ويشم منه رائحة عدم أكثره لعمرو بن العاص رضى الله عنه بل وللعرب العربا، ومن جملة ما فيها من الزيادات قوله:

وإن كنت أخطأت فيما مضى   ففى عنقى علق الجلجل

فكان هذا البيت موجبا لتسميتها بالجلجلية فى كتب السير واشتهارها بذلك وطنت ورنت فى آذان أهل الآفاق وسارت بها الركبان فى مشارق الأرض ومغاربها.

فإن قلت: إنه يجل قدر صحابى جليل مثل عمرو بن العاص أن يمتدح بما صنعه من الدهاء عن قصد وعمد، وأنه أضاع حق على رضى الله تعالى عنه ونقله إلى معاوية. فجوابه: إن حسن الظن بهذا الصحابى يقضى بحمل كلامه على إقراره بأنه ظهر له فيما بعد خطأ اجتهاده، لأنه صحابى مجتهد، وأحكام الاجتهاد ظنية، وللمجتهد أن يرجع عن اجتهاده إذا ظهر أن الحق خلافه، ومع ذلك فلا يسعنا إلا أن نقول:

وسكت عن حرب الصحابة فالذى   جرى بينهم كان اجتهادا مجردا

فقد صح فى الأخبار أن قتيلهم   وقاتلهم فى جنة الخلد خلدا

ولله صاحب (الجوهرة) فى قوله:

وأول التشاجر الذى ورد   إلخ..........................

سنة الأحباب واحدة   فإذا أحببت فاستن

وشتان ما بين الكميت والفرزدق وبين عنين الشاعر لولا ما استدركه مع بنى داود بن موسى.

الثانى المعروف بابن الكلابية، وكان أميرا جليلا، فأعقب وانتشر عقبه، وهم بوادى الصفراء بين مكة والمدينة، وهم حلفاء لبنى حسن بالحجاز والعراق، ولهم قصة عجيبة، وهى أن أبا المحاسن نصر الله بن عنين الشاعر توجه إلى مكة ومعه

مال وقماش، فخرج عليه بعض بنى داود فأخذوا ما كان معه وجرحوه، فكتب إلى الملك العزيز طغتكين بن أيوب صاحب اليمن، وقد كان أخوه الملك الناصر أرسل إليه يطلبه ليقيم بالساحل المفتتح من أيدى الفرنج، فزهده ابن عنين فى الساحل ورغبه فى اليمن وحرضه على الأشراف الذين فعلوا به ما فعلوا وقال فى ذلك قصيدة أولها:

أعيت صفات نداك المصقع اللسنا ... وحزت فى الجود جد الحسن والحسنا

ومنها:

وما تريد بجسم لا حياة به ... من خلص الزبد ما أبقى لك اللبنا

ولا تقل ساحل الإفرنج أفتحه ... فما يساوى إذا قايسته عدنا

وإن أردت جهادا رو سيفك من ... قوم أضاعوا فروض الله والسننا

طهر بسيفك بيت الله من دنس ... وما أحاط به من خسة وخنا

ولا تقل إنهم أولاد فاطمة ... لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسنا

فلما قال هذه القصيدة رأى فى النوم فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهى تطوف بالبيت، فسلم عليها فلم تجب، فتضرع وتذلل وسألها عن ذنبه الذى أوجب عدم جواب سلامه، فأنشدته:

حاشا بنى فاطمة كلهم ... من خسة تعرض أو من خنا

وإنما الأيام فى غدرها ... وفعلها السوء أساءت بنا

فتب إلى الله فمن يقترف ... إثما بنا يأمن مما جنى

إن أسى من ولدى واحد ... تجعل كل السب عمدا لنا

أكرم لعين المصطفى أحمد ... ولا تهن من آله أعينا

فكلما نالك منهم غدا ... تلقى به فى الحشر منا منى

قال أبو المحاسن نصر الله بن عنين : فانتبهت من منامى فزعا مرعوبا، وقد أكمل الله عافيتى من الجراح والمرض، فكتبت الأبيات وحفظتها، وتبت إلى الله تعالى مما قلت، وقطعت تلك القصيدة وقلت :

عــــذرا إلى نبى الهـــــدى ... يصـــفح عن ذنب مـــحب جنى

وتوبة يقـــبلهـــا من أخى ... مـــقـــالة توقـــعـــه فى العنا

والله لو قطعنى واحــــد ... منهم بســيف البــغى أو بالقنا

لم أر مـــا يفـــعله سـيـئـا ... بل إنه فى الفـعل قـد أحـسنا

وأما ما رآه فى المنام من إنشاد الزهراء فهو يوافق قول بعض الأشراف :

ملكت عنان الفضل حتى أطاعنى ... وذللت منه الجامح المتصعبا

وأجريت فى مضمار كل بلاغة ... جوادى فحاز السبق منهم وما كبا

وضاربت عن نيل المعالى وحوزها ... بسيفى أبطال الرجال فما نبا

ولكن دهرى جامح عن مآربى ... ونجمى فى برج السعادة قد خبا

ومن غالب الأيام فيما يرومه ... تيقن أن الدهر يضحى مغلبا

وما أحسن ما قاله بعض الأشراف :

أنا ابن رسول الله وابن وصيه ... إذا عدّت الآباء وابن الفواطم

فإن عجمت عن ذكر مجدى ألسن ... فريش الخوافى لاحق بالقوادم

فأين ارتفاع الشمس من كف لامس ... وأين علو البدر من يد راجم

وقال شميلة بن أبى نمى، من أشراف مكة، وكان نجدا شجاعا شاعرا :

ليس التعلل بالآمال من شيمى ... ولا القناعة بالأقلال من هممى

ولست بالرجل الراضى بمنزلة ... حتى أطا الفلك الدوار بالقدم

هكذا تكون النخوة الهاشمية، والشهامة القرشية، ولا يحسن الافتخار

والحماس من أى أحد من عموم الناس، وإن حسن فهو من أهل البيت الحسن. جعلنا الله ممن أنعم عليهم بحبهم وأحسن.

وقد ذكر سبط ابن الجوزى[1] فى كتابه [خصائص أئمة أهل بيت النبوة] أن ابن الهبارية الشاعر اجتاز «بكربلاء» وهى موضع مصرع سيدنا الحسين وجماعته بالعراق، فجلس يبكى على الحسين وأهله، ثم قال بديها:

أحسين والمبعوث جدك بالهدى ... قسما يكون الحق عنه مسائلى

لو كنت شاهد كربلا لبذلت فى ... تنفيس كربك فوق جهد الباذل

وسقيت حد السيف من أعدائكم ... عللا وحد السمهرى الذابل

لكننى أخرت عنك لشقوتى ... فبلا بلى بين الغَرِىّ وبابل[2]

هبنى حرمت النصر من أعدائكم ... فأقل من حزن ودمع سائل

ثم نام فى مكانه فرأى رسول الله ﷺ فى المنام، فقال له: يا فلان، جزاك الله خيرا، فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدى الحسين. انتهى.

وذكر بعض أهل العلم والشرف فى [نبذة فى فضل أهل البيت] مطلعها: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[3] خاتمة لا بأس بذكر ما يناسب منها مخلصا، وهو: أنه مما ورد فى فضل على، رضى الله عنه، من الآيات والأحاديث الدالة على فضله وعلمه وشجاعته وتعظيم الصحابة له فكان أبوبكر الصديق رضى الله عنه يكثر النظر لوجه على، فسألته عائشة رضى الله عنها، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النظر إلى وجه

---

(١) يوسف بن قزاوغلى بن عبد الله (١١٨٥ - ١٢٥٦م) عالم فى الفقه والتفسير والحديث والتاريخ.. وأشهر آثاره فى التاريخ كتاب (مرآة الزمان).

(٢) والغرى، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء وتشديد الياء - أحد الغربيين، وهما بنا آن كالصومعتين، كانا بظاهر الكوفة. وبابل: معروفة (الطهطاوى).

(٣) الأحزاب: ٣٣.

على عبادة»، ولما جاء على وأبوبكر، رضى الله عنهما، لزيارة قبره ﷺ بعد وفاته بستة أيام قال على لأبى بكر: تقدم يا خليفة رسول الله، فقال: ما كنت لأتقدم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه: «على منى بمنزلتى من ربى»، وكان أبوبكر جالسا إذ طلع عليه على فقال لمن عنده: من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة وأقربهم قرابة فلينظر إلى هذا الطالع.

ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يسب عليا بجانب القبر الشريف، فقاله له: ويحك! أتعرف عليا؟ هذا ابن عمه! وأشار لقبره عليه الصلاة والسلام، والله ما آذيت إلا هذا فى قبره.

وذكر فى [الصواعق المحرقة] أربعين حديثا فى فضائله، منها قوله ﷺ، لما خلفه فى أهله وتوجه ﷺ إلى غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، تخلفنى فى النساء والصبيان؟ فقال له: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى؟» وقال ﷺ فى على: «هذا سيد العرب»، فقالت عائشة: ألست بسيد العرب؟ فقال: «أنا سيد العالمين، وهو سيد العرب»، وقال: «إن الله أمرنى بحب أربعة، وأخبرنى أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله، سمهم لنا، قال: على منهم، وكرر ذلك ثلاثا، وأبو ذر والمقداد وسلمان»، وقال ﷺ: «على منى وأنا من على، ولا يؤدى عنى إلا على»، وقال له ﷺ: «أنت أخى فى الدنيا والآخرة»، وفى رواية: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»، وفى رواية: «أراد العلم فليأت الباب»، وقال صلاة الله عليه وسلم: «ءنا دار الحكمة وعلىّ بابها». وفى رواية: «على باب علمى»، وقال ﷺ: «أقضاكم على». وسببه أنه كان ﷺ جالسا مع أصحابه، فجاءنه خصمان، فقال أحدهما: يا رسول الله، إن لى حمارا وإن لهذا بقرة، وإن بقرته قتلت حمارى، فقال رجل من الصحابة لا ضمان على البهائم، فقال ﷺ: اقض بينهما يا على: فقال لهما: كانا مرسلين؟ أم مشدودين؟ أم أحدهما مشدودا والآخر مرسلا؟ فقالا: كان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة وصاحبها معها، فقال على: صاحب البقرة ضامن لصاحب الحمار، فأقر ﷺ حكمه وأمضى قضاه.

وقال ﷺ : «الناس من شجر شتى، وأنا وعلى من شجرة واحدة» وكان ﷺ إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا على وقال ﷺ «من سب عليا فقد سبنى»، وقال ﷺ «على مع القرآن، والقرآن مع على، لا يفترقان حتى يردا علىّ الحوض».

وكتب على رضى الله عنه لابن عباس: «أما بعد، فإن الانسان يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا، ولا بما فاتك منها ترحا، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول الأمل». انتهى. قال ابن عباس: ما اتعظت ولا انتفعت بعد رسول الله ﷺ بمثل هذا الكتاب.

وقال ﷺ : «عنوان صحيفة المؤمن حب على بن أبى طالب»، وقال ﷺ : «على إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله» وقال ﷺ : «على باب خطة من دخله كان مؤمنا، ومن خرج منه كان كافرًا»، وقال ﷺ : «على منى بمنزلة رأسى من بدنى»، وقال ﷺ : «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: على، وعمار، وسلمان»، وقال ﷺ : «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له على الجواز».

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ما أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا) إلا وعلى أميرها وشريفها، ولقد عاتب أصحاب محمد فى غير مكان وما ذكر عليا إلا بخير، وما نزل فى أحد ما نزل فى على، وهو ثلاثمائة آية.

وابطأ على عن بيعة أبى بكر فلقيه فقال له: أكرهت إمارتى؟ قال: لا، ولكن آليت لا أرتدى بردائى إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن، فزعموا أنه كتبه على تنزيله، قال ابن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم، قال على لرجل: كيف بك إذا أمر بك أن تلعننى؟ فقال: أو كائن ذلك؟ قال: نعم، فقال: كيف أصنع؟ قال: العنى ولا تبرأ منى، فلما أمره أخو الحجاج، وكان أميرا على اليمن، أن يلعن عليا، فقال: إن الأمير أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله فما فطن لها إلا

رجل، أى لأنه إنما لعن الأمير ولم يلعن عليا فهذا من الإخبار بالغيب. ووقع منه ذلك كثيرا.

ومن جملة كراماته أنه مرة حدث بحديث فكذبه رجل فدعا عليه بالعمى فعمى لوقته.

ومن كلامه من الحكم رضى الله عنه وكرم وجهه: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم. لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. ما هلك امرؤ عرف قدره. قيمة المرء ما يحسنه. من عرف نفسه فقد عرف ربه. المرء مخبوء تحت لسانه من عذب لسانه كثرت إخوانه. بالبر يستعبد الحر. لا تنظر الذى قال وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ظفر مع البغى. لا ثناء مع الكبر. لا صحة مع النهم والتخم لا شرف مع سوء الأدب. لا راحة مع الحسد. لا سؤود مع انتقام. لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة للكذوب. لا كرم أعز من التقى. لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من العافية. لا داء أعيا من الجهل. المرء عدو ما جهله. رحم الله امرأ عرف قدره لم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكر الذنب. النصح بين الملأ تقريع. نعمة الجاهل كروضة على مزبلة. المسؤول حر حتى يعد. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة. الحكمة ضالة المؤمن. البخل جامع لمساوى العيوب. إذا حلت المقادير ضلت التدابير. عبدالشهوة أذل من عبدالرق. الحاسد مغاظ على من لاذنب له. كفى بالذنب شفيعا للمذنب. السعيد من وعظ بغيره. الإحسان يقطع اللسان. أفقر الفقر الحمق. أغنى الغنى العقل. الطامع فى وثاق الذل. ليس العجب ممن هلك كيف هلك. إنما العجب ممن نجا كيف نجا. احذروا نفار النعم فما شارد بمردود. أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع. إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه. ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه. البخيل يستعجل الفقر، ويعيش فى الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء. لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه. العلم يرفع الوضيع، والجهل يضع الرفيع. قصم ظهرى فى عالم متهتك

وجاهل متنسك، هذا يفتى وينفر الناس بتهتكه، وهذا يضل الناس بتنسكه. أقل الناس قيمة أقلهم علما، إذ قيمة كل امرىء ما يحسنه. لا يخافن أحد إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحى من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله اعلم. ما أبردها على كبدى إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول: الله أعلم.

وقال رضى الله عنه وكرم وجهه لما سئل عن القَدَر: طريق مظلم لا تسلكه، بحر عميق لا تلجه، سر الله قد خفى عليك فلا تفشه، أيها السائل، إن الله خلقك لما شاء أو لما شئت؟ قال: بل لما شاء، قال: فيستعملك كيف شاء!

ومن حكمه: إن للنكبات نهايات لابد أن تنتهى إليها، فمن أصابه نكبة ينبغى أن ينام لها حتى تنقضى مدتها، فإن فى رفعها قبل انقضاء مدتها زيادة فى مكروهها. جزاء المعصية: الوهن فى العبادة، والضيق فى المعيشة، والنقص فى اللذة، قيل: وما النقص فيها؟ قال: لا ينال شهوة حلالا إلا جاء ما ينقصه إياها. وقال للحسن، لما دخل عليه باكيا حين ضربه ابن ملجم: يا بنى، احفظ عنى أربعا فأربعا، قال: وما هى يا أبت؟ قال: إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق. قال: فالأربع الأخر؟ قال: إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يخذلك فى أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه.

وقال معاوية لخالد: لم أحببت عليا زيادة عنا؟ قال: أحببته لثلاث خصال: لحلمه إذا غضب، ولصدقه إذا قال، ولعدله إذا حكم، فقال معاوية: صدقت. وقال أيضا لضرار رضى الله عنه: صف لنا عليا، فقال: كان، والله، بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من لسانه، يفر من الدنيا وزهرتها، يستأنس بالليل، يستوحش بالنهار، غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا

كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، ولقد رأيته فى بعض مواقفه، والليل أرخى سدوله، وغارت نجومه، قابضا على لحيته يتململ تململ اللديغ ويبكى بكاء الحزين، يقول: يا دنيا غرى غيرى، إن كنت إلىّ تشوقت هيهات هيهات! قد باينتك ثلاثا لا رجعة لك عمرك قصير، وحظك قليل، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك.

وكثيرا ما كان يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لولا على لهلك عمر، على مولاى ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن على مولاه فليس بمؤمن.

ولما بلغه فخر ابن معاوية بالشام أنشأ قصيدة وأرسلها إليه ومعناها إن الفخر حقى وتركته، وأمتّ نفسى تكريما للعبودية وإجلالا للمعبود، وهى:

محمد النبى أخى وصهرى ... وحمزة سيد الشهداء عمى

وجعفر الذى يمسى ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمى

وبنت محمد سكنى وعرسى ... منوط لحمها بدمى ولحمى

وسبطا أحمد إبناى منها ... فأيكمو له سهم كسهمى

سبقتكمو إلى الإسلام طرا ... غلاما ما بلغت أوان حلمى

قال العلامة البيهقى، رضى الله عنه: هذا مما ينبغى حفظه، بل يجب على كل متوان فى حب على وجاهل بقدره ليعلم مفاخره فى الإسلام. انتهى.

محاسن لم تزدك معرفة ... وإنما لذة ذكرناها

ثم ذكر صاحب الرسالة بالمناسبة زين العابدين، وساق ما سلف لنا ذكره من قصيدة الفرزدق، قال: وهى:

هذا الذى تعـرف البطحـاء وطأته	والبـيت يعـرفـه والحل والحـرم
هذا ابن خـيـر عـبـاد الله كـلهم	هذا الـتـقـى النقى الـطاهر العـلم
إذا رأته قـريش قـال قـائلهـا	إلى مـكارم هـذا ينـتـهى الـكرم
هذا ابن فـاطمـة إن كنت جـاهله	بجَدِّه أنـبـيـاء اللـه قـد ختـمـوا
فليـس قـولك مـن هذا بضـائره	العرب تعـرف من أنكرت والعجم
من معـشر حـبهم دين وبغـضهـمو	كـفر وقـربهـمـو منجى ومـعتـصم

فـهـذا يؤيد مـا لاحظناه فى عـدد ١٨ من الروضـة صـحـيـفـة ١٤ منه من أن تلك الأبيات زيادة[١] ثم إن من المعلوم أن فضل الخلفاء الأربعة على ترتيب خلافتهم . .

وخـيـرهـم مـن ولى الخـلافـة	وأمـرهم فـى الفـضل كـالخـلافـة

وأما حبهم جميعا فهو واجب ، وإنما حب الأشراف لسيدنا على رضى الله تعالى عنه إذا كان فى نفوسهم أقوى من حب غيره من الصحابة فهذا لا يقدح فى المحبة ، كما إذا فضل التلميذ والده فى المحبة على شيخه ، حيث إن ذلك أمر طبيعى ، وإنما القادح التشيع فى المحبة والترفض فيها ، فإن هذا عين البدعة المذمومة المفسقة أو المكفرة ، كعمرو بن شمر الجعفى[٢] الذى كان يشتم الصحابة ويروى الموضوعات فى مدح على ، وكذلك شيخه جابر الجعفى[٣] أحد علماء الشيعة ، فكان من السبائية ، أحد أصحاب عبدالله بن سبأ ، الذى قال لسيدنا على بن أبى طالب : أنت

---

(١) الموضع المشار إليه مذكور فى هذه الرسالة ، سبق وروده فى الصفحات المتقدمة .

(٢) من بين الذين نسبتهم «الجعفى» وهم مؤلفون ، وشيعة ، ليس هناك من يحمل هذا الاسم - حسب مراجع الأعلام التى تيسرت لنا - ولعله إبراهيم الجعفى ، الكوفى ، أحد فقهاء الشيعة الإمامية . . فهو قد عاش فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) مما يجعل تلمذته لشيخه جابر الجعفى أمراً وارداً ، ومن ثم مرجحًا لهذا الاحتمال .

(٣) جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث (المتوفى سنة ٧٤٦م) مؤرخ ومفسر ، شيعى ، فسر القرآن ، وكتب عن فضائل على بن أبى طالب وحروبه ضد خصومه فى صدر الإسلام .

الإله، فنفاه إلى المدائن. وكان جابر هذا ممن يؤمن برجعة سيدنا على، وهو ما تعتقده الرافضة بزعمهم الباطل أنه فى السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه، وأنه يقاتل أعداءه من فوق السحاب، وأنه لم يمت، ولا يخرج مع من خرج من أولاده العلوية الذين خرجوا فى زمان العباسية حتى ينادى من السماء أن اخرجوا معه، فيرجع إلى الناس فى آخر الدنيا ويملك الأرض ويقتل مبغضيه وأعداءه، حتى إن ابن سبأ، المذكور، قال للذى جاء بنعى سيدنا على: لو جئتنا بدماغه فى تسعين صرة أى رمحا لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، فذكر ذلك لابن عباس فقال: لو علمنا ذلك ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله.

* * *

ومن المبتدعة الإمامية، القائلون بأن الإمام الحق بعد المصطفى سيدنا على، ثم ابنه الحسن، ثم أخوه الحسين، ثم ابنه على زين العابدين، ثم ابنه محمد الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق، ثم ابنه موسى الكاظم، ثم ابنه على الرضى ـ بكسر الراء وفتح الضاد ـ ثم ابنه محمد الجواد، ثم ابنه على النقى العسكرى، ثم ابنه الحسن الزكى، ويقال له العسكرى أيضا، ثم ابنه محمد الملقب بالمهدى والمنتظر التالى وصاحب الزمان والخلف والحجة والقائم، ويزعم الإمامية أنه دخل سرداب مدينة سامرا، التى أنشأها المعتصم العباسى بين بغداد وتكريت وانتقل إليها بعسكره، فقيل له العسكرى، وقد مات بها العسكريان المذكوران والجواد والرضى ودفنوا بها، وقد خربت قديما، ويقولون إن صاحب السرداب المنتظر دخله مختفيا من أعدائه وعمره خمس سنين، ويستمر فيه حيا يرزق إلى زمن قبل نزول عيسى بن مريم من السماء فيظهر حينئذ ويحكم بين الناس ويفعل ما يفعل، وهو آخر أئمتهم المعصومين عندهم، هذا كله باطل وهذيان، إذا لا وجود للمهدى الحقيقى الآن.

ومن بدعهم القول بإمامة هؤلاء الاثنى عشر المعصومين عندهم، وخلافتهم دون غيرهم، ولا تكون الإمامة والملك إلا فى آل على، وأنه لا جهاد حتى يخرج المهدى الذى ينتظرون نزوله من السماء، هذا كقول اليهود لا يكون الملك إلا فى آل داوود،

ولا جهاد حتى يخرج المسيح المنتظر، يعنون الدجال، وينادى مناد من السماء، وهذا أحد ما وافقت الرافضة فيه اليهود، كما قاله الشعبى.

ومن الشيعة فرقة ينتظرون محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، ويزعمون أنه حى لم يمت، وقد تواتر الخبر بقتله بالمدينة المنورة فى أيام المنصور.

وفرقة منهم ينتظرون محمد بن القاسم، صاحب الطالقان، فى أيام المعتصم. وفرقة منهم ينتظرون يحيى بن عمر، صاحب الكوفة فى أيام الطاهرية - بالطاء المهملة - نواب العباسية، مع تواتر الخبر بقتله.

وفرقة منهم ينتظرون محمد بن الحنفية، زعما أنه لم يمت وأنه دخل جبل رضوى، الذى تقطع منه أحجار المسان وتحمل إلى بدر تباع بها وتجلب إلى الآفاق، ويعتقدون أن معه أربعين رجلا من أصحابه أحياء يرزقون إلى أن يؤذن له بالخروج من ذلك الجبل، وفرقة منهم ينتظرون جعفر الصادق ويزعمون أنه لم يمت.

وفرقة منهم ينتظرون موسى بن جعفر، وهم يشاهدون مشهده ببغداد. وفرقة منهم ينتظرون محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولا يصدقون بموته. وفرقة منهم ينتظرون محمد بن على بن موسى، وهم فى انتظاره من وقت المأمون إلى يومنا هذا وما بعده.

ويقال إنه لم يزل فى هذه الأزمنة ينطلق أهل تلك البلاد الرافضة إلى مشهد الإمام على أو مشهد الحسين كل خميس، مجلبين بخيلهم ورجلهم، معهم فرس عليه آلات السلاح إلى سرداب هناك، ويكررون نداءه فلا يجيبهم أحد، فيرجعون كما ذهبوا. فكم لهم من إمام منتظر ممن لا وجود له عند أهل السنة ولا أثر.

وبالجملة، فالبدعة الشنيعة تسطع أمام عيون أربابها كأنها غرة، وهى فى سويداء قلوبهم أشد سوادا من الطرة، كما أن السنة نور فى الجباه والقلوب، وبالجملة فيحسن قول التقى السبكى:

والناس فى غنية عن رد إفكهم … لهجنة الرفض واستقباح مذهبه

وعبارة بعضهم: وإنما قيل لهم الرافضة لأنهم رفضوا أبا بكر عمر، رضى الله عنهما، ولهم مذاهب شتى فى على.

ومنهم السبائية، أصحاب عبدالله بن سبأ، وقد سبقت الإشارة إليهم، وفيهم يقول السيد الحميرى، وإن كان له مذهب فى الترفض، كما سيأتى ذكره:

قوم غلوا فى على لا أبالهم … وأجشموا أنفسا فى حبه تعبا

قالوا هو الله جل الله خالقنا … من أن يكون ابن شىء أو يكون أبا

ومن الروافض المغيرية، أصحاب المغيرة بن سعد، مولى بجيلة، قال الأعمش: دخلت علي المغيرة بن سعد وسألته عن فضائل على، فقال: إنك لا تجهلها، قلت: بلى، فذكر آدم صلوات الله عليه، ثم قال: على خير منه، ثم ذكر من دونه من الأنبياء فقال: على خير منهم، حتى انتهى إلى النبى ﷺ فقال: على مثله، فكذبته، فقال: قد علمتك أنك لا تحتمله.

ومن الروافض من يزعم أن عليا فى السحاب، كما سبقت الإشارة إليه، فإذا ظللت عليهم سحابة قالوا السلام عليك يا أبا الحسن، وقد ذكرهم الشاعر:

برئت من الخوارج لست منهم … من الغَزَّال منهم وابن باب[1]

ومن قوم إذا ذكروا عليا … يردون السلام على السحاب

ولكنى أحب بكل قلبى … وأعلم أن ذاك من الصواب

رسول الله والصديق حبا … به أرجو غدا حسن الثواب

وهؤلاء الرافضة يقال لهم المنصورية، وهم أصحاب أبى منصور الكسف، وإنما

---

(١) فى الأصل: العزال، وصحتها: الغزال ـ بالغين المعجمة ـ وهو واصل بن عطاء الغزال. كما أن فى الأصل: ابن داب، وصحته ابن باب، وهو عمرو بن عبيد بن باب، صاحب واصل، وهما من زعماء المعتزلة.

سمى الكسف لأنه كان يتأول قول الله عزوجل: ﴿ **وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ** ﴾[1] فالكسف على، وهو فى السحاب. وكان المغيرة بن سعد من السبائية، وكان يقول: لو شاء على لأحيا عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا. ومن الروافض كثير عزة، الشاعر المشهور، ولما حضرته الوفاة دعا ابنة أخ له فقال لها: يا ابنة أخى، إن عمك يجب هذا الرجل فأحبيه، يعنى على بن أبى طالب، قالت: نصيحتك يا عم مردودة عليك، أحبه والله خلاف الحب الذى أحببته أنت، فقال لها: برئت منك، وأنشأ يقول:

برئت إلى الإله من ابن أروى ... ومن قول الخوارج أجمعينا

ومن عمر برئت ومن عتيق ... غداة دعى أمير المؤمنينا

ابن أروى عثمان.

والروافض كلها تؤمن بالرجعة، كما سبق ذلك، وتقول لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدى، وهو محمد بن على، فيملأها عدلا كما ملئت جورا، وتحيا لهم موتاهم ويرجعون إلى الدنيا، وتكون الناس أمة واحدة، وفى ذلك يقول شاعرهم:

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة العدل أربعة سواء

على والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء

أراد بالأسباط الثلاثة: الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية، وهو على زعم بعضهم المهدى الذى يخرج بزعمهم الفاسد فى آخر الزمان.

ومن رؤساء الروافض السيد الحميرى، وكان يلقى له وساد فى مسجد يجلس عليه، وكان يؤمن بالرجعة، وفى ذلك يقول:

---

(١) الطور: ٤٤.

إذا مـا المرء شـاب له قـذال وعلله المواشط بالخضـاب

فـقد ذهبت بشـاشتـه وأودى فقم يا باك فابك على الشباب

فليس بعـائد مـا فـات منه إلى أحـد إلى يـوم الإياب

ومن الروافض الحسينية، وهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر، فكانوا يطوفون بالليل فى أزقة الكوفة وينادون: يالثارات الحسين، فقيل لهم الحسينية، ومن الروافض الغرابية، سميت بذلك لقولهم على أشبه بالنبى من الغراب بالغراب. ومن الرافضة الزيدية، وهم أصحاب زيد بن على المقتول بخراسان[1]، وهم أقل الرافضة غلوا، غير أنهم يرون الخروج مع كل من خرج. والله أعلم.

فالترفض المغالاة فى على بتلك المثابة لا المحبة اللائقة بمقامه ومقام أهل البيت، وعلى ذلك أنشد أبوبكر البيهقى فى [مناقب الشافعى] للشافعى فى آل البيت:

إذا فى مـجلس نذكـر عليـا وسبطيـه وفـاطمـة الزكيـه

يقـال تجـاوزوا يا قـوم هذا فـهذا من حـديث الرافـضيـه

برئت إلى المهيـمن من أناس يرون الرفض حب الفـاطميـة

أى ولا يحبون باقى الخلفاء ولا يرون أفضلية أبى بكر الذى قال فيه حسان بن ثابت:

ليهن أبـابكـر سعـادة جـدّه بصحبته من يسعد الله يسعد

وفى بعض الرسائل ما نصه: فى الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب الفرد من سنة ٩٩٢ قرأ شيخ الإسلام، قطب الأنام، من خضعت له رقاب الفضلا، وارتضع من ثدى معارفه النبلا، العارف بالله تعالى الشيخ محمد الصديقى،

---

(١) كان استشهاد زيد بن على بالكوفة، على عهد هشام بن عبدالملك، وليس بخراسان، أما الذى كان مقتله بخراسان فهو ابنه يحيى بن زيد بن على، وكانت ثورة زيد واستشهاده سنة ١٢٢هـ بينما ثار يحيى واستشهد سنة ١٢٥هـ.

المعراج الشريف، وأبدع فيما قرأ، وقدم للحاضرين أحسن قرا، ووقع أن سأله إنسان: هل الأفضل إبراهيم ابن نبينا وأخته؟ أو أبوبكر الصديق؟ فأجاب بأن أبابكر أفضل، وجرى بينه وبين السائل كلام لا ينبغى ذكره، فكتب بعض الأفاضل سؤالا ورفعه إلى العلماء من أهل العصر، فكتب شيخ الإسلام أحمد بن قاسم الجواب عنه.

(وصورة السؤال)

الحمد لله، ما تقول ساداتنا وموالينا الأئمة الأعلام، علماء السنة وعقائد الإسلام، من أعقم الله عن الإتيان بمثلهم الليالى والأيام، حفظهم الله على كافة الأنام، ونصر بهم شريعة نبيه وأخمد بهم عقائد أهل الشيع والبدع إلى يوم السلام، بجاه سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام، آمين اللهم آمين.

هل أحد من أولاد أبينا آدم ﷺ غير النبيين والمرسلين من أهل البيت أو من أولاد النبى ﷺ أو من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أفضل من سيدنا عبدالله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أو لا؟ وإذا قلتم: لا، فهل قول الحافظ جلال الدين السيوطى فى [خصائصه الصغرى] وذكر الإمام علم الدين العراقى أن فاطمة وأخاها إبراهيم أفضل من الخلفاء الأربعة باتفاق صحيح، يجوز اعتقاده، والإفتاء به أو لا؟ وإذا قلتم: لا، فهل إفتاء بعض الموجودين بأنه لا يجوز أن يقال: إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أفضل من سيدنا إبراهيم وأخته فاطمة ولدى رسول الله ﷺ مصيب فيه أو لا؟ وما هو مذهب أهل السنة؟ أبسطوا لنا الجواب، أحسن الله لكم الثواب، فإن غالب الناس، خصوصا بعض العوام اعتقدوا أن ما أفتى به هذا البعض هو الصحيح، وأنتم العلماء الراسخون ذوو الترجيح، فلا تكلونا إلى التلويح.

(وصورة الجواب)

الحمد لله الهادى للصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه أجمعين،

آمين. الحق إن شاء الله تعالى، وهو الذى دلت عليه نصوص الشرع ونصوص أئمة الشرع أن مولانا الصديق أفضل من عدا الأنبياء من الناس، من غير استثناء أحد بعد ذلك مطلقا، وهذا هو الذى نعتقده وندين لله به، ولم نعلم أحدا من العلماء الذين أخذنا عنهم اعتقد خلاف ذلك، ولولا خوف الإطالة التى لا يحتملها المقام نقلنا نصوص الشرع ونصوص أئمته وبيناها بما يندفع به توهم القاصرين واغترار المغرورين.

وأما ما ذكر عن الجلال السيوطى نقلا عن العلم العراقى فلا يجوز التعويل عليه ولا العمل به عند من ألهم رشده وكان له إلمام بكلام الأئمة وتصرفاتهم، فإنه مجرد دعوى مخالفة لنصوص الشرع وأئمته من غير سند يعتد به، وليست دعوى الاتفاق بالهين، ولا كل من ادعاه يقبل منه ذلك، وكم دعاوى للاتفاق بل وللإجماع مردودة لا يلتفت إليها، كما لا يخفى على ممارس العلوم، ويكفى فى رد هذه الدعوى أنهم حكوا فى التفضيل بين عائشة وفاطمة رضى الله عنهما ثلاثة أقوال: تفضيل عائشة، تفضيل فاطمة، التوقف، وممن حكى هذا الخلاف العلامة الإمام عزالدين بن جماعة، فقال: اختلف فى التفضيل بين عائشة وفاطمة على مذاهب، ثالثها، وهو الأسلم، التوقف. انتهى.

ومعلوم انحطاط رتبة عائشة عن الصديق رضى الله عنهما، فإذا جرى قول بتفضيل عائشة على فاطمة رضى الله عنهما، وقول آخر بالتوقف بينهما، فكيف يصح دعوى الاتفاق على تفضيل فاطمة رضى الله عنها على الخلفاء الأربعة، الذين منهم وأفضلهم الصديق رضى الله عنه، ودعوى الخلاف مقدم على دعوى الاتفاق، لأن الأول من قبيل الإثبات والثانى من قبيل النفى، والإثبات مقدم على النفى، لأن معه زيادة علم، كما تقرر ذلك فى الأصول، وبهذا ثبت رد دعوى الاتفاق بالنسبة لفاطمة رضى الله عنها، فليثبت رده بالنسبة للباقى إذ لا قائل منا ومن هذا المدعى لذلك الاتفاق بالفضل، بل مجرد النظر إلى رده بالنسبة لفاطمة رضى الله عنها قرينة قوية تتقرب من الصريح، إن لم تكن منه، على اختلال تلك الدعوى، وعدم تحرى صاحبها، وعدم احتياطه فى نقله.

ومما يعارضها أشد المعارضة، إن لم يكن مصرحا بردها، قول العلامة محمد بن أبى بكر الرازى فى شرح يقول العبد: واعلم أنه تعالى قد فضل محمدا على جميع الأنبياء، ثم بعده أفضل هذه الأمة وأرجحهم من جميع الصحابة والآل أبوبكر الصديق رضى الله عنه، ثم قال: ومن قال أن أحدا أفضل من أبى بكر كان معتزليا ورافضيا، ثم قال أيضا: واعلم أن بعد أبى بكر وعمر وعثمان لم يكن أحد فى أمة محمد ولا فى أصحابه وأهل بيته، أفضل من على رضى الله عنه.

فتأمل قوله: فى أمة محمد ولا فى أصحابه وأهل بيته فإنه بمنزلة الصريح إن لم يكن صريحا فى تفضيل على رضى الله عنه على جميع من عدا الثلاثة، من أهل البيت وغيرهم من غير استثناء أحد منهم، وإذا كان هذا فى على رضى الله عنه فكيف بمن هو أفضل منهم كالصديق رضى الله عنه. ولما استدل الكمال بن الهمام على تقديم على رضى الله عنه بعد الثلاثة بقوله ما نصه: ولما أجمعوا، أى الصحابة، على تقديم على بعدهم دل على أنه كان أفضل من بحضرته، فكان منهم الزبير وطلحة، فثبت أنه كان أفضل الخلق بعد الثلاثة. انتهى.

بحث معه فى هذا الاستدلال تلميذه العلامة الكمال بن أبى شريف، فقال: لا يلزم من كونه أفضل من بحضرته كونه أفضل الخلق بعد الثلاثة ممن بحضرته ومن غاب عنه أو تقدمت وفاته على الإجماع المذكور كأبى عبيدة بن الجراح وحمزة والعباس وفاطمة، نعم إذا ضم إلى ذلك الإجماع على أنه أفضل ممن عدا الثلاثة من الخلق ثبت ذلك وثبتت أفضليته عليهم بأدلة السمع. انتهى.

فانظر قول هذا العلامة المتأخر الواسع الاطلاع. نعم إذا ضم إلى ذلك الإجماع إلى آخره مع التمثيل قبله بفاطمة رضى الله عنها تجده جازما بتفضيل على رضى الله عنه على فاطمة رضى الله عنها، فكيف بمن هو أفضل من على بمراتب، وهو الصديق رضى الله عنه، وهذا مما يرد دعوى الاتفاق بالنسبة لفاطمة رضى الله عنها، ويقتضى رده مطلقا بالطريق الذى قدمناه.

وأما إفتاء بعض الموجودين، المشار إليه، فقد علم حاله وحالنا فيه مما قررناه، والرأى الضرب عنه صفحا، فإنه لا أثر له، لاسيما ولم نعلم أن أحدا من أهل

الإفتاء أفتى بخلاف ما قلناه، ومنصب الإفتاء قد انحطت رتبته وتسوره كل من أراد، بل تجرأ عوام الطلبة على التكلم فيما شاؤوا بما شاؤوا وعلى إساءة الأدب فى حق علماء الدين وسادات العارفين لتغافل العلماء من أولى الأمر عن أحوالهم وتشاغلهم عن البحث عن أوصافهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وأما قول السائل: فإن غالب الناس، خصوصا العوام، إلى آخره، فهو عجيب، فإنه يدل على أن غير العوام اعتقدوا ذلك أيضا، مع أنه لا يعتقد ذلك بمجرده من عنده أدنى معرفة. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، والله تعالى أعلم.

قال ذلك وكتبه الفقير أحمد بن قاسم العبادى، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، وفعل ذلك بوالديه ومشايخه. آمين. وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. انتهى.

* * *

وقول ابن قاسم: ويكفى فى رد هذه الدعوى، إلى آخره، قال شيخ الإسلام فى [شرح البهجة): الذى أختاره أن الأفضلية محمولة على أحوال، فعائشة أفضل من حيث العلم، وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له ﷺ فى المهمات، وفاطمة من حيث البُضْعَة والقرابة، ومريم من حيث الاختلاف فى نبوتها وذكرها فى القرآن مع الأنبياء، وآسية من حيث الاختلاف فى نبوتها وإن لم تذكر مع الأنبياء. انتهى.

وأقول: إن صح التفضيل بالحيثية رجع الخلاف لفظيا، ودفع التعارض فى الأقوال، إلا أنه لا يمكن أخذه بالقبول على عمومه فى جميع الحيثيات، لأنه فتح باب يعيى سده، فلو سلم قبوله فى حق السيدة فاطمة وأخيها فلا يقبل فى حق الإمام على كرم الله وجهه بالنسبة إلى أبى بكر رضى الله عنه، نظرا إلى حيثية القرابة القريبة أو الصهارة، وأما المحبة لعلى رضى الله عنه فشئ آخر إذا كان معها حب أبى بكر رضى الله تعالى عنه وبقية الصحابة، ولذلك قال على كرم الله وجهه: لا يجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر لأنهما ضدان وهما لا يجتمعان،

فالمحبة المعتبرة الممدوحة هى ما كانت من أتباع سنة المحبوب، إذ محبته من غير اتباع سنته، كما عليه الشيعة والرافضة، من محبتهم مع مجانبتهم للسنة لا تفيد مدعيها شيئا من الخير، لأنها ليست محبة حقيقية، بل هل خالية عن التأدب بآداب المحبوب، فأتباع على الحقيقيون هم أهل السنة لا الشيعة، وعليه الحديث الذى أخرجه الدار قطنى مرفوعا يا أبا الحسن: «أما أنت وشيعتك فى الجنة، وإن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فإذا أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون»، قال الدارقطنى ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة.

* * *

وأما الفرق المبتدعة المرتكبة للبدع المذمومة كالفرقة السودانية التى تنسب الأبناء للأمهات دون الآباء، وتورثهم بحسب ذلك، وهى موضوع هذه الرسالة، فهم أيضا خوارج يجب الإنكار عليهم كغيرهم بشروطهم، وهذا هو موضوع (الفصل الثالث)، وإن اشتمل على مسائل أخرى استطراديه، لتمام الفائدة.

(الفصل الثالث)

(فى أنه يجب الإنكار على هذه الفرقة المبتدعة السالفة الذكر فى هذه الرسالة)

أصل البدعة: ما كان مخترعا لا على مثال سابق، ومنه (بديع السموات والأرض) أى موجدهما على غير مثال سبق، وفى عرف الشرع، ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص والعام، بأن يكن الحامل عليه مجرد الشهوة، وهذا هو المراد بقولهم: من جالس أهل البدعة تعلق بقلبه شىء مما يسمع، وبقولهم: لا تمكن زائغ القلب من أذنك، فقد رأينا قوما استهواهم تهاتر ابن الخطيب الرازى حتى تزندقوا، وهذا المعنى هوالمراد أيضا من قول الشاعر:

بنُىَّ اجتنب كل ذى بدعة ولا تصحبن من بها يوصف

فيسرق طبعك من طبعه وأنت بذلك لا تعرف

ويتسع فى البدعة فتطلق على ما ليس له مثال فى عرف الشرع، فتعرف بأنها: إحداث ما لم يكن فى عهد رسول الله ﷺ ولا فى عهد الخلفاء الراشدين، فبهذا المعنى تعتريها الأحكام الخمسة، فتكون واجبة، ومحرمة، ومندوبة، ومكروهة، ومباحة، وطريق ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت فى قواعد الإيجاب فواجبة، أو فى قواعد التحريم فمحرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة.

وللبدعة الواجبة أمثلة، منها الاشتغال بعلم النحو الذى يفهم منه كلام الله تعالى

وكلام رسوله ﷺ ، وذلك واجب، لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن ذلك كتب القرآن فى المصاحف لحفظه، وتدوين العلم لصونه، ومن ذلك حفظ غريب الكتاب والسنة من اللغة، وتدريس أصول الفقه والكلام فى الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم، وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين، ولا يتأتى ذلك إلا بما ذكرناه.

وللبدع المحرمة أمثلة كثيرة، كإحداث المظالم، ومنها مذهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة، والرد على هؤلاء من البدع الواجبة، وكذلك الفرقة السودانية التى تنسب الأولاد لأمهاتهم وتورثهم من هذه الجهة، فلا شك فى ابتداعها تفسيقا إن كانت متخذة هذه البدعة كعادة سالفة معتقدة تحريمها، وتكفيرا إن كانت معتقدة حلها، وعلى كل فالإنكار عليها من أوجب الوجوب كالإنكار على الفرق الأربعة، بشرطه المذكور فى حديث: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده»، ولقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾[1] الآية، فالإنكار على تلك الأمة السودانية مطلوب من الآحاد ومن الإمام لخاصة هؤلاء كعلمائهم ولعامتهم، وحيث كان هذا الأمر جهارا فجميع من عمله يستحق العقوبة، فبهذا تستحق تلك الأمة السودانية العقاب من الإمام كلها إن لم تتب عنه، وسيأتى بسط الكلام على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى آخر النبذة.

وللبدع المندوبة أمثلة، منها إحداث الرّبط والمدارس وكل إحسان لم يعهد فى الصدر الأول، ومنها جمع التراويح، والكلام فى دقائق التصوف، وفى الجدل، ومنها جمع المحافل فى الاستدلال على المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى، ومنها زيادة الصلاة والسلام على النبى ﷺ فى الآذان غير المغرب.

وللبدع المكروهة أمثلة، كزخرفة المساجد، وتزويق المصاحف، والزيادة على ما شرع.

---

(١) آل عمران: ١٠٤

وللبدع المباحة، المعبر عنها بالجائزة أيضا، أمثلة، منها اتخاذ الملاعق والمناخل والغرابيل والتوسع فى اللذيذ من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام، وقد يختلف فى بعض ذلك فيجعله بعض العلماء من قبيل البدع المكروهة ويجعله آخرون من قبيل السنن المفعولة فى عهد رسول الله ﷺ فما بعده، يعنى ليس واجبا ولا محرما، ولهذا قسم بعضهم البدعة إلى حسنة وقبيحة، فجعل الحسنة ما عدا المحرمة.

ولا يستدل على قبح الأشياء المبتدعة بأنها ليست من آداب الاسلام وأنها من آداب غيرهم، فإن علة القبح فى الأمور المبتدعة غير ذلك، فمن التعنت القول بأن عليّة كراهة الشئ أو بدعيته كونه أول ما صنع لفرعون وغيره من ملوك الأوائل، فإن نحو هذا كثير من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، حيث إنها أول ما صنعت فى بلاد غير الاسلام وعند ملوكهم، لاسيما أنه قد فعلها الإسلام واقروا عليها بلا نكير منكر ولا طعن طاعن، فلاشك أن الإفرنج الذين هم أول ما ظهر عندهم بعض أشياء مبتدعة ببلادهم مما ذكر يقبل كل شىء صدر عنهم مادام مشتملا على المنافع والشرع لا يأباه، ونظير ذلك ما قاله فقهاء بعض المذاهب: إن المجوسى إذا أخبر أنه اشترى اللحم من يهودى أو نصرانى أو مسلم حل أكله، وإذا أخبر أنه اشتراه من مجوسى ونحوه فلا يحل أكله، وقد نقل عن الشيخ الباقانى الحنفى فى [شرحه مختصر الوقاية] ما نصه: فإن قال عبد غير مسلم: اشتريت اللحم من مسلم أو كتابى يهودى أو نصرانى حل أكله، وإن قال: اشتريته من مجوسى حرم أكله، لأن الظاهر أنه ذبيحة مجوسى. انتهى.

ومن هذا القبيل جواز التطبب بأطباء أهل الكتاب، وقولهم مقبول فى حق جواز الاستعمال للأدوية المجهولة، ويؤيد ذلك ما نقله بعضهم عن ابن عطاء الله السكندرى، رحمه الله تعالى في كتابه «لفائف المنن» قال: ولقد بلغني عن الشيخ أي الحسن الشاذلي، رضى الله تعالى عنه، أنه استدعى يهوديا كحالا ليداوى بعض من عنده، فقال له اليهودى: لا أستطيع أن أعالج فإنه جاء مرسوم من القاهرة أن لا يداوى أحد من الأطباء إلا بإذن من مشارف الطب بالقاهرة، فلما خرج ذلك

اليهودى قال الشيخ هيئوا آلة السفر، وسافر لوقته إلى القاهرة وأخذ لهذا الطبيب إذنا وعاد ولم يبت ليلة واحدة، ثم جاء إلى الإسكندرية فأرسل إلى ذلك الطبيب فاعتذر له بما اعتذر به أولا، فأخرج الشيخ مكتوبا بالإذن، فأكثر اليهودى التعجب من ذلك الخلق الكريم. انتهى، ببعض تصرف.

ومن المعلوم أن هذا مبنى على ما تحقق أن الأطباء ببلاد الإفرنج لهم حذق فى علم الطب ومعرفة خواص الأشياء أكثر من غيرهم، لأن علومهم الدينية على قواعدهم غير مدونة لعلمائهم المتبحرين، بل يرجعون فيها إلى ما تقوله أحبارهم من التحليل والتحريم وغير ذلك، فهم فى غنية عن تدوينها، وبهذا السبب كثر اشتغالهم فى علوم الأوائل، كالطب والتنجيم والرياضيات والمنافع والصنائع، فلهم مهارة فى سياسة الطبيعة الإنسانية وفى الإدارة الملكية والمنزلية، وإليهم المرجع فى معرفة ذلك إن عرفنا صدقهم فى شئ منه بقرائن الأحوال والتجربة، فيقبل قولهم فيه، لأنه من قبيل المعاملات لا الديانات، وإنما يقبل فى المعاملات خاصة للضرورة وإن دخل فى الديانات الحل والحرمة إذا كانا فى ضمن المعاملات لا فى مطلق الحل والحرمة، كالإخبار بشراء غير المسلم اللحم من مسلم أو كتابى، كما سبق، وأصله أن خبر غير المسلم مقبول فى المعاملات، لصدوره عن عقل ودين مانع من الكذب، ومساس الحاجة إلى قبوله لكثرة المعاملات، وكونه من أهل الشهادات فى الجملة، فثمرات أفكارهم العقلية التى لا تناقض السمعيات مقبولة، كما أن ثمرات أشغالهم وصنائعهم المعاشية، التى بها حسن الرفاهية، غير مردودة، إذا كانت لا تنابذ الشرع، فتكون داخلة فى البدع المستحسنة.

وبالجملة، فقد سبق لنا أن الأصل فى حسن البدعة وقبحها أن تعرض على قواعد الشريعة، فما تدخل فى قواعده من الأحكام الخمسة تنسب إليه.

ولبعض العلماء تشديد فيما لا ينبغى التشديد فيه مما تطمئن إليه النفوس ولا يحوك فى الصدور؛ كالسنن التى ابتدعت على طريق القربى إلى الله تعالى وصارت ملحقة بالسنة الشريفة التى جاء بها الرسول عن أمر الله تعالى، كابتداع إشهار المولد النبوى مثلا، فإنه مع كونه يظهر ببادئ الرأى أنه لا ضرر ولا ضرار فى

فعله لمن أراد ذلك فى ربيع الأول أو غيره، بل نص ابن الجوزى أنه مما جرب أن نفعله يورث الأمان التام فى ذلك العام، كما سيأتى، فقد قال فيه ما قال تاج الدين الفاكهانى المالكى من الإنكار، وتعقبه الجلال السيوطى، ورد عليه الرد التام بسلوك طريق الاستدلال والاستظهار، وحكم بينهما الإمام الشيخ عبدالسلام اللقانى المالكى وقضى بينهما بقول فصل وحكم عادل يشهد له بالفضل، أشبع فى مقاله بالنصوص القاطعة والحجج الداحضة بما يقنع من الدليل، ويشفى الغليل، ويكشف عن وجوه البدع قناع التأويل، فلنذكر كلامه فى هذا المعنى برمته مع بعض تصرف فى العبارة، وإن كان فيه تكرار شىء مما سبق، حيث هو مؤكد له، ومزيل الغطا عن غمته، ونص عبارته المنقولة من مسودة حاشية له على بعض السير النبوية :

وقد أردت إيراد بعض فوائد تتعلق بالمولد الشريف، مما ذكره النجم وغيره، فأقول، مستعينا به سبحانه : أعلم أن الناس اختلفوا فى عمل المولد واجتماع الناس له، والذى صرح به العلامة تاج الدين الفاكهانى المالكى رحمه الله أنه بدعة مذمومة، وألف فى ذلك كتابا صدر ديباجته بقوله، بعد البسملة والحمد لله وما يطلب له الإتيان به : أما بعد، فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذى يعمله بعض الناس فى شهر ربيع الأول، ويسمونه المولد، هل له أصل فى الشرع أو هو بدعة حدث فى الدين، وقصته؟ والجواب عن ذلك مبينا، والإيضاح عنه معينا، فقلت، وبالله التوفيق : لا أعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة، ولم ينقل علمه عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة فى الدين المستمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الآكلون، بدليل أنا أدرنا عليه الأحكام الخمسة، قلنا : إما أن يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما، وليس بواجب إجماعا، ولا مندوبا، لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون المتدينون فيما علمت، وهذا جوابى عنه بين يدى الله إن سئلت عنه، ولا جائز أن يكون مباحا، لأن الابتداع فى الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين، فلم يبق إلا أن يكون مكروها أو حراما، وحينئذ يكون الكلام فيه فى فصلين، والتفرقة بين حالين، أحدهما أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله لا يجاوزون

فى ذلك الاجتماع على أكل الطعام ولا يقترفون شيئا من الآثام، وهذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام سرج الأزمنة وزين الأمكنة، والثانى أن تدخله الجناية وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشيء ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه ويوجعه لما يجد من ألم الحيف، وقد قال العلماء: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لاسيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء من البطون الملآى بآلات الباطل من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الأحداث والنساء الفاتنات والرقص بالتثنى والانعطاف والاستغراق فى اللهو ونسيان يوم المخاف، وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهتك والتطريب فى الإنشاد، والخروج فى التلاوة والذكر المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾[1] وهذا الذى لا يختلف فى تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يحلو ذلك بنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب. وأزيدك أنهم يرونه من العبادات، لا من الأمور المنكرات المحرمات، فإنا لله وإنا إليه راجعون. بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ.

ثم قال: ولقد أحسن الإمام أبوعمرو بن العلاء حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب. هذا مع أن الشهر الذى ولد فيه ﷺ، وهو ربيع الأول، هو بعينه الشهر الذى توفى فيه، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه، وهذا ما علينا أن نقول، ومن الله تعالى أحسن القبول.

وتعقبه العلامة الجلال مؤلف هذا الكتاب فى فتاويه فقال:

أما قوله: لا أعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة، فيقال عليه: نفى العلم لا يلزم منه نفى الوجود، وقد استخرج له العلامة ابن حجر العسقلانى، رحمه الله، أصلا من السنة، وهو ما ثبت فى الصحيحين من أن النبى ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى

---

(١) الفجر: ١٤.

موسى، فنحن نصومه شكرا لله تعالى، فقال: «أنا أحق بموسى منكم»، فصامه وأمر بصيامه، قال: فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما مَنَّ به فى يوم من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله تعالى يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والتلاوة، وأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبى، نبى الرحمة، ﷺ، فى ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغى أن يتحرى الوقت بعينه، فإن كان ولد ليلا فليقع الشكر بما يناسب الليل كالإطعام، وإن كان ولد نهارا، وهو الأصح، فبما يناسبه كالصيام والصدقة، ولابد أن يكون ذلك اليوم بعينه من عدد أيام ذلك الشهر بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه الصلاة والسلام فى يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالى بعمل المولد فى أى يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه، وينبغى أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما ذكر، وأما السماع واللهو وغيرهما فما كان مباحا لعين السرور بذلك اليوم فلا بأس به، وما كان حراما أو مكروها فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى. انتهى.

فيفهم من ذلك أن أصل ابتداع عمل المولد الشريف مبنى على قاعدة الشكر، وعلى النعمة بإيجاد الذات المحمدية الواسطة فى خيرى الدنيا والآخرة، فلهذا خالفت هذه السنة الحسنة اتخاذ يوم عاشوراء مأتما ومظهرا للحزن، كما يفعله بعض الأعاجم لأجل قتل الحسين بن الإمام على رضى الله تعالى عنهما، فكانت هذه من البدع السيئة ومن عمل الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، إذ لم يأمر الله سبحانه ولا رسوله ﷺ باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما، فكيف بمن دونهم والقاص الذى يذكر للناس قصة القتل يوم عاشوراء ويخرق ثوبه ويكشف رأسه ويأمرهم بالقيام والتشنيع تأسفا على المصيبة يجب على ولاة الدين أن يمنعوه، والمستمعون له لا يعذرون فى الاستماع.

قال الإمام الغزالى وغيره: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاية ما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج على بعض الصحابة والطعن فيهم، وهم أعلام الدين الذين تلقى عنهم أئمة الدين وتلقينا عنهم،

والطاعن فيهم طاعن في نسبه ودينه، وقال الإمام الشافعي وجماعة من السلف: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا. انتهى.

فليس لاتخاذ يوم عاشوراء مأتما مستند يتخرج عليه. بخلاف المولد الشريف فقد فهمت مستنده، بل هو متعدد، فقد قال الحافظ الجلال السيوطي، رحمه الله: وقد ظهر لى تخريجه، يعنى عمل المولد، على أصل آخر، يعنى غير ما ذكره الحافظ ابن حجر، وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس أن النبى ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة، مع أنه قد ورد أن جده عبدالمطلب عق عنه فى سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن هذا الذى فعله النبى ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، وتشريع لأمته، كما كان يصلى على نفسه لذلك، فيتسحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات. انتهى.

قال شيخ مشايخنا النجم الغيطى، رحمه الله: وما ذكره الحافظ ابن حجر من التخريج أنسب وأظهر مما ذكره الحافظ الجلال، كما هو الظاهر، لأن فعل صوم عاشوراء يتكرر كل عام، وهو فى وقت معين، فكان عمل المولد المذكور مثله، بخلاف العقيقة فإنها لا تتكرر، وليس مختصة بوقت معين لا تتقدم عليه ولا تتأخر، لأن ما فعله جده عبدالمطلب من العقيقة لم يقع عنه، لأن ذلك كان قبل الشرع فلا يتعلق به حكم، والعقيقة التى فعلها النبى ﷺ عنه بعد النبوة، على تقدير صحتها، كانت بعد الشرع، فهى المشروعة، والواقعة عنه، لأنه بعد ولادته لم يقع عنه عقيقة مشروعة، وقد قالت أئمتنا: إن من بلغ ولم يعق عنه فحسن أن يعق عن نفسه، على أن ما ورد من أنه ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة حديث منكر، كما قاله ابن حجر وغيره، بل قال النووى فى [شرح المهذب]: إنه حديث باطل، فعليه يسقط التخريج المذكور أيضا بالأولى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قلت: وما ذكره النجم من أن العقيقة لا تتكرر إنما هو بالنسبة للمولود الواحد، أما إذا تعدد فإنها تتعدد أيضا، كما هو مذهبنا، وما ذكره أيضا من أنها ليست مختصة بوقت معين فليس مذهبنا، بل المذهب انها مختصة به، فتكون فى سابع الولادة لا قبله اتفاقا ولا بعده، فإن فات فاتت على المشهور كما علمته آنفا.

قال الجلال: وأما قول الفاكهانى: بل هو بدعة أحدثها البطالون الخ، يقال عليه: إنه أحدث من غير نكير منهم وارتضاه ابن دحية وصنف من أجله كتابا، فهؤلاء علماء متدينون رضوه وأقروه ولم ينكروه. وقوله: ولا مندوبا، لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع. يقال عليه: إن الطلب فى المندوب تارة يكون بالنص وتارة يكون بالقياس، وهذا وإن لم يرد فيه نص ففيه القياس على الأصلين، يعنى السابقين فى التخريج، وقد علمتهما. وقوله: ولا جائز أن يكون مباحا، لأن الابتداع فى الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين. كلام غير مستقيم، لأن البدعة لم تنحصر فى الحرام والمكروه، بل قد تكون أيضا مباحة ومندوبة وواجبة. انتهى.

وحاصل القول فى البدعة أنها، لغة: ما كان مخترعا على غير مثال سابق، وشرعا: ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص أو العام، بل يكون الحامل عليه مجرد الشهوة والإرادة، أما ما أحدث مما له أصل فى الشرع، إما بحمل النظير على النظير أو بغير ذلك، فإنه حسن، إذ هو سنة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، ومن ثم قال عمر رضى الله عنه فى التراويح: نعمت البدعة هى، وليس ذلك مذموما بمجرد لفظ محدث أو بدعة، فإن القرآن باعتبار لفظه وإنزاله وصف بالمحدث، أول سورة الأنبياء، وإنما منشأ الذم ما اقترن به من مخالفة السنة ودعايته إلى الضلالة.

وهى من حيث هى منقسمة إلى خمسة أقسام:

واجب: وهو ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع، كتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها الضياع، فإن التبليغ لمن بعدنا من القرون واجب إجماعا، وإهمال ذلك حرام إجماعا، زاد بعض المتأخرين: ومن البدع الواجبة على الكفاية الاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة كالنحو والصرف والمعانى والبيان واللغة، بخلاف العروض والقوافى ونحوهما، وكالجرح والتعديل وتمييز صحيح الأحاديث من سقيمها، وتدوين نحو الفقه وأصوله وآلاته، والرد على نحو القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة، لأن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما

زاد على المتعين كما دلت عليه القواعد الشرعية، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب.

حرام: وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم وأدلته من الشريعة، كالمحدثات من المظالم التى اخترعتها الأهواء بغيا، ولا ينبغى أن تلتبس هذه البدع بالحقوق التى تقررها الحكام على الرعايا بمقتضيات الأحوال عند تعطيل أموال الزكاة لإقامة سائر الممالك، والمحدثات المنافية لقواعد الشريعة كتقديم الجهال على العلماء، وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح لها بطريق التوارث، وجعل المستند فى ذلك كون المنصب كان لأبيه وهو نفسه ليس بأهل، زاد بعضهم من البدع المحرمة الاشتغال بمذاهب سائر أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة.

ومندوب إليه: وهو ما تناولته قواعد الندب وأدلته، كصلاة التراويح، وإقامة صور الأئمة والقضاة وولاة الأمور على خلاف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، بسبب أن المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل إلا بعظمة الولاة فى نفوس الناس، وكان الناس فى زمن الصحابة رضوان الله عليهم تعظيمهم إنما هو بالدين وسابق الهجرة، ثم اختل النظام، وذهب ذلك القرن، وحدث قرون أخر لا يعظمون إلا بالصورة فتعين تفخيم الصور حتى تحصل المصالح، وقد كان عمر رضى الله عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف شاة فى كل يوم لعلمه بأن الحالة التى هو عليها لو عملها غيره لهان فى نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة، فاحتاج إلى أن يضع غيره فى صورة أخرى لحفظ النظام، ولذلك لما قدم الشام ووجد معاوية بن أبى سفيان قد اتخذ الحُجّاب وأرخى الحجَاب واتخذ المراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك ما يسلكه الملوك سأله عنَ ذلك، فقال له: إنا بأرض نحن فيها محتاجون لهذا، فقال له: لا آمرك ولا أنهاك! ومعناه أنت أعلم بحالك، هل أنت محتاج إلى هذا، فيكون حسنا، أو غير محتاج إليه، فلا يسوغ لك التخلق به، فدل ذلك من عمر رضى الله عنه وغيره على أن أحوال الأئمة وولاة الأمور تختلف باختلاف الأمصار والأعصار والقرون والأحوال، فكذلك يحتاجون إلى تجديد زخارف وسياسات لم تكن قديما، وربما وجبت فى بعض

الأحوال. زاد بعض المتأخرين، ومن البدع المندوبة إحداث نحو الرّبط والمدارس وكل إحسان لم يعهد فى العصر الأول، والكلام على دقائق التصوف، والجدل، وجمع المحافل والاستدلال فى المسائل العلمية إن قصد بذلك وجه الله تعالى.

ومكروه: وهو ما تناولته أدلة الكراهة من الشريعة وقواعدها، كتخصيص الأيام الفاضلة أو غيرها بنوع من العبادة، وكذلك فى الصحيح خرجه مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ نهى عن تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلتها بقيام، ومن هذا الباب الزيادة فى المندوبات المحدودات كما ورد فى التسبيح عقب الفريضة ثلاثة وثلاثين فيفعل مائة، وورد صاع فى زكاة الفطر فيجعله عشرة أصوع، بسبب أن الزيادة فيها إظهار الاستظهار على الشارع وقلة أدب معه، بل شأن العظماء إذا حددوا شيئا وقف عنده وعد الخروج عنه قلة أدب، ولذلك، نهى مالك، رحمه الله، عن اتصال صيام ستة أيام من شوال برمضان لئلا يعتقد أنها من رمضان، وخرج أبوداود أن رجلا دخل إلى مسجد رسول الله ﷺ فصلى الفرض وقام ليصلى ركعتين فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه: اجلس حتى تفصل بين فرضك ونفلك فبذا هلك من كان قبلنا، فقال له رسول الله ﷺ: «أصاب الله بك يا ابن الخطاب» يريد عمر أن من قبلنا وصلوا النوافل بالفرائض فاعتقدوا الجميع واجبا، وذلك تغيير للشرائع، وهو حرام إجماعا. زاد بعضهم: ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف. انتهى.

ولكن قياسا على ما ذكره القليوبى بأن الاحتفال بالجنائز كان بدعة ثم بعد أن دلت على التعظيم صارت مقبولة، فلا مانع أن يقاس عليها زخرفة المساجد والمصاحف، والمدار على النية وتحكيم الأحوال.

واعلم أن حكمنا على الزائد على التسبيح بالكراهة إنما هو من حيث زيادته، فلا ينافى قول النووى وغيره: إنه يثاب عليه، يعنى من حيث إنه ذكر والله أعلم.

ومباح: وهو ما تناولته الإباحة وقواعدها من الشريعة، كاتخاذ المناخل للدقيق، ففى الآثار: أول شئ أحدثه الناس بعد رسول الله ﷺ اتخاذ المناخل، لأن لين العيش وإصلاحه من المباحات، فوسائله مباحة. زاد بعضهم: ومن البدع المباحة التوسع فى لذيذ المآكل والمشارب والملابس، وتوسيع الأكمام.

بما تقرر علم أن قوله ﷺ : «إياكم ومحدثات الأمور»، عام أريد به خاص، إذ سنة الخلفاء الراشدين منها مع أنا أمرنا باتباعها لرجوعها إلى أصل شرعى . قال بعض المتأخرين : وكذلك سنتهم عام أريد به خاص، إذ لو فرض خليفة راشد فى عامة أمره سن سنة لا يعضدها دليل شرعى امتنع اتباعها، ولا ينافى ذلك رشده، لأنه قد يخطئ المصيب ويزيغ المستقيم يوما ما، ففى الحديث: «لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة»، ولنا قاعدة وهى: كل حكم أجازه الشارع أو منعه وأمكن رده إلى أحدهما فهو واضح، فإن أجازه مرة ومنعه أخرى فالثانى ناسخ للأول، وإن لم يرد عنه إجازته ولا منعه ولا أمكن رده إليهما بوجه ففيه الخلاف قبل ورود الشرع، والأصح أن لا حكم فلا تكليف فيه بشىء، وقيل يرجع فيه إلى المصلحة والسياسة فما وافقهما منه أخذ به وما لا ترك . كذا قال بعض المتأخرين، ولا شك في حسنه .

وقد تكلم الإمام أبوعبدالله بن الحاج فى كتابه [المدخل] على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جدا، وحاصله: مدح ما كان فيه من إظهار شعار وشكر، وذم ما احتوى عليه من محرمات ومنكرات .

وقال الحافظ: أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى فى عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا .

وقال العلامة صدرالدين موهوب بن عمر الجزرى الشافعى: هذه بدعة لا بأس بها، ولا تكره البدع إلا إذا راغمت السنة، وأما إذا لم تراغمها فلا تكره، ويثاب الإنسان بحسب قصده فى إظهار السرور والفرح بمولد النبى ﷺ ، وقال فى موضع آخر هذه بدعة لا بأس بها، ولكن لا يجوز له أن يسأل الناس، بل إن كان يعلم أو يغلب على ظنه أن نفس المسؤول تطيب بما يعطيه فالسؤال لذلك مباح أرجو أن لا ينتهى إلى حد الكراهة .

وقال العلامة نصيرالدين المبارك، الشهير بابن الطباخ: ليس هذا من السنن،

ولكن إذا أنفق المنفق فى هذا اليوم أو تلك الليلة وأظهر السرور فرحا بمولده ﷺ ودخوله فى الوجود، وجمع جمعا أطعمهم ما يجوز، واتخذ السماع الخالى عن اجتماع الأحداث وإنشاد ما يثير نار الشهوة من العشيقات والمشوقات للشهوات الدنيوية كالقد والخد والعين والحاجب، وأنشد ما يشوق إلى الآخرة ويزهد فى الدنيا، ودفع للمسمع ملبوسا فهذا اجتماع حسن جائز يثاب قاصد ذلك وفاعله عليه إذا أحسن القصد، ولا يختص ذلك بالفقراء دون الأغنياء إلا أن يقصد مواساة الأحوج فالفقراء أكثر ثوابا، إلا أن سؤال الناس ما فى أيديهم لذلك فقط بدون ضرورة وحاجة ومكروه، واجتماع الصلحاء فقط ليأكلوا ذلك الطعام ويذكروا الله تعالى ويصلوا على رسوله ﷺ يضاعف القربات والمثوبات، أما إذا كان الاجتماع مما ينهى عنه شرعا فإنه مجمع آثام.

وقال الحافظ أبوالخير السخاوى فى فتاويه: عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح فى القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدث بعد، ثم لا زال أهل الاسلام فى سائر الأقطار والمدن الكبار يحتفلون فى شهر مولده ﷺ بعمل الولائم البديعة المشتملة على الأمور البهيجة الرفيعة، ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون فى المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم. انتهى.

وقال العلامة أبوالخير ابن الجزرى المقرى: من خواصه أنه أمان فى ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام، ولو لم يكن فى ذلك إلا إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمان، وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيدا أكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر، وأكثر الناس عناية بذلك أهل مكة المشرفة، ثم أهل المدينة المنورة، ثم أهل مصر، خصوصا فى السنين المتقدمة، ثم غيرهم، تقبل الله عملهم، وأول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين، وبه اقتدى فى ذلك السلطان الملك المظفر صاحب إربل، فكان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا. (حكى) عنه بعض من حضر سماطه فى بعض الموالد أنه عد فى ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم شوى

وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية، أي من الطعام، وثلاثين ألف صحن حلوى، وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم، يعنى الأعطية، وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، ولما اجتاز الحافظ ابن دحية بإربل ووجد ملكها المظفر يعتنى بالمولد الشريف عمل له [كتاب التنوير فى مولد البشير النذير] وقرأه عليه بنفسه فأجازه على ذلك بألف دينار.

وقد عمل المحبون للنبى ﷺ فرحا بمولده الولائم، فمن ذلك ما عمله بالقاهرة المعزية من الولائم الكبار الشيخ أبوالحسن، المعروف بابن قفل، قدس الله سره، شيخ العلامة أبى عبدالله محمد بن النعمان، ومن ذلك ما عمله الشيخ يوسف الحجار، بمصر أيضا، وقد رأى النبى ﷺ وهو يحرضه على عمل ذلك، قال وسمعت يوسف بن على بن زريق، الشامى الأصل المصرى المولد، الحجار بمصر، فى منزله بها حين يعمل مولد النبى ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام منذ عشرين سنة، وكان لى أخ فى الله تعالى يقال له الشيخ أبوبكر الحجار، فرأيت كأننى وأبا بكر هذا بين يدى النبى ﷺ جالسين، فأمسك أبوبكر لحية نفسه وفرقها نصفين وذكر للنبى ﷺ كلاما لم أفهمه، فقال النبى ﷺ، مجيبا له: لولا هذا لكانت هذه فى النار ودار إلىّ وقال: لأضربنك، وكان بيده قضيب، فقلت: لأى شىء يا رسول الله؟ فقال: حظى لا تبطل المولد ولا السنن، قال يوسف: فعملته منذ عشرين سنة. إلى أن قال: وسمعت يوسف المذكور يقول: سمعت أخى أبابكر الحجار يقول: سمعت منصور النشار يقول: رأيت النبى ﷺ فى المنام يقول لى: قل له لا يبطله، يعنى المولد، ما عليك ممن أكل وممن لم يأكل.

وسمعت شيخنا أباعبدالله بن أبى محمد النعمان يقول: سمعت الشيخ أبا موسى الزرهوتى يقول: رأيت النبى ﷺ فى النوم فذكرت له ما يقوله الفقهاء فى عمل الولائم فى المولد، فقال ﷺ: من فرح بنا فرحنا به.

وقال الشيخ جلال الدين، المعروف بالمخلص: مولده ﷺ مجمل مكرم، قدس يوم ولادته وشرف وعظم، وكان وجوده مبدأ سبب النجاة لمن اتبعه، وتقليل

حظ جهنم ممن أعد لها الفرحة بولادته ﷺ ، ونمت بركاته على من اهتدى به، فشابه هذا اليوم يوم الجمعة من حيث أن يوم الجمعة لا تسعر فيه جهنم، هكذا ورد عنه ﷺ ، فمن المناسب إظهار السرور، وإنفاق الميسور.

قال العلامة الشمس ابن الجوزى فى آخر كتابه [التعريف بالمولد الشريف]: فإن قيل: فلم لم تتخذ أمته ﷺ يوم مولده عيدا كما اتخذت أمة عيسى عليه السلام ليلة مولده عيدا؟ فالجواب: أنه لما كان يوم مولده ﷺ هو يوم وفاته تكافأ السرور بالعزاء، وهذا أحسن ما خطر لى فى ذلك، وقد يقال: إنه لما اختلف فيه لم يتعين، أو يقال: الأعياد توقيفية، ولم يشرع غير هذين اليومين، أو يقال: سدا للذريعة، وما أشرت إليه أولا ألطف وإلا ففى الحقيقة مولده ﷺ عيد وأى عيد، يشمل القريب من أمته والبعيد.

وبالجملة، فالاعتناء بوقت مولده الشريف ﷺ ، والإنشاد للمدائح النبوية والزهدية والعرفانية، وإطعام الطعام والصدقات السنية، أمر حسن منيف، يثاب فاعله الثواب الجزيل، بقصده الجميل، وإن كان عمله لم ينقل عن أحد من السلف الصالح والقرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدث بعدها، فلذلك كان بدعة حسنة عند من حقق العلم وأتقنه، ثم لازال أهل الإسلام فى سائر الأقطار والمدن العظام يحتفلون فى شهر مولده، خصوصا فى ليلة يعمل المولد بما ذكر، وإظهار السرور بذلك والحبور بتلك المسالك، وبعضهم يزيد على ذلك بقراءة ما صنف فى المولد الشريف، وما ورد فيه من الخبر الثابت المنيف، على أنه ليس قيدا فى استحباب عمل المولد المذكور، وإنما هو لزيادة الأجور.

ولما أتت ثويبة جارية عمه ﷺ أبى لهب إليه وبشرته بأنه قد ولد لأخيه عبدالله غلام أعتقها فى الحال.

ثم جعلها ترضعه بعد ولادته أياما، فرؤى بعد موته مناما، فقيل له: ما حالك؟ فقال: فى النار، إلا أنه يخفف عنى كل ليلة اثنين وأمص من بين إصبعى ماء بقدر هذا، وأشار إلى نقرة إبهامه، وإن ذلك باعتاقى لثويبة عندما بشرتنى بولادة محمد ﷺ وبإرضاعها له. وقد روى معناه عن النبى ﷺ ، فانظر يا أخى رحمك الله إلى هذه النكتة اللطيفة، إذا كان هذا حال أبى لهب الذى مات على دين قومه،

ونزل القرآن بذمه، جوزى فى النار بفرحه ليلة مولد النبى المختار ﷺ ، فما حال المسلم الموحد من أمته ﷺ الذى يسر بمولده، ويبذل ما تصل القدرة إليه فى محبته؟ لعمرى إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم، وما أحسن ما قاله الحافظ الشمس محمد بن ناصر الدين الدمشقى، رحمه الله، فى ذلك:

إذا كان من جاء الكتاب بذمه ... وتبّت يداه فى الجحيم مخلدا

أتى أنه فى يوم الاثنين دائما ... يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذى كان عمره ... بأحمد مسرورا ومات موحدا

وقد جرت العادة بأنه إذا ساق الوعاظ والمداح مولده ﷺ ، وذكروا وضع أمه له ﷺ ، قام أكثر الناس عند ذلك تعظيما له ﷺ ، وهذا القيام بدعة لا أصل لها، لكن لا بأس به لأجل التعظيم، بل هو فعل حسن ممن غلب عليه الحب والإجلال لذلك النبى الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وما أحسن قول الإمام أبى زكريا يحيى الصرصرى الحنبلى فى قصيدته النبوية:

قليل المدح المصطفى الخط بالذهب ... على فضة من خط أحسن من كتب

وأن ينهض الأشراف عند سماعه ... قياما صفوفا أو جثيا على الركب

أبى الله تعظيما له كتب اسمه ... على عرشه يا رتبة سمت الرتب

وقد اتفق أن منشدا أنشد هذه القصيدة فى ختم درس شيخ الإسلام تقى الدين أبى الحسن على السبكى، رحمه الله، وكان القضاة والأعيان مجتمعين عنده، فلما وصل المنشد إلى قوله:

*** وإن ينهض الأشراف عند سماعه ***

إلى آخر البيت، قام الشيخ للحال على قدميه امتثالا لما ذكره الصرصرى وقام الناس كلهم وحصلت ساعة طيبة. ذكر ذلك ولده التاج السبكى فى ترجمته من طبقاته.

* * *

اأعلم أن النهى عن المنكر واجب على الفور إجماعا، وأنه لا يختص بولاة الأمور، وهو إجماع، فإن المعلمين فى الصدر الأول وبعده كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من غير تكبر من أحد ولا توقف على إذن، بل لآحاد الرعية أن يغير المنكر بالقول والفعل، لكن إذا انتهى الأمر إلى نصب القتال وشهر السلاح ربط بولى الأمر حذرا من الفتنة، وإذا علق بالشروط الآتى بسطها فوجوبه على الحاكم أشد منه على من دونه، وعلى الرئيس المسموع القول أشد منه على من دونه، ومن ضعف سقط عنه التغيير إلا بالقلب، وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثلاثة شروط:

(الأول) أن يعلم ما يأمر به وينهى عنه، فالجاهل بالحكم لا يحل له النهى عما يراه ولا الأمر به.

(الثانى) أن يأمن من أن يؤدى إنكاره إلى منكر أكبر منه، كما إذا علم أنه إذا نهى عن الإيذاء بالضرب آل نهيه عن ذلك إلى قتل النفس أو نحوه.

(الثالث) أن يغلب على ظنه أن إنكاره المنكر مزيل له وأن أمره بالمعروف مؤثر فى تحصيله، وعدم أحد الشرطين الأولين يوجب التحريم، وعدم الثالث يسقط الوجوب ويبقى الجواز والندب.

ومن شروط الجواز أن يكون المنكر ظاهرا فى الوجود، من غير تجسس، فلا يسترق سمعا، ولا يستنشق ريحا ليتوصل بذلك إلى المنكر، ولا يبحث عما أخفى فى يده أو ثوبه أو دكانه أو داره، فإن السعى فى ذلك حرام، لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا** ﴾[1] نعم من علم اختلاء جماعة بمنكر كقتل نفس لزمه الهجوم بإزالته وإن كان فيه تسور جدار.

ثم إن مراتب الإنكار ثلاث، أقواها التغيير باليد، وهو واجب مع القدرة، فمن لم يقدر على ذلك انتقل للتغيير بالقول، وهى المرتبة الثانية، وليكن القول برفق لحديث: «من أمر مسلما بمعروف فليكن أمره ذلك بالمعروف»، فإن عجز عن القول انتقل للمرتبة الثالثة، وهى الإنكار بالقلب، وهى أضعفها.

---

(١) الحجرات: ١٢.

وكل من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية، ما لم يحصل هناك انفراد به، وما لم ينصب الإمام له واحداً معينا، وإلا تعين عليه، ويجب على الإمام نصبه لذلك، وينبغي للآمر والناهى أن يكونا بصورة من يقبل منه ذلك، بأن يلبس من ثيابه ما يميزه ويعرف به ليطاع كلبس العمامة أو الطيلسان للعالم والسيف ونحوه للحاكم.

وفى البخارى من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما: «مثل القائم فى حدود الله تعالى والواقع فيهما كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها: فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا».

والقائم فى حدود الله معناه: المنكر لها القائم فى دفعها وإزالتها، والمراد بالحدود ما نهى الله عنه.

التحفة المكتبية
فى تقريب اللغة العربية

كلام بلا نحو طعام بلا ملح ونحو بلا شعر ظلام بلا صبح

[أتم الطهطاوى تأليفها يوم الثلاثاء ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٥هـ..
وطبعت سنة ١٢٨٦هـ.].

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل النحو للكلام كالملح للطعام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أعرب بأبلغ عبارة وأفصح إشارة عن مضمرات الأحكام، وعلى آله نصحاء الإسلام وفصحاء الأنام، وأصحابه الكرام، وآل بيته الأعلام.

ثم الدعاء ببقاء الدولة الإسماعيلية، ذات المآثر الجلية العلية المشيدة لقواعد العلوم والمعارف، والمؤيدة لمعاهد المجد التليد والطارف، حفظه الله وأنجاله الأنجاب، ويسر له ولهم من المقاصد الحسنة جميع الأسباب.

(وبعد) فإن المدارس المصرية قد أخذت فى عهد المليك المشارإليه فى التحسينات العصرية، وسعت زيادة عما مضى وتقدم فى ميدان السباق على ساق وقدم، ومع ذلك فالكامل، كما قيل، يقبل الكمال، وبصدق النيات الحسنة تتسع دوائر الأعمال، وتعتدل الأمور وتجرى على أقدار مقتضيات الأحوال. وقد حان للمكاتب والمدارس، التى هى فى الديار المصرية من أنفع المزارع والمغارس، أن تكتسب فى ميدان الفخار اكتمال الشرف والاعتبار، بهمة مديره النبيه النبيل، القليل المثيل، الذى قل أن يجارى فى اتساع دائرة معارفه ويشارك، حضرة صاحب العزة الرفيعة، الشأن على بك مبارك، فإنه خير من يعهد فيه صرف الاجتهاد والهمة فى تقديم المدارس وتتميم مقاصد ولى النعمة، فهو منذ تقليده بالإدارة، وتفويض

الأمر إليه فى الرياسة والنظارة، بادر بتقويم أود وسائط التقديم، وتكميل وسائل التعليم، وتأليف بعض رسائل فى العلوم والفنون متنوعة، لتكون بعموم نفعها فى عموم المدارس متبعة، وقد أشرك معه فى مواد التصنيف عدة أفراد، ممن لهم فى المعارف المخصوصة خصوصية الانفراد، فكان حظى من هذه القسمة العدلية، تأليف رسالة فى النحو سهلة المأخذ لدراسة المدارس الخصوصية والأولية، فجمعت هذه الرسالة، فجاءت ولله الحمد من محاسن الدولة الإسماعيلية، وأحاسن المنافع الوطنية الملية، تفى بالمرام، لجزالة اللفظ وحسن الانسجام، لاسيما وأنها مصوغة على أسلوب جديد، يقرب البعيد للمريد المستفيد، فلهذا سميتها بالتحفة المكتبية فى تقريب اللغة العربية، فهى جديرة بأن تعد من المحاسن التجديدية التى سمح بها عهد الدولة الإسماعيلية الأسعدية، حفظ الله ولى النعم، وأفاض عليه سحائب الجود والكرم، وسلك به أقوم طريق وأرشد طريقة، وجعل توفيقه رفيقه.

وقد رتبت هذا الكتاب على عدة أبواب.

الباب الأول

فى الكلام وأقسامه

النحو : فن تصحيح الكلام العربى كتابة وقراءة .

والكلام العربى يتألف من الكلمات .

والكلمة : قول مفرد مؤلف من حروف المبانى التى هى حروف الهجاء ، ألف ، باء ، إلى آخرها .

تنقسم الكلمة إلى ثلاثة أقسام ، وهى الاسم ، والفعل ، والحرف :

فالاسم : كلمة دلت على معنى فى نفسها بدون اقتران بزمن ، كزيد ، ورجل ، وأنت ، وهذا ، والذى .

والفعل : كلمة دلت على معنى فى نفسها واقترنت بزمن ، كقام ، ويقوم ، وقم ، وكان ، ويكون ، وكن .

والحرف : كلمة دلت على معنى فى غيرها ، كقد فى قولك : قد قام زيد ، أى تحقق قيام زيد ، فمعنى قد للتحقيق ، ونحو على فى قولك : صعدت على الجبل ، فمعنى على الاستعلاء ، ونحو : هل فى قولك : هل قام زيد؟ ومعناها الاستفهام ، لأنك تستفهم عن قيام زيد ، فقد وعلى وهل حروف دلت على معان فى غيرها ، فجميع الحروف الداخلة على الأسماء والأفعال تسمى حروف المعانى .

فالكلام العربى يتألف من أقسام الكلمة الثلاثة ، يعنى لا يخرج عنها ، وتسمى أجزاء الكلام .

مثال تركيب الكلام من الأجزاء الثلاثة : قد قام زيد ، وما قام زيد ، ومثال تركيبه من جزءين هما الاسم والفعل : قام زيد ، ومثال تركيبه من جزء واحد وهو نوع الاسم تركيبه من اسمين نحو : زيد قائم .

ولا يتركب الكلام من فعلين ولا حرفين ولا من أفعال وحروف بدون انضمام الاسم إليهما .

وتعريف الكلام عند النحاة هو : اللفظ العربى المركب المفيد ، كقول : الله موجود ، والعلم نافع ، وما أشبه ذلك ، فإذا لم يفد اللفظ المركب فائدة تامة لم يكن كلاما ، كقولك : إن كان العلم نافعا .

الباب الثانى

فى الاسم وأقسامه

ينقسم الاسم إلى ظاهر ومضمر ومبهم، وكل من هذه الثلاثة ينقسم إلى مذكر ومؤنث، مفرد ومثنى ومجموع.

فالمظهر المذكر المفرد نحو: زيد رجل، والمظهر المذكر المثنى نحو: الزيدان فى قولك جاء الزيدان والزيدين فى قولك رأيت الزيدين ومررت بالزيدين، والمظهر المذكر المجموع نحو قولك: جاء الزيود وجاء الزيدون ورأيت الزيدين ومررت بالزيدين. والمظهر المفرد المؤنث نحو: هند من قولك قامت هند! والمظهر المثنى المؤنث نحو: الهندان من قولك قام الهندان، والهندين من قولك: رأيت الهندين ومررت بالهندين، ومثال المظهر المؤنث المجموع الهنود من قولك: قامت الهنود، ونحو الهندات من قولك: قامت الهندات.

فكيفية تثنية المظهر أن تزيد فيه الألف والنون أو الياء والنون، فتقول فى تثنية رجل رجلان ورجلين فى نحو قام الرجلان ورأيت الرجلين، وتقول فى تثنية مسلم مسلمان ومسلمين بكسر نون المثنى.

كيفية جمع المظهر المذكر أو المؤنث جمع تكسير أن يكون المفرد قد تغيرت حالته فى الجمع بغير صيغة جمع التصحيح كرجل إذا جمع على رجال وهند إذا جمع على هنود وزيد إذا جمع على زيود ونائم إذا جمع على نيام وعجوز على عجائز.

وكيفية جمع التصحيح فى المذكر أن يزيد فيه الواو والنون أو الياء والنون كالزيدون والزيدين.

والذى يجمع من المذكر جمع تصحيح يكون من الأعلام كزيد وعمرو من الصفات كصالح وطالح ولا يكون من النكرات الجامدة ولا من أسماء الأجناس كرجل وأسد وقوم، فهذه لا تجمع إلا جمع تكسير، فتجمع على رجال وأسود وأقوام.

وأما جمع التأنيث فيكون بزيادة الألف والتاء على لفظ المفرد المؤنث، نحو هندات وقائمات فى جمع هند وقائمة، وقد تجمع بعض المفردات المذكرة جمع تأنيث اصطبل وحمام فتقول فى جمعها اصطبلات وحمامات.

والصفات المشتقة المذكرة كمسلم ومؤمن يكون تأنيثها بزيادة تاء التأنيث المتحركة فى آخرها، فتقول فيهما مسلمة ومؤمنة. هذا ما يتعلق بالاسم المظهر.

وأما الاسم المضمر، ويسمى أيضا بالضمير، وهو الذى يكنى به عن الاسم الظاهر، فمفرده للمذكر هو وأنت والتاء فى ضربت وضربت، بضم التاء وفتحها، والكاف فى ضربتك وإياك فى قولك ما ضربت إلا إياك، فهذه كلها ضمائر للمفرد المذكر.

وضمائر المفرد المؤنث هى وأنت، بكسر التاء، وضربتُ، بضم التاء، للأنثى فى حالة التكلم، وأنت، بكسر التاء للأنثى المخاطبة، وضربك، بكسر الكاف لها أيضا، وإياك، بكسرَ الكاف لها أيضا، وبكِ، بكسر الكاف للَمخاطبة أيضا، فى قولك مررتَ بك.

والضمائر الدالة على الاثنين فى حالتى التذكير والتأنيث هما للغائبين، وأنتما للمخاطبين، وإياكما لهما أيضا، والكاف بعدها ما فى ضربتكما ومررت بكما وأقبلت عليكما، وما أشبه بذلك.

والضمائر الدالة على الجمع فى المذكر هم وأنتم وضربتكم ومررت بكم، وما أشبه ذلك، وفى جمع المؤنث هن نحوهن يقمن، والكاف مع النون المشددة فى نحو ضربتكن ومررت بكن، وكذلك من ضمائر جمع المؤنث إياكن نحو ما ضربت إلا إياكن.

وستأتى الضمائر فى محالها مع انقسامها إلى ضمائر رفع وضمائر نصب وضمائر خفض وبيان المتصل منها والمنفصل.

وأما الاسم المبهم فهو أسماء الإشارة والموصولات، فاسم الإشارة المفرد المذكر ذا، ويلحقه غالبا ها التنبيه، نحو هذا زيد وهذا رجل، كما تقول أيضا ذا زيد وذا رجل، وقد تلحقه أيضا اللام أو الكاف أو هما معا للدلالة على البعد، فتقول ذاك الرجل وذلك الرجل، وقد تجتمع كاف الخطاب مع ها التنبيه فتقول هذاك الرجل.

ويشار للمفردة المؤنثة بلفظ ت وتلحقها لام البعد وكاف الخطاب نحو تلك المرأة صالحة، وقد تشبع التاء وتلحقها كاف الخطاب، فتقول تيك المرأة صالحة، وللمؤنثة ألفاظ أخرى من هذا القبيل.

ويشار إلى الاثنين المذكرين بهذان فى قولك جاءنى هذان الرجلان وبهذين فى قولك رأيت هذين الرجلين ومررت بهذين الرجلين.

ويشار إلى المثنى المؤنث بهاتان فى قولك جاءنى هاتان المرأتان ورأيت هاتين المرأتين ومررت بهاتين المرأتين.

فمدار الدلالة على المثنى فى اسم الإشارة زيادة الألف والنون أو الياء والنون على صورة تثنية الاسم المظهر، وأما الدلالة على الجمع فى اسم الإشارة فلها لفظ واحد هو لفظ أولاء فيشار به لجمع المذكر والمؤنث وتلحقه كاف الخطاب فى آخره أو ها التنبيه فى أوله نحو أولئك الرجال حاضرون وأولئك النساء حاضرات وانظر إلى هؤلاء الرجال الحاضرين وإلى هؤلاء النساء الحاضرات.

فهذا هو القسم الأول من المبهم.

وأما القسم الثانى منه وهو الموصول، أى الذى لا يفهم معناه إلا بذكر صلته، فللمفرد المذكر منه الذى وللمفرد المؤنث منه التى، تقول جاءنى الرجل الذى قام أبوه، وجاءتنى المرأة التى قام أبوها، وللدلالة على المثنى المذكر اللذان واللذين، تقول جاءنى الرجلان اللذان قاما ورأيت الرجلين اللذين قاما ومررت بالرجلين اللذين قاما. وللدلالة على المثنى المؤنث اللتان واللتين، تقول: جاءنى المرأتان اللتان قامتا ورأيت المرأتين اللتين قامتا ومررت بالمرأتين اللتين قامتا، فكيفية الدلالة على التثنية فى الموصول زيادة الألف والنون أو الياء والنون كاسم الإشارة وكتثنية

المظهر. وأما يدل على جمع الذكور فى الموصول لفظ الذين، فتقول جاءنى الذين قاموا ورأيت الذين قاموا ومررت بالذين قاموا، فقد زدت على المفرد وهو الذى الياء والنون، وللموصول أيضا فى الجمع لفظ يستوى فيه المذكر والمؤنث وهو الألى، تقول جاءنى الرجال الألى قاموا النساء الألى قمن، وللموصول أيضا لفظ من، ويستوى فيه المفرد مذكرا أو مؤنثا مثنى كل منهما أو جمعا، تقول يعجبنى من حضر ومن حضرت ومن حضرا ومن حضرتا ومن حضروا ومن حضرن، ويخص بجمع المؤنث لفظ اللاتى واللائى تقول جاءنى النساء اللاتى قمن واللائى قمن.

وينقسم الاسم المظهر إلى مقصور وناقص

فالمقصور ما كان آخره ألفا لازمة كالفتى والعصى والرحى والهدى والأسارى والعذارى.

والمنقوص ما كان فى آخره ياء ساكنة لا تتحرك إلا بالفتح كالقاضى والهادى والداعى ونحو ذلك.

وينقسم المظهر الأسماء الخمسة وهي أبوك وأخوك وحموك وفوك وذو مال.

ومن أقسام المظهر أيضا إلى علم ونكرة، فالعلم ما وضع على شىء معين لا يشترك فيه ما أشبهه كزيد وعمرو وبكر وخالد.

والنكرة هى كل اسم شائع فى جنسه لا يختص به واحد من أفراده دون الآخر كإنسان ورجل وفرس وما أشبه ذلك، وتتعرّف النكرة بالإضافة لمعرفة أو بدخول الألف واللام والعلم أحد المعارف الستة، والثانى من المعارف الضمير، والثالث اسم الإشارة، والرابع الموصول، والخامس الذى فيه الألف واللام، وقد تقدمت أمثلتها، والسادس المضاف إلى واحد من المعارف الخمسة، نحو غلام زيد وغلامك وغلام هذا وغلام الذى قام وغلام الرجل. فالمعارف من الاسم المظهر ثلاثة وهى العلم والمعرّف بالألف واللام والمضاف إلى معرفة، وباقى المعارف من المضمر والمبهم.

فجميع الضمائر معارف وكذلك أسماء الإشارة والموصولات.

الباب الثالث

فى الفعل وأقسامه

كما انقسم الاسم إلى ثلاثة أقسام ينقسم الفعل أيضا إلى ثلاثة أقسام: ماض، ومضارع، وأمر، فالماضى: ما دل على حدث فى زمن وقع وانقطع كقام ونام وأكل وشرب، والمضارع: ما دل على حدث فى زمن يقبل الحال والاستقبال كيقوم وينام ويأكل ويشرب، والأمر ما دل على الطلب فى الحال كقم ونم وكل واشرب.

وينقسم الفعل أيضا إلى قسمين، إلى أفعال تامة، كالأفعال المتقدمة التى ترفع الفاعل ومنها ما ينصب المفعول، وإلى ناقصة وهى التى ترفع اسما وتنصب خبرا وهى كان وأخواتها نحو كان الله غفورا رحيما.

وتنقسم الأفعال إلى صحيحة ومعتلة، فالصحيح ما لم يكن آخره واحدا من حروف العلة الثلاثة وهى الواو والألف الياء نحو ضرب ويضرب وكان ويكون، والمعتل ما كان آخره حرفا من حروف العلة الثلاثة نحو يخشى ويدعو ويرمى.

وجميع هذه الأفعال تحتاج إلى فاعل تسند إليه، مفردا كان أو مثنى أو مجموعا، مظهرا أو مضمرا أو مبهما، مذكرا أو مؤنثا.

فمن الفعل المضارع الأفعال الخمسة المسندة إلى ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المؤنثة المخاطبة، وتسمى بالأمثلة الخمسة وهى يفعلان وتفعلان ويفعلون وتفعلون وتفعلين، فهى موازين يقاس عليها سائر الأفعال نحو يأكلان ويشربان للمثنى الغائب المذكر وتأكلان وتشربان للمثنى المخاطب المذكر والمؤنث فى قولك أنتما يا زيدان تأكلان وأنتما يا هندان تأكلان وللمثنى الغائب المؤنث نحو الهندان

تأكلان وفى الجمع المذكر يأكلون للغائب وتأكلون للمخاطب وفى خطاب المؤنثة تأكلين وهكذا .

وجميع الأفعال تعمل فى الأسماء ما تقتضيه من الرفع والنصب بالأصالة فترفع الفاعل وتنصب المفعول نحو ضرب زيد عمر وكان زيد قائما . وما يعمل الرفع أو النصب من الحروف فإنما يكون عمله لشبهه بالأفعال نحو إن فى قولك إن زيدا قائم ، فإن هذه الجملة فى قوة قولك أكد قيام زيد .

الباب الرابع

فى الحرف وأقسامه

كما انقس كل من الاسم والفعل إلى ثلاثة أقسام كذلك ينقسم الحرف إلى ثلاثة أقسام أيضًا، حرف مختص بالاسماء، وحرف مختص بالأفعال، وحرف مشترك بين الأسماء والأفعال، فمثال الحرف المختص بالأسماء من وإلى وعن وعلى، تقول أخذت الكتاب من زيد، وذهبت إلى الجامع، وأخذت العلم عن أهله، واطلعت على كتب العلوم، فزيد والجامع وأهل وكتب أسماء، لاختصاص هذه الحروف بها وقبول دخولها عليها.

ومثال الحرف المختص بالأفعال قد ولم، تقول قد قامت الصلاة، ولم يقم زيد، فقام ويقم أفعال، لاختصاص قد ولم بها دون الدخول على الأسماء.

فالحروف المختصة بالأسماء علامة على اسميتها، والحروف المختصة بالأفعال علامة على فعليتها.

المختصة بالأسماء، فى الغالب، تعمل فيها العمل الخاص بالأسماء وهوالخفض، كحروف الجر نحو مررت بزيد، وقد تعمل فيها العمل غير الخاص بالأسماء كالنصب، وذلك كإن وأخواتها، فإنها خاصة بالأسماء وتعمل العمل العام وهو النصب نحو إن زيدا قائم ولعل الحبيب قادم.

والغالب أيضا أن الحروف الخاصة بالأفعال تعمل فيها العمل الخاص بالأفعال، وهو الجزم، كالحروف الجوازم، وقد تعمل الحروف المختصة بالأفعال

النصب فيها وهو عام كالنواصب : ومن الحروف ما ليس له عمل فى الأسماء ولا فى الأفعال وإن كان مختصا بها نحو قد والسين وسوف ، فهى خاصة بالأفعال بدون تأثير ولا عمل ، وكحرف التعريف نحو أل فى الرجل فإنه لا يعمل فى مدخوله عملا .

الباب الخامس

فى العلامات المميزة لكل من الاسم والفعل والحرف عن الآخر

من علامات الاسم المميزة له عن الفعل والحرف الخفض بحرف من حروف الجر ؛ نحو مررت بزيد ، وذهبت إلى زيد ، تباعدت عن زيد ، فزيد اسم لوجود الخفض بالحرف الخافض فى آخره ، وكذلك يعرف بالخفض بالإضافة فى كل تركيب إضافى نحو غلام زيد وخاتم فضة فزيد وفضة اسمان لوجود الخفض بالإضافة فى آخر كل منهما .

ومن علامات الاسم المميزة له التنوين الذى هو نون ساكنة تلحق آخر الاسم لفظا لا خطا ، نحو زيد ورجلٍ وصه ومسلمات وكلٍّ وبعضٍ وحينئذٍ وجوارٍ وما أشبه ذلك ، فهذه كلها أسماء لوجود التنوين فى آخرها .

ومن علامات الاسم الداخلة عليه فى أوله الألف واللام للتعريف نحو الرجل والغلام .

ومن تلك العلامات أيضا حروف الخفض وهى من وإلى وعن وعلى وفى ورب والباء والكاف واللام ، نحو ركبت على الفرس ، والماء فى الكوز ، ورب رجل كريم لقيته ، وزيد كالبدر ، والملك لله .

ومن حروف الجر للمميزة للاسم حروف القَسَم ، وهى الواو والباء والتاء ، نحو والله وبالله وتالله .

وقد يجتمع فى الاسم عدة علامات نحو مررت برجل وبالرجل وبغلام زيد ،

فإن هذه الأسماء فيها علامة واحدة فى أولها وهى الخافض وعلامتان فى آخرها وهى الخفض والتنوين.

ثم إن حروف الخفض هى أنفع علامات الاسم فى تمييزه، فإنها تدخل على أقسام الاسم الثلاثة:

المظهر، والمضمر، والمبهم، نحو مررت بزيد، وبك، وبه إلى آخره، ومررت بهذا، وبالذى قام.

ومن علامات الاسم الأكثر تمييزا له عن غيره الحديث عنه، يعنى الإسناد إليه، نحو قمت وقعدت، وضربت، فإسناد القيام والقعود والضرب إلى تاء المتكلم فى هذه الأفعال علامة على اسميتها، ولولا هذه العلامة لما تميزت عن غيرها ولا عرفت اسميتها.

ومن علامات الاسم المميزة له النداء، نحو يا زيد، ويا رجل، ويا هذا، ويا هؤلاء.

وللاسم علامات غير ما ذكر، وهى كثيرة، فمنها إن وأخواتها، وسيأتى ذكرها، نحو إن زيدا قائم، وليت عمرا حاضر، ومنها ياء النسبة المشدَّدة نحو هاشمى وقرشى وشافعى ومالكى ومضرى ورومى، فهاشم وقريش وشافع ومالك ومضر وروم كلها أسماء لدخول ياء النسب عليها، وهذه العلامات لا يشترط فى دلالتها على الاسم دخولها عليه بالفعل بل يكفى قبوله لها وصحة دخولها عليه.

مثلا إذا أردنا أن نعرف كلمة هل هى اسم أو غير اسم فإنا نعرض عليها علامات الاسم فمتى قبلت ولو علامة واحدة منها علمنا أنها اسم، فلفظ كم لا يقبل دخول الألف واللام ولا التنوين ولا النداء وإنما يقبل باء الجر نحو بكم درهم اشتريت هذا الفرس؟ فبقبوله للباء عرفنا أنه اسم، وقس على ذلك من وما وغيرهما.

ومن علامات الفعل المميزة له عن الاسم والحرف قد، وتدخل على الماضى، وتكون للتحقيق، نحو ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ (1)، وتكون

---

(1) الفتح: ٢٧.

للتقريب، نحو قد قامت الصلاة، وتدخل على المضارع، وتكون للتحقيق، نحو قد يعلم الله، وللتقليل، نحو قد يصدق الكذوب، وقد يجود البخيل.

ومن علامات الفعل الماضى تاء التأنيث الساكنة أصالة، نحو قامت هند، وقالت امرأة العزيز، وتحريكها فى المثال الأخير لالتقاء الساكنين، وإذا أسند الفعل الماضى إلى ألف تثنية تحركت هذه التاء بالفتح نحو قالتا وقامتا ونحو ذلك، فهى ساكنة بحسب الأصل.

ومن العلامات الخاصة بالمضارع السين التى للتنفيس، أى الزمن القريب، نحو سيقوم زيد، يعنى قريبا، وقد تدل السين على الدوام والاستمرار، نحو سأحمد ربى طاعة وتعبدا.

ومن علامات المضارع أيضا سوف، ومعناها التسويف، أى الزمن البعيد، نحو سوق يقوم زيد، أى يقوم زيد بعد زمن بعيد.

ومن علامات المضارع أيضا المميزة له عن غيره حروف المضارعة الأربعة، وهى الألف والنون والياء والتاء، ويجمعها قولك: (أنيت)، فالمضارع المبدوء بألف المضارعة نحو أقوم يدل على المتكلم وحده، والمضارع المبدوء بنون المضارعة يكون للمتكلم ومعه غيره أو المعظم نفسه نحو نقوم، والمبدوء بياء المضارعة يدل على الغائب نحو يقوم زيد، والمبدوء بالتاء يدل على المخاطب نحو أنت تقوم، ويدل أيضا على المؤنثة الغائبة نحو هند تقوم، فهذه كلها أفعال مضارعة لابتدائها بأحرف المضارعة الدالة على ما ذكر.

وعلامة الأمر المميزة له عما عداه هى دلالته على الطلب وقبوله ياء المؤنثة المخاطبة، نحو قم وكل، فإنه يصح أن تقول فيه: قومى وكلى، قال تعالى: ﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا** ﴾(٢).

فإن دلت الكلمة على الطلب ولم تقبل ياء المؤنثة المخاطبة كانت من أسماء

---

(١) مريم: ٢٦.

الأفعال، نحو صه بمعنى اسكت ومه بمعنى أكفف، فإن صه ومه ليسا فعْلَى أمر لأنهما وإن دلا على الطلب فليسا من الأفعال بل هما من أسماء الأفعال لَقبولهما علامة الأسماء وهو التنوين، فإنه يصح أن تقول فيهما صه ومه بالتنوين.

وأما علامة الحرف فهى عدم قبوله شيئا من علامات الأسماء ولا علامات الأفعال، فعدم قبوله للعلامة هى العلامة على حرفيته.

فقد علمنا من ذلك كيفية تمييز الاسم والفعل والحرف بالعلامات المميزة لكل منها عن غيره لصحة استعمالها فى الكلام العربى التى هى أجزاؤه، وقد اشترطنا فى الكلام أن يكون تركيبه مفيدا، ولا يفيد الكلام السامع إلا إذا كان صحيح التركيب ولا يكون صحيح التركيب إلا برفع ما حقه الرفع ونصب ما حقه النصب وجر ما حقه الجر وجزم ما حقه الجزم وهذا ما يسمى إعرابا.

الباب السادس

فى الإعراب والبناء

يطلق الإعراب فى اصطلاح النحويين على معنيين أحدهما تحليل التركيب فى الكلام وبيان أجزائه من المعرب والمبنى وكونه اسما أو فعلا أو حرفا، إذا قيل لك: اعرب قد قام زيد، فإنك تقول فى إعرابه بهذا المعنى: قد حرف تحقيق مبنى على السكون، وقام فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب، وزيد فاعل مرفوع وعلامة رفعه ضمة ظاهرة فى آخره، فإذا قلت ذلك فقد أعربته، فالإعراب هنا بمعنى التحليل للكلمات التى طلب منك إعرابها، أى التطبيق على القواعد العربية.

والمعنى الثانى للإعراب هو تغيير أواخر الكلم بحسب العوامل الداخلة عليه لفظا أو تقديرا، مثلا لفظ زيد قبل دخول العامل عليه موقوف غير معرب، فإذا قيل قام زيد، ارتفع على أنه فاعل لقام، وإذا قلت رأيت زيدا انتصب على أنه مفعول لرأيت، وإذا قلت مررت بزيد انخفض على أنه مجرور بالباء الخافضة، فقد تغير آخر زيد بحسب العوامل المقتضية للرفع أو النصب أو الخفض تغييرا لفظيا.

فإذا قلت جاء الفتى ورأيت الفتى ومررت بالفتى كان الفتى فى الأول مرفوعا وفى الثانى منصوبا وفى الثالث مخفوضا، والفتى اسم مقصور، يعنى آخره ألف لازمة، فلا يظهر الإعراب عليه، فتقدر الحركات الثلاثة التى اقتضتها العوامل على آخره، فإعرابه تقديرى، لأنه لولا تعذر الحركة على الألف لظهر الإعراب.

وكذلك إذا قلت: يقوم زيد، فإن يقوم يكون مرفوعا لتجرده من الناصب

والجازم، فإذا أدخلت عليه ناصبا نحو لن، فقلت: لن يقوم زيد، نصب آخره، فإذا أردت جزمه قلت لم يقم زيد، بسكون آخر الفعل، فقد تغير الفعل المضارع من الرفع إلى النصب وإلى الجزم تغيرا لفظيا، فهذا ما يسمى فى الفعل المضارع إعرابا لفظيا.

فإذا قلت يخشى زيد فيخشى فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، فإذا قلت لن يخشى زيد فقد تغيرت الضمة المقدرة بفتحة مقدرة أيضا للتعذر، فالنصب فيه هو إعراب مقدر للتعذر، ولولا أنه معتل بالألف لكان ظاهرا، وكذلك يدعو ويرمى زيد فيدعو ويرمى كل منهما فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها الثقل، لثقل الضمة على الواو والياء، فإذا أدخلت لن مثلا عليهما قلت لن يدعو ولن يرمى بنصب آخرهما فقد تغير آخر يدعو ويرمى تغيرا ظاهرا، أى فى الحالة الثانية بعد التغير التقديرى فى الأولى بحسب العوامل، وهذا ما يسمى بالإعراب، يعنى تغير آخر الكلمة بما يقتضيه العامل.

وضد الإعراب، بهذا المعنى، هو البناء، هو لزوم آخر الكلمة حالة واحدة، كلزوم حيث للضم وأين للفتح، وهؤلاء للكسر وكم للسكون، فإذا قلت جلست حيث جلس زيد، فإن حيث ظرف مكان مبنى على الضم فى محل نصب، فإذا أدخلت على حيث حرف الجرف فقلت:

*** إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم***

فإنه لا يزال باقيا على ضمه، ويكون مخفوض المحل فقط، يعنى واقعا موقع كلمة لو كانت معربة لكانت مخفوضة، وتقول جاءنى هؤلاء ورأيت هؤلاء ومررت بهؤلاء، فهؤلاء فى المثال الأول مبنى على الكسر فى محل رفع فاعل وهؤلاء فى الثانى مبنى على الكسر فى محل نصب على أنه مفعول وفى المثال الثالث مبنى على الكسر فى محل جر على أنه مخفوض بالباء.

ثم إن البناء أصل فى الأفعال والحروف كما أن الإعراب أصل فى الأسماء فما

وجد من الأفعال معربا وهو الفعل المضارع فقد جاء على خلاف الأصل كما أن ما جاء من الأسماء مبنيا كالضمائر وأسماء الإشارة والموصولات وكسيبويه مثلا كان على خلاف الأصل .

وأما الحروف فجميعها مبنية ولذلك يقول النحويون : قاعدة كلية الحروف كلها مبنية ، ولم يخرج من الحروف شيء عن أصل البناء .

الباب السابع
فى ألقاب الإعراب والبناء

ألقاب الإعراب أربعة وهى الرفع والنصب والخفض والجزم، فمثال الرفع فى الاسم جاء زيد، وإعرابه: جاء فعل ماض وزيد فاعل مرفوع بضمة ظاهرة، ومثال النصب فى الاسم رأيت زيدا، وإعرابه: رأيت فعل وفاعل وزيدا مفعول به منصوب وعلامة نصبه فتحة ظاهرة فى آخره، ومثال الخفض، ولا يكون إلا فى الاسم، مررت بزيد، وإعرابه: مررت فعل وفاعل وبزيد الباء حرف جر وزيد مجرور بالباء وعلامة جره كسرة ظاهرة فى آخره.

ومثال الرفع فى الفعل المضارع يقوم زيد، فيقوم فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه، ضمة ظاهرة فى آخره وزيد فاعل مرفوع، ومثال النصب فى الفعل لن يقوم زيد، فلن حرف نفى ونصب واستقبال، ويقوم، بفتح الميم، فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه فتحة ظاهرة فى آخره، ومثال الجزم فى الفعل المضارع لم يقم زيد، وإعرابه لم حرف نفى وجزم وقلب ويقم فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون آخره.

فهذه ألقاب الإعراب الأربعة، اثنان منها مشتركان بين الأسماء والأفعال وهما الرفع والنصب وواحد منها مختص بالأسماء وهو الخفض وواحد مختص بالأفعال وهو الجزم، فلا خفض فى الأفعال كما لا جزم فى الأسماء.

وألقاب البناء أربعة أيضا، وهى الضم والفتح والكسر والسكون الذى هو الأصل فى البناء، وقد تقدمت أمثلته.

ومما يبنى على السكون فعل الأمر نحو قم، فقم فعل أمر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب.

ومما يبنى على الفتح الفعل الماضى نحو قام زيد فتقول قام فعل ماض مبنى على الفتح لا محل لها من الإعراب وزيد فاعل مرفوع بضم آخره.

ومما يبنى على السكون من الأسماء اسم فعل الأمر نحو صه ومه فصه عبارة عن اسكت ومه عبارة عن اكفف فتقول فى إعرابهما صه اسم فعل أمر مبنى على السكون ومه كذلك، ومثل صه فى البناء على السكون وى اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب.

ومما يبنى على الفتح من أسماء الأفعال هيهات بمعنى بعد وشتان بمعنى افترق، فكل منهما اسم لفعل ماض، فتقول هيهات لقاء الأحباب، فهيهات اسم فعل ماض مبنى على الفتح ولقاء فاعله مرفوع بضمة ظاهرة والأحباب مضاف إليه مجرور، وإذا نونت صه ومه كانت حركة الكسر للتخلص من التقاء الساكنين وهما الهاء والتنوين.

وأكثر البناء فى الأسماء إنما يكون لمشابهتها للحروف فى الوضع أو فى المعنى كالضمائر التى جاءت على حرف أو حرفين فهى أسماء مبنية اشبهت الحرف فى الوضع وكأسماء الإشارة فقد اشبهت الحرف شبها معنويا، لأنها أدت معنى حقه أن يؤدى بالحرف.

وكذلك أعرب الفعل المضارع، مع أن حق الأفعال البناء، لمضارعته أى لمشابهته للاسم، فإن يضرب مثلا يوازن ضاربا اسم فاعل ويحل محل الاسم فى بعض الأحوال.

ولكل واحد من ألقاب الإعراب والبناء علامات.

الباب الثامن

فى علامات الإعراب

علامات الإعراب أربعة عشر، وهى قسمان: أصول وفروع، فالأصول منها أربعة والفروع عشرة.

فعلامات الرفع أربع

العلامة الأولى: الضمة وهى العلامة الأصلية فى الرفع، ومواضعها أربعة، الأول: الاسم المفرد، نحو جاء زيد وعمر والرجل والظريف، والثانى: جمع التكسير نحو جاء الزيود والرجال والظرفاء، والثالث: جمع المؤنث السالم وهو ما جمع بألف وتاء مزيدتين نحو الهندات قائمات، والرابع: الفعل المضارع الذى لم يتصل بآخره شىء من نون توكيد ومن نون إناث ومن واو جمع ومن ألف اثنين ومن ياء المؤنثة المخاطبة، مثاله يقوم ويجلس من قولك يقوم زيد ويجلس عمرو.

العلامة الثانية: من علامات الرفع الواو، وهى إحدى العلامات الفرعية التى يكون الرفع بها بالنيابة عن الضمة فى موضعين، الأول: جمع المذكر السالم نحو الزيدون والصالحون من قولك جاء الزيدون الصالحون، فالزيدون جمع زيد والصالحون جمع صالح.

ويلحق بجمع المذكر السالم ألفاظ منها عشرون وتسعون وما بينهما كقولك جاءنى عشرون رجلا، ومنها أولو بمعنى أصحاب نحو إنما يتذكر أولو الألباب، وإنما هذه الكلمات ملحقة بجمع المذكر لأنها لا واحد لها من لفظها.

الثانى : مما يرفع بالواو الأسماء الخمسة، وهى أبوك وأخوك وحموك وفوك وذو مال، تقول : جاء أبوبكر وأخو زيد وحمو عمرو ولا فض فو خالد والله ذو الفضل العظيم .

العلامة الثالثة من علامات الرفع الألف، وهى إحدى العلامات الفرعية ويكون الرفع بها بالنيابة عن الضمة فى موضع واحد وهو المثنى خاصة فى قولك جاء الزيدان الظريفان .

ويلحق بالمثنى كلا وكلتا مضافين إلى مضمر، تقول قام الزيدان كلاهما وقامت الهندان كلتاهما، ويلحق بالمثنى أيضا اثنان واثنتان نحو جاءني اثنان من الرجال واثنتان من النساء ويلحق به اللذان واللتان وذان وتان .

العلامة الرابعة النون، وهى إحدى العلامات الفرعية، ويكون الرفع بها بالنيابة عن الضمة فى موضع واحد وهو الأفعال الخمسة، وهى كل فعل مضارع اتصل به ضمير تثنية لمخاطب نحو انتما تنصران، أو لغائب نحو الزيدان ينصران، أو ضمير جمع لمخاطب نحو أنتم تنصرون، أو لغائب نحو هم ينصرون، أو ياء المؤنثة المخاطبة نحو أنت تنصرين، فتنصران وينصران وتنصرون وينصرون وتنصرين أفعال خمسة مرفوعة بثبوت النون، عليها نظائرها .

وعلامات النصب خمس

العلامة الأولى الفتحة، وهى العلامة الأصلية للنصب، ومواضعها ثلاثة :

الأول الاسم المفرد نحو زيدا من قولك نصرت زيدا .

الثانى جمع التكسير نحو الزيود من قولك نصرت الزيود .

الثالث الفعل المضارع إذا دخل عليه ناصب ولم يتصل بآخره شىء مما تقدم فى علامة الرفع نحو لن يضرب زيد، فيضرب مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة .

العلامة الثانية الألف، وهى فرعية، وموضعها واحد وهو الأسماء الخمسة، نحو رأيت أباك وأخاك وحماك وفاك وذا مال .

العلامة الثالثة الكسر، وهى فرعية أيضا، وكذلك موضعها واحد وهو جمع المؤنث السالم، نحو أكرمت الهندات المتصدقات، فالهندات والمتصدقات منصوبان بالكسرة، والأول منهما مفعول والثانى نعت.

العلامة الرابعة الياء، وهى فرعية أيضا، نائبة عن الفتحة، ولها موضعان الأول: المثنى وما ألحق به، نحو رأيت رجلين اثنين وامرأتين اثنتين، فرجلين وامرأتين مفعولان واثنين واثنتين كل منهما بدل، والنصب فى هذه الأسماء بالياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها، ومثله رأيت الرجلين اللذين قاما والمرأتين اللتين قامتا.

الثانى جمع المذكر السالم، نحو ظننت الزيدين عشرين رجلا، فالزيدين مفعول أول وعشرين مفعول ثان وكلاهما منصوب بالياء المكسور ما قبلها المفتوح ما بعدها.

العلامة الخامسة، حذف النون، وهى علامة فرعية، ولها موضع واحد وهو الأفعال الخمسة المضارعة التى رفعها بثبوت النون فتنصب بحذفها، نحو لن ينصرا ولن تنصرا ولن ينصروا ولن تنصروا ولن تنصرى، فهذه كلها منصوبة بحذف النون، والألف أو الواو أو الياء فاعل فى محل رفع.

وعلامات الخفض ثلاث

العلامة الأولى الكسرة، وهى العلامة الأصلية، ومواضعها ثلاثة:

الأول: الاسم المفرد المنصرف، نحو القلم من قولك كتبت بالقلم، فالقلم مخفوض بالكسرة.

الثانى: جمع التكسير المنصرف، نحو الكتب من قولك نظرت فى الكتب.

الثالث: جمع المؤنث السالم وما ألحق به، نحو نظرت إلى هندات وحمامات واصطبلات.

العلامة الثانية الياء، وهى علامة فرعية نائبة عن الكسرة، ومواضعها ثلاثة:

الأول: الأسماء الخمسة، نحو مررت بأبيك وأخيك.

الثاني : المثنى وما ألحق به ، نحو مررت برجلين اثنين بمرأتين اثنتين .

الثالث : جمع المذكر السالم وما ألحق به ، نحو أحسنت إلى الزيدين بعشرين درهما .

العلامة الثالثة الفتحة ، وهى علامة فرعية نائبة عن الكسرة ، وموضعها واحد وهو الاسم الذى لا ينصرف بشرط أن لا يكن مضافا ولا مقرونا بأل وإلا فيرجع إلى الخفض بالكسرة على أصله .

مثال الاسم الذى لا ينصرف المخفوض بالفتحة مررت بأحمد ، فتقول فيه : الباء حرف جر وأحمد مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف ، والمانع له من الصرف العلمية ووزن الفعل .

بيان موانع الصرف

موانع الصرف مجموعة فى قول بعضهم :

موانع الصرف تسع كلما اجتمعت ... ثنتان منها فما للصرف تصويب
عدل ووصف وتأنيث ومعرفة ... وعجمة ثم جمع ثم تركيب
والنون زائدة من قبلها ألف ... ووزن فعل وهذا القول تقريب

والاسم الذى لا ينصرف هو الاسم المعرف الذى فيه علتان من هذه العلل التسع أو فيه علة واحدة تقوم مقام علتين . ثم إن إحدى العلتين هى العَلَميَّة أو الوصفية ، فالذى اجتمع فيه علتان نحو عمر فى قولك : مررت بعمر ، منع من الصرف للعلمية والعدل ، لأنه معدول عن عامر ، ونحو آخر ، من قولك : مررت بآخر ، لأنه معدول عن آخرين ، ونحو أحمد ، فى قولك مررت بأحمد ، منع من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، ونحو أحمر ، فى قولك : مررت بأحمر ، منع من الصرف للوصفية ووزن الفعل ، ونحو عثمان ، فى قولك : مررت بعثمان ، منع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون ، ونحو سكران ، من قول : مررت بسكران ، منع من الصرف للوصفية وزيادة الألف والنون ، ونحو طلحة ، منع للتأنيث اللفظى

والعلمية، ونحو زينب: للتأنيث المعنوى والعلمية، ونحو إبراهيم، للعلمية والعجمة، ونحو بعلبك، للتركيب المزجى والعلمية، فهذا مثال ما اجتمع فيه علتان.

وأما الذى فيه علة واحدة تقوم مقام العلتين فهو قسمان:

القسم الأول: ما كان فيه ألف التأنيث المقصورة كحبلى من قولك: مررت بحبلى، أو الممدودة كصحراء من قولك: مررت بصحراء، فحبلى مخفوض بفتحة مقدرة على الألف نيابة عن الكسرة، وصحراء مخفوض بفتحة ظاهرة نيابة عن الكسرة، فالتأنيث فى حبلى وصحراء بمنزلة علة، وكونه لازما لا ينفك بمنزلة علة أخرى، فألف التأنيث بهذا الاعتبار علة قامت مقام علتين.

القسم الثانى: صيغة منتهى الجموع، أى الجمع الذى لا نظير له فى الآحاد، أى لا مفرد له على وزنه، وضابطه: كل اسم على وزن مفاعل أو مفاعيل نحو مساجد ومصابيح من قولك: مررت بمساجد ومصابيح، فهما مخفوضان بالفتحة نيابة عن الكسرة ومنعا من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهى علة تقوم مقام العلتين، لأن الجمع بمنزلة علة وكونه على هذه الصيغة التى لا تجمع أبدا بمنزلة علة أخرى.

وحكم الاسم الذى لا ينصرف أنه لا يدخله كسر ولا تنوين تمكين إلا لتناسب الكلام نحو سلاسلا وأغلالا أو لضرورة الشعر كقول الشاعر:

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

وعلامات الجزم اثنتان

العلامة الأولى: السكون، أى حذف الحركة، وهو الأصل، وموضعه واحد وهو الفعل المضارع الصحيح الآخر كقولك فى يضرب لم يضرب، فيضرب مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون آخره.

العلامة الثانية: الحذف، وهى فرعية وموضعه اثنان:

الأول : الفعل المضارع المعتل الآخر بالواو أو الألف أو الياء ، كقولك فى يغزو ويخشى ويرمى لم يغز ولم يخش ولم يرم ، فهذه الأفعال الثلاثة مضارعة مجزومة بلم وعلامة جزمها حذف آخرها نيابة عن السكون بدلالة الحركات على الحرف المحذوف .

الثانى : الأفعال الخمسة التى ترفع بثبات النون فتجزم بحذفها كما نصبت بحذفها أيضا ، فتقول لم ينصرا ولم تنصرا ولم ينصروا ولم تنصروا ولم تنصرى فهى مجزومة بلم وعلامة جزمها حذف النون نيابة عن السكون ، وقد اجتمع الجزم والنصب فى قوله تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا** ﴾[1] .

فهذه علامات الإعراب الأربعة عشر ، منها أربعة أصول وعشرة فروع ، يجمعها هذا الجدول :

---

(١) البقرة : ٢٤ .

جدول ١
علامات الإعراب

عدد العلامة	نوع العلامة	نوع الإعراب	عدد	مواضع العلامات
١	الضمة أصلية	رفع	١ ٢ ٣ ٤	اسم مفرد جمع تكسير جمع مؤنث سالم فعل مضارع لم يتصل بآخره شيء.
٢	الواو فرعية	رفع	١ ٢	جمع مذكر سالم الأسماء الخمسة
٣	الألف فرعية	رفع	١	المثنى
٤	النون فرعية	رفع	١	الأفعال الخمسة
٥	الفتحة أصلية	نصب	١ ٢ ٣	الاسم المفرد جمع التكسير الفعل المضارع الذى لم يتصل بآخره شيء.
٦	الألف فرعية	نصب	١	الأسماء الخمسة
٧	الكسرة فرعية	نصب	١	جمع المؤنث السالم
٨	الياء فرعية	نصب	١ ٢	المثنى جمع المذكر السالم
٩	حذف النون فرعية	نصب	١	الأفعال الخمسة
١٠	الكسرة أصلية	خفض	١ ٢ ٣	الاسم المفرد المنصرف جمع التكسير المنصرف جمع المؤنث السالم
١١	الياء فرعية	خفض	١ ٢ ٣	الأسماء الخمسة المثنى جمع المذكر السالم
١٢	الفتحة فرعية	خفض	١	الاسم الذى لا ينصرف
١٣	السكون أصلية	جزم	١	الفعل المضارع الصحيح الآخر
١٤	الحذف فرعية	جزم	١ ٢	الفعل المضارع المعتل الآخر الأفعال الخمسة

ثم إن المعرب قسمان : فالأول : ما يظهر إعرابه لفظا ، وهو ما كان صحيح الآخر من الأسماء أو الأفعال المضارعة كزيد وكيضرب . والثانى : ما يقدر فيه الإعراب كالقاضى والفتى وغلامى ويخشى ويدعو ويرمى .

وما يقدر فيه الإعراب قسمان : الأول : ما تقدر فيه حركة ، والثانى : ما يقدر فيه حرف ، فمثال ما تقدر فيه حركة من الأسماء الفتى وغلامى والقاضى ، فتقول جاء الفتى وغلامى والقاضى ورأيت الفتى وغلامى ومررت بالفتى وغلامى والقاضى ، فتقدر الحركات الثلاثة فى الفتى على الألف للتعذر ، وفى غلامى على ما قبل ياء المتكلم للمناسبة ، وتقدر الضمة والكسرة فى القاضى للاستثقال وتظهر فيه الفتحة لخفتها .

ومثال ما تقدر فيه الضمة فى الأفعال المضارعة نحو يخشى ويدعو ويرمى من قولك يخشى زيد ويدعو عمرو ويرمى بكر فالضمة مقدرة على الألف فى يخشى للتعذر ، وفى يدعو ويرمى للاستثقال ، وتقدر الفتحة فى يخشى من قولك لن يخشى زيد للتعذر ، وتظهر فى يدعو ويرمى من قولك لن يدعو ولن يرمى عمرو لخفتها .

ومثال ما يقدر فيه حرف من الأسماء المعربة جمع المذكر السالم المضاف إلى ياء المتكلم ، فى حالة الرفع ، فإنه يقدر فيه الواو فى نحو جاء مسلمى ، فإن أصله مسلموى ، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء على القاعدة .

ومثال ما يقدر فيه الحرف من الأفعال المضارعة المضارع المرفوع المتصل به واو الجماعة أو ألف الاثنين أو ياء المخاطبة إذا أكد بالنون فإنه يقدر فيه نون الرفع نحو لتضربن يا زيدون ولتضربان يا زيدان ولتضربن يا هند ، فقد حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال والواو لالتقاء الساكنين وقدر ثبوت النون للإعراب .

وأما النون الباقية فى الفعل فهى التى للتأكيد .

الباب التاسع

فى علامات البناء

البناء هو لزوم آخر الكلمة حالة واحدة لغير عامل، كلزوم هؤلاء للكسر، فإنك تقول جاءنى هؤلاء الرجال ورأيت هؤلاء الرجال ومررت بهؤلاء الرجال، فآخر هؤلاء لم يتغير لفظا ولا تقديرا فى الأحوال الثلاثة.

وعلامات البناء أربعة: السكون، وهو الأصل، نحو كم والذى والتى، الفتح، نحو أين، والكسر، نحو أمس، والضم، نحو حيث، فهذا مثال البناء على السكون والحركات الثلاثة، ثم إن السكون والفتح يشترك فيهما الأسماء المبنية والأفعال المبنية والحروف نحو كم وأين وهما اسمان ونحو قم وقام وهما فعلان ونحو لم وإن وهما حرفان، وتختص بالكسر والضم الأسماء المبنية والحروف ولا يدخلان الفعل.

فمثال دخول الكسر فى الاسم أمس وفى الحرف جير بمعنى نعم.

ومثال دخول الضم فى الاسم حيث وفى الحرف منذ الجارة وقد يكون البناء أيضًا على الحرف ثبوتًا أو حذفا.

مثال البناء على ثبوت الحرف المثنى وجمع المذكر السالم فى النداء نحو قولك يا زيدان ويا زيدون، فتقول فى إعرابه: يا حرف نداء وزيدان منادى مبنى على الألف نيابة عن الضمة فى محل نصب، وتقول فى نحو يا زيدون: يا حرف نداء وزيدون منادى مبنى على الواو نيابة عن الضمة فى محل نصب، لأن المنادى من منصوبات الأسماء، فكل من الألف والواو نائب عن ضمة البناء فى المنادى المفرد

المقصود نحو يا زيد فإنه مبنى على الضم فى محل نصب فمثناه وجمعه يبنيان على ما يرفعان به وكبناء الذين على الياء فى الأحوال الثلاثة رفعا ونصبا وخفضا.

ومثال البناء على حذف الحرف بناء فعل الأمر المعتل الآخر بالألف والواو والياء مثل حذف حرف العلة نحو اخش وادع وارم، فتقول هو فعل أمر مبنى على حذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها أو الواو والضمة قبلها دليل عليها أو الياء والكسرة قبلها دليل عليها، وكذلك بناء فعل الأمر المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المؤنثة المخاطبة نحو قوما وقوموا وقومى، فإنه يبنى على ما يجزم به مضارعه، فتقول فى إعرابه: قوما فعل أمر مبنى على حذف النون والألف فاعل، وقوموا فعل أمر مبنى على حذف النون والواو فاعل، وقومى فعل أمر مبنى على حذف النون والياء فاعل.

والمبنى قسمان: الأول: ما تظهر فيه حركات البناء كالفتحة فى أين وكيف والضمة فى حيث والكسر فى أمس وما أشبه ذلك. والثانى: ما تقدر فيه حركات البناء كالمنادى المفرد المبنى قبل النداء نحو سيبويه فإذا ناديته وقلت: يا سيبويه، قدرت الضمة فى آخره فتقول فى إعرابه: يا حرف نداء وسيبويه منادى مبنى على ضم مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة البناء الأصلى وهو الكسر فى محل نصب.

ثم إن الأصل فى الأسماء الإعراب، لتوارد المعانى المختلفة عليها بحسب ما تقتضيه عواملها من فاعلية نحو قام زيد أو مفعولية نحو ضربت زيدا أو إضافة، يعنى جر معانى الأفعال للأسماء نحو مررت بزيد.

والأصل فى الأفعال البناء، لعدم توارد تلك المعانى عليها، إلا الفعل المضارع فإنه جاء فى الاعراب على خلاف الأصل لشبهه بالاسم فى توارد المعانى المختلفة عليه، فقد شابه الاسم فى أن كلا منهما يطرأ عليه بعد التركيب معان مختلفة متعاقبة على حقيقة واحدة، فالاسم نحو ما أحسن زيد برفع بزيد إذا أريد النفى وبنصبه إذا أريد التعجب وبخفضه مع رفع أحسن إذا أريد الاستفهام، والفعل المضارع نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن، فتجزم الأول وترفع الثانى إذا أردت النهى عن الفعل الأول فقط ويكون الثانى مستأنفا وتجزم الأول وتنصب الثانى بأن مضمرة بعد واو

المعية إذا أردت النهى عن الجمع بينهما وتجزمهما بعطف الثانى على الأول إذا أردت النهى عن كل منهما .

وأما الحروف فجميعها مبنية والبناء متأصل بها وجميع ما أشبهها من الأسماء شبها قويا فهو مبنى ، فبناء الأسماء راجع دائما إلى شبه الحروف فى أربعة أشياء أصلية :

الأول : الشبه فى الوضع ، وهو أن يكون الاسم موضوعا على حرف أو حرفين كجئتنا ، فالتاء ضمير المخاطب مبنية على الفتح ونا ضمير المتكلم ومعه غيره أو المعظم نفسه مبنى على السكون ، وكل منهما أشبه الحرف فى الوضع .

الثانى : الشبه المعنوى ، وهو أن يؤدى الاسم معنى حقه أن يؤدى بالحرف كالاستفهام أو الإشارة نحو متى وهذا .

الثالث : أن يشبه الاسم الحرف فى عدم التأثر بالعوامل ، يعنى بكونه كالحرف عاملا لا معمولا كأسماء الأفعال نحو صه ومه وهيهات فإنها تعمل فى غيرها ولا يعمل غيرها فيها فهى مبنية .

الرابع : أن يشبه الاسم الحرف فى الافتقار الأصيل ، يعنى أن الاسم لا يفهم معناه إلا بوصله بشىء آخر بعده كالموصولات فإنها تفتقر فى بيان معناها إلى صلاتها كقولك جاء الذى تنتظره فلا يفهم معنى الذى إلا بصلته .

وجميع الأسماء المبنية إذا تواردت عليها العوامل كان لها محل من الإعراب بحسب ما يقتضيه العامل ، فإذا قلت : جاء سيبويه ورأيت سيبويه ومررت بسيبويه كان لفظ سيبويه فى محل رفع فى الأول ونصب فى الثانى وخفض فى الثالث ، وهذا ما يسمى بالإعراب المحلى .

فتخلص من هذا ومما سبق أن الإعراب ثلاثة أقسام : إعراب لفظى ، كجاء زيد ورأيت زيدا ومررت بزيد ، وإعراب تقديرى ، كجاء الفتى ورأيت الفتى ومررت بالفتى ، وإعراب محلى ، كجاء هؤلاء ورأيت هؤلاء ومررت بهؤلاء .

وحيث كانت عوامل الإعراب أربعة ، وهى الرفع والنصب والخفض والجزم ، كانت المعمولات أربعة ، وهى المرفوعات والمنصوبات والمخفوضات والمجزومات .

الباب العاشر

فى عوامل الرفع وفى المرفوعات من الأسماء والأفعال

تنقسم عوامل الرفع إلى قسمين : معنوية ولفظية

القسم الأول نوعان : الأول : الابتداء ، وهو عامل الرفع فى المبتدأ نحو زيد من قولك زيد قائم ، فزيد مرفوع بالابتداء وهو جعلك الشئ ءابتداء لثان ، الثانى : تجرد المضارع من ناصب وجازم ، وهو عبارة عن وقوعه موقع الاسم المبتدأ فى أن الرفع أول أحواله قبل الناسخ ، فهذا التجرد الذى هو أمر معنوى فى يضرب من قولك يضرب زيد هو عامل الرفع فى ذلك الفعل المضارعَ .

القسم الثانى : هو أيضا نوعان : الفعل ، وما يعمل عمل الفعل وهو شبه الفعل .

النوع الأول : الذى هو الفعل ، ما دل على معنى فى نفسه واقترن بزمان مخصوص ، وله علامات يعرف بها كما تقدم ، وهو يتنوع أنواعًا عديدة ، فمن أنواعه الماضى والمضارع والأمر ، ومنها المتعدى كأكلت الخبز وشربت الماء ، واللازم كقام زيد ومات عمرو ، ومنها المبنى للفاعل كسرق زيد المتاع ، ومنها المبنى للمفعول كسُرِق المتاع ، ومنها التام كضرب وقتل ومات ، ومنها الناقص ككان وأصبح وأضحَى ، ومنها المتصرف كقام ونام ، وغير المتصرف كنعم وبئس وعسى وليس .

النوع الثانى : الذى هو شبه الفعل ويعمل عمله المصدر كيعجبنى ضرب زيد

عمرا، واسم الفاعل واسم المفعول كضارب ومضروب، والصفة المشبهة كحسن، واسم التفضيل كأحسن، واسم الفعل نحو هيهات ووى، فكل من الفعل أو شبهه من عوامل الرفع لازما أو متعديا ومن عوامل النصب إذا كان متعديا.

وأما المرفوعات من الأسماء والأُفعال فهى الثمانية المذكورة فى هذا الجدول:

[جدول المرفوعات]

	المرفوعات		أمثلتها
١	الفاعل		قام زيد وحبذا عمرو
٢	نائب الفاعل		سرق المتاع ويسرق المتاع
٣	المبتدأ		محمد
٤	الخبر		رسول الله
٥	اسم كان وأخواتها		كان الله غفورا رحيما
٦	خبر إن وأخواتها		إن الله غفور رحيم
٧	تابع المرفوع	١- نعت	جاء زيد العاقل
		٢- عطف	جاء زيد وعمرو
		٣- توكيد	جاء زيد نفسه
		٤- بدل	نفعنى زيد علمه
٨	الفعل المضارع		يضرب زيد

فهذه أنواع المرفوعات الثمانية، فكل مرفوع لا يخرج عنها:

الأول من المرفوعات الفاعل

وهُوَ الاسم المرفوع المذكور قبله فعله أو شبه فعله الصادر عنه أو القائم به، كقولك قام زيد وحسن وفيما أسند إلى الفعل، ومثال ما عمل فيه المصدر قولك:

يعجبنى ضرب زيد عمرا، فضرب مصدر مضاف إلى فاعله المرفوع المحل لأنه فى معنى يعجبنى أن ضرب زيد عمرا، ومثال ما عمل فيه اسم الفاعل: زيد قائم غلامه، فغلامه فاعل مرفوع بقائم.

ومثال الصفة المشبهة: زيد حسن غلامه، فغلامه فاعل بالصفة المشبهة وهو حسن، ومثال أفعل التفضيل: ما رأيت رجلا أحسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد، فالكحل فاعل بأُفعل التفضيل وهو أحسن، ومثال اسم الفعل الماضى: هيهات، نحو هيهات الاجتماع ونحو قول الشاعر:

فهيهات هيهات العقيق ومن به وهيهات خِلٌّ بالعقيق نواصله

فكل من الاجتماع والعقيق وخل فاعل مرفوع بهيهات، ومثال اسم الفعل المضارع: وى، بمعنى أتعجب، فالضمير المستتر فى وى فى محل رفع على أنه فاعل لاسم الفعل المضارع، ومثال اسم فعل الأمر الرافع للفاعل: صه، بمعنى اسكت، ففى صه ضمير مستتر فى محل رفع على الفاعلية باسم فعل الأمر الذى هو صه.

وينقسم الفاعل إلى قسمين: ظاهر، ومضمر.

فالفاعل الظاهر يكون مفردا ومثنى ومجموعا جمع تكسير أو جمع تصحيح لمذكر أو لمؤنث، ويكون الفاعل معربا بالحركات أو الحروف ومبنيا نحو قام زيد ويقوم زيد وقام الزيود والهنود ويقوم الزيود والهنود وقامت الهندات وتقوم الهندات وقام الزيدان ويقوم الزيدان وقام الزيدون ويقوم الزيدون وقام أخوك ويقوم أخوك وقام سيبويه ويقوم سيبويه وما أشبه ذلك.

والفاعل المضمر قسمان: متصل، ومنفصل، وكل منهما اثنا عشر ضميرا، والضمير ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب، والمتصل منهم لا يصح وقوعه أول الكلام ولا يأتى بعد إلا فى حال الاختيار، والمنفصل ما يصح وقوعه أول الكلام ويأتى بعد إلا فى حال الاختيار.

والجدول الآتى يشتمل على القسمين: المتصل والمنفصل:

	ضمائر رفع متصلة		ضمائر رفع منفصلة
١	ضربت ـ بضم التاء	١	ماضرب إلا أنا ـ ضمير المتكلم وحده
٢	ضربنا ـ بسكون الموحدة	٢	ما ضرب إلا نحن ـ متكلم معظم نفسه أو معه غيره
٣	ضربت ـ بفتح التاء	٣	ما ضرب إلا أنت ـ بفتح التاء مخاطب
٤	ضربت ـ بكسر التاء	٤	ماضرب إلا أنت بكسر التاء مخاطبة
٥	ضربتما	٥	ما ضرب إلا أنتما ـ مثنى مخاطب
٦	ضربتم	٦	ما ضرب إلا أنتم ـ جمع مذكر مخاطب
٧	ضربتن	٧	ما ضرب إلا أنتن ـ جمع مؤنث مخاطب
٨	ضرب ـ فى نحو : زيد ضرب	٨	ما ضرب إلا هو ـ مفرد مذكر غائب
٩	ضربت ـ بسكون التاء فى نحو : هند ضربت	٩	ما ضرب إلا هى ـ مفردة مؤنثة غائبة
١٠	ضربا ضربتا	١٠	ما ضرب إلا هما ـ مثنى غائب
١١	ضربوا	١١	ما ضرب إلا هم ـ جمع مذكر غائب
١٢	ضربن	١٢	ما ضرب إلا هن ـ جمع مؤنث غائب

فمجموع ضمائر الرفع المتصلة والمنفصلة أربعة وعشرون ضميراً، فتقول فى إعراب المثال الأول من ضمائر الرفع المتصلة : ضرب فعل ماض والتاء ضمير المتكلم فاعل مبنى على الضم فى محل رفع لأنه اسم مبنى لا يظهر فيه إعراب، وتقول فى المثال الخامس : ضرب فعل ماض والتاء ضمير المثنى المخاطب فاعل مبنى على الضم فى محل رفع والميم حرف عماد والألف حرف دال على التثنية، وتقول فى المثال السادس : التاء ضمير جمع المذكر السالم مبنى على الضم فى محل رفع الميم علامة جمع الذكور، وتقول فى المثال السابع مثله، والنون علامة جمع النسوة.

وتقول فى المثال الأول من ضمائر الرفع المنفصلة، فى إعراب ما ضرب إلا أنا : ما نافية ضرب فعل ماض مبنى على الفتح إلا أداة استثناء وأنا ضمير منفصل مبنى على السكون فى محل رفع على أنه فاعل ضرب، وفى المثال الثانى تقول : نحن

ضمير مبنى على الضم فى محل رفع على أنه فاعل ضرب، وقس على ذلك باقى الأمثلة.

ومن الضمائر المتصلة التى محلها رفع على الفاعلية الألف والواو والياء فى الأفعال الخمسة، كيضربان وتضربان ويضربون وتضربون وتضربين، فكل من الألف والواو والياء فى هذه الأمثلة ضمير متصل مبنى على السكون فى محل رفع على الفاعلية، وكذلك الألف والواو والياء فى فعل الأمر من قولك اضربا واضربوا واضربى فكل من الألف والواو والياء فاعل مبنى على السكون فى محل رفع.

وكما يكون الفاعل اسما صريحا كالأمثلة السابقة يكون أيضاً مؤولا بالصريح كقولك يعجبنى أن يفهم زيد المسألة، فقولك: أن يفهم فى قوة فهم زيد، فتقول: أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل يعجب والمعنى فهم زيد المسألة.

الثانى من المرفوعات نائب الفاعل

نائب الفاعل هو الاسم المرفوع الذى لم يذكر معه فاعله لنيابته عنه فى جميع أحكامه، فإذا قلت: سرق زيد المتاع أو يسرق زيد المتاع ثم أردت حذف الفاعل وهو زيد قلت: سُرق المتاع أو يسرق المتاع، فترفع المتاع بعد أن كان منصوبا حيث حولت صيغة الفعل المَبنى للفاعل إلى صيغة الفعل المبنى لنائب الفاعل

وطريق هذا التحويل فى الماضى، كضرب ودحرج وتعلم وانطلق واستخرج، أن تضم أوله وتكسر ما قبل آخره إن لم يكن مكسورا مثل فهم وعلم وشرب، وإلا فيضم الأول ويقدر أن الكسرة الآن غير الكسرة التى كانت أولا، وكذلك الثلاثى المعتل العين مثل قال وباع إذل بنيا للمجهول فإنه يقال قيل وبيع ويعتبر أن أصلهما قول وبيع بضم الأول وكسر ما قبل الآخر وأن الكسرة استثقلت على حرف العلة بعد ضمه فحذفت الضمة ونقلت الكسرة إلى مكانها فسكنت الواو والياء وانقلبت الواو ياء من مثل قيل لسكونها بعد كسرة وسلمت الياء من مثل بيع لسكونها بعد حركة تجانسها وهى الكسرة.

وإذا كان الماضي مفتتحاً بتاء مزيدة ضم مع أوله ثانيه، مثل تعلم العلم وتدبر الشيء، وإن كان مفتحا بهمزة وصل ضم مع أوله ثالثه، مثل انطلق بزيد واستخرج المال، وأما معتل العين على وزن انفعل وافتعل مثل انقاد واختار فتقول إذا بنيته للمجهول انقيد واختير وأصله انقود واختير فعل به ما فعل بقيل وبيع، وطريق التحويل فى المضارع إذا بنى للمجهول أن يضم أوله ويفتح ما قبل آخره نحو يضرب ويدحرج ويتعلم وينطلق ويستخرج، بضم أولها وفتح الحرف الذى قبل آخرها، وتقول فى مضارع باع وقال يُباع، ويُقال، وأصلهما يبيع ويقول، بضم أولهما وفتح ما قبل آخرهما، فنقلت فتحة الياء والواو إلى الساكن قبلها ثم قلبتا ألفين لسكونهما وفتح ما قبلهما فصارا يُباع ويُقال، وقد يكون عامل نائب الفاعل اسم مفعول نحو زيد مسروق متاعه.

ثم إن الفاعل يحذف وينوب عنه المفعول لغرض من الأغراض كالعلم به نحو خلق الإنسان من عجل، ومعلوم أن الخالق هو الله تعالى، وكالجهل به نحو سرق المتاع إذا لم يعلم السارق، وكتعظيمه وإجلاله عن أن يذكر مع الشيء المستقذر نحو ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ (١)، وكتحقيره مثل ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنه يكفر به ويجعل له الولد وهو يعافيهم ويرزقهم، فقوله من الله متعلق بأصبر ويكفر به أصله يكفر به الكافرون، ويجعل له الولد أصله ويجعل المشركون، فحذف الكافرون والمشركون تحقيرا وأقيم الجار والمجرور فى الأول والولد فى الثانى نائبا عن الفاعل، وكالخوف منه نحو صودر فلان أى صادره الحاكم بالقبض على ماله، وكالخوف عليه مثل شتم الأمير، ويقال لنائب الفاعل مفعول ما لم يسم فاعله، ويقال للفعل مبنى للمجهول أو مبنى لنائب الفاعل أو مبنى لما لم يسم فاعله.

والذى ينوب عن الفاعل أربعة أشياء: الأول: المفعول به، وتقدم مثاله، الثانى: المصدر المختص، نحو سير سير شديد، الثالث: الظرف المختص المنصرف نحو صيم رمضان وجلس أمام المسجد، الرابع: الجار والمجرور، نحو مر بزيد.

---

(١) المائدة: ٣.

وإذا وجد الجميع أو البعض من هذه الأمثلة مع المفعول به تعينت نيابة المفعول به نحو ضرب زيد يوم الجمعة أمام المسجد ضرباً شديداً على رؤوس الأشهاد، فتتعين نيابة زيد لأنه مفعول به، فإن لم يوجد المفعول به فأنت بالخيار في إقامة واحد من الثلاثة مقام الفاعل وإبقاء الباقى على حاله، ونائب الفاعل إذا كان مفعولا كان على قسمين: ظاهر، ومضمر، وقد تقدم ذكر المضمر بقسميه المتصل والمنفصل فى الكلام على الفاعل فى الجدول

الثالث والرابع من المرفوعات: المبتدأ والخبر

المبتدأ هو الاسم المرفوع العارى عن العوامل اللفظية غير الزائدة، والخبر هو الاسم المرفوع المسند إلى المبتدأ، نحو قولك زيد قائم، وبحسبك درهم، فزيد مبتدأ وقائم خبره، وكلاهما مرفوع، الأول بالابتداء الذى هو عامل معنوى، والثانى بالمبتدأ الذى هو عامل لفظى، وأما بحسبك درهم فتقول فيه: الباء حرف جر زائد وحسب مجرور به، وهو مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، ودرهم خبر، فوجود الباء الزائدة كلا شىء فحسب فى حكم العارى عن العوامل.

وقد يكون للمبتدأ فاعل يسد مسد الخبر، وذلك فى الوصف المعتمد على النفى أو الاستفهام فى نحو قولك: ما قائم الزيدان، وهل قائم الزيدان؟ فقائم مبتدأ والزيدان فاعل سد مسد الخبر، ومثل ذلك نائب الفاعل فى قولك: أمضروب العمران؟ وما مضروب العمران، فالعمران نائب فاعل سد مسد الخبر.

وينقسم المبتدأ إلى صريح، كما تقدم، ومؤول نحو ﴿ **وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾[1] وينقسم أيضا إلى ظاهر، كما تقدم، ومضمر نحو أنا قائم، ولا يكون إلا منفصلا ما عدا ضمير الجر المجرور بلولا فى قولك لولاك لهلك الفقير، فإنه فى محل المنفصل والتقدير لولا أنت موجود، وإلى مبهم وبيان ذلك فى هذا الجدول:

---

(١) البقرة: ١٨٤.

(جدول مبتدآت الضمائر المنفصلة والمبهمات وأخبارها)

عدد	مبتدأ	خبر	إعراب
١	أنا	قائم	أنا : مبنى على السكون فى محل رفع، وقائم : خبر مرفوع بالضمة .
٢	نحن	قائمون أو : قيام	نحن : مبنى على الضم فى محل رفع، وقائمون : مرفوع بالواو، وقيام : مرفوع بالضمة .
٣	أنت	قائم	أن : مبنى على السكون فى محل رفع، والتاء : حرف خطاب، وقائم : مرفوع بالضمة .
٤	أنت	قائمة	أن : مبنى على السكون فى محل رفع، والتاء حرف خطاب للمؤنث، وقائمة : مرفوع بالضمة .
٥	أنتما	قائمان أو : قائمتان	أن : مبنى على السكون، والتاء : حرف خطاب، والميم : حرف عماد، والألف : دال على التثنية، وقائمان أو قائمتان : مرفوع بالألف .
٦	أنتم	قائمون، أو : قيام	أن : مبنى على السكون، والتاء : حرف خطاب، والميم : علامة الجمع، وقائمون : مرفوع بالواو، وقيام : مرفوع بالضمة .
٧	أنتن	قائمات، أو : قيام	أن : مبنى على السكون، والتاء : حرف خطاب، والنون : علامة جمع النسوة وقائمات، أو قيام : مرفوع بالضمة .
٨	هو	قائم	هو : مبنى على الفتح فى محل رفع، وقائم : مرفوع بالضمة .
٩	هى	قائمة	هى : مبنى على الفتح فى محل رفع، وقائمة : مرفوع بالضمة .

تابع (جدول مبتدآت الضمائر المنفصلة والمبهمات وأخبارها)

عدد	مبتدأ	خبر	إعراب
١٠	هما	قائمان أو : قائمتان	هما : الهاء مبنى على الضم فى محل رفع، والميم حرف عماد، والألف : علامة التثنية، وقائمان، أو قائمتان : مرفوع بالألف .
١١	هم	قائمون أو : قيام	هم : الهاء مبنى عل الضم فى محل رفع، والميم علامة الجمع، وقائمون : مرفوع بالواو، وقيام : مرفوع بالضمة
١٢	هن	قائمات أو : قيام	هن : الهاء مبنى على الضم فى محل رفع، والنون : علامة جمع النسوة، وقائمات أو قيام : مرفوع بالضمة .
١	هذا أو ذاك أو ذلك	قائم	هذا : ها : حرف تنبيه، وذا : اسم إشارة مبنى عل يالسكون فى محل رفع، وذا : فى ذاك وفى ذلك مثله، والكاف فيهما، حرف خطاب، واللام : دالة على البعد، وقائم : مرفوع بالضمة .
٢	هذه أو تلك	قائمة	هذه : الهاء : حرف تنبيه، وذه : اسم إشارة مبنى على الكسر فى محل رفع، وت : اسم إشارة والباقى مثل ما سبق .
٣	هذان	قائمان	هذان : الهاء : حرف تنبيه، وذا : اسم إشارة ملحق بالمثنى مرفوع بالألف، وقائمان : مرفوع بالألف .
٤	هاتان	قائمتان	هاتان قائمتان : مثله .
٥	هؤلاء وأولئك	قائمون : أو قائمات أو قيام	هؤلاء : الهاء : حرف تنبيه، وأولاء : اسم إشارة مبنى على الكسر فى محل رفع، وأولئك : مثله للجمع مذكرا أو مؤنثا، والكاف فى أولئك : حرف خطاب لا تجتمع مع ها التنبيه، وقائمون : مرفوع بالواو، وقائمات أو قيام : مرفوع بالضمة الظاهرة .

وقس على ذلك الموصولات إذا وقعت مبتدآت كالذى والتى .

وكما ينقسم المبتدأ إلى أقسام ينقسم الخبر أيضا إلى مشتق، ومؤول بالمشتق، وجامد لم يجر مجرى الفعل، فالمشتق هو اسم الفاعل نحو زيد ضارب، واسم المفعول كزيد مضروب، والصفة المشبهة نحو زيد حسن، وأفعل التفضيل نحو زيد أفضل الناس، فالأخبار فى هذه الأمثلة مشتملة على ضمير مستتر يعود على المبتدأ فى محل رفع على الفاعلية أو النيابة فى المثال الثانى بالمشتق .

وقد يرفع الخبر المشتق اسما ظاهرا نحو زيد قائم غلامه، ومضروب عبده، وحسن وجهه، فالخبر المشتق فى هذه الأمثلة جار مجرى الفعل فى رفعه الفاعل أو نائبه المستتر أو الظاهر، والمؤول بالمشتق نحو زيد أسد أى شجاع، فأسد مؤول بشجاع المشتق من الشجاعة، فهو فى معنى المشتق فى تحمل الضمير، وأما الجامد نحو زيد أخوك فأخوك اسم جامد ليس متحملاً لضمير لكونه عين المبتدأ .

وقد يكون الخبر مشتقا لكنه غير جار مجرى الفعل فلا يحتاج إلى ضمير نحو هذا مفتاح، فإنه مشتق من الفتح ولا يحتاج إلى الضمير فلا يتحمله .

وأما الخبر غير المفرد فهو أربعة أقسام : أحدها : الجار والمجرور، نحو زيد فى الدار، فزيد مبتدأ وفى الدار جار ومجرور متعلق بمحذوف وجوبًا خبر المبتدأ . ثانيها، الظرف، نحو زيد عندك، فزيد مبتدأ وعند ظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ وعند مضاف والكاف مضاف إليه مبنى على الفتح فى محل جر . ثالثها : جملة الفعل مع فاعله المسماة جملة فعلية، نحو زيد قام أبوه، فزيد مبتدأ وقام فعل ماض وأبو فاعل مرفوع بالواو والهاء مضاف إليه فى محل جر وجملة الفعل والفاعل فى محل رفع أى فى محل اسم مفرد مرفوع خبر المبتدأ والتقدير زيد قائم أبوه . رابعها : جملة المبتدأ مع خبره المسماة جملة اسمية، نحو زيد جاريته ذاهبة، فزيد مبتدأ وجاريته مبتدأ ثان والهاء فى محل جر بالإضافة وذاهبة خبر المبتدأ الثانى وجملة المبتدأ الثانى وخبره خبر المبتدأ الأول فى محل رفع أى فى محل مفرد مرفوع والتقدير زيد ذاهب الجارية .

وإذا وقع الخبر جملة فلابد فيها من رابط يربطها بالمبتدأ كالهاء من أبوه وجاريته، وقد يحذف الضمير إذا دلت عليه قرينة كقولهم: السمن منوان بدرهم، أى منه، وقد يكون الربط باسم الإشارة نحو قوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾[1] فلباس مبتدأ أول والتقوى مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف للتعذر وذا اسم إشارة مبتدأ ثان مبنى على السكون فى محل رفع واللام للبعد والكاف حرف خطاب وخير خبر المبتدأ الثانى والجملة من المبتدأ الثانى وخبره خبر المبتدأ الأول وهو لباس فذلك اسم إشارة إلى اللباس وهو الرابط.

وقد يكون الربط بإعادة المبتدأ بعينه فى موقع التفخيم نحو ﴿ الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ﴾[2]. فالحاقة مبتدأ أول وما اسم استفهام مبتدأ ثان مبنى على السكون فى محل رفع والحاقة خبر المبتدأ الثانى وجملة المبتدأ الثانى وخبره فى محل رفع خبر المبتدأ الأول والرابط إعادة المبتدأ بعينه، وقد يكون الربط بعام يدخل تحته المبتدأ نحو زيد نعم الرجل، فزيد مبتدأ ونعم فعل ماض يدل على المدح والرجل فاعله والجملة من الفعل والفاعل فى محل رفع خبر المبتدأ والرابط دخول زيد وهو المبتدأ فى عموم الفاعل وهو الرجل فلا حاجة إلى رابط آخر.

والأصل فى المبتدأ أن يكون معرفة نحو المولى قادر، لأن الغالب فى النكرة أن لا يفيد الإخبار عنها كقولك مولى قادر، والأصل فى الخبر أن يكون نكرة لأنه محصل الفائدة، وقد يكون المبتدأ نكرة كما يكون الخبر معرفة، فيكون المبتدأ إذا تخصص بالوصف نحو ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾[3] أو كان مصغرا مثل رجيل قائم، لأن معناه رجل حقير، أو كان المبتدأ عاملا فيما بعده، نحو أمر بمعروف ونهى عن منكر صدقة، وكذلك إذا أضيف إلى نكرة نحو خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فقد تخصص المبتدأ بإضافته إلى صلوات،

---

(١) الأعراف: ٢٦.

(٢) الحاقة: ١، ٢.

(٣) البقرة: ٢٢١.

وهذه تسمى مسوغات الابتداء بالنكرة، ومثال وقوع الخبر معرفة قولك: الله ربنا ومحمد نبينا.

الخامس من المرفوعات: اسم كان وأخواتها وما ألحق بها

فى العمل وهو ما الحجازية وأخواتها وأفعال المقاربة

كان وأخواتها تدخل على المبتدأ والخبر فتنسخ حكم الخبر بنصبه بعد أن كان مرفوعًا وتنصبه على الشبه بالمفعول وترفع المبتدأ على أنه اسم لشبهه بالفاعل، ويلحق بها فى هذا العمل أفعال المقاربة وهى كاد وأخواتها ويلحق بصار منها ما كان بمعناها من أفعال التحويل ويلحق بليس ما كان بمعناها من الحروف المشبهة بها وهى ما الحجازية ولا وأن ولات الدالة على نفى الخبر عن المخبر عنه وهو اسمها، فتبين من ذلك أنها منقسمة أربعة أقسام: الأول، كان وأخواتها، الثانى: كاد وأخواتها، الثالث: أخوات صار، الرابع: حروف النفى المشبهات بليس، فجميع تلك العوامل أفعال إلا المشبهات بليس، وأفعال القسم الأول ثلاثة عشر فعلا يجمعها هذا الجدول:

(جدول القسم الأول، وهو: كان وأخواتها)

عدد	عوامل	أسماء	أخبار	ملحوظات
١	كان	زيد	قائما	هذه الأفعال السبعة متصرفة تصرفا تاما، فتقول من كان: يكون، وكن، ومن أصبح: يصبح، أصبح، وهكذا الباقى. وجميع ما تصرف منها فله حكمها من رفع الاسم ونصب الخبر.
٢	أمسى	السعر	رخيصا	
٣	أصبح	زيد	غنيا	
٤	أضحى	الفقيه	ورعا	
٥	ظل	زيد	صائما	
٦	بات	زيد	مفطرا	
٧	صار	الطين	إبريقًا	
٨	ليس	زيد	عالما	وهو فعل ماض غير متصرف.
٩	ما زال	الله	راحمًا	هذه الأفعال الأربعة يشترط فى عملها تقدم النفى

تابع (جدول القسم الأول، وهو: كان وأخواتها)

عدد	عوامل	أسماء	أخبار	ملحوظات
١٠ ١١ ١٢	ما انفك ما فتىء ما برح	جنابك إحسانك علمك	محروسًا جاريًا نافعًا	أو شبهه وهو الاستفهام أو الدعاء، ومعناها: البقاء والدوام. وتصرفها ناقص، لأنه لا يجىء منها أمر ولا مصدر.
١٣	أحبك ما دام	كرمك	عميما	يشترط فى عمل هذا الفعل - وهو دام - تقدم «ما» المصدرية الظرفية عليه. وهو فعل غير متصرف على الأصح.

والقسم الثانى أُفعاله أيضا ثلاثة عشر فعلا كما فى الجدول الآتى:

(جدول القسم الثانى، وهو: كاد وأخواتها)

عدد	عوامل	أسماء	أخبار	ملحوظات
١ ٢ ٣	كاد كرب أوشك	الفرج الأمر الهم	يجىء يتم يزول	هذه الثلاثة تفيد دنو الخبر، وأخبارها أفعال مضارعة تجرد من أن أو تقترن بها.
٤ ٥ ٦	عسى اخلولقت حرى	فرج السماء زيد	يأتى به الله أن تمطر أن يصدق	هذه الأفعال الثلاثة لترجى الخبر. وأخبارها أفعال مضارعة، ويغلب اقتران خبر عسى بأن، ويجب اقتران خبر حرى واخلولق بها.
٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣	طفق علق أنشأ أخذ جعل هب هلهل	النبى العربى حسان الحادى الصحابة عمرو زيد	يدعو يسأل ينشد يحدو يؤمنون على الدعاء يضحك ينظر	هذه الأُفعال السبعة. تدل على الشروع فى الخبر. ويجب تجرد خبرها من أن.

والقسم الثالث الذي يعمل عمل صار ويؤدى معناها هى العشرة الأفعال المذكورة فى هذا الجدول :

(جدول القسم الثالث الذى يعمل عمل صار ويؤدى معناها)

عدد	عوامل	أسماء	أخبار	استشهادات
١	آض	زيد	مسافرا	
٢	رجع	بعض المؤمنين بعد النبى	كافرا	فى الحديث : لا ترجعوا بعدى كفارا .
٣	عاد	الغاوى	آمرا بالرشد	قال الشاعر : فلله مغو عاد بالرشد آمرا .
٤	استحال	الطين	إبريقا	وفى الحديث : فاستحالت عزبًا وأرهف شفرته .
٥	قعد	السيف بالإرهاف	حربة	حتى قعدت كأنها حربة .
٦	حار	الجمر	رمادا	قال الشاعر : وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعدما هو ساطع
٧	ارتد	يعقوب		قال تعالى : (ألقاه على وجهه فارتد بصيرا)
٨	تحولت	النعمة	بصيرا	قال الشاعر : فيا لك من نعمى تحولت أبؤسا .
٩	غدت	الطير	نقمة خماصا	وفى الحديث : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا .

وجميع ما تصرف من هذه العشرة يعمل عملها أيضا.

والقسم الرابع الذى يعمل عمل ليس الأربعة حروف المذكورة فى هذا الجدول :

(جدول القسم الرابع، وهو: الحروف المشبهات بليس)

عدد	عوامل	أسماء	أخبار	ملحوظات
١	ما الحجازية	ما هذا	بشرا	وأهل تميم يهملونها فيقولون : ما هذا بشر
٢	لا النافية للوحدة	لا شىء	على الأرض باقيا	إعمالها خاص بالشعر ، كقوله : تعز فلا شىء على الأرض باقيا . ولا وزر مما قضى الله واقيا .
٣	إن النافية	إن أحد	خيرا من أحد إلا بالعافية	ومثله قول الشاعر : إن هو مستوليا على أحد إلا على أضعف المجانين وإعمالها نادر .
٤	لات	لات الحين	حين مناص	الغالب حذف اسمها وبقاء خبرها ولا تعمل إلا فيما يدل على الزمن ، ومنه قول الشاعر : ندم البغاة ولات ساعة مندم . أى ليست الساعة ساعة ندم .

فجملة العوامل التى ترفع الاسم وتنصب الخبر أربعون عاملا ، وكلها أفعال إلا الأربعة الأخيرة فهى حروف ، فأسماؤها من باب المرفوعات وأخبارها من باب المنصوبات ، وسيأتى التنبيه عليها .

السادس من المرفوعات: خبر إن وأخواتها

إن وأخواتها حروف مشبهة بالفعل فى كونها رافعة وناصبة ، ولو على غير الترتيب ، وفى كنوها مختصة بالأسماء ، وفى دخولها على المبتدأ والخبر عكس كان فتؤثر تأثير الأفعال نوعا فقد أشبهتها حسا ومعنى حيث كانت مبنية على الفتح

وكانت ثلاثية ورباعية وخماسية كعدد حروف الأفعال ما عدا لا النافية للجنس فهى ثنائية، وشبه هذه الحروف للأفعال فى تأدية المعنى ظاهر، فإن معنى إن التوكيد فهى فى قوة أؤكد، ومعنى ليت التمنى فتكون فى قوة أتمنى، ومعنى كأن التشبيه فهى بمنزلة أشبه، ومعنى لكن للاستدراك فهى بمنزلة استدرك، ومعنى لعل الترجى فهى بمعنى أترجى، ومعنى لا النفى فهى بمنزلة أنفى.

فلهذا عملت هذه الحروف الرفع والنصب الذى هو من عمل الأفعال، وإنما كانت على عكس الأفعال فى الترتيب فتقدم منصوبها على مرفوعها أصالة للفرق بين الفرع وأصله، وتسمى بالنواسخ، وعدد أدواتها سبعة مذكورة فى هذا الجدول بأمثلتها ومعانيها:

(جدول العوامل المشبهة بالفعل فى الرفع والنصب)

عدد	حروف عوامل	أسماء منصوبة	أخبار مرفوعة	معانى وملحوظات
١	إن	زيدا	عالم	معنى إن ـ المكسورة ـ وأن ـ المفتوحة ـ: التأكيد، يعنى تحقيق مضمون الخبر، والفرق بين إن المكسورة وأن المفتوحة هو أن المكسورة مع إسمها وخبرها كلام تام مفيد، وأن المفتوحة لا تفيد جملتها حتى يكون ما قبلها فعل، كبلغنى، أو اسم، كقولك: حق أن زيدا منطلق. وتفتح بعد لو ولولا وبعد علمت وأخواتها. فإن دخلت اللام فى خبرها كسرت، كقوله تعالى: (والله يعلم إنك لرسوله). وتكسر إن فى الابتداء وبعد القول وبعد القسم. وتكف عن العمل بما، كقوله تعالى: (إنما الله إله واحد).
٢	بلغنى أن	زيدا	ذاهب	وتخفف أن فيقل عملها ويكثر إلغاؤها، وفى حالة الإهمال تلزم اللام فى خبرها نحو إن زيد لقائم ـ بسكون نون إن ـ وقد يرفع بعد أن المبتدأ فيكون إسمها ضمير الشأن محذوفا كحديث: إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون، والأصل أنه.

تابع(جدول العوامل المشبهة بالفعل فى الرفع والنصب)

عدد	حروف عوامل	أسماء منصوبة	أخبار مرفوعة	معانى وملحوظات
٣	كأن	زيدا	أسد	معنى كأن التشبيه، وهو الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى المعنى بالكاف ونحوها، وهو هنا مشاركة زيد للأسد فى الشجاعة، وأصل: كأن زيدا أسد: إن زيدا كالأسد، فقدمت الكاف على أن ليدل الكلام من أول الأمر على التشبيه وفتحت أن لدخول الكاف عليها.
٤	ما جاءنى زيد لكن	عمرا	حاضر	معنى لكن: الاستدراك، وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه، فمثال الأول قولك: زيد شجاع، فيتوهم منه ثبوت الكرم لتلازمهما عادة، فترفع ذلك التوهم بقولك: لكنه بخيل. ومثال الثانى: ما جاءنى زيد، فيتوهم منه عدم حضور عمرو مثله، فترفع التوهم بقولك: لكن عمرا حاضر.
٥	ليت	الشباب	عائد	معنى ليت: التمنى، وهو طلب ما لا طمع فيه لاستحالته، نحو: ألا ليت الشباب يعود يوما، أو طلب ما فيه عسر، نحو: ليت لى مالا فأحج منه، ولا يكون التمنى فى المحقق الحصول نحو: ليت الشمس تطلع، فإن ذلك واجب عادى وإن كان فى نفسه جائزا عقليا.
٦	لعل	الحبيب	قادم	معنى لعل: الترجى، وهو طلب الأمر المحبوب الذى لا وثوق بحصوله فى وقت الطلب، فالترجى قسمان: طمع، وإشفاق، فالطمع ارتقاب الشيء المحبوب، نحو: لعل الله راحم، والإشفاق: ارتقاب المكروه، نحو: لعل العدو هالك، فلا يصح ترجى الشيء الموثوق بحصوله، فلا يقال: لعل الشمس تغرب.
٧	لا	غلام سفر	حاضر	معنى لا: نفى الخبر عن جنس مدخولها، فإذا قلت: لا غلام سفر حاضر، فقد نفيت الحضور عن جنس غلمان السفر، ويلزم من ذلك نفيه عن جميع الأفراد وتسمى لا التبرئة. وسيأتى بقية الكلام عليها فى المنصوبات.

السابع من المرفوعات توابعها الأربعة وهى:

النعت والعطف والتوكيد والبدل

التابع الأول: النعت

النعت هو التابع المشتق أو المؤول بالمشتق المكمل لمتبوعه بدلالته على معنى فيه أو بدلالته على معنى فيما يتعلق به، نحو جاء زيد الفاضل، وجاء عمرو الفاضل غلامه، وعلى كل فالنعت كاشف لمنعوته إن كان معرفة ومخصص له إن كان نكرة.

وهو قسمان أحدهما حقيقى، وهو ما دل على معنى فى المتبوع نفسه ككونه عالما أو فاضلا أو محسنا وجرى على من هو له يعنى اشتمل على ضمير مستتر يعود على المنعوت، ففى الفاضل من قولك جاء زيد الفاضل ضمير عائد على زيد، وثانيهما: غير حقيقى، ويسمى سببيا، وهو ما دل على معنى فيما يتعلق بالمنعوت لا فى المنعوت نفسه وجرى على غير من هو له، نحو فاضل من قولك جاء رجل فاضل غلامه، فالفضل موجود فى متعلق المنعوت وهو غلامه لا فى المنعوت نفسه وهو رجل، ففاضل لم يرفع ضمير المنعوت بل رفع ظاهرا متصلا بضمير المنعوت وهو غلامه، وإذا كان النعت جملة كانت فى قوة المفرد نحو جاءنى رجل يضحك، فجملة يضحك من الفعل والفاعل الذى هو ضمير عائد على المنعوت فى محل رفع نعت لرجل، أى جاءنى رجل ضاحك، فهذه الجملة فى قوة النعت الحقيقى، وكذلك إذا قلت جاءنى رجل تضحك أمه، فالجملة فى محل رفع نعت لرجل، وهى فى قوة مفرد فى معنى ضاحكة أمه، فهى فى معنى النعت السببى، فالنعت بالجملة لا يخرج عن القسمين.

فالقسم الأول، الذى هو النعت الحقيقى، يتبع منعوته فى أربعة من العشرة الآتية:

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
رفع	نصب	خفض	إفراد	تثنية	جمع	تأنيث	تذكير	تعريف	تنكير
يتبع فى ١ من ٣			يتبع فى ١ من ٣			يتبع فى ١ من٢		يتبع فى ١ من٢	

فيتبعه فى الرفع أو النصب أو الخفض، وهو واحد من ثلاثة، ويتبعه فى الإفراد أو التثنية أو الجمع، وهو أيضا واحد من ثلاثة، ويتبعه فى التذكير أو التأنيث، وهو واحد من اثنين، ويتبعه فى التعريف أو التنكير، وهو أيضا واحد من اثنين، فيطابق النعت الحقيقى منعوته فى أربعة من العشرة المتقدمة، وأمثلة ذلك مذكورة فى هذا الجدول:

جدول مطابقة النعت الحقيقى لمنعوته، وبيان أمثلته				ملحوظات
١	جاء زيد العاقل	رأيت زيداً العاقل	مررت بزيد العاقل	وهذا فيما إذا كان جمع المؤنث لعاقل، وأما فيما لا يعقل فيفرق بين جمع الكثرة والقلة بالمطابقة والإفراد عملا بقوله: وجمع كثرة لما لا يعقل الأفصح الإفراد فيه يافل وفى سواه الأفصح المطابقة نحو هبات وافرات لائقة
٢	جاء رجل عاقل	رأيت رجلا عاقلا	مررت برجل عاقل	
٣	جاءت هند العاقلة	رأيت هنداً العاقلة	مررت بهند العاقلة	
٤	جاءت امرأة عاقلة	رأيت امرأة عاقلة	مررت بامرأة عاقلة	
٥	جاء الزيدان العاقلان	رأيت الزيدين العاقلين	مررت بالزيدين العقلين	
٦	جاءرجلان عاقلان	رأيت رجلين عاقلين	مررت برجلين عاقلين	
٧	جاء الهندان العاقلتان	رأيت الهندين العاقلتين	مررت بالهندين العاقلتين	
٨	جاءت امرأتان عاقلتان	رأيت امرأتين عاقلتين	مررت بامرأتين عاقلتين	
٩	جاءالزيدون العاقلون	رأيت الزيدين العاقلين	مررت بالزيدين العاقلين	
١٠	جاء رجال عاقلون	رأيت رجالا عاقلين	مررت برجال عاقلين	
١١	جاءت الهندات العاقلات	رأيت الهندات العاقلات	مررت بالهندات العاقلات	
١٢	جاءت نساء عاقلات	رأيت نساء عاقلات	مررت بنساء عاقلات	

فكل واحد من الأعداد الاثنى عشر مشتمل على ثلاثة أمثلة فتكون جملة الأمثلة ستة وثلاثين مثالاً، وكل مثال فيها طابق النعت منعوته فى أربعة من عشرة.

وإذا كان النعت بجملة فعلية مضارعية أو ماضوية أو بجملة اسمية فلابد من إشتمالها على ضمير يعود على المنعوت ويكون مطابقا له فى الإفراد أو التثنية أو الجمع، ولا يكون النعت بالجملة إلا للأسماء النكرات أو ما فى معناها، وتكون الجملة فى محل رفع أو نصب أو خفض أى فى تأويل مفرد مرفوع أو منصوب أو مخفوض باعتبار كون المنعوت مرفوعا أو منصوبا أو مخفوضا. وبيان النعت بالجملة المضارعية فى هذا الجدول:

٢ ـ (جدول النعت بجملة الفعل المضارع)

عدد				تأويلات
١	جاء رجل يضحك	رأيت رجلا يضحك	مررت برجل يضحك	أى: ضاحكٌ، ضاحكاً ضاحكٍ
٢	جاءت امرأة تضحك	رأيت امرأة تضحك	مررت بامرأة تضحك	أى: ضاحكةٌ، ضاحكةً ضاحكة
٣	جاء رجلان يضحكان	رأيت رجلين يضحكان	مررت برجلين يضحكان	أى: ضاحكان، ضاحكين، ضاحكين
٤	جاءت امرأتان تضحكان	رأيت امرأتين تضحكان	مررت بامرأتين تضحكان	أى: ضاحكتان، ضاحكتين ضاحكتين
٥	جاء رجال يضحكون	رأيت رجالا يضحكون	مررت برجال يضحكون	أى: ضاحكون، ضاحكين ضاحكين
٦	جاءت نسوة يضحكن	رأيت نسوة يضحكن	مررت بنسوة يضحكن	أى: ضاحكات، ضاحكات ضاحكات

فقد اشتمل هذا الجدول على ثمانية عشر مثالا طابق فيها ضمير الجملة المنعوت إفرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا ومحل إعراب وكون الجملة فى موقع النكرة فقد حصلت المطابقة فى أربعة من عشرة.

وبيان النعت بالجملة الفعلية الماضوية فى الجدول الآتى:

٣ ـ (جدول النعت بجملة الفعل الماضى)

عدد				تأويلات
١	جاء رجل يضحك	رأيت رجلا ضحك	مررت برجل ضحك	أى : ضاحكٌ، ضاحكا ضاحك
٢	جاءت امرأة ضحكت	رأيت امرأة ضحكت	مررت بامرأة ضحكت	أى : ضاحكةٌ ضاحكةً ضاحكةٍ
٣	جاء رجلان ضحكا	رأيت رجلين ضحكا	مررت برجلين ضحكا	أى : ضاحكان ضاحكين ضاحكين
٤	جاءت امرأتان ضحكتا	رأيت امرأتين ضحكتا	مررت بامرأتين ضحكتا	أى : ضاحكتان، ضاحكتين ضاحكتين
٥	جاء رجلا ضحكوا	رأيت رجالا ضحكوا	مررت برجال ضحكوا	أى : ضاحكون، ضاحكين ضاحكين
٦	جاءت نسوة ضحكن	رأيت نسوة ضحكن	مررت بنسوة ضحكن	أى : ضاحكات ضاحكات ضاحكات

وما قيل فى النعت بالجملة المضارعية يقال نظيره فى الجملة الماضوية من مطابقة ضمير الجملة للمنعوت، ومثل ذلك النعت بالجملة الإسمية الآتى بيانها فى هذا الجدول :

٤ ـ (جدول النعت بالجملة الإسمية)

عدد													تأويلات			
١	جاء	رجل	أبوه	عاقل	رأيت	رجلا	أبوه	عاقل	مررت	برجل	أبوه	عاقل	أى	عاقلُ الأب	عاقلُ الأب	عاقلِ الأب
٢	جاءت	امرأة	أبوها	عاقل	رأيت	امرأة	أبوها	عاقل	مررت	بامرأة	أبوها	عاقل	أى	عاقلةُ الأب	عاقلةُ الأب	عاقلةِ الأب
٣	جاء	رجلان	أبواهم	عاقلان	رأيت	رجلين	أبواهما	عاقلان	مررت	برجلين	أبواهما	عاقلان	أى	عاقلا الأبوين	عاقلى الأبوين	عاقلِى الأبوين
٤	جاءت	امرأتان	أبواهما	عاقلان	رأيت	امرأتين	أبواهما	عاقلان	مررت	بامرأتين	أبواهما	عاقلان	أى	عاقلتا الأبوين	عاقلتى الأبوين	عاقلتى الأبوين
٥	جاء	رجال	آباؤهم	عقلاء	رأيت	رجالا	آباؤهم	عقلاء	مررت	برجال	آباؤهم	عقلاء	أى	عقلاء الآباء	عقلاء الآباء	عقلاءِ الآباء
٦	جاءت	نسوة	آباؤهن	عقلاء	رأيت	نسوة	آباؤهن	عقلاء	مررت	بنسوة	آباؤهن	عقلاء	أى	عاقلاتُ الآباء	عاقلات الآباء	عاقلاتِ الآباء

وهذا النعت إن قدرته كما ذكر وأنه يشتمل على ضمير يعود على المنعوت كان حقيقيا، فإن قدرت أن فاعله اسم ظاهر فى قوة : عاقل أبوه، كان سببيا .

وما قيل فى الجملة الفعلية من المطابقة يقال هنا .

وأما القسم الثانى، وهو النعت السببى فيتبع منعوته فى اثنتين من الخمسة الآتية وهى :

١	٢	٣	٤	٥
رفع	نصب	خفض	تعريف	تنكير
يتبع فى ١ من ٣			يتبع فى ١ من ٢	

يعنى أنه يتبعه فى واحد من أوجه الإعراب الثلاثة وفى التنكير أو التعريف ولا يتبعه فى إفراد ولا تذكير ولا تأنيث ولا تثنية ولا جمع، فتقول جاء زيد العاقلة أمه، وجاء الزيدان العاقل أبواهما، وجاء الزيدون العاقل آباؤهم، وجاء رجل عاقلة أمه، وامرأة عاقل أبوها، ونسوة عاقل آباؤهن، وقس على ذلك.

وقد يكون النعت السببى أيضا جملة كقولك جاء رجل قامت أمه. فمن هذا يفهم أن النعت إذا كان بجملة كانت دائما فى قوة الإسم المشتق.

التابع الثانى: العطف

وهو نوعان، أحدهما: عطف بيان، وثانيهما: عطف نسق.

والأول هو التابع الجامد المشبه للنعت فى توضيح متبوعه، إن كان معرفة، نحو عمر، من قوله: أقسم بالله أبو حفص عمر، أو تخصيصه، إن كان نكرة، كطعام، من قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾[1]، وقد يكون عطف البيان بحرف وهو أى التفسيرية، كقولك: هذا بر أى قمح

والثاني وهو عطف النسق، هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف العشرة المذكورة مع أمثلتها ومعانيها فى هذا الجدول:

---

(١) المائدة: ٩٥.

ـ ٥ ـ (جدول حروف عطف النسق وأمثلتها ومعانيها)

عدد	حروف العطف	حالة رفع		حالة نصب		حالة خفض		معانيها
١	الواو	جاء زيد	وعمرو	رأيت زيدا	وعمرا	مررت بزيد	وعمرو	هى لمطلق الجمع بدون ترتيب ولا تعقيب، أى اشتراك زيد وعمرو فى المجىء والرؤية لهما أو المرور بهما.
٢	الفاء	جاء زيد	فعمرو	رأيت زيدا	فعمرا	مررت بزيد	فعمرو	هى للترتيب والتعقيب، فمجىء عمرو أو رؤيته أو المرور به بعد مجىء زيد أو رؤيته أو المرور به وعقبه بلا مهلة.
٣	ثم	جاء زيد	ثم عمرو	رأيت زيدا	ثم عمرا	مررت بزيد	ثم عمرو	هى للترتيب والتراخى، فمجىء عمرو أو رؤيته أو المرور به بعد مجىء زيد أو رؤيته أو المرور به بمهلة.
٤	أو	قام زيد أو	عمرو أو بكر	رأيت زيدا أو	عمراً	مررت بزيد أو	عمرو أو بكر	هى لأحد الشيئين أو الأشياء لا بعينه، يعنى أن القائم والمرئى والممرور به مبهم وغير معين من المعطوف والمعطوف عليه.
٥	أم	أقام زيد	أم عمرو	رأيت زيدا	أم عمرا	مررت بزيد	أم عمرو	هى لأحد الشيئين أو الأشياء لا بعينه مثل ما قبله.
٦	إما	جاء إما زيد	وإما عمرو	رأيت إما زيدا	وإما عمرا	مررت إما بزيد	وإما بعمرو	العاطفة هى إما الثانية، وهى لأحد الشيئين أو الأشياء مبهما، ولفظ إما الأولى معادلة للثانية العاطفة
٧	بل	ما قام زيد	بل عمرو	ما رأيت زيدا	بل عمرا	ما مررت بزيد	بل عمرو	هى لتقرير حكم ما قبلها وإثبات نقيضه لما بعدها
٨	لا	جاء زيد	لا عمرو	رأيت زيدا	لا عمرا	مررت بزيد	لا عمرو	هى للنفى، وقد يعطف بها بعد النداء نحو: يابن أخى لا ابن عمى.
٩	لكن	ما قام زيد	لكن عمرو	ما رأيت زيدا	لكن عمرا	ما مررت بزيد	لكن عمرو	هى للاستدراك.
١٠	حتى	مات الناس	حتى الأنبياء	رأيت الأمراء	حتى الملك	مررت بالأمراء	حتى الملك	هى للغاية فى الزيادة أو النقص ويكون ما بعدها بعضا مما قبلها.

فالمعطوف من هذه الأسماء تابع للمعطوف عليه منها فى رفعه ونصبه وخفضه، وكذلك إذا عطف الفعل المعرب وهو المضارع على مثله تبع المعطوف عليه فى رفعه ونصبه وجزمه، تقول فى عطف الفعل على الفعل فى حالة الرفع يقوم زيد ويقعد وفى حالة النصب لن يأكل زيد ويشرب وفى حالة الجزم لم يأكل زيد ويشرب، ومثال الجزم أيضا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ**﴾[1] فيكفر ويغفر مجزومان بالعطف على يجعل، وهذا كله فى عطف المفردات.

---

(١) الأنفال: ٢٩.

وقد تعطف الجملة على الجملة نحو قام زيد وقعد عمرو ويقوم زيد ويقعد عمرو فكل من جملة قعد عمرو ويقعد عمرو معطوفة على الجملة التى قبلها التى هى جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، فكذلك الجملة التابعة بالعطف لا محل لها من الإعراب، فإذا قلت زيد يقوم أبوه وتقعد أمه فجملة يقوم أبوه فى محل رفع خبر المبتدأ وهو زيد وجملة تقعد أمه معطوفة عليها فهى فى محل رفع أيضا، فالجملة المعطوفة تتبع الجملة المعطوف عليها فى المحل وعدمه.

التابع الثالث: التوكيد

التوكيد تقرير المؤكَّد ـ بفتح الكاف المشددة ـ بالمؤكِّد بكسرها ـ أى تحقيقه وتثبيته، وهو قسمان: لفظى ومعنوى، فالتوكيد اللفظى إعادة اللفظ الأول بعينه، ويكون فى الاسم كجاء زيد زيد، وفى الفعل كقام قام زيد، وأتاك أتاك اللاحقون احبس احبس، وفى الحرف كنعم نعم، ولا لا، ويكون فى الجملة بتكرارها مرتين كقول المؤذن الله أكبر الله أكبر، وقد قامت الصلاة قد قامت الصلاة.

وكما يكون التوكيد اللفظى بلفظ المؤكد يكون بمرادفه نحو جلس قعد، وليث أسد، وقد يكون التأكيد أيضا بموافق المؤكد نحو زيد عطشان نطشان، وعمرو حَسَنٌ بَسَن، ونحو ذلك

وأما التوكيد المعنوى فهو ما كان بألفاظ معلومة وهى:

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	وهى أكتع
النفس	العين	كل	أجمع	جميع	عامة	كافة	كلا	كلتا	توابع أجمع	وأبتع وأبصع

ويتبع التوكيد المؤكد فى رفعه ونصبه وخفضه وتعريفه.

وتنقسم هذه الألفاظ إلى قسمين: القسم الأول: الألفاظ التى تكون لإثبات الحقيقة ورفع المجاز، وهو النفس والعين، فإذا قلت جاء زيد، مثلا، لا مانع من

أن يجوّز السامع إثبات المجاز وهو كون الذى جاء خبره أو رسوله أوكتابه، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[1] أى أمره، فإذا قلت جاء زيد نفسه أو عينه ارتفع المجاز وثبتت الحقيقة، وهو مجيئه بنفسه، وقد يكون التأكيد فى هذا القسم بالنفس والعين معا لزيادة رفع ما يتوهم من المجاز، وإذا أكد بالنفس أو بالعين أو بهما معا وجد اتصالهما بضمير يطابق المؤكد ـ بفتح الكاف ـ كما هى فى هذا الجدول الآتى[2]:

(جدول ضمير المطابقة فى النفس والعين)

عدد	مؤكد بفتح الكاف	مؤكد بكسر الكاف	ملحوظات
١	جاء زيد	نفسه أو عينه	هذه الأمثلة فى حالة الرفع، ويقال مثل ذلك فى حالتى النصب
٢	جاءت هند	نفسها أو عينها	والجر فقد جمعت النفس والعين فى التثنية والجمع تذكيرا وتأنيثا
٣	جاء الزيدان	أنفسهما أو أعينهما	على مثال أفعل فقيل: أنفس وأعين، وهذا هو الأفصح.
٤	جاءت الهندان	أنفسهما أو أعينهما	ويجوز الإفراد فتقول: جاء الزيدان نفسهما أو عينهما وجاء
٥	جاء الزيدون	أنفسهم أو أعينهم	الزيدون نفسهم أو عينهم، وهو فصيح أيضا، وتجوز التثنية
٦	جاءت الهندات	أنفسهن أو أعينهن	فتقول: جاء الزيدان نفساهما أو عيناهما، وهو غير فصيح.

القسم الثانى، من الفاظ التوكيد ما يدل على الإحاطة والشمول ويمنع خروج بعض الأفراد من الحكم، فإذا قلت جاء الركب أو القبيلة أو الرجال أو الهندات فلربما جوّز السامع أن يكون الجائى الأكثر، فإذا قلت جاء الركب كله أو جميعه أو عامته أو كافته، وجاءت القبيلة كلها أو جميعها أو عامتها أو كافتها، وجاء الرجال كلهم أو جميعهم أو عامتهم أو كافتهم، وجاءت الهندات كلهن أو جميعهن أو عامتهن أو كافتهن، ارتفع بذكر هذه الألفاظ كون الجائى الأكثر ودل ذلك على الإحاطة والشمول.

ويؤكد بكل وأجمع وجميع وعامة وكافة غير المثنى مما له أجزاء حسية أو حكمية

(١) الفجر: ٢٢.

(٢) فى الأصل هنا عبارة: «فى الصفحة الآتية» تحديدًا لمكان الجدول فى الطبعة الأصلية.

يصح افتراقها، كالأمثلة السابقة، وكقولك اشتريت العبد كله والجارية كلها لأن العبد والجارية لهما أجزاء حكمية، ولا يجوز جاء زيد كله، لأنه ليس له أجزاء يصح افتراقها حقيقة أو حكما. وأما المثنى المذكر فيؤكد بكلا نحو جاء الزيدان كلاهما، ورأيت الزيدين كليهما، ومررت بالزيدين كليهما، ويؤكد المثنى المؤنث بكلتا نحو جاء الهندان كلتاهما، ورأيت الهندين كلتيهما، ومررت بالهندين كلتيهما.

وجميع ألفاظ التأكيد الدالة على الإحاطة والشمول لابد من إضافتها إلى ضمير يطابق المؤكد - بفتح الكاف - ما عدا أجمع وأخواته كما سبق التمثيل لذلك، وأما أجمع وتوابع أجمع فلا يلزم فيها ضمير فتقول جاء الركب أجمع ورأينا الركب أجمع ومررت بالركب أجمع.

وإذا أريد تقوية التوكيد فإنك تتبع كله بأجمع وكلها بجمعاء وكلهم بأجمعين وكلهن بُجمَع فتقول جاء الركب كله أجمع وجاءت القبيلة لها جمعاء، وقال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[1] وتقول جاءت الهندات كلهن جمع، ولا يجوز تثنية أجمع ولا جمعاء لتأكيد المثنى استغناء بكلا وكلتا.

وأما توابع أجمع فهى كما تقدم أكتع وأبتع وأبصع، ومعنى كونها توابعها أنها لا تكون إلا بعدها ومعها، وهى على هذا الترتيب، فتقول اشتريت العبد كله أجمع أكتع أبتع أبصع، وجاءنى القوم كلهم أجمعون أكتعون أبتعون أبصعون، واشتريت الجاريه كلها جمعاء كتعاء بتعاء بصعاء، وجاءتنى النسوة كلهن جمع كتع بتع بصع. وإعراب ذلك ظاهر.

ثم إن أجمع وأخواته وجمع وأخواته ممنوعان من الصرف، يجران بالفتحة نيابة عن الكسرة، فإذا قلت مررت بالركب أجمع، كان أجمع مجرورا بالفتحة نيابة عن الكسرة لشبه العلمية ووزن الفعل، أما وزن الفعل فظاهر وأما شبه العلمية فلأنه مضاف فى المعنى إلى ضمير المؤكد، وقد استغنى بتقدير الإضافة فيه

---

(١) الحجر: ٣٠.

عن ظهورها فصار كالعلم فى كونه معرفة بغير قرينة لفظية، وأثر ذلك فى منع الصرف كما تؤثر العلمية، حتى أنه يجرى على لسان بعض المعربين أن المانع له من الصرف العلمية ووزن الفعل، وإذا قلت مررت بالنسوة جمع فلفظ جُمَع مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف لشبه العلمية والعدل، وقد بينا وجه شبه العلمية فى أجمع ويقال مثلها فى جُمَع، وأما العدل فلأنه عدل به عن صيغته الأصلية فيما حقه أن يجمع عليه فإن مفرده جمعاء، وحق جمعاء أن يجمع على جمعاوات لأن مذكره وهو أجمع يقال فى جمعه أجمعون وما جمع مذكره بالواو والنون فحق مؤنثه أن يجمع بالألف والتاء المزيدتين، فلما جمع جمعاء على جُمَع واستغنى بُجَمع عن جمعاوات علم أنه عدل به عما هو القياس فيه، فقد اجتمع فى جُمَع شبه العلمية والعدل، ومثل ذلك يقال فى أكتع وكتع وأبتع وبُتَع، وفى الباقى.

التابع الرابع: البدل

هو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة، نحو أخوك من قولك قام زيد أخوك، فأخوك هو المقصود بالذات بالحكم وهو القيام وزيد فى حكم الساقط، ولذلك يقال إن المبدل منه فى نية الطرح والرمى، يعنى لو أسقطت زيدا من هذا المثال فقلت، قام أخوك لصح المعنى، فالمبدل منه ليس مقصودا بالذات بالحكم، ومع صحة سقوط المبدل منه لابد فى ذكره من فائدة وهى التوطئة والتمهيد، بل قد يتوقف عليه صحة الكلام كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ**﴾[1] فالجن بدل من شركاء ولو حذفته لاختل المعنى.

ثم إن البدل يكون فى الأسماء والأفعال فيتبع البدل المبدل منه فى جميع إعرابه بأن يطابقه فى الرفع والنصب والخفض إن كان اسما مرفوعا أو منصوبا أو مخفوضا ويطابقه فى الرفع والنصب والجزم إن كان فعلا مرفوعا أو منصوبا أو مجزوما.

---

(٢) الأنعام: ١٠٠.

والبدل ستة أقسام:

الأول: بدل كل من كل ويسمى البدل المطابق، وهو ما تكون ذات البدل هى ذات المبدل منه، ومثاله: جاء زيد أخوك.

الثانى: بدل بعض من كل، نحو جاء القوم أكثرهم.

الثالث: بدل الاشتمال، وهو ما يكون بينه وبين المبدل منه ملابسة بغير الكلية والبعضية، نحو نفعنى زيد علمه، وسرق زيد ثوبه.

الرابع: بدل الإضراب، وهو أن يكون المبدل منه مقصودا قصدا صحيحا ثم أضرب عنه إلى البدل، كما إذا قلت المطلوب لى لحم خبز، وكنت قصدت اللحم فبدا لك أولوية الخبز فرجعت عن اللحم إلى الخبز، ومنه قوله ﷺ «إن الرجل ليصلى الصلاة ما كتب له نصفها ثلثها ربعها إلى العشر» - بضم العين - أى ما كتب له نصفها بل ثلثها بل ربعها، وهذا القسم يسمى أيضا بدل البداء، وهو معتمد الأدباء فى المبالغة والتفنن.

الخامس: بدل النسيان، وهو أن يكون المبدل منه مقصودا بالذكر ثم تبين فساد القصد فذكر البدل، كما إذا توهم إنسان أنه دخل عليه رجل فقال جاءنى رجل ثم تذكر أنه امرأة فأردفه بقوله امرأة، فلفظ امرأة فى قوله جاءنى رجل امرأة بدل نسيان.

السادس: بدل الغلط، وهو أن لا يكون المبدل منه مقصوداً بالكلية بل ذكره مجرد سبق لسان وذكر البدل تصحيح لذلك، كقولك جاءنى زيد الفرس وعمرو الحمار، أردت أن تقول الفرس والحمار فسبق لسانك إلى زيد فاعرضت عنه وأتيت بدله بالفرس أو الحمار.

وكل من بدل النسيان والغلط متروك لا يذكر فى كلام الفصحاء، وحيث أنه كثير فى نطق العامة وكلامهم تعرض لذكره النحاة.

ولنذكر أقسام البدل الستة وأمثلتها فى الأسماء والأفعال فى أحوال الإعراب فى الجدولين الآتيين:

جدول ٦
(جدول أقسام البدل فى الأسماء)

عدد	نوع البدل	حالة رفع	حالة نصب	حالة خفض	ملحوظات
١	بدل كل من كل أو مطابقة	جاء زيد أخوك	رأيت زيدا أخاك	مررت بزيد أخيك	ومنه : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) .
٢	بدل بعض من كل	جاء القوم نصفهم	رأيت القوم نصفهم	مررت بالقوم نصفهم	يشتمل هذا البدل على ضمير يعود على المبدل منه .
٣	بدل اشتمال	نفعنى زيد علمه	اكتسبت زيدا علمه	انتفعت بزيد علمه	يشتمل هذا البدل على ضمير يعود على المبدل منه .
٤	بدل إضراب	مطلوبى لحم خبز	طلبت لحما خبزا	اجتهدت فى طلب لحم خبز	هذا البدل فى معنى بل التى للإضراب
٥	بدل نسيان	جاءنى رجل امرأة	رأيت رجلا امرأة	مررت برجل امرأة	هذا المبدل هو المعتمد لفساد المبدل منه الموهوم .
٦	بدل غلط	حضر لى للركوب رجل فرس	ركبت رجلا فرسا	ركبت ظهر رجل فرس	ذكر البدل لرفع الغلط المحض .

جدول ٧
(جدول أقسام البدل فى الأفعال)

عدد	نوع البدل	حالة رفع	حالة نصب	حالة جزم	ملحوظات
١	بدل كل من كل أو مطابقة	زيد يقوم يقف للأمير	زيد لن يقوم يقف للحقير	زيد لم يقم يقف للحقير	إذا أخذت القيام والوقوف بمعنى واحد
٢	بدل بعض من كل	زيد يصلى يسجد لله	يعجبنى من زيد أن يصلى يسجد لله	من يصلى يسجد لله يثب .	
٣	بدل اشتمال	العالم ينفع الناس يعلمهم	أحب من العالم أن ينفع الناس بعلمهم	الطيب لم يؤذ الناس يضربهم	
٤	بدل إضراب	زيد يبيع يشترى ، العبد	زيد لن يبيع يشترى العبد	زيد لم يبع يشتر العبد	قد يذكر الناصب والجازم مع البدل
٥	بدل نسيان	زيد يقوم يقعد	زيد لن يقوم يقعد	زيد لم يقم يقعد	قد يذكر الناصب والجازم مع البدل
٦	بدل غلط	زيد يركب يمشى	زيد لن يركب يمشى	زيد لم يركب يمش	قد يذكر الناصب والجازم مع البدل

فهذا بيان البدل ، وهو الرابع من التوابع للمرفوع ، وهى عبارة عن توابع القسم السابع من المرفوعات ، وقد ذكرنا استطرادا أنها كما تتبع فى الرفع متبوعها تتبعه فى بقية أنواع الإعراب .

الثامن من المرفوعات: الفعل المضارع الذى لم تتصل به نون توكيد مباشرة ولا نون نسوة

هذا القسم من المرفوعات يشترط فى إعرابه أن يكون خاليا من نون النسوة ومن نون التوكيد المباشرة نحو يضرب ويخشى ويدعو ويرمى ويضربان، فهذه الأفعال خالية من نونى النسوة والتوكيد، فإن كانت نون التوكيد غير مباشرة بأن فصل بينها وبين الفعل فاصل ولو تقديرا كألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المؤنثة المخاطبة كان المضارع معربا فى حالة الرفع وغيره، نحو والله لتضربان يا زيدان، ولتضربن يا زيدون، ولتضربن يا هند، فهو فى هذه الأحوال الثلاثة مرفوع بالنون المحذوفة لتوالى الأمثال. وبيان ذلك فى هذا الجدول :

١	يضرب زيد	رفع ظاهر بالضمة	١	والله ليضربان	الزيدان
٢	يخشى زيد	رفع مقدر للتعذر	٢	والله لتضربان	يا زيدان
٣	يدعو زيد	رفع مقدر للثقل	٣	والله ليضربن	الزيدون
٤	يرمى زيد	رفع مقدرللثقل	٤	والله لتضربن	يا زيدون
٥	الأفعال الخمسة	رفع بثبوت النون	٥	والله لتضربن	يا هند

فإذا اتصلت به نون النسوة نحو ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[١] يبنى على السكون، أو باشرته نون التوكيد نحو ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾[٢] بنى على الفتح.

وقد سبق الكلام على الفعل المضارع عند ذكر الأفعال وعند ذكر الإعراب والبناء وذكر هنا لمناسبة المرفوعات الذى هو ثامنها.

---

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) يوسف: ٣٢.

الباب الحادى عشر

فى عوامل النصب وفى المنصوبات من الأسماء والأفعال

يشتمل هذا الباب على قسمين :

القسم الأول فى بيان عوامل النصب .

عوامل النصب فى الأسماء هى الأفعال المعتدية وما تصرف منها، كأسماء الفاعلين والمفعولين والمصادر، وهذه عوامل قياسية كل فعل منها أو ما فى معناه من المشتقات والمصادر يعمل النصب، ويلحق بها فى عمل النصب الأفعال الناقصة ككان وأخواتها وأفعال المقاربة والحروف المشبهة بالأفعال وهى إن وأخواتها، وكذلك يعمل النصب فى الأسماء أسماء فعل الأمر المتعدى .

وكل ما فيه معنى الفعل كأدوات الاستثناء وحروف النداء والأسماء المبهمة المحتاجة للتمييز كل هذا يعمل النصب فى الأسماء، وأما الفعل المضارع فله نواصب مختصة بالعمل لا تدخل إلا عليه للتأثير فيه نحو لن، وقد جمعنا أصول عوامل النصب فى هذا الجدول :

جدول ٨
(جدول عوامل النصب)

عدد	نوع عوامل النصب	المنصوبات بها	ملحوظات
١	الفعل المتعدى لمفعول واحد	نحو : ضربت زيدا	ومثل ذلك المضارع والأمر
٢	الفعل المتعدى لاثنين أحدهما غير الأول	نحو : أعطيت زيدا درهما	ومثله : كسوت زيدا جبة .
٣	الفعل المتعدى لاثنين أحدهما عين الأول	نحو : ظننت زيدا عالما، ووجدت زيدا صديقًا	وهذا فيما أصله المبتدأ والخبر ودخلت عليه أفعال القلوب فنسخت حكمه إلى النصب .
٤	الفعل المتعدى لثلاثة مفاعيل	نحو : أعلمت زيدا عمرا منطلقا وأريت زيدا العلم نافعا	المفعول الثانى والثالث أصلهما المبتدأ والخبر فأحدهما عين الآخر
٥	اسماء الفاعلين المشتقة من الأفعال المتعدية لواحد أو لاثنين أو لثلاثة إذا أريد بها الحال والاستقبال .	نحو : زيد ضارب عمرا، زيد معط غلامه درهما، زيد ظان عمرا عالما، زيد معلم بكرا عمرا منطلقا	
٦	أسماء المفعولين المشتقة من الأفعال المتعدية لاثنين أو لثلاثة .	نحو : زيد معطى درهما، زيد مظنون عالما، زيد معلم بفتح اللام - عمرا منطلقا	لا يتأتى المثال فى المتعدى لواحد لأن مفعوله نائب فاعل وهو من المرفوعات .
٧	مصادر الأفعال المتعدية لمفعول واحد أو لمفعولين أو لثلاثة مفاعيل	نحو : عجبت من ضربك زيدا ومن إعطائك عمرا درهما ومن إراءتك أى يا بكر عالما	
٨	الصفة المشبهة باسم الفاعل إذا نصبت شبه المفعول به .	نحو : زيد حسن وجهه إذا جعلنا فى حسن ضميرا يعود على زيد مستترا على الفاعلية	كأننا جعلنا الحسن عاما فى زيد فنصبنا الوجه على التشبيه بالمفعول به لاستيفاء الصفة فاعلها .
٩	أسماء الأفعال المتعدية نحو :	نحو : رويد زيد، أى أمهله .	وهى ستة : رويد، بمعنى أمهل، وبله، بمعنى

تابع (جدول عوامل النصب)

عدد	نوع عوامل النصب	المنصوبات بها	ملحوظات
	رويدا اسم فعل أمر لأ مهل . الأفعال الناقصة الناصبة للأخبار	نحو : كان زيد قائما ، وعسى زيد أن يقوم .	دع . ودونك ، بمعنى خذ . وعليك ، بمعنى الزم . وهاك ، بمعنى خذ . وحيهل ، بمعنى ائت . ومنه خبر «ما» الحجازية ، وإن ، ولا ، ولات المشبهات بليس ، نحو : ما هذا بشرا . وقد سبق ذلك فى الخامس من المرفوعات .
١١	الحروف المشبهة بالأفعال فى مطلق النصب والرفع ، وهى إن وأخواتها	نحو : إن زيدا قائم وليت عمرا شاخص	وتلحق بها لا التى لنفى الجنس ، نحو : لا غلام سفر حاضر .
١٢	واو المعية الداخلة على المفعول معه .	نحو : سرت والنيل ، واستوى الماء والخشبة	على القول المرجوح من أن ناصب المفعول معه هو واو المعية ، والصحيح أنه منصوب بالفعل أو بالمشتق .
١٣	المبهمات الناصبة للتميز	نحو : كم درهما مالك ، وعندى أحد عشر درهما .	كم : خبر مقدم ، مبنى على السكون فى محل رفع ، ودرهما : تمييز ، ومالك : مبتدأ مؤخر ومضاف إليه ، فهو فى معنى : ميز لى عدد دراهمك .
١٤	أدوات الاستثناء	نحو : قام القوم إلا زيدا	أدوات الاستثناء فى قوة الأفعال المتعدية .
١٥	نواصب الفعل المضارع	نحو : لن يقوم زيد	سيأتى بيان النواصب والمنصوب بها فى آخر هذا الباب .

فهذا الجدول يشتمل على أنواع النصب إجمالا ، وستتوضح هذه العوامل زيادة عن ذلك فى القسم الثانى من هذا الباب وهو المنصوبات .

القسم الثانى : يتعلق بالمنصوبات ، وهى من الأسماء أربعة عشر نوعا ومن الأفعال نوع واحد وهو الفعل المضارع إذا دخل عليه ناصب من النواصب الخاصة به ، فتكون جملة المنصوبات خمسة عشر ، وهى : المفعول به ، والمفعول المطلق ،

وظرف الزمان، وظرف المكان، ويسميان مفعولا فيه، والحال، والتمييز، والمستثنى، واسم لا، والمنادى، وخبر كان وأخواتها، واسم إن وأخواتها، والمفعول من أجله، والمفعول معه، والتابع للمنصوب، والفعل المضارع إذا دخل عليه ناصب، وهى مبينة فى هذا الجدول:

جدول ٩
(جدول المنصوبات)

عدد	نوع المنصوبات	أمثلة	ملحوظات
١	المفعول به	نحو: ضربت زيدا	اجتمع المفعول به والمفعول المطلق فى
٢	المفعول المطلق المسمى مصدرا	نحو: ضربت ضربا	قوله تعالى: (وكلم الله موسا تكليما)
٣	ظرف الزمان	نحو: سافرت يوم الخميس	
٤	ظرف المكان	نحو: جلست أمام المسجد	
٥	الحال	نحو: شرب زيد قائما	الحال يفسر ما انبهم من الهيئات.
٦	التمييز	نحو: عندى عشرون درهما	والتمييز يفسر ما انبهم من الذوات.
٧	المستثنى	نحو: قام القوم إلا زيدا	هو فى قوة: استثنى أى أخرج زيدا من القائمين
٨	اسم «لا» النافية للجنس	نحو: لا صاحب علم ممقوت	هو داخل فى اسم أخوات إن لكن له أحكام خاصة به فلهذا أفرد
٩	المنادى	نحو: يا عبدالله	هو فى معنى المفعول به وله أحكام
١٠	خبر كان وأخواتها وما ألحق بها	نحو: كان زيد قائما، وصار الطين خزفا، وكاد زيد أن يقوم	تخصه تقدم الكلام عليها فى المرفوعات
١١	اسم إن وأخواتها	نحو: إن الساعة آتية، لعل الساعة قريب.	سبق بيانها فى السادس من المرفوعات
١٢	المفعول من أجله	نحو: جئت محبة فيك.	
١٣	المفعول معه	نحو: استوى الماء والخشبة.	
١٤	تابع المنصوبات وهو أربعة: نعت، عطف، توكيد، بدل	نحو: جاء زيد العالم، قام زيد وعمرو، جاء القوم كلهم، جاء زيد أخوك.	
١٥	الفعل المضارع	نحو: لن ندعو من دونه إلها.	ليس من الأفعال منصوب غير الفعل المضارع.

(الأول من المنصوبات: المفعول به)

المفعول به هو الذى يقع عليه فعل الفاعل نحو ضرب زيد عمرا ومنع بكر خالدا وذكرت الله وعبدته، وهو من دون المفاعيل يفرق بين المتعدى وغير المتعدى، إذ لا يكون المفعول به إلا لفعل متعد فلا ينصبه اللازم نحو ذهبت وخرجت بخلاف سائر المفاعيل فإنها تكون للمتعدى واللازم فينصب المفعول به بالفعل أو ما فى معناه المتعدى لواحد فصاعداً إلى الثلاثة.

فمثال المتعدى إلى مفعول واحد ضربت زيدا، وقتلت عمرا.

ومثال ما فى معناه زيد ضارب عمرا، وعجبت من ضربك عمرا، ومن هذا القبيل اسم فعل الأمر المتعدى فيعمل النصب كفعله، وهو ستة ألفاظ مذكورة فى هذا الجدول:

(جدول اسماء فعل الأمر العاملة عمل أفعالها فى النصب)

عدد	أسماء أفعال	أمثلة	ملحوظات
١	رويد، اسم لأمهل	نحو: رويد زيدا	يستوى فى رويد وبله فى الخطاب الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، تقول: يا رجل رويد زيدا، ويا رجال رويد زيدا، ويا امرأة رويد زيدا، ويا نساء رويد زيدا.
٢ ٣ ٤ ٥	بله، اسم فعل لدع دونك، اسم فعل لخذ عليك، اسم فعل لا لزم هاك، اسم فعل لخذ	نحو: بله هندا نحو: دونك الكتاب نحو: عليك نفسك نحو: هاك المصحف	الكاف في هذه الثلاثة حرف خطاب تثنى وتجمع وتذكر وتؤنث صورة ككاف الخطاب فى اسم الإشارة وليست لازمة فى هاك، فتقول: ها الكتاب، وتقول للمثنى: هاؤما الكتاب، وللجمع: هاؤم الكتاب، وهاؤنّ الكتاب.
	حيهّل، اسم فعل لائت	نحو: حيهّل الثريد	يعين ائت الثريد، وهو من باب الحذف والإيصال.

وأما ما يتعدى إلى مفعولين ثانيهما غير الأول فى المعنى فنحو أعطيت زيدا درهما وكسوته ثوبا، ويجوز فى هذا النوع الاقتصار على أحدهما فى الذكر فتقول أعطيت زيدا بدون أن تذكر ما أعطيته وتقول أعطيت درهما بدون أن تذكر من أعطيته الدرهم.

وأما ما يتعدى إلى مفعولين ثانيهما عين الأول فى المعنى فنحو علمت زيدا منطلقا، وحسبت زيدا فاضلا، ولا يجوز فى هذا النوع الاقتصار على أحدهما فى الذكر فلا تقول حسبت زيدا ولا حسبت منطلقا.

وهذه الأفعال ثلاثة أنواع:

أحدها: ما يفيد ظنا، أى رجحانا، نحو ظننت زيدا عالما.

ثانيها: ما يفيد الخبر يقينا، نحو علمت زيدا غنيا، ويسمى هذان النوعان أفعال القلوب، لأنها لا تحتاج فى صدورها إلى الأعضاء الظاهرة.

ثالثها: ما يفيد تحويل المبتدأ إلى الخبر، أى تصييره إليه، نحو اتخذت زيدا صديقا، وتسمى أفعال التحويل.

وهذه الأنواع الثلاثة داخلة دائما على المبتدأ والخبر، فهى ثالثة النواسخ، وناصبة للجزءين على أنهما مفعولان لها، وبيانها مع أمثلتها فى الجدول الآتى:

جدول ١٠

(جدول ما يتعدى لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر)

عدد	أفعال	أمثلة	ملحوظات
١	ظننت	نحو: ظننت زيدا منطلقا	هذه الأفعال السبعة تفيد فى الخبر الظن، أى الرجحان، وهى أفعال متصرفة إلا الفعل السابع منها وهو: هب، فإنه فعل أمر غير متصرف، وهو بمعنى ظن، ومنه قول الفرضى: * وهب أباهم حجرا فى اليم* أى افرضه كذلك. وما تصرف من تلك الأفعال يعمل عملها نحو: أنا ظان زيدا عالما. وكون هذه الأفعال أصلها المبتدأ والخبر قد يرد عليه قولك: حسبت العدو صديقا، لأنه يقتضى أن أصله: العدو صديق، فيؤول بنحو: العدو قابل لأن يكون صديقا، والأحسن من ذلك أن يقال: إن الخبر فى الحقيقة عن موصوف العدو، وهو زيد مثلا، بقطع النظر عن الصفة. وإذا كان ظن بمعنى اتهم، نحو: ظننت زيدا، أى اتهمته، تعدت إلى مفعول واحد.
٢	خلت	نحو: خلت عمرا شاخصات	
٣	حسبت	نحو: حسبت زيدا شجاعا	
٤	زعمت	نحو: زعمت بكرا جبانا	
٥	عددت	نحو: عددت زيدا غنيا	
٦	حجوت	نحو: حجوت خالدا مسعفا	
٧	هب	نحو: هب زيدا محسنا	
٨	رأيت	رأيت الله أكبر كل شىء	هذه الأفعال الستة تفيد فى الخبر اليقين، وكلها متصرفة إلا تعلم فإنه فعل أمر غير متصرف بمعنى اعلم وما تصرف من الأفعال الخمسة يعمل أيضا عملها. وإذا أخرجت أفعال القلوب عن معانيها القلبية لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد نحو: علمت زيدا، أى عرفته، ورأيته أى أبصرته، وزعم فلان ذلك أى قاله، ووجد عمرو الضالة، أى صادفها، وجميع أفعال الحواس كأبصرت وذقت ولمست وشممت تتعدى لواحد، واختلف فى سمع فقيل: إن دخلت على ما لا يسمع نحو: سمعت زيدا يتكلم تعدت لمفعولين وإلا تعدت لمفعول واحد: نحو: سمعت كلام زيد، والصحيح أن ما بعدها حال مطلقا.
٩	علمت	نحو: علمت أبا بكر شجاعا	
١٠	وجدت	نحو: وجدت الصحابة موافقين لأبى بكر	
١١	ألفيت	نحو: ألفيت عليا متابعا لأبى بكر	
١٢	دريت	نحو: دريت خالدا مقداما	
١٣	تعلم	نحو: تعلم شفاء النفس قهر عدوها	
١٤	اتخذت	نحو: واتخذ الله إبراهيم خليلا	وهذه الأفعال الخمسة الأخيرة تفيد التحويل والتصيير، ويضاف إليها: صير وأصار، نحو صير الرجل التراب طينا، وأصار الطين إبريقا. والأخير منها وهو وهب لم يسمع فى التحويل إلا بصيغة الماضى. وكون المفعولين أصلهما المبتدأ والخبر إنما يكون بنوع من التأويل، فإنه لا يصح: الطين إبريق إلا بقولك: الطين آيل إلى صورة الإبريق.
١٥	جعلت	نحو: فجعلناه هباء منثورا	
١٦	رددت	نحو: فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا	
١٧	تركت	نحو: ربيته حتى تركته مراهقا	
١٨	وهبت	نحو: وهبنى الله فداك	

وأما ما يتعدى لثلاثة مفاعيل أصل الثانى والثالث منها المبتدأ والخبر فنحو: علمت وما كان بمعناه، تقول: علمت زيدا عمرا فاضلا، وخبرت زيدا عمرا منطلقا. وهذا جدولها.

(جدول ما يتعدى لثلاثة مفاعيل أصل ثانيهما وثالثهما المبتدأ والخبر)

عدد	أفعال	أمثلة	ملحوظات
١	اعلمت	نحو : أعلمت زيدا عمرا فاضلا	تعمل هذه الأفعال إذا كانت بمعنى أعلم الذى
٢	أريت	نحو : أريت زيدا خالدا شجاعا	أصله علم المفيدة لليقين، وتعدى بالهمزة،
٣	أنبأت	نحو : أنبأت بكرا خالدا منطلقا	فشرط عملها أن تكون بمعنى أعلمت،
٤	نبأت	نحو : نبأت زيدا بكرا غنيا	فقولك : أريت زيدا خالدا شجاعا يعنى
٥	أخبرت	نحو : أخبرت زيدا عمرا فاضلا	أعلمته ذلك، فإذا كانت أريت بمعنى جعلته
٦	خبرت	نحو : خبرت زيدا عمرا ذاهبا	يبصر لا تتعدى إلا إلى مفعولين كأصلها وهو
٧	حدثت	نحو : حدثت زيدا العلم نافعا	رأيت البصرية التى تتعدى إلى مفعول واحد .

وللأفعال المتعدية إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر خصائص منها أن هذه الأفعال تنصب المفعولين ما دامت متقدمة عليهما نحو ظننت زيدا مقيما .

فإن توسطت بينهما أو تأخرت جاز إلغاؤها، نحو زيد ظننت مقيم وزيد مقيم ظننت، ويجوز الإعمال نحو زيدا ظننت مقيما، وزيدا مقيما ظننت، ففى حالة عدم عملها يسمى ذلك إلغاء .

ومن خصائصها أنه يبطل عملها عند دخول لام الابتداء على المبتدأ والخبر، نحو علمت لزيد منطلق، وعلمت لفى الدار زيد، وعند الاستفهام نحو علمت أزيد عندك أم عمرو؟ علمت أيهم فى الدار؟ ونحو ﴿ **لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ** ﴾[1] وعند النفى نحو علمت ما زيد منطلق .

فهى لا تعمل فى هذه المواضع لفظا وتعمل فيها معنى وتقديرا، ويسمى هذا تعليقا، فيكون ما بعدها من المبتدأ والخبر فى محل نصب سد مسد مفعوليها .

ومن خصائص المفعول به من حيث هو جواز تقديمه على الفاعل، نحو ضرب

---

(١) الكهف : ١٢ .

زيدا عمر، وخاف ربه عمر، قال الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا ﴾[1] وجواز تقديمه على الفعل نحو ضربت، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2] ﴿ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾[3].

والأصل أن ينصب المفعول به بفعل ظاهر، وقد يجيء منصوبا بفعل مضمر جوازا أو وجوبا، فالأول كقولك زيدا لمن قال هل رأيت أحدا؟ أى رأيت زيدا، وكقولك لمن قطع حديثه حديثك أى هات حديثك، ولمن أراد مكة: مكة والله، أى تقصد مكة والله، وتقول فى الرامى الذى سدد سهمه: القرطاس والله، أى تصيب القرطاس، وتقول لمن رأى الرؤيا: خيراً، أى رأيت خيرا، وكذلك تقول: خيرا لنا وشرا لأعدائنا، وما أشبه ذلك من نحو أخاك، أى الزم أخاك، ونحو الأسد، أى احذر الأسد، ونحو الصبى، أى لا تدس الصبى، ونحو الجدار، أى لا تقرب الجدار.

وأما ما يجب إضمار فعله فهو فى مواضع:

الأول: مبحث الإغراء والتحذير، نحو الكلاب على البقر، وإياك والأسد، يعنى سلط الكلاب على البقر، واتق نفسك أن تتعرض للأسد.

الثانى: فى الدعاء نحو أهلا وسهلا ومرحبا أى أتيت أهلا لا أجانب، ووطئت سهلا من الأرض لا وعرا، وأصبت رحبا لا ضيقا.

الثالث: مبحث الإغراء والتحذير إذا تكرر المفعول به مرتين، نحو أخاك أخاك، أى الزمه، والأسد الأسد، أى احذره، والجدارَ الجدارَ، أى اتقه، والصبى الصبى، أى لا تدسه.

الرابع: مبحث الاختصاص، نحو إنا معشر العرب نقرى الضيف، بنصب معشر، التقدير: نخص معشرَ العرب.

---

(١) الحج: ٣٧.
(٢) الفاتحة: ٥.
(٣) الأنعام: ٨٤.

الخامس: مبحث المدح والذم والترحم فى النعت المقطوع لقصد المدح أو الذم أو الترحم، نحو الملك لله أهل الملك، فيقال فى لفظ أهل إنه منصوب على المدح، ونحو قوله تعالى: ﴿ **وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ** ﴾[1] بالنصب، يقال إنه منصوب على الذم، ويقال فى مررت بزيد المسكين، إنه منصوب على الترحم.

السادس: مبحث الاشتغال، وهو أن ينصب المفعول بفعل مضمر يفسره فعل مذكور اشتغل عنه بالعمل فى ضميره، نحو قولك زيدا ضربته، والله أحمده، فقد أضمر الفعل الأول استغناء بمفسره، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ** ﴾[2] ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا...** ﴾[3] فتقدر للمفعول به فعلا من لفظ المذكور الذى فسره أو من معناه.

ومن ذلك قولك زيدا مررت به، فالتقدير جاوزت زيدا مررت به، وكذلك زيدا ضربت غلامه، فالتقدير أهنت زيدا ضربته غلامه، فقد قدرت الفعل المضمر من معنى الفعل المفسر له.

ومن المفعول به المنادى أيضا. وهذا كله مفصل فى الجدول الآتى:

---

(١) المسد: ٤.

(٢) يس: ٣٩.

(٣) الذاريات: ٤٨.

جدول ١١
(مواطن إضمار الفعل الناصب للمفعول به وجوبا)

عدد	مباحث	أمثلة	ملحوظات
١	الإغراء والتحذير	الكلاب على البقر إياك والأسد	فالكلاب مفعول بفعل محذوف تقديره : ارسل ، أى ارسل الكلاب لصيد بقر الوحش ، وإياك فى محل نصب باحذر ، والأسد منصوب باتق .
٢	تكرير المفعول فى الإغراء والتحذير مرتين	أخاك أخاك الأسد الأسد	أخاك منصوب بالزم ، والثانى تأكيد ، والأسد منصوب باحذر ونحوه ، والثانى تأكيد .
٣	الدعاء	أهلا وسهلا ومرحبا	أهلا منصوب بأتيت ، وسهلا منصوب بوطئت ، ومرحبا منصوب بأصبت ، فالأفعال الثلاثة مضمرة وجوبا .
٤	الاختصاص	نحن معاشر الأنبياء لا نورث	يقدر الفعل من مادة الاختصاص أو غيرها ، نحو : أخص أو أمدح أو أعنى .
٥ ٦ ٧	التابع المقطوع فى المدح التابع المقطوع فى الذم التابع المقطوع فى الترحم	الملك لله أهل الملك وامرأته حمالة الحطب اللهم الطف بعبدك المسكين	يقدر فى الأول : أمدح ، وفى الثانى : أذم ، وفى الثالث : ارحم ، ويجوز أن يقدر فى الجميع : أعنى ، والعناية كافية فى التخصيص وإفادة القصد .
٨	الاشتغال بمفسر لفظى	الله أحمده	أى أحمد الله أحمده .
٩	الاشتغال بمفسر معنوى	الله أثنى عليه ، الله ارحم عباده الفقراء	أى أحمد الله أثنى عليه وأعظم أمر الله أرحم عباده الفقراء ومثله زيدا مررت به أى جاوزت زيدا مررت به ، وزيدا ضربت غلامه ، أى أهنت زيدا ضربت غلامه .
١٠	النداء	يا عبدالله ، بمعنى أدعو	فالمنادى مفعول به وإنما أفرد لأحكام تخصه .

الثانى من المنصوبات: المفعول المطلق

سمى بالمفعول المطلق لإطلاقه عن القيد بمجرور أو بظرف، لأن المفاعيل خمسة، كما سبق، هى المفعول به أى الذى فعل به فعل الفاعل نحو ضربت زيدا، فإن الضرب فعل بزيد، والمفعول فيه أى الذى وقع الفعل فيه نحو صمت اليوم وجلست أمام المسجد، فإن الصوم وقع فى اليوم والجلوس وقع أمام المسجد.

والمفعول لأجله، نحو قمت تعظيما لعمرو، فإن التعظيم لأجل عمرو، والمفعول معه، نحو سرت والنيل، فإن السير حاصل بمعية شاطىء النيل وبمصاحبته، فهذه المفاعيل الأربعة مقيدة بحرف الجر مع مجروره أو بالظرف مع مضافه.

وخامسها المفعول المطلق الذى هو مفعول حقيقة، نحو ضربت ضربا، فإن الضرب هو المفعول للفاعل حقيقة، فليس من المفاعيل مفعول حقيقى غير المفعول المطلق عن قيد ما ذكر، وتقييده بالمطلق لإفادة أنه مفعول حقيقى، ويسمى أيضا مصدرًا لأن الفعل يصدر عنه.

وينقسم المفعول المطلق إلى ثلاثة أقسام:

الأول: المؤكد لعامله.

الثانى: المبين لنوعه.

الثالث: المبين لعدده.

فالقسم الأول نحو قولك ضربت ضربا، فضربا يدل على الحدث الموجود فى الفعل، فقولك ضربت ضربا فى قوة قولك أحدثت ضربا ضربا فهو بمنزلة التوكيد اللفظى، ثم إن عامله تارة يكون فعلا كهذا المثال وتارة يكون وصفا نحو أنا ضارب ضربا أو أنا مضروب ضربا وتارة يكون مصدرا نحو عجبت من ضربك زيدا ضربا.

والقسم الثانى تارة يبين نوعه بالوصف، نحو ضربت ضربا شديدا، وتارة بالإضافة نحو ضربت ضرب الأمير، وتارة بالإشارة نحو ضربت ذلك الضرب، وتارة بلام العهد نحو ضربت الضرب، أى المعهود لك.

والقسم الثالث ما يبين عدده من مرة أو مرتين أو مرات، نحو ضربت ضربة أو ضربتين أو ضربات. ثم إن القسم الأول يسمى مبهما لأنه غير معلوم النوع ولا العدد، وأما القسم الثانى والثالث فيسمى المصدر فيهما محدودا لأنه معلوم النوع والعدد فلهذا امتنع تثنية الأول وجمعه باتفاق وجاز تثنية المختوم بتاء الوحدة وجمعه.

وأما المصدر المبين للنوع فالمشهور جواز تثنيته وجمعه كقولك جلست جلستى الأمير وجلساته، وسافرت سفرات الأمير، وبعت بيوعا كثيرة، وعقدت عقودا جديدة.

وقد ينصب المفعول المطلق على المصدرية وليس من لفظ الفعل بل بمعناه، وذلك على نوعين مصدر وغير مصدر فالمصدر كقوله تعالى: ﴿ **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً** ﴾[1] فتبتيلا مصدر ولكنه ليس مصدر التبتل بل هو مصدر لبتل وكقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً** ﴾[2] فإن نباتا مصدر نبت لا أنبت، ومن ذلك اغتسلت غسلا من كل ما شارك المصدر فى مادته، وكذلك تقع الصفة المشتقة كاسم الفاعل مصدراً نحو قم قائمًا أى قيامًا، وكذلك قعدت جلوسا، وقمت وقوفًا، فإن المصدر من معنى الفعل لا من لفظه ومن قوله تعالى: ﴿ **فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً** ﴾[3].

وأما غير المصدر فكل ما كان فى معنى المصدر كقوله تعالى: ﴿ **فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً** ﴾[4] أى درجة تفضيل، ونحو رجع القهقرى، وهى نوع من الرجوع، وقعد القرفصاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً** ﴾[5] ومن ذلك أيضا مايدل على عدد المصدر نحو ثمانين جلدة، أو على آلته كضربته سوطا، أو وقته نحو:

---

(١) المزمل: ٨.
(٢) نوح: ١٧.
(٣) النور: ٦١.
(٤) النساء: ٩٥.
(٥) النساء: ١٥٣.

*** ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا***

أو لفظ كل نحو ﴿**فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ**﴾[1] أو بعض نحو أكرمته بعض الإكرام، وما أشبه ذلك.

وكما ينصب المفعول المطلق بأفعال ظاهرة قد ينصب بأفعال مضمرة، وقد لا يكون له أفعال وإنما ينصب بمعنى أفعال تقديرية فكان بالنسبة لإضمار الفعل وإظهاره على ثلاثة أنواع أحدها: ما يجوز إظهار فعله وإضماره، وثانيها: ما يجب إضمار فعله، وثالثها: ما لا فعل له من لفظه وإنما يقدر له فعل ناصب من معناه لا يظهر أصلا. وبيان ذلك في هذا الجدول:

---

(١) النساء: ١٢٩.

جدول ١٢
(جدول المصادر المنصوبة بأفعال مطلقة تحقيقية أو تقديرية)

عدد		أفعال مضمرة	ملحوظات
١	خير مقدم	أي : قدمت خير مقدم	تقال تهنئة للقادم من سفر
٢	مواعيد عرقوب	أي : تعد مواعيد عرقوب	يقال للمتردد فى الوفاء بعداته . وفى مثل هذين المصدرين يجوز إضمار الفعل وإظهاره .
٣	والذين كفروا فتعسا لهم	أي : تعسوا تعسا ، أي : هلاكا	
٤	وبعدا للقوم الظالمين	أي : بعدوا بعدا	
٥	فسحقا لأصحاب السعير	أي : اسحقهم سحقا	
٦	عجبا لك وبؤسا لزيد	أي : أعجب عجبا ويبأس زيد بؤسا	
٧	حمدا لله وشكرا لا كفرا	أي : أحمد الله حمدا وأشكره شكرا لا أكفره كفرا .	هذه المصادر وأمثالها منصوبة بأفعال لا يستعمل إظهارها ، ومن ذلك سقيا لك ورعيا ، وما أشبه ذلك .
٨	فضرب الرقاب	أي : فاضربوا الرقاب	
٩	فإما منًّا بعد وإما وفاء	أي : فإما تمنون منا وإما تفدون فداء	
١٠	صبغة الله	أي : صبغ الله صبغته	
١١	الله أكبر دعوة حق	أي : أدعوه دعوة الحق	
	هذا عبد الله حقا	أي : حق ذلك حقا	
١٢	قسما عليك ألا فعلت كذا	أي : أقسم قسما	
١٣	لبيك سعديك حنانيك	أي لبيك تلبية بعد تلبية وأستسعدك سعدا بعد سعد وأطلب حنانك حنانا بعد حنان	
١٤	سبحان الله معاذ الله	أي : أسبح سبحان الله وأعوذ معاذ الله	فنحو هذه المصادر لا فعل لها أصلا وإنما يقدر لها ناصب من معناها .
١٥	ويلك وويحك	مصدره مقدر وهو دعاء بالهلكة أو لإفادة الترحم	
١٦	أفة لك	رعاء بالهلكة	

فتبين من هذا أن المفعول المطلق هو المصدر المنصوب أو ما فى معناه وأنه ينصب بفعل من لفظ المصدر أو من معناه .

الثالث والرابع من المنصوبات ظرف الزمان وظرف المكان، ويقال لهما المفعول فيه

المفعول فيه هو الظرف الذى يقع فيه الفعل ، وهو نوعان ظرف زمان وظرف مكان .

فالأول هو اسم الزمان المنصوب بفعل أو شبهه على تقدير فى ، نحو خرجت يوم الجمعة ، وصمت شهر رمضان ، وهو قسمان أحدهما : مبهم وهو ما ليس له حد محصور ولا نهاية معلومة ، بل يدل على قدر من الزمان غير معين كالحين والوقت من قولك سرت حينا ووقتا وكذلك اليوم والليلة من قولك صمت يوما وقمت ليلة . وثانيهما : مختص وهو ما له حد محصور ونهاية محصورة كالمختص بأل أو الإضافة أو الصفة وكالأعلام الموضوعة على الأيام وبعض الأزمنة نحو ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾[1] وجئتك يوم الجمعة ، وزرتك سحرا طيبا ، وقدمت عليك يوم الجمعة . ولنذكر لك الظروف المتداولة فى الجدول الآتى :

---

(١) المائدة : ٣ .

جدول ١٣
(ظروف الزمان المبهمة والمختصة)

عدد	ظروف مبهمة	أمثلة	ظروف مختصة	أمثلة	ملحوظات
١	يوم	نحـو: صـمت يوما	اليـوم يوم الخـمـيس ويوما باردا	نحـو: جئت اليـوم ويوم الخميس ويوما باردا	أى صمت فى يوم وجئت فى اليوم إلى آخره، وقس على ذلك.
٢	ليلة	نحو: قمت ليلة	اللية ليلة الجمعة وليلة باردة	نحـو: قـمت الليلة وليلة الجمعة وليلة باردة	
٣	غدوة	نحـو: جـئـتك غدوة	الـغـدوة غـدوة يوم الخميس وغدوة باردة	نحـو: جـئـتك الـغـدوة وغـدوة يوم الخـمـيس وغدوة باردة	
٤	بكرة	نحـو: جـئـتك بكرة	الـبـكـرة بـكـرة يـوم الجمعة وبكرة باردة	نحو: جئتك البكرة بكرة يوم الجمعة وبكرة باردة	الغـدوة والبكرة يدلان على الزمن الذى بين صـلاة الصبح إلى طلوع الشـمس، فإن استـعـملا علمين على هذا الزمن نحو: جئتك يوم الخـميس غـدوة أو بكرة منعـا من الصـرف أى التنوين، وكـذلك عشـية وهى زمن الثلث الأول من الليل، وعتـمة وهى وقت صـلاة العشاء فإذا استعملا علمين على الزمن المعلوم نحـو: جـئتك يوم السبت عشـية أو عـتـمة منعـا من الصرف أيضا.
٥	عشية	نحـو: جـئـتك عشية	العشـيـة عشـيـة يوم السبت وعشية طيبة	نحـو: جـئتك العشـيـة وعشية يوم السبت عشية طيبة	
٦	عتمة	نحـو: جـئـتك عتمة	العـتـمـة عـتـمـة يوم الأحد وعتمة طيبة	نحـو: جـئتك العـتـمـة وعتمة يوم الأحد وعتمة طيبة	
٧	عشاء	نحـو: وجـاؤوا أباهم عـشـاء يبكون	العـشـاء عـشـاء يوم الاثنين وعشاء طيبا	نحـو: جـئـتك العـشـاء وعـشـاء يوم الاثنين وعشاء طيبا	
٨	صباحا	نحـو: جـئـتك صباحا	الصـبـاح صـبـاح يوم الثـلاثاء وصـبـاحـا سعيدا	نحـو: جـئـتك الصـبـاح وصـبـاح يوم الثـلاثاء وصباحا سعيدا	

تابع جدول١٣
(ظروف الزمان المبهمة والمختصة)

عدد	ظروف مبهمة	أمثلة	ظروف مختصة	أمثلة	ملحوظات
٩	مساء	نحو : جئتك مساء	المساء مساء يوم الأربعاء ومساء سعيدا	نحو : جئتك المساء ومساء يوم الأربعاء مساء سعيدا	
١٠	سحرا	نحو : جئتك سحرا من الأسحار	السحر سحر يوم الخميس وسحرا طيبا	نحو : جئتك السحر وسحر يوم الخميس وسحرا طيبا	السحر آخر الليل، فإن تجرد من أل والإضافة مع قصد التعيين منع من الصرف للعلمية والعدل، نحو : جئتك سحرا.
١١	أبدا	نحو : لا أجيئك أبدا	الأبد أبد الآبدين	نحو : لا أكلمك الأبد أو أبد الأبدين	الأبد الزمان المستقبل الذى لا نهاية له فلا يكون فى الحقيقة مختصا .
١٢	أمدا	نحو : غاب زيد أمدا	الأمد أمد غياب زيد وأمداً طويلا	نحو : أصحبك الأمد أمد غياب زيد وأمدا طويلا	

وقس على ذلك ما أشبهه مثل حيَن وزمن ووقت وساعة .

وأما القسم الثانى، وهو ظرف المكان، فهو اسم المكان المنصوب بتقدير فى ، نحو أمام من قولك جلست أمامك، وعند من قولك : جلست عندك، ومجلس من قولك : جلست مجلس زيد، وهو أيضا نوعان أحدهما : مبهم، وثانيهما : مختص .

فالمبهم ما ليس له أقطار تحيط به ولا حد يحصره كأسماء الجهات الست التى هى أمام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال . ووجه الإبهام فى هذه الجهات أنك إذا قلت جلست خلف المسجد مثلا فإنه مبهم يتناول ما كان خلف المسجد إلى انقطاع الأرض وهكذا باقى الجهات، ومما يشبه أسماء الجهات فى الإبهام نحو

عند ولدى وهما بمعنى التقريب نحو جلست عندك ولديك أى مكانا قريبا منك ، ووجه الإبهام فيهما أنهما يتناولان جميع الأمكنة التى حواليك ومما يشبه الجهات الست فى الإبهام مع وهو اسم لموضع الاجتماع للظرفية تقول جلست مع زيد أى جلست فى موضع مصاحبا لموضع زيد ، ووجه الابهام تعدد المواضع المصاحبة لذلك الموضع ، ومما يشبه تلك الجهات أيضا فى الإبهام إزاء وتلقاء وحذاء ، ومعناها واحد تقريبا وهو الجهة المقابلة ، وهنا وثم تقول جلست هنا أى فى هذا المكان القريب ، وجلست ثم أى فى هذا المكان البعيد ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيراً** ﴾[1] وقس على ذلك ما أشبهه كأسماء المقادير نحو ميل وفرسخ وبريد .

وأما ظرف المكان المختص فلا يكون منصوبا قياسيا إلا إذا كان مصدرا ميميا أريد منه المكان وكان عامله من لفظه وكان مضافا ، نحو جلست مجلس زيد ، وقعدت مقعد عمرو ، أى جلست مكان جلوسه وقعدت مكان قعوده ، فإن كان عامله من غير لفظه تعين جره بفى نحو جلست فى مرمى زيد ، وكذلك إذا لم يكن مضافا كان مبهما لا مختصا نحو جلست مجلسا أى مكانا ، ولا مانع أن يكون لفظ وسط من قولك جلست وسط دار زيد من الظروف المختصة لتعيين المكان .

وأما اسم المكان المختص الذى له أقطار تحويه كالمسجد والدار والسوق فلا يطرد انتصابه دائماً ، لأنه لا يطرد تضمنه معنى فى الظرفية مع جميع الأفعال ، بل تارة يحسن انتصابه مع بعض اللازم من الأفعال كأن تقول دخلت المسجد وسكنت الدار وجئت السوق فيكون منصوبا على التشبيه بالمفعول به أى على التوسع بنزع الخافض أو على المفعول به حقيقة ، وتارة لا يحسن انتصابه مع بعض الأفعال كقولك صليت ، فلا يحسن أن تقول صليت المسجد بل يجب التصريح بفى ، فتقول صليت فى المسجد وجلست فى الدار وقعدت فى السوق فتكون الظرفية المعنوية بذكر فى .

ثم إن الأسماء التى تنصب على المفعول فيه زمانية أو مكانية منها ما يجوز أن

---

(١) الإنسان : ٢٠ .

يخرج عن الظرفية فيستعمل مرفوعا ومنصوبا ومجرورا كأسماء الأيام ويسمى ظرفا متصرفا كلفظ اليوم والليلة والشهر والسنة وقدام وأمام ونحو ذلك، فتقول في الرفع هذا يوم مبارك، وهذه ليلة ليلاء، وهذا قدامك، وهذا أمامك، وتقول في النصب احترمت هذا اليوم المبارك، نصبا على المفعول به، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾[1] وتقول فى حالة الجر لم أر مثل هذا اليوم ولا مثل هذه الليلة، ومنها ما لا يستعمل إلا ظرفا ويسمى غير متصرف نحو عند ولدى وقبل وبعد وما أشبه ذلك من قولك خرجنا ذا صباح وسرنا ذات ليلة ولقيته ذات مرة، فمثل هذه لا تخرج عن الظرفية أصلا، فلا تقول خرجت فى ذات مرة ولا فى ذى صباح ولا جئت إلى عند زيد، وإنما بعض تلك الظروف المتقدمة يخرج عن الظرفية إلى الجر بمن كعند وقبل وبعد نحو من عند الله و﴿**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ**﴾[2] ولنذكر ذلك فى هذا الجدول مشتملا على الأمثلة:

---

(١) الإنسان: ١٠.
(٢) الروم: ٤.

جدول ١٤

عدد	ظروف	أمثلة	ملحوظات
١	أمام قدام	جلست أمام المسجد قدام الباب	الجهات الست وما في معناها أحق
٢	خلف وراء	لا يلبثون خلفك، ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا	بالظرفية من التصرف، فهي في الغالب منصوبة على الظرفية أو مجرورة بحرف
٣	فوق أعلى	جلست فوق البيت . جلست أعلى البيت	الجر على معنى الظرفية أو بمن، وقد ترفع
٤	تحت أسفل	جلست تحت السقف . والركب أسفل منكم	على الخبرية مثلا، وتنصب على المفعولية فتقول : هذا قدامه وذلك خلفه واستحسن
٥	يمينا ذات اليمين	صليت يمين المنبر . تزاور عن كهفهم ذات اليمين	أمامه وخلفه، إلا أن هذا الاستعمال قليل .
٦	شمالا ذات الشمال	جلست شمال زيد . وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال	
٧	عند لدى	لست عندك ولديك	بمعنى المكان الحسي أو المعنوي نحو : وكان عند الله وجيها . ولدينا كتاب مبين .
٨	قبل . بعد	جئت قبل زيد وبعده وقبلا وبعدا وقبل وبعد ـ بالضم بدون تنوين ـ وقبل وبعد ـ بالنصب بدون تنوين	إذاقطعت عن الإضافة لفظا ومعنى نونتا، أو نوى معنى المضاف إليه بنيتا على الضم في محل نصب أو نوى لفظه نصبتا بغير تنوين، وإن ذكر المضاف إليه فالأمر ظاهر، وهذه الأحوال الأربعة تكون في قبل وبعد إذا جرتا بمن .
٩	مع	جلست مع زيد	أي مصاحبا لموضع زيد، وقد تكون المعية معنوية نحو : وهو معكم أينما كنتم .
١٠	تلقاء إزاء حذاء	جلست تلقاء زيد وإزاءه حذاءه	ألفاظ مترادفة تفيد المقابلة والقرب ثم
١١	هنا ثم	جلست هنا جلست ثم	بمعنى هنالك للمكان البعيد كما أن هنا للقريب
١٢	ميلا فرسخا بريدا	سرت ميلا . سرت فرسخا . سرت بريدا	
١٣	مجلس	جلست مجلسا	هي ظروف لأسماء المقادير
١٤	مجلس زيد	جلست مجلس زيد	وكذا كل المصادر الميمية التي بمعنى المكان
١٥	وسط دار زيد	قعدت وسط دار زيد	هذه هي الظروف المكانية المختصة .

الخامس من المنصوبات: الحال

الحال هو الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الهيئات، أى الصفات، فهو لبيان هيئة الفاعل فى حال وقوع الفعل منه أو هيئة المفعول فى حال وقوع الفعل به، فلا يفسر إلا ما هو فاعل أو مفعول به فى اللفظ أو المعنى، وهو ما يقع فى جواب: كيف؟

فالذى يفسر هيئة الفاعل فى اللفظ نحو جاء زيد راكبا، فراكبا بيان لهيئة زيد فى حال وقوع المجىء منه، وقبل التلفظ براكبا كانت هيئة مجىء زيد مبهمة، لاحتمال أنه جاء راكبا وأنه جاء ماشيا، فارتفع بذكره الإبهام.

ومن مجىء الحال من الفاعل قوله تعالى: ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**﴾[1] والذى يفسر هيئة المفعول في اللفظ نحو ركبت الفرس مسرجا، فمسرجا حال واقعة من المفعول به وهو الفرس مفسرة لهيئته، ولولا ذكر لفظ مسرجا لكانت هيئة ركوب الفرس مبهمة، لاحتمال كون الفرس مسرجا وغير مسرج، فبذكره ارتفع الإبهام، ومثله ضربت زيدا مجردا من ثيابه، فقولك مجردا بيان لهيئة المضروب فى حال وقوع الضرب به.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً**﴾[2] وقوله تعالى: أيضا ﴿**كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً**﴾[3] وقد يحتمل الحال أن يكون مفسرًا لهيئة الفاعل أو المفعول نحو لقيت عبدالله راكبا، وضربت زيدا قائما، فتجعل راكبا حال من أيهما شئت ما لم تقم قرينة على أنه حال من أحدهما دون غيره.

وقد يكون اللفظ حالا من الفاعل والمفعول جميعا نحو لقيت عبدالله راكبين، وقد يكون اللفظان حالين من الفاعل والمفعول بالتوزيع كما إذا قلت لقيت زيدا

---

(١) القصص: ٢١.
(٢) الإسراء: ٥٩.
(٣) الإسراء: ٢٤.

مصعدا منحدرا فتجعل مصعدا حالا من الثانى ومنحدرا حالا من الأول ما لم تكن هناك قرينة يعرف بها صاحب كل منهما نحو لقيت هندا مصعدا منحدرة .

فهذا كله فيما يبين من الأحوال هيئة الفاعل والمفعول فى اللفظ أى ما يكون عامل الحال فيه لفظيا .

وأما ما يبين هيئة الفاعل أو المفعول فى المعنى بأن يكون العامل معنويا فنحو قولك زيد فى الدار قائما ، فقائما مبين لمعنى الجار والمجرور ، وهو الاستقرار ، والمعنى زيد مستقر أو استقر فى الدار قائما ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾[1] ونحو هذا زيد منطلقا ، فقولك هذا هو العامل فى قولك منطلقا كأنك تقول أشير إليه منطلقا ، ومن قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾[3] ومن هذا القبيل نحو ما شأنك قائما ، ومالك واقفا ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾[4] .

وقد ينصب الحال بعامل مضمر نحو قولهم للمسافر : راشدا مهديا ، أى سافر راشدا مهديا ، وللقادم من الحج : مبرورا مأجورا ، أى قدمت مبرورا مأجورا .

وقد يقع المصدر حالا نحو قتلته صبرا ، يعنى مصبورا أى محبوسا ، وكلمته مشافهة ، أى مشافها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾[5] أى ساعيات .

وقد يكون الحال جملة اسمية أو فعلية نحو جاءنى زيد وهو ضاحك ، ولقيت عمرا يبتسم ، قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾[6] ﴿ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[7]

---

(١) النحل : ٥٢ .
(٢) هود : ٧٢ .
(٣) الأعراف : ٧٣ .
(٤) المدثر : ٤٩ .
(٥) البقرة : ٢٦٠ .
(٦) الأعراف : ٩٧ .
(٧) الأعراف : ٩٨ .

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾[1] فقد وقعت الجملة الاسمية والجملة الفعلية المضارعية حالا.

وكذلك جملة الفعل الماضى تقع حالا بشرط أن تقترن بقد ظاهرة أو مقدرة، تقول رأيت زيدا قد ركب فرسه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[3] أى وقد كانوا.

وتنقسم الحال إلى مؤسسة ومؤكدة، فالمؤسسة معلومة، والمؤكدة نحو ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ﴾[4] وتنقسم بالنظر إلى وصفها إلى منتقلة كجاء زيد راكبا، وإلى لازمة. ، أى لا تفارق صاحبها، نحو دعوت الله سميعا، وخلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها، وخلق اليربوع يديه أقصر من رجليه، فأطول وأقصر حال لازمة لصاحبها.

وحق الحال أن يكون نكرة محضة أو مختصة، نحو جاء زيد راكبا، وجاء زيد راكب فرس، فإذا جاء الحال على صورة المعرف بأل أو بالإضافة أُوِّل بالنكرة كقولهم أدخلوا الأول فالأول، أى مرتبين، وجلس زيد وحده، أى منفردا.

وحق صاحب الحال أن يكون معرفة، فلا يكون نكرة إلا بمسوغ لمجىء الحال من هذه النكرة، كتقدم الحال نحو فى الدار جالسا رجل، وكالوصف كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ... ﴾[5] وكالإضافة كقوله تعالى: ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾[6] وكتقدم النفى على صاحب الحال نحو ما أتانى

---

(١) يوسف: ١٦.
(٢) المائدة: ٦١.
(٣) الأعراف: ١٤٨.
(٤) النمل: ١٩.
(٥) الدخان: ٤، ٥.
(٦) فصلت: ١٠.

أحد إلا راكبا، أو تقدم الاستفهام نحو أحال رجل راكبا هذا؟ أو تقدم النفى نحو لا يبغ امرؤ على امرىء مستسهلا.

ولما كان الحال مشبها بالمفعول به الذى يأتى بعد الفاعل لكونه فضلة لم يجز تقديم الحال على صاحبها ولا على عامله، وإذا قدمت على صاحبها أو على عاملها نحو مخلصا زيد دعا، ودعا مخلصا زيد، كان الحال متقدما فى اللفظ متأخرا فى النية كما أن المفعول به كذلك.

جدول ١٥
(جدول أمثلة الحال المختلفة باختلاف أنواعها)

عدد	أنواع	أمثلة	ملحوظات
١	حال من الفاعل عامله لفظى	فخرج منها خائفا يترقب	فخائفا حال من الضمير فاعل خرج العائد على موسى عليه السلام
٢	حال من المفعول وعامله لفظى	وآتينا ثمود الناقة مبصرة	
٣	حال محتمل لأن يكون من الفاعل أو المفعول	لقيت عبدالله راكبا	لا يصح أن يكون حالا منهما معا وإلا لقيل : راكبين
٤	حال من الفاعل والمفعول جميعا والعامل لفظى	لقيت عبدالله راكبين	
٥	حال متعددة يرجع الأول للمفعول والثانى للفاعل والعامل لفظى	لقيت زيدا مصعدا منحدرا	فمصعدا حال من المفعول ومنحدرا حال من الفاعل، ومثل هذا التركيب ضعيف، وإذا وجدت قرينة كان الحال الأول للفاعل والثانى للمفعول، نحو لقيت هند مصعدا منحدرة.
٦	حال مضمرة العامل اللفظى والفاعل	راشدا مهديا مبرورا مأجورا	المثال الأول يقال للمسافر، أى: سر راشدا مهديا، والمثال الثانى يقال للقادم من حجه، أى: قدمت مبرورا مأجورا.
٧	حال عامله معنوى	زيد فى الدار قائما	العامل ما فى الجار والمجرور من معنى الاستقرار ومنه قولهم: مالك واقفا، وما شأنك قائما، وله الدين واصبا.
٨	حال عامله معنوى فى قوة أن يكون من المفعول	هذا بعلى شيخا، هذه ناقة الله لكم آية	أى انظروا بعلى شيخا، واعتبروا ناقة الله حالة كونها آية لكم.
٩	وقوع المصدر حالا	كلمت زيدا شفاها	أى مشافها، ومثله: فلان قتل صبرا، أى مصبورا، والمصبور بمعنى المحبوس.

تابع جدول ١٥
(جدول أمثلة الحال المختلفة باختلاف أنواعها)

عدد	أنواع	أمثلة	ملحوظات
١٠	وقوع الحال جملة.	لقيت عمرا وهو ضاحك. جاءوا أباهم عشاء يبكون، وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر	يشترط فى وقوع الجملة الماضوية حالا أن تقترن بقد ولو تقديرا كقوله تعالى (اتخذوه وكانوا ظالمين) على تقدير قد.
١١	حال ملازمة	دعوت الله سميعا	ومنه: خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها.
١٢	حال من النكرة لتقدمه عليها	لمية موحشا طلل	الأصل فى صاحب الحال أن يكون معرفة لأنه فى قوة المحكوم عليه، ولا يحكم إلا على المعرفة، ولكنه يأتى نكرة بالمسوغات المذكورة.
١٣	حال من النكرة الموصوفة	فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا	
١٤	حال من النكرة المضافة	فى أربعة أيام سواء للسائلين .	
١٥	حال من النكرة المسبوقة بالنفى	ما أتانى أحدا راكبا	
١٦	حال من النكرة المسبوقة بالنهى	لا يبغ امرؤ على امرئ مستسهلاً	
١٧	حال من النكرة المسبوقة بالاستفهام	أحال رجل راكبًا هذا	

ومع أن الحال فضلة فقد يسد مسد العمدة، أى يسد مسد الخبر مع المبتدأ، نحو ضربى العبد مسيئا، وأتم تبيينى الحق منوطا بالحكم، وقد يكون لابد منه فى الجملة المتمم لها وبدونه يختل المعنى نحو ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ** ﴾[1] فالحال فى هذه الآية زيادة على ما فيها من التأسيس لازمة للمعنى المراد.

السادس من المنصوبات: التمييز

وهو الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الذوات فهو يرفع الإبهام عما يحتمل وجوها فيبين المقصود.

التمييز قسمان: الأول: المفسر لذات مقدرة، وهو ما يجىء بعد تمام الكلام، كطاب زيد نفسا.

والثانى: ما يكون مفسرا لذات مذكورة، هو ما يجىء بعد تمام الاسم كعشرين غلاما.

وفائدته أن التفسير بعد الإبهام أوقع فى النفس لأنه تفصيل بعد إجمال، لأن الحكيم إذا أراد التعليم لابد أن يجمل بعض إجمال تتشوق النفس إلى تفصيله بعد ذلك.

فالقسم الأول: ويسمى بالتمييز المحول، قد يكون محولا عن الفاعل نحو تصبب زيد عرقا، وتفقأ بكر شحما، وطاب محمد نفسا، الأصل: تصبب عرق زيد، وتفقأ شحم بكر، أى امتلأ، وطابت نفس محمد، فإذا قلت تصبب زيد كأنك قلت تصبب أمر من أمور زيد، فيحتمل هذا الأمر الذى هو الذات المقدرة المبهمة أن تكون عرقا أو غير عرق، فإذا قلت: عرقا، فقد رفعت الإبهام بالتمييز، وقد يكون محولا عن المفعول نحو قوله تعالى: ﴿ **وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا** ﴾[2] أصله

---

(١) الأنبياء: ١٦.

(٢) القمر: ١٢.

وفجرنا عيون الأرض، وقد يكون محولا عن المبتدأ نحو زيد أكرم منك أبا، ومحمد أجمل منك وجها، ومعناه أبوزيد أكرم من أبيك، ووجه محمد أجمل من وجهك، وهذا بالنظر للمعنى، فهو محول عن المبتدأ، وأما بالنظر للتركيب فأصله أمر من أمور زيد أكرم منك، وأمر من أمور محمد أجمل منك، فاحتمل وجوها كثيرة، فلما قلنا أبا ووجها ارتفع الإبهام عن الذات المقدرة التى هى أمر من أمور زيد. والناصب للتمييز فى هذا القسم المسند من فعل أو شبهه.

والقسم الثانى: المفسر لذات مذكورة، ويسمى بالتمييز الغير المحول، نحو امتلأ الإناء ماء، والغالب أن يكون مفسرا لما دل عليه مقدار من معدود أو موزون أو مكيل أو مذروع.

فمثال المعدود: اشتريت عشرين غلاما، فعشرين هى الذات المبهمة المذكورة، فيحتمل أن تكون عشرين غلاما وغير غلام، فبقولك غلاما ارتفع الإبهام عن هذه الذات.

ومثال الموزون: عندى رطل زيتا، ومثال المكيل: عندى قفيز برا ومثال المذروع: عندى ذراع خزا، ومن هذا القسم تمييز كم الاستفهامية فتنصبه مفردا نحو كم درهما عندك؟

وقد يكون مفسرا لغير ما دل على مقدرا نحو عندى خاتم حديدًا، والأكثر جره بالإضافة والناصب للتمييز فى هذا القسم الثانى الاسم المبهم تشبيها له بالمشتق، لأن رطلا زيتا أشبه ضاربا زيدا، وهكذا الباقى.

ثم إن هذا القسم الثانى الذى بذكره بعد تمام الاسم يشترط فيه أن يكون على حالة يمتنع معها إضافته بأن يكون فيه تنوين نحو رطل زيتا، أو نون تثنية نحو منوان سمنا، أو نون جمع نحو عشرون درهما، أو يكون مضافا إلى شىء نحو لى ملء الإناء عسلا، وما فى السماء موضع كف سحابا.

ثم إن التمييز سواء كان محولا أو غير محول يجىء مجموعا كما يجىء مفردا

كقوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا ﴾[1]. ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾[2].

والتمييز كالحال مشبه بالمفعول به، يعنى أن التمييز يقع فى جميع أمثلته موقع المفعول به، فقولك امتلأ الإناء ماء كقولك ضرب زيدا عمرا، وقولك رطل زيتا كضارب زيدا، وقولك رطلان سمنا كضاربان زيدا، وقولك عشرون درهما كضاربون زيدا، وقولك ملء الإناء عسلا بالاضافة كضرب زيدا عمرا بالإضافة أيضا.

والأصل فى التمييز الجمود، وقد يجىء مشتقا نحو لله دره فارسا، أى من جهة فروسيته، ولا يجوز تقديم التمييز على المميز وما ورد من نحو:

*** وما كاد نفسا بالفراق تطيب * فغير مقيس**

ولا يكون التمييز إلا نكرة، وجوز بعضهم تعريفه نحو:

*** وطبت النفس يا قيس بن عمرو***

ولنذكر هنا أنواع التمييز وأمثلتها فى هذا الجدول الآتى:

---

(١) القمر: ١٢.

(٢) الكهف: ١٠٣.

جدول ١٦
(جدول أنواع التمييز وأمثلتها)

عدد	أنواع التمييز	أمثلتها	ملحوظات
١	تمييز محول عن الفاعل	تصبب الفرس عرقا	
٢	تمييز محول عن المفعول	وفجرنا الأرض عيونا	
٣	تمييز محول عن المبتدأ	زيد أجمل منك وجها	
٤	تمييز محول عن المضاف	نحو : لله دره فارسا	ومنه : قل هل انبئكم بالأخسرين أعمالا ،
٥	تمييز غير محول	امتلأ الإناء ماء	تمييز الخمسة المتقدمة تمييز معنى الجملة .
٦	تمييز الموزون	اشتريت رطلا زيتًا	تمييز الستة المذكورة تمييز مفرد وإذا حذف
٧	تمييز المكيل	ملكت عشرين غلاما	منها تمييز المفرد ونون التثنية أو الجمع جرت
٨	تمييز العدد	عندى مد قمحا	بالإضافة والأغلب الإضافة فى الأخير منها
٩	تمييز المذروع ، ويسمى تمييز المقاس	عندى ذراع خزا ، وفدانٌ أرضا	فتقول : عندى خاتم حديد فيكون أفصح من
١٠	تمييز كم الاستفهامية	كم درهما عندك	قولك عندى خاتم حديدا .
١١	تمييز غير دال على مقدار مما ذكر	عندى خاتم حديدًا	

السابع من المنصوبات المستثنى

الاستثناء : هو الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها الشيء من حكم دخل فيه وغيره نحو جاءنى القوم إلا زيدا ، فقد أخرجت زيدا من حكم المجيء ، ولولا الاستثناء لكان داخلا فيه .

وأدوات الاستثناء إحدى عشرة أداة ، ولنذكرها بأمثلتها فى هذا الجدول الآتى فى حالة النصب لما ينصب منها :

جدول ١٧
(جدول أدوات الاستثناء وأمثلتها)

عدد	أدوات	موقع	حكم	مثال	ملحوظات
١	إلا إلا	في الكلام الموجب منفى مع تقدم المستثنى	تنصب المستثنى ينصب المستثنى	قام القوم إلا زيدا ما جاءنى إلا أخاك أحد	الموجب ما ليس نفيا ولا نهيا ولا استفهاما ومنه : ومالى إلا آل أحمد شيعة .
	إلا	تكرير المستثنى مرتين مع النفى	ينصب المستثنى	ما أكل أحد إلا الخبز إلا زيدا	وجه نصب زيدا أن النفى قد انتقض بإلا فصار الكلام موجبا فكأنه قيل : كل الناس أكلوا الخبز إلا زيدا .
	إلا	غير موجب والكلام تام	النصب أو البدلية	ما جاءنى أحد إلا زيدا وإلا زيد	وما رأيت أحدا إلازيدا نصبا بإلا أو على البدلية وما مررت بأحد إلا زيدا وإلا زيد نصبا بإلا أو جرا على البدلية .
	إلا	استثناء قبل تمام الكلام	العمل للفعل لا لإلا	ما جاءنى إلا زيد وما رأيت إلا زيدا وما مررت إلا بزيد	قال تعالى : (لا يعلم الغيب إلا الله) (وإن تتبعون إلا رجلا مسحورا) (وما توفيقى إلا بالله)
	إلا	استثناء منقطع	النصب مختار	ما جاءنى إلا حمارا	(ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) وغير المختار القول بالبدلية ، ومنه قول الشاعر : وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان أى كل أخ غير الفرقدين ، ومنه حديث : الناس كلهم موتى إلا العاملون ، إلى آخره .
	إلا	اسم بمعنى غير يقع صفة لما قبله	يظهر إعرابه على ما بعده	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . . أى غير الله	

تابع الجدول ١٧
تابع الجدول السابق

عدد	أدوات	موقع	حكم	مثال	ملحوظات
	إلا	استثناء مفرغ، بعد ما النافية	يبطل عمل إلا	ما زيد إلا شيء لا يعبأ به .	لم يجز إلا الرفع لانتقاض عمل إلا
٢	غير	في الكلام الموجب	يجب النصب على الاستثناء	قام القوم غير زيد	المستثنى بعد غير دائما مخفوض بالإضافة
	غير	في الكلام التام المنفي	يجوز البدل والنصب على الاستثناء	ما قام أحد غير زيد، بالرفع على البدلية والنصب على الاستثناء	الرفع على البدلية هو المختار .
	غير	منفي ناقص	بحسب العوامل	ما جاءني غير زيد ما رأيت غير زيد ما مررت بغير زيد	أدوات الاستثناء الأربع التي هي : غير وسوى - بكسر السين - وسوى - بضمها - وسواء - بفتحها مع المد - كلها أسماء .
٣	سوى	في الكلام الموجب	يجب النصب على الاستثناء	قام القوم سوى زيد	هي بكسر السين وما بعدها مخفوض بالإضافة دائما فهو المستثنى حقيقة، وحكمها في هذه الأحوال كحكم المستثنى الذي بعد إلا ، وإنما يقدر الإعراب على آخرها لكونها مقصورة .
	سوى	في الكلام التام المنفي	يجوز البدل والنصب على الاستثناء	ما قام أحد سوى زيد - بالرفع على البدلية والنصب على الاستثناء	

تابع الجدول ١٧
تابع الجدول السابق

عدد	أدوات	موقع	حكم	مثال	ملحوظات
	سوى	منفى ناقص	بحسب العوامل	ما جاءنى سوى زيد ما رأيت سوى زيد ما مررت بسوى زيد	
٤	سُوى				هى مثل ما قبلها فى جميع الأحكام.
٥	سواء				هى مثل سوى إلا أنها ممدودة فالإعراب ظاهر عليها.
٦	ليس	للنفى	النصب	قام القوم ليس زيدا	هاتان الأداتان فعلان من أخوات كان لكن تضمنتا معنى الاستثناء، والمستثنى منه البعض المفهوم من الكل، وهو اسمها، والمستثنى خبرها، أى ليس البعض القائم زيدا.
٧	لا يكون	للنفى	النصب	قام القوم لا يكون زيدا	
٨	خلا	إذا تقدمتها ما المصدرية	وجب النصب	ألا كل شيء ما خلا الله باطل	والمعنى تجاوز القيام زيدا كما قيل فى ليس ولا يكون، فخلا فعل ماض وفاعلها مصدر متصيد وزيدا منصوب على الاستثناء.
	خلا	بدون تقدم ما عليها	النصب مع جواز جر المستثنى	قام القوم خلا زيدا خلا زيد، وفى حالة الجر هى، حرف جر	
٩	عدا			قام القوم حاشا زيد	عدا حكمها حكم خلا سواء بسواء

تابع الجدول ١٧
تابع الجدول السابق

عدد	أدوات	موقع	حكم	مثال	ملحوظات
١٠	حاشا	لا تتقدمها ما المصدرية	قد تنصب المستثنى والأكثر جره	قام القوم حاشا زيد وزيدا	فإذا جرت فهى حرف وإذا نصبت فهى فعل ماض وفاعلها مصدر متصيد.
١١	لاسيما	هى مركبة من لا وسى وما الزائدة	المستثنى بعدها يجر ويرفع	لاسيما يوم بدارة جلجل	ورد برفع يوم وجره.

وبيان ما فى هذا الجدول أن المستثنى بإلا ينصب فى الكلام التام الموجب، وهو ما ليس بنفى ولا نهى ولا استفهام، وكذا إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه أو انقطع عن ه أو تكرر المستثنى، نحو ما جاءنى القوم إلا زيدا، وما جاءنى إلا زيدا أحد، وما جاءنى أحد إلا حمارا، وما أكل أحد إلا الخبز إلا زيدا، فيجب النصب فى هذه المواقع.

وفى غير الموجب التام يجوز النصب والبدل، ولكن البدل هو الفصيح، وفى الناقص يكون إلا لغوا، تقول ما جاءنى إلا زيد، وما رأيت إلا زيدا، وما مررت إلا زيد، ومثل ذلك الاستثناء المفرغ نحو ما زيد إلا شىء لا يعبأ به، فلا يجوز إلا الرفع لانتقاض عمل إلا بما النافية.

وفى جميع هذه المواقع تكون إلا حرفا، وقد تكون اسما بمعنى غير فتقع موقع الصفة لما قبلها ويظهر إعرابها فيما بعدها لمجيئها على صورة الحرف كما فى قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[1] أى غير الله.

وحكم غير كحكم الاسم الواقع بعد إلا، فتقول جاءنى القوم غير زيد، وما جاءنى غير زيد أحد، وما جاءنى أحد غير حمار، وما جاءنى أحد غير زيد، بالرفع

(١)

والنصب، وما جاءنى غير زيد، وما رأيت غير زيد، وما مررت بغير زيد، وما غير زيد إلا شيء لا يعبأ به، بالرفع.

ومثل غير سوىً وسُوىً وسَواء فى جميع أحكامها المذكورة، وهذه الأدوات الأربعة مضافة إلَى المستثنى، وهو مخفوض.

والمستثنى بلا يكون وليس وعدا وخلا منصوب أبدا، تقول جاءنى القوم لا يكون زيدا، وليس زيدا، فالتقدير ليس بعضهم زيدا، ولا يكون بعضهم زيدا، وأتانى الناس خلا زيداً، وعدا زيدا، ففاعل خلا وعدا ضمير مستتر يعود على مصدر الفعل المتقدم عليهما أى تجاوز القيام زيدا، أو على البعض المفهوم من الاسم العام أى تجاوز بعض القائم زيدا، أى لم يكن من القائمين، وبعضهم يجر المستثنى بخلا وعدا فيقول جاءنى القوم خلا زيد وعدا عمرو. فإذا تقدمت ما المصدرية على خلا وعدا فليس فيهما إلا النصب على المفعولية، تقول قام القوم ما خلا زيدا وما عدا عمرا قال لبيد:

ألا كل شئ ما خلا الله باطل وكل نعيــم لا محالـة زائـــل

ولا تسبك ما بعدها بمصدر لأنه جامد لا ينسبك.

وأما المستثنى بحاشا فيجوز جره بها على أنها حرف جر ونصبه بها على المفعولية، لأنها فعل ماض والفاعل مستتر مثل ما قيل فى خلا وعدا، تقول هلك الناس حاشا زيد وزيدا، ويقل دخول ما على حاشا ومنه قوله:

رأيت الناس ما حاشا قريشا فإنا نحـن أحسنهـــم فعـــالا

والمستثنى بلاسيما يجوز فيه الجر والرفع، نحو لاسيما زيد ولاسيما زيدٌ، قال امرؤ القيس:

*** ولاسيما يوم بدارة جلجل ***

يروى مجرورا ومرفوعا: فالجر على إضافة سيّ إليه وزيادة ما والرفع على أنه خبر صدر الصلة المحذوف، أى لا مثل اليوم الذى هو يوم دارة جلجل.

فهذا حاصل الكلام على أدوات الاستثناء الإحدى عشرة.

الثامن من المنصوبات: اسم لا النافية للجنس

ولو أن هذا القسم الثامن معدود من أخوات إن إلا أنه مخصوص بأحكام انفرد بها.

وتفصيل القول على لا النافية أن حقها أن لا تعمل فى الأسماء لعدم اختصاصها بها إلا أنها خرجت عن هذا الأصل فعملت فى النكرات عمل ليس تارة وعمل إن تارة أخرى.

والقاعدة فى عمل لا أنه إذا لم يقصد بالنكرة بعدها استغراق الجنس صح فيها أن تحمل على ليس فى العمل بأن ترفع الاسم وتنصب الخبر لأنها مثلها فى المعنى، وإذا قصد بالنكرة بعدها استغراق الجنس صح فيها أن تحمل على إن فى العمل ويكون استغراق الجنس وعدمه فى لا بحسب استغراق الذى وقعت جوابا له.

فمن سأل بمن فقال: هل من رجل فى الدار؟ فقد سأل بمن المستغرقة للجنس، فتجيبه بلا النافية للجنس، فتقول لا رجل فى الدار، أى لا أحد من جنس الرجال فى الدار، فبهذا صار الجواب مطابقا للسؤال، ولهذا بنى اسمها معها لتضمنه معنى من الجنسية، وتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر التى بنيت لتضمنها واو العطف، ويقال فى توكيده: أصلا، أو من الرجال، أو نحو ذلك.

ومن سأل بغير من فقال: هل رجل فى الدار؟ صح أن تجيبه بلا التى لا يستغرق بها الجنس، وهى أخت ليس، فتقول: لا رجل فى الدار، برفع رجل، ولهذا صح أن يقال فى توكيده: لا رجل فى الدار بل رجلان أو رجال، لأنها ليست لاستغراق الجنس بل لنفى الوحدة.

ويجوز فى العاملة عمل ليس أن تكون أيضا لنفى الجنس وتعمل عمل ليس، نحو:

* تعز فلا شئ على الأرض باقيا*

فإن لا هنا ليست نصا فى نفى الوحدة.

وتسمى لا التى لنفس الجنس لا التبرئة، لأنها برأت ونزهت الاسم الداخلة عليه من اندراجه فى الخبر، فإذا قلت: لا رجل فى الدار، فقد نزهت جنس الرجال وجميع أفرادهم عن الاستقرار فى الدار.

ثم إن اسم لا له ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون مفردا أى غير مضاف ولا شبيها بالمضاف، وحكمه حينئذ أن يبنى على ما ينصب به لو كان معربا، نحو لا رجل خير منك، ونحو ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾(١) ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾(٢) ولا إله غير الله. وهو دائما نكرة، وشرط بنائه على الفتح أن لا يتكرر وإلا جاز رفعه نحو قوله تعالى: ﴿لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾(٣) وشرط بنائه أيضا على الفتح أن يباشر لا، فإن فصل بينهما فاصل نحو لا فى الدار رجل ولا امرأة وجب الرفع على الابتداء والخبر وبطل عمل لا لضعفه بالفصل ووجب تكرار لا كما فى المثال لأنه مبنى فى الحقيقة على سؤال سائل كأنه سأل أفى الدار رجل؟ أم امرأة؟ فوجب التكرار فى الجواب ليكون طبق السؤال.

الحالة الثانية: أن يكون اسم لا نكرة مضافا إلى نكرة نحو لا طالب علم محروم، ولا حليف صدق مذموم، فينصب الاسم.

الحالة الثالثة: أن يكون اسم لا نكرة شبيها بالمضاف وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه نحو لا حافظا للقرآن ممقوت ولا عشرين درهما عند زيد، فينصب أيضا كحالة الإضافة السابقة.

---

(١) البقرة: ٢.
(٢) البقرة: ٢٣٥.
(٣) البقرة: ٢٥٤.

فأحوال اسم لا ثلاثة بحسب إفراد اسمها وعدم إفراده، وهى حالة بناء فى الإفراد وحالتا إعراب فى حالة غير الإفراد ما إذا كان مضافا أو شبيها بالمضاف، فإذا اتبعت اسمها فى الحالتين الأخيرتين بوصف أو معطوف نصب الوصف أو المعطوف، فتقول لا طالب علم متخلقا بأخلاق العلماء محروم، ، وكذلك لا طالب علم وراغبا فى صلاح ملوم، مثله لا حافظا للقرآن تاليا له ممقوت ولا طالعا جبلا ومعتقلا رمحا جبان، ففى هذه الأمثلة تكون الصفات والمعطوفات منصوبة كاسم لا.

وأما إذا وصفت اسم لا المفرد بصفة واحدة كظريف مثلا، وكانت مفردة أيضا، جاز فى تلك الصفة ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن تفتح الصفة كالاسم فتقول لا رجل ظريف فى الدار، فتكون حركة الفتح فى ظريف حركة اتباع.

ثانيها: أن ينصب حملا على محل الاسم، إذ محله نصب، فتقول لا رجل ظريفا فى الدار.

ثالثها: أن يرفع حملا على محل لا مع اسمها إذ المحل للابتداء فتقول لا رجل ظريف فى الدار برفع ظريف، فإذا تكررت الصفة لم يجز فى الثانية إلا النصب والرفع فتقول لا رجل ظريف كريما أو كريم فى الدار، وكذلك إذا توحدت الصفة وفصل بين الاسم وبينها بفاصل لم يجز فى الصفة إلا النصب والرفع ولا يجوز البناء على الفتح فيها، تقول لا رجل فى الدار ظريفا أو ظريف، وإذا عطفت على اسم لا جاز العطف على محل الاسم فينصب أو على محل لا مع اسمها وهو الرفع فيرفع ولا يجوز بناؤه كما فى قوله:

فلا أب وابنا مثل مروان وابنه ... إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا

فقد نصبه حملا على محل الاسم وكما فى قول الآخر:

هذا لعمركم الصغار بعينه ... لا أم لى إن كان ذاك ولا أب

فقد رفع أب بنّية عطفه على محل لا مع اسمها.

ثم إن خبر لا يجوز حذفه لدليل كقولهم: لا بأس، أى عليك، وكقوله تعالى: ﴿قَالُوا لا ضَيْرَ﴾[1] ومنه حديث «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»، التقدير: كاملة، ومنه أيضا لا إله إلا الله، أى لا إله فى الوجود إلا الله، ومنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن خبر لا فيهما محذوف تقديره: لمخلوق، وقد جوزوا فى مثل هذا "تركيب خمسة أوجه أحدها: بناؤهما على الفتح على أن كلا منهما اسم لا ونكرة مفردة وبنى لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر لتضمنه معنى من الجنسية كما تضمنت خمسة عشر واو العطف، وهو فى محل نصب فالكلام على هذا جملتان. ثانيها: بناء الأول على الفتح ونصب الثانى على أنه معطوف على محل اسم لا فيكون منونا. ثالثها: بناء الأول على الفتح ورفع الثانى على أنه معطوف على محل لا مع اسمها فإن محلها رفع بالابتداء، فالكلام على هذا وما قبله جملة واحدة، ويجوز فى هذا الوجه الثالث: وهو رفع الثانى جعل لا الثانية عاملة عمل ليس أى ترفع الاسم وتنصب الخبر، فعلى هذا يكون الكلام جملتين. رابعها: رفع الأول والثانى، فرفع الأول على وجهين إما على الابتداء ولا ملغاة أو على إعمالها عمل ليس، ورفع الثانى على وجهين أيضا، إما على إعمال لا عمل ليس، فعلى هذا يكون الكلام جملتين، أو عطفه على الأول وتكون لا زائدة للتأكيد، وعلى هذا يكون الكلام جملة واحدة. خامسها: رفع الأول وبناء الثانى على الفتح، فرفع الأول على الوجهين المتقدمين، وفتح الثانى على إعمال لا الثانية عمل إن، وبقى من القسمة وجه سادس ممتنع وهو نصب الثانى إذا رفع الأول، إذ لا وجه له.

ولنذكر هنا جدولا لبيان مواقع اسم لا وما يتعلق بها من الأمثلة والملحوظات:

---

(١) الشعراء: ٥٠.

جدول ١٨
(جدول أحكام عمل «لا» التى لنفى الجنس، مع الأمثلة والملحوظات)

عدد	مثال	نوع الإسم	حكم	ملحوظات
١	لا رجل فى الدار لا رجال فى الدار	مفردان	يبنى كل منهما على الفتح فى محل نصب	فقد بنى كل منهما على ما ينصب به لو كان معربا، وما بنى على غير الفتح مما سيأتى فبالنيابة عن الفتح.
٢	لا رجلين ولا مؤمنين فى الدار	مفردان	كل منهما يبنى على الياء فى محل نصب	لأن المثنى وجمع المذكر السالم ينصبان بالياء، ومنه: *** تعز فلا إلفين بالعيش متعا***
٣	لا مسلمات متبرجات	مفرد	مبنى على الكسر فى محل نصب	لأن جمع المؤنث السالم ينصب بالكسرة، ومنه: *** ولا لذات للشيب*** وبناؤها على الفتح جائز، أيضا.
٤	لا غلام سفر حاضر ولا غلمان سفر حاضرون	مضاف كل منهما	منصوب بالفتحة	إنما أعرب المضاف لأن الإضافة أضعفت جانب الياء، ومنه: قضية ولا أبا حسن لها.
٥	لا شاهدى زور ناجيان	مضاف	منصوب بالياء	لأنه مثنى
٦	لا شاهدى زور ناجون	مضاف	منصوب بالياء	لأنه جمع مذكر سالم
٧	لا طالبات طلاق فى راحة	مضاف	منصوب بالكسرة	لأنه جمع مؤنث سالم
٨	لا طالعا جبلا حاضر	شبيه بالمضاف	منصوب بالفتحة	هو ما تعلق به شىء من تمام معناه
٩	لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا رادّ لما قضيت	شبيها بالمضاف مثل: لا مارا بزيد	منصوب بدون تنوين إجراء له مجرى المضاف قصدا للتخفيف	هو حديث سمع هكذا، وجعل بعضهم الجار والمجرور متعلق بخبر لا، والتقدير لا مانع يمنع لما أعطيت، فيكون من قبيل المفرد مبنيا على الفتح.

تابع جدول ١٨
(جدول أحكام عمل «لا» التى لنفى الجنس، مع الأمثلة والملحوظات)

عدد	مثال	نوع الإسم	حكم	ملحوظات
١٠	لا طالعين جبلا ولا طالعين جبلا عندنا	شبيه بالمضاف	منصوب كل منهما بالياء	الأول مثنى والثانى مجموع وكل منهما عامل النصب فى جبلا على المفعولية .
١١	لا متبرجات بزينة عندنا	شبيه بالمضاف	منصوب بالكسرة	لأنه جمع مؤنث سالم، وإنما أشبه بالمضاف لتعلق الجار والمجرور به، وهو من تمام معناه .

فمبنى هذا الباب على معرفة أن المفرد فيه، كما فى باب المنادى، ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف، وأنه يبنى على ما ينصب به، وأن المضاف والشبيه بالمضاف ينصبان بما ذكر فى باب الإعراب، وقد يكون البناء على الفتح مقدرا نحو لا فتى إلا علىّ، فإن فتى مبنى على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر، وكذلك إذا قلت لا سيبويه عندنا فهو مبنى على فتح مقدر منع من ظهوره حركة البناء الأصلى فى محل نصب .

التاسع من المنصوبات: المنادى

المنادى هو المطلوب إقباله بحرف نائب مناب أدعو لفظا، نحو يا رجل أقبل، ويا جبال أوبى، ويا رسول الله، ويا حسرة على العباد، أو تقديرا، نحو يوسف أعرض عن هذا، تقديره يا يوسف .

وحروف النداء خمسة يا لنداء القريب والبعيد والمتوسط، وأيا وهيا لنداء البعيد، وأى لنداء القريب والهمزة لنداء الأقرب .

وأنوع المنادى خمسة : أحدها : المفرد المعرف بالعلمية وهو ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف، ثانيها : النكرة المقصودة، وهى الاسم المفرد النكرة المعرف بالنداء،

نحو يا جل، إذا قصدت رجلا بعينه، ثالثها: النكرة غير المقصودة، وهى الاسم المفرد النكرة غير المعينة، نحو يا رجلا خذ بيدى، لمن لم يقصد رجلا معينا. رابعها: المضاف، نحو يا عبدالله، ويا رسول الله، ويا نساء النبى، خامسها: الشبيه بالمضاف، نحو يا راحما عبده، ويا لطيفا بالعباد، ويا ثلاثة وثلاثين، اسم رجل.

فأما النوع الأول وهو المفرد المعرف بالعلمية، أى الذى ليس مضافا ولا شبيها به فإنه يبنى على ما يرفع به لو كان معربا، نحو يا زيد، ويا زيود، ويا زيدان، ويا زيدون ويا هند، ويا هنود، ويا هندات، ويا هندان، فكل من هذه مبنى على الضم أو الألف أو الواو فى محل نصب، وإذا قلت يا موسى، ويا قاضى، ويا سيبويه، كانت هذه الثلاثة مبنية على ضم مقدر على آخرها فى محل نصب، ومثله يا هذا، ويا هؤلاء.

وإنما بنى المنادى المفرد العلم لأنه بمنزلة كاف الخطاب من أدعوك، ثم لا ينون إلا للضرورة نحو:

سلام الله يا مطرٌ عليها　　وليس عليك يا مطر السلام

فتنوينه لضرورة الشعر فلا يقاس عليه.

ثم إن المفرد العلم المنادى المبنى على الضم إذا وصف بصفة تارة تكون مفردة مثله وتارة تكون مضافة، فإن كانت مفردة جاز فيها وجهان أن تضم ضمة اتباع حملا على لفظ المنادى وأن تنصب حملا على الموضع، فتقول يا زيد الظريف - بالضم - ويا زيد الظريف - بالنصب - وإن كانت الصفة مضافة لم يجز فيها إلا النصب، نحو يا زيد ذا المال.

وكذلك إذا عطف على المفرد العلم المبنى على الضم اسم فإن كان مفردا جاز فى المعطوف الضم والنصب تقول يا زيد والحارث - بالضم - ويا زيد والحارث - بالنصب - قال الله تعالى: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ**﴾[1] فقرىء لطير بالضم والنصب، وإن كان المعطوف مضافا كان حكمه حكم الصفة فلا يجوز إلا النصب، نحو يا زيد ويا عبدالله ويا عمرو وغلامه، وإذا كان المعطوف على المنادى من الأعلام فحكمه حكم المنادى نحو

---

(١) سبأ: ١٠.

يا زيد وعمرو . . بالضم . . ويجوز في تأكيد المنادى العلم إذا كان مفردا مراعاة اللفظ ومراعاة المحل، نحو يا تميم أجمعون وأجمعين، فأجمعون مبنى على الواو تبعا لضم تميم، وأجمعين منصوب بالياء نظرا لمحلها، فإذا كان التأكيد مضافا نحو يا تميم كلكم لم يجز فيه إلا النصب. وعطف البيان إذا كان مفردا يجوز الضم والنصب نحو يا غلام بشر ويا غلام بشرا، فإن كان مضافا لم يجز إلا النصب نحو يا عمر أبا حفص، وأما البدل إذا كان مفردا فلا يجوز فيه إلا الضم، نحو يا زيد زيد، فحكمه حكم المنادى وكذلك إذا كان مضافا لم يجز فيه إلا النصب نحو يا زيد أخا عمر، ولأنه على نية تكرار العامل.

وأما النوع الثانى فهو النكرة المقصودة بالنداء الجارية مجرى العلم فى إفادة التعيين، فلهذا تبنى مثل المفرد العلم عل الضم من غير تنوين وتكون معرفة بالنداء أى بالإقبال عليها وتخصيصها بالنداء فهى بمنزلة ما لو قلت الرجل بلام التعريف قاصدا واحدا بعينه من جنس الرجال، ولهذا امتنع قولهم يا الرجل لأن فيه اجتماع تعريفين على معرف واحد، وإذا أريد ذلك قيل يا أيها الرجل، فأى هو المنادى، وهو مفرد معرفة كزيد وعمرو إلا أنه مبهم لابد له من صفة حتى يكون له معنى فلارجل صفته وها التنبيه مقحمة بينهما لإفادة التنبيه، ومثل يا أيها الرجل يا أيتها المرأة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾[1] و﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[2] فلا تدخل حروف النداء على ما فيه الألف واللام إلا فى لفظ الله فقط فيقال يا ألله بقطع الهمزة وهو من قبيل المفرد العلم، وقد تعوض الميم عن حرف النداء فيقال اللهم، أى يا ألله.

وأما النوع الثالث وهو النكرة غير المقصودة نحو قول الأعمى يا رجلا خذ بيدى، وقول الواعظ يا غافلا والموت يطلبه، فإنه ينصب بالفتحة أو بما ينوب عنها نحو يا مسلمين أغيثونى إذا لم تقصد جماعة من المسلمين بعينهم.

وأما النوع الرابع وهو المضاف فإنه ينصب بالفتحة أو ما ينوب عنها نحو يا عبدالله و﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ﴾[3] ويا صادقى الوعد.

---

(١) الأنفال: ٦٤.
(٢) الفجر: ٢٧.
(٣) يوسف: ٣٩.

وأما النوع الخامس وهو الشبيه بالمضاف فإنه ينصب أيضا بالفتحة أو ما ينوب عنها، نحو يا حسنا وجهه، ويا طالعا جبلا، ويا طالعين جبلا، ويا رفيقا بالعباد، ويلحق به النكرة الموصوفة نحو يا عظيما يرجى لكل عظيم، ومن جعل جملة يرجى لكل عظيم حالية من ضمير المنادى وهو عظيما جعل هذا المنادى من قبيل الشبيه بالمضاف.

ويجوز حذف حرف النداء إذا كان المنادى علما قال تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾[1] أو مضافا نحو ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا**﴾[2] وكذلك في أى وأية نحو يا أيها الرجل وأيتها المرأة قال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ**﴾[3] وقد التزم حذف حرف النداء فى الاسم لأن الميم عوض عنه ولا يجمع بين العوض والمعوض.

وقد يحذف المنادى فيقال يا بؤس لزيد، والأصل يا قوم بؤس لزيد، ومنه (ألا يا اسجدوا) فى قراءة من قرأ بالتخفيف أى ألا يا قوم اسجدوا، قال الشاعر:

يـا لعنـة الله والأقـوام كلهـم　　والصالحين على سمعان من جار

فلعنة بالرفع مبتدأ ومدخول يا محذوف تقديره يا قوم أو نحوه.

ولا بأس بذكر جدول يشتمل على أمثلة أنواع المنادى الخمسة:

---

(١) يوسف: ٢٩.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) النور: ٣١.

جدول ١٩

(جدول أنواع المنادى الخمسة وأحوالها وأمثلتها)

عدد	أنواع	حكم	أمثلة	ملحوظات
١	مفرد معرفة	ينبى على مـا يرفع به لو كان معربا	يا زيد يا موسى يا قاضي يا سيبويه يا هذا يا الله	لا فـرق بين أن يكون البناء على الضم ظاهرا أو مقدرا فالمنادى فى محل نصب .
			اللهم يا زيدان يا زيدون يا هندات يوسف أعرض عن هذا يا ليت قومى يعلمون	اللهم منادى مـبنى على الضم فى مـحل نصب، والميم عوض عن ياء النداء . يوسف منادى مـبنى على الضم فى مـحل نصب حذف منه ياء النداء . المنادى محذوف تقديره : يا هؤلاء، وبعضهم جعل «يا» حرف تنبيه لا حرف نداء .
٢	نكرة مقصودة	يبنى على مـا يرفع به لو كان معربا	يا رجل يا رجال يا مسلمات يا رجلان يا امرأة يا أيها الرجل يا أيتها المرأة يا أيهذا	يتوصل بنداء أى مبهمة لنداء المعرف بالألف واللام. فيعرب المعرف نعتا لأى أو بدلا أو عطف بيان، وضمه ضم اتباع، ومنه قول الواعظ : يا غافلا والموت يطلبه، ومثله : يا غافلين والموت لا يغفل عنهم .
٣	نكرة غير مقصودة	منصوبة بالفتحة أو ما ينوب عنها	يا رجلا خذ بيدى يا رجالا خذوا بيدى يا مسلمين أغيثونى	
٤	المضاف	ينصب بالفتحة أو ما ينوب عنها	يا عبدالله يا عبادى يا صاحبى السجن يا صادقى الوعد	المضاف إلى ياء المتكلم قد تحذف ياؤه تخفيفا نحو : يا رب، كما تحذف منه ياء النداء أيضا فيقال : رب .
٥	الشبيه بالمضاف	ينصب بالفتحة أو ما ينوب عنها	يا حسنا وجهه يا طالعا جبلا يا رفيقا بالعباد يا ضاربين زيدا يا طالعين جبلا	يا ضاربين زيدا مثال للمثنى، ويا طالعين جبلا مثال للجمع، وكل منهما نصب مفعولا يتم به معناه .

العاشر والحادى عشر من المنصوبات : خبر كان وأخواتها، وما الحق بها، واسم إن وأخواتها

قد تقدم ذكرهما تفصيلا فى المرفوعات بما فيه الكفاية وكمال الإفادة فلا حاجة إلى التكرار والإعادة .

الثانى عشر من المنصوبات: المفعول من أجله، ويسمى: المفعول له

المفعول من أجله هو الاسم المنصوب الذى يذكر بيانا لعلة وقوع الفعل، فهو الغرض الذى لأجله يكون الإقدام على الفعل، نحو قولك ضربت ابنى تأديبا له، وفعلت ذلك مخافة الشر، ونحو قوله تعالى: ﴿ يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾[1] وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾[2] وقول الشاعر

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

فكل من قوله ادخار وتكرما مفعول لأجله، وضابطه أنه يصح وقوعه فى جواب لم؟.

ويشترط لنصب المفعول لأجله ثلاثة شروط: الأول: أن يكون مصدرا من غير جنس العامل فيه، الثانى: أن يكون فعلا للفاعل الذى علل فعله، الثالث: أن يكون مقارنا لفعله فى الوجود، فقولك ضربت ابنى تأديبا استوفى هذه الشروط، لأن تأديبا اسم وقع بيانا لسبب وقوع الضرب، وهو مصدر من غير جنس العامل، إذ التأديب، ليس من جنس الضرب وقد اتحد أيضا بالفاعل، فإن فاعل الضرب هو فاعل التأديب، فإذا فقد شرط من هذه الشروط وجب الجر بالحرف الدال على التعليل وهو اللام أو ما يقوم مقامها وهو من وفى.

مثال ما فقد فيه الشرط الأول جئتك للسمن واللبن، فقد جر باللام لأن السمن ليس بمصدر ومثال ما إذا لم يكن فعلا للفاعل الذى علل فعله قولك جئتك لإكرامك إياى، وجئتك لإكرامك الزائر، لأن الإكرام ليس بفعلك، ومثله قولك أحسنت إليك لإحسانك لى، لاختلاف الفاعل، لأن فاعل الإحسان الثانى غير الأول، ومثال فقد الشرط الثالث جئت اليوم لإكرامك لى غدا، وخرجت اليوم لمخاصمتى زيدا أمس، لأن الاكرام لم يقارن المجىء فى الوجود وكذلك المخاصمة لم تقارن الخروج فى الوجود، ففى جميع هذه الأحوال لا يجوز نصبه، وزاد

(١) البقرة: ٢٦٤.

(٢) البقرة: ٢٤٣.

بعضهم شرطا رابعا وهو أن يكون المصدر قلبيا، فلا يجوز جئتك قراءة للعلم ولا قتلا للكافر بل لقراءة العلم وقتل الكافر.

ولكن مع استيفاء جميع الشروط المذكورة يجوز جر المفعول لأجله، وإنما إذا كان مجردا من أل والإضافة فالأكثر نصبه، فقمت إجلالا لك أكثر من قمت لإجلال لك، وإن كان مصاحبا للألف واللام فالأكثر جره، فقمت للإجلال لك أكثر من قمت الإجلال لك، ومنه قوله:

لا أقعد الجبن عن الهيجاء ولو توالت زمر الأعداء

وإن كان مضافا استوى فيه الأمران، فتقول قصدتك ابتغاء معروفك، وقصدتك لابتغاء معروفك فالنصب والجر بالحرف على حد سواء، فمن النصب قوله تعالى: ﴿**الَّذين يُنفقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّه**﴾[1] ومن الجر قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ منْهَا لَمَا يَهْبطُ منْ خَشْيَةِ اللَّه**﴾[2].

ولنذكر هنا جدولا يتعلق بأحوال المفعول لأجله وبيان مواقع أرجحية النصب أو الخفض بالحروف الدالة على العلة:

(١) البقرة: ٢٦٥.
(٢) البقرة: ٧٤.

جدول ٢٠

(جدول مواقع المفعول لأجله وأحوال جواز النصب والخفض وتعين الخفض بحرف العلة)

عدد	نوع المفعول لأجله	أمثلة النصب	أمثلة الخفض	ملحوظات
١	مجرد من أل والإضافة	قمت إجلالا للأمير	من أمكم لرغبة فيكم جبر	جواز الخفض بقلة والأكثر النصب
٢	مقترن بأل	ضربت ابنى التأديب	ضربت ابنى التأديب	الخفض أكثر وجواز النصب على قلة
٣	مضاف	قصدتك ابتغاء معروفك	قصدتك لا ابتغاء معروفك	يستوى الخفض والنصب
٤	فاقد المصدرية		والأرض وضعها للأنام	يجب الخفض ويمتنع النصب، ومنه حديث: دخلت امرأة النار فى هرة
٥	فاقد القلبية		ولا تقتلوا أولادكم من إملاق	الإملاق، وهو الفقر، علة للقتل لكنه مصدر غير قلبى ولذلك نصب فى قوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق)
٦	فاقد الاتحاد فى الفاعل		وإنى لتعرونى لذكراك هزة	أى ينزل بى لتذكرى إياك نشاط، فاعل العرو هو الهزة، وفاعل الذكرى هو المتكلم، والذكرى علة لعرو الهزة.
٧	فاقد الاتحاد فى الزمان		فجئت وقد نضت لنوم ثيابها	أى خلعت ثيابها لأجل النوم الذى هو علة للخلع، فتعين الخفض.
٨	متحد فى الفاعل بالتأويل أو بالتقدير	وهو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا	للخوف والطمع (فى غير القرآن)	يؤول الخوف والطمع، فالإضافة والإطماع، أو يقدر مضاف، أى إرادة الخوف والطمع فيصح النصب.

فقد اشتمل هذا الجدول على المفعول لأجله المستوفى للشروط وغير المستوفى لها وعلم منه أن المستوفى لها لا يجب نصبه بل قد يخفض بأحد حروف التعليل الأربعة وهى اللام والباء وفى ومن، وأن غير المستوفى يجب خفضه بأحد تلك الحروف، وأن ما ورد منصوبا مما يوهم عدم الاستيفاء يسلك به سبيل التأويل والتقدير كآية ﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[1] فإن فاعل إراءة البرق هو الله سبحانه وتعالى

---

(١) الرعد: ١٢.

والخوف والطمع من صفات المخلوقين القائمة بهم، فاختلف المفعول لأجله مع عامله فى الفاعل، فيؤول الخوف والطمع بالإخافة والإطماع وهما صادران من الله تعالى، أو أن الكلام على تقدير مضاف، أى يريكم البرق إرادة الخوف والطمع، والإرادة من صفات الله تعالى فبهذا التقدير أو التأويل يتجه الاتحاد فى الفاعل.

* * *

الثالث عشر من المنصوبات: المفعول معه

وهو الاسم الفضلة الواقع بعد واو المعية المسبوقة بفعل ظاهر، نحو سرت والنيل، أو مقدر، نحو كيف أنت وزيدا، أى كيف تصنع أنت وزيدا، أو المسبوقة باسم فيه معنى الفعل وحروفه نحو أنا سائر والنيل، وأنا ماش والطريق والأصح أن الناصب للمفعول معه الفعل أو الاسم الذى فيه معنى الفعل لكن بواسطة الواو لأنه قاصر، وليست الواو ناصبة، وإنما هى أشبه بأداة التعدية.

وينقسم المفعول معه إلى قسمين: قسم لا يمتنع معه العطف لكن يعرض عن العطف لقصد النص على المعية فينصب على أنه مفعول معه، نحو قولك جاء الأمير والجيش، أى جاء الأمير مع الجيش فهو بالنصب لقصد المعية، فلا يمتنع العطف فيه، بل يجوز أن يقال جاء الأمير والجيش بالرفع عطفا على الأمير فيكون المعنى جاء الأمير وجاء الجيش بدون تعرض للمعية وعدمها، وقسم يمتنع فيه العطف، نحو استوى الماء والخشبة، فيمتنع أن ترفعه ليكون معطوفا على الماء لأن الخشبة لا تستوى وإنما يستوى الماء أن يصل إليها بعد أن كان منخفضا فارتفع والخشبة ما زالت بحالتها، فمن هذا يفهم أن معنى كونه مفعولا معه أنه صاحب الفاعل عند الفعل سواء ثبت له الفعل أيضا أولا، فحينئذ يحسن العطف كجاء الأمير والجيش أو ثبت الفعل للفاعل فقط نحو سرت والنيل واستوى الماء والخشبة، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ**﴾[1] ومنه قولهم ما شأنك وزيدا، أى ما كان شأنك مع زيد، ومالك وعمرا، والمعنى ما تصنع معه، ومنه حسبك وزيد درهم أى يكفيك معه درهم.

---

(١) يونس: ٧١.

فمدار المفعول معه على أن يكون الكلام قد تضمن فعلا أو ما فيه معنى الفعل وحروفه، ظاهرا ذلك أو مقدرا مع دلالة الواو على المصاحبة له فى الزمن، فليس منه كل رجل وضيعته أو صنعته، بل ضيعته بالرفع عطفا على كل الذى هو مبتدأ والخبر محذوف، أى مقترنان، لأن كل لم يتضمن معنى الفعل، ولا يصح أن يكون منه أيضا هذا لك وأباك بنصب أبا، بل يجر، فيقال هذا لك ولأبيك، أى هذا لك مع أبيك، عطفا على الكاف فى لك، لأنه وإن تقدم عليه اسم فيه معنى الفعل لكن ليس فيه حروف ذلك الفعل إلا أن يلاحظ متعلق الجار والمجرور وهو استقر فيكون من باب المفعول لأجله كما ارتضاه بعضهم.

الرابع عشر من المنصوبات: التابع للمنصوبات

وهو أربعة: النعت والعطف والتوكيد والبدل، ويعدها بعضهم خمسة بالنظر لتقسيم العطف إلى عطف بيان وعطف نسق، ومع أنه قد سبق ذكر التوابع فى المرفوعات مفصلة فلا بأس بذكر شيء هنا مما لا يخلو عن فائدة.

وذلك أن النعت يسمى وصفا وصفة، وهو الاسم الدال على بعض أحوال الذات سواء كان دالا على فعل من أفعال الذات كالقائم والقاعد من قولك رأيت زيدا القائم أو القاعد أو على حلية فى الذات كالطويل والأسود أو على غزيرة كالكريم والعاقل أو على نسبة كالهاشمى والبصرى.

وأما الوصف بأسماء الأجناس كالمال والذهب فلا يتأتى إلا بوسيلة ذو ونحوه فتقول جاءنى رجل ذو مال، ورأيت رجلا ذا مال، ومررت برجل ذى مال، وجاءتنى امرأة ذات جمال، ورأيت امرأة ذات جمال، ومررت بامرأة ذات جمال.

وكل من ذو وذات يثنى ويجمع، فيقال جاءنى رجلان ذوا مال، ورأيت رجلين ذوى مال، ومررت برجلين ذوى مال، وجاءنى رجال ذوو مال، ورأيت رجالا ذوى مال، ومررت برجال ذوى مال، وجاءتنى امرأة ذات مال، ورأيت امرأة ذات مال، ومررت بامرأة ذات مال، وجاءنى امرأتان ذواتا مال، ورأيت امرأتين ذواتى

مال، ومررت بامرأتين ذواتى مال، وجاءنى نسوة ذوات مال، ورأيت نسوة ذوات مال، ومررت بنسوة ذوات مال بالكسر في النصب والجر لكونه ملحقا بجمع المؤنث السالم. هذا ما يتعلق بالنعت.

وأما عطف النسق فهو المسمى العطف بالحرف، فقد سبق بيان حروف العطف وأن منها حتى التى بمعنى الغاية، نحو ضرب القوم حتى زيدا، ويشترط أن يكون ما بعدها مما يصح دخوله فيما قبلها فلا يقال رأيت القوم حتى حمارا كما لا يقال رأيت الحمير حتى أحد القوم، لأن الحمار ليس من القوم.

وأما التوكيد فهو قسمان: أحدهما: لفظى، ولا يختص بالاسم بل يكون بتكرير الفظ، اسما كان أو فعلا أو حرفا، نحو جاءنى زيد زيد، وجاء جاء زيد، ولا لا ونعم نعم، وثانيهما: معنوى، ويختص بالمعرفة نحو رأيت زيدا نفسه، ورأيت الرجلين كليهما، والمرأتين كلتيهما، ورأيت القوم كلهم أجمعين.

وأما البدل فقد تقدم أنه ينقسم إلى بدل كل من كل نحو رأيت زيدا أخاك، وبدل بعض من كل نحو ضربت زيدا رأسه، وبدل اشتمال نحو سلبت زيدا ثوبه، وبدل غلط نحو ركبت زيدا الفرس.

وأما عطف البيان الذى هو القسم الثانى من العطف فهو ما يجرى مجرى التفسير، نحو رأيت أبا عبدالله زيدا، أو زيدا أبا عبدالله، ومدحت أبا حفص عمر، ومدحت عمر أبا حفص، إذا كان الثانى أشهر من الأول. وقد يكون عطف البيان بأى التفسيرية نحو اشتريت برا أى قمحا.

ثم إذا اجتمعت التوابع يقدم النعت ثم عطف البيان ثم التأكيد ثم البدل ثم عطف النسق، فتقول جاء على العاقل أخوك نفسه أبوالحسن وخالد، ورأيت عليا العاقل إلى آخره، ومررت بعلى العاقل إلى آخره كما رتب ذلك بعضهم فقال:

نعت البيان مؤكد بدل نسق   هذا هو الترتيب فى القول الأحق

* * *

الخامس عشر من المنصوبات: الفعل المضارع إذا دخل عليه أحد النواصب

حكما لفعل المضارع الرفع دائما متى تجرد عن الناصب والجازم، فمتى دخل عليه ناصب من النواصب الآتى ذكرها نصبه، فتقول ينصر زيد عمرا، برفع ينصر لتجرده، فإذا قلت اشتهى أن ينصر زيد عمرا نصبت ينصر بأن الناصبة.

والنواصب فى الظاهر تسعة، أربعة منها تنصب بنفسها وهى أن ولن وإذن وكى المصدرية، وخمسة منها تنصب بأن مضمرة بعدها وهى اللام وحتى وفاء السببية وواو المعية وأو التى بمعنى إلى أو إلا، وبعضهم يجعل هذه الأدوات الخمسة ناصبة بنفسها لا بغيرها وإن كان المعنى على إضمار أن المصدرية، وعلى كل حال فلا يكون نصب المضارع إلا بعد إحدى هذه التسعة المذكورة المفصلة فيما بعد وهى أدوات النصب لخصوص المضارع.

الأداة الأولى: أن، المفتوحة الهمزة الساكنة النون، وهى أم الباب، لأنها تعمل ظاهرة ومقدرة، وهى مصدرية تسبك مع الفعل بعدها بمصدر، نحو ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** ﴾[1] أى يريد الله التخفيف عنكم ونحو يريد الله أن يتوب عليكم، أى يريد الله التوبة عليكم، ويشترط فى عملها النصب أن لا تسبق بعلم وإلا كانت مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن فإن سبقت بظن جاز فيها الوجهان النصب والرفع نحو وحسبوا أن لا تكون فتنة.

الثانية: لن وهى حرف لنفى المستقبل كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا** ﴾[2] فكل من يجيرنى وأجد منصوب بلن.

الثالثة: إذن وهى حرف جواب وجزاء، وتنصب المضارع بشروط ثلاثة.

الأول: أن تكون مصدرة فى أول الكلام، نحو إذن اكرمك، جوابا لمن قال: أريد أن أزورك، فإذا قلت وأنا إذن أكرمك، وجب الرفع لأنها حشو. الثانى: أن

---

(١) النساء: ٢٨.

(٢) الجن: ٢٢.

يكون الفعل بعدها مستقبلا، فلو قال لك إنسان أحبك، فقلت له إذن تصدق، رفعت الفعل، لأنه يفيد الحال والقصد الاستقبال، الثالث: أن يكون الفعل بعدها متصلا بها، كالمثال السابق، وهو إذن اكرمك، ويغتفر الفصل بعدة أشياء: الأول: الفصل بالقسم، لأنه جيء به للتأكيد، فلا يمنع النصب نحو إذن والله نرميهم بحرب، والثاني: الفصل بلا النافية، نحو إذن لا أهينك، جوابا لمن قال أريد أن أزورك، لأن النافي كالجزء من المنفى، الثالث: الفصل بالنداء، نحو إذن يا زيد أكرمك، الرابع: الفصل بالظرف والجار والمجرور على رأى ابن عصفور، نحو إذن عندى أكرمك، وإذن فى الدار أكرمك، وقد نظم ذلك بعضهم فقال:

أعـــمل إذن إذا أتتك أولا	**وسقت فعلا بعدها مستقبلا**
واحذر إذا أعملتها أن تفصلا	**إلا بحلف أو نداء أو بلا**
وافصل بظرف أو بمجرور على	**رأى ابن عصفور رئيس النبلا**

ومدار هذا أنه متى كان الفعل بعدها معتمدا على شىء قبلها لم تعمل وتكون لغرا، ومعنى الاعتماد أن يكون ما قبل إذن مقتضيا للرفع أو الجزم فى الفعل الذى بعدها كما إذا قلت إن تأتنى إذن أكرمك، فتجزم الفعل بعدها لوقوعه جزاء للشرط، وتقول أنا إذن أكرمك بالرفع لوقوع الفعل مع فاعله خبر المبتدأ.

وقد لا تكون إذن للجزاء، بل تتمحض للجواب، كقولك، لمن قال أحبك: إذن أظنك صادقا، إذ لا مجازاة فيه، فيرتفع الفعل بعدها، لأنه للحال والجزاء إنما يكون فى المستقبل، وترسم فى جميع الأحوال بالنون إلا إن أهملت فيجوز أن ترسم بالألف.

الرابعة: كى المصدرية لا التعليلية، وعلامة مصدريتها تقدم لام التعليل عليها لفظا أو تقديرا، نحو لكيلا تأسوا على ما فاتكم، أى لعدم الأسى أى الحزن، ونحو ﴿ **كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ** ﴾[1] فاللام مقدرة قبلها.

الخامسة اللام، وهى ثلاثة أقسام: لام التعليل: المسماة لام كى كقوله تعالى:

---

(١) الحشر: ٧.

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1] ولام الجحود: أى النفى وهى اللام المؤكدة بعد كون ماض ناقص منفى بلا أو بلم كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[2] وكقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾[3] واللام الزائدة: المسماة المؤكدة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[4] وكقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾[5] وكقوله: ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[6]. ولام العاقبة: المسماة لام الصيرورة، نحو ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[7] فإنهم التقطوه ليكون لهم قرة عين فكانت عاقبته أن صار لهم عدوا وحزنا، فقد انتصب المضارع بعد لام الجر بأقسامها بأن مضمرة فلهذا كان الفعل مؤولا بمصدر مجرور باللام.

السادسة: حتى الجارة التى بمعنى إلى، وينصب الفعل المضارع بعدها بأن مقدرة وجوبا إذا كان الفعل مستقبلا بالنظر إلى ما قبلها وتكون أن حينئذ مع الفعل فى تأويل مصدر مجرور بحتى كقوله تعالى: ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[8] يعنى لن نبرح عليه عاكفين إلى رجوع موسى، فإذا قلت قبل الدخول سرت حتى أدخلها نصبت لأن المعنى سرت لأدخلها، فإذا قلت ذلك حال الدخول رفعت لأن الفعل يفيد الحال مثل قولهم مرض حتى لا يرجونه.

السابعة. والثامن فاء السببية وواو المعية العاطفتين فى جواب الأشياء التسعة المنظومة فى قول بعضهم:

---

(١) النحل: ٤٤.
(٢) الأنفال: ٣٣.
(٣) النساء: ١٦٨.
(٤) الأحزاب: ٣٣.
(٥) التوبة: ٣٢.
(٦) الأنعام: ٧١.
(٧) القصص: ٨.
(٨) طه: ٩١.

مر وادع وانه وسل واعـرض لحضهـم تمن وارج كذاك النفى قد كمـــلا

أى فى جـواب الأمـر والنهى والدعـاء والسـؤال أى الاسـتـفـهـام والعـرض والتحضيض والتمنى والترجى والنفى.

فمثال وقوع الفعل المضارع منصوبا بعد الفاء والواو فى جواب الأمر: زرنى فأكرمك، أو وأكرمك، فأكرمك أو وأكرمك منصوب بأن مضمرة فى تأويل مصدر معطوف بالفاء أو بالواو على مصدر منسبك من الفعل الذى قبل الفاء أو الواو معمول لكون محذوف تقديره ليكن منك زيارة فإكرام أو إكرام منى، وهكذا يقال فى جواب الثمانية الآتية ومنه بعد الفاء قول الشاعر:

يا ناق سيرى عنقـا فسيحـا إلى سليمـــان فنستريحـــا

ومثال النصب بعد الفاء والواو فى جواب النهى قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي** ﴾[1] وقول الشاعر:

*** لا تنه عن خلق وتأتى مثله ***

فيحل وتأتى منصوبان بأن مضمرة بعد الفاء والواو فى جواب النهى.

ومثال ذلك فى جواب الدعاء، قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾[2] وقول الشاعر:

رب وفقنـى فلا أعـدل عن سنن الساعين فى خير سنن

فقوله تعالى: ﴿ **فَلا يُؤْمِنُوا** ﴾ وقول الشاعر فلا أعدل منصوبان بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب الدعاء الذى هو طلب الأدنى من الأعلى وإذا قلت اللهم وفقنى لإنفاق مال وأخلص فيه، فأخلص منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد واو المعية.

---

(١) طه: ٨١.

(٢) يونس: ٨٨.

ومثال ذلك فى الاستفهام هل أسألك فتجيبنى؟ أو وتجيبنى؟ فتجيبنى منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية أو واو المعية، ومنه بعد الفاء قوله تعالى: ﴿ **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا** ﴾[1]؟ ومنه أيضا الحديث القدسى «من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟ بنصب كل من أستجيب وأعطى وأغفر بعد فاء السببية فى جواب الاستفهام.

ومثال النصب فى جواب العرض، وهو الطلب برفق ولين، قول امرأة إسماعيل ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ وقولهم ألا تنزل عندنا فتصيب خيرا؟، فتطعم منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية وتشرب بالنصب عطف عليه وتصيب منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد واو المعية فى جواب العرض ومن العرض بعد فاء السببية:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما   قد حدثوك فما راء كمن سمعا؟

فتبصر منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية

ومثال النصب فى جواب التحضيض، الذى هو طلب بحث وإزعاج، هلّا اتقيت الله فيغفر لك؟ أو ويغفر لك؟ فيغفر أو ويغفر منصوب بأن مضمرة بعد الفاء والواو فى جواب التحضيض، وقوله تعالى: ﴿ **لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ** ﴾[2] هو من النصب فى جواب الدعاء لأنه فى معنى أخرنى، ولكن استعير لفظ التحضيض للدعاء، أو هو من باب العرض مجازا.

ومثال النصب فى جواب التمنى قوله تعالى: ﴿ **يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾[3] وقولك ليت لى مالا فأحج منه، فأفوز وأحج منصوبان بأن مضمرة

---

(١) الأعراف: ٥٣ .
(٢) المنافقون: ١٠ .
(٣) النساء: ٧٣ .

وجوبا فى جواب التمنى، الأول بعد الفاء والثانى بعد الواو، ومنه بعد الفاء قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

فأخبر منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية فى جواب التمنى.

ومثال النصب فى جواب الترجى قوله تعالى: ﴿ **لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ** ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ **لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ** ﴾[٢] بنصب اطلع وتنفع ونحو قولك لعلى أراجع الشيخ فيفهمنى أو ويفهمنى المسألة، فكل هذه الأفعال منصوبة فى جواب الترجى بعد الفاء والواو.

ومثال النصب فى جواب النفى قوله تعالى: ﴿ **لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا** ﴾[٣] وقولك لا أخدمك وتجفونى، فيموتوا وتجفونى منصوبان، الأول بعد فاء السببية والثانى بعد واو المعية.

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** ﴾[٤] فليس بجواب النفى إذ لو كان كذلك لحذف النون منه بل الفاء عاطفة مجردة من معنى السببية عطفت يعتذرون على يؤذن فهو داخل فى حيز النفى السابق أى لا يؤذن لهم فى العذر فلا يعتذرون.

التاسعة من النواصب أو العاطفة، وينتصب الفعل المضارع بعدها بأن مضمرة وجوبا إذا صلح فى موضعها إلى أو إلا فمثال النصب بأو التى بمعنى إلى قول الشاعر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

أى إلى أن أدك المنى، فأدرك منصوب بأن مضمرة وجوبا لصلاحية إلى

(١) غافر: ٣٦، ٣٧.
(٢) عبس: ٣، ٤.
(٣) فاطر: ٣٦.
(٤) المرسلات: ٣٦.

موضعها، والمعنى ليكن منى استسهال للصعب وإدراك للمنى فى انتهاء الأمر.

ومثال النصب بأو التى بمعنى إلا نحو لأقتلن الكافر أو يسلم، أى إلا أن يسلم، فيسلم منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد أو لصلاحية إلا فى موضعها، وهى عاطفة للمصدر المؤول على مصدر مأخوذ من الفعل قبلها.

فإضمار أن بعد فاء السببية وواو المعية وأو، وهى العواطف الثلاثة، واجب، وقد تأتى الفاء لمجرد العطف فينتصب الفعل المضارع بعدها جوازا إذا عطف بها على اسم صريح نحو قوله:

*** لولا توقع معتر فأرضيه ***

بنصب أرضيه، عطفا على توقع، وكذلك تضمر أن جوازا بعد واو المعية إذا عطفت بها على اسم صريح كقول ميسون زوجة معاوية:

للبس عباءة وتقر عينى أحب إلى من لبس الشفوف

التقدير للبس عباءة وإقرار عيني

ويضاف إلى الأحرف الثلاثة العاطفة فى نصب المضارع بأن مضمرة جوازا من حروف العطف ثم العاطفة بالعطف بها على اسم صريح كقوله:

إنى وقتلى سُليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

ولم يسمع نصب المضارع بأن مضمرة بعد شيء من أحرف العطف إلا بعد هذه الأربعة التى هى الفاء والواو وأو وثم.

ومن هذا يفهم أن أن تضمر بين اثنين من حروف الجر وهما اللام وحتى وبعد ثلاثة من حروف العطف وهى الفاء والواو وأو ويضاف إليها ثم.

فهذا بيان النواصب للفعل المضارع.

وقد تحذف نون الأفعال الخمسة للتخفيف لغير ناصب ولا جازم وهى لغة فصيحة كقوله ﷺ «ولا تؤمنوا حتى تحابوا» فإنها قد حذفت بعد لا النافية فى «ولا تؤمنوا»، وليست مجزومة بلا النافية فإن الجزم بها إنما سمع عن العرب فيما إذا صلح قبلها كى نحو جئته لا يكن له على حجة، كما يعلم من جدول الجوازم فى الباب الثالث عشر:

ولنذكر هنا جدولا لمزيد الوضوح:

جدول ٢١

(جدول النواصب للمضارع وبيان ما ينصب بنفسه وما ينصب بأن مضمرة وما يهمل)

عدد	نواصب	مضارع منصوب	مضارع مرفوع	مضارع يستوى فيه الرفع والنصب	ملحوظات
١	أن	أرجو أن يغفر الله لى	علم أن سيكون منكم مرضى	وحسبوا أن لا تكون فتنة	المثال الأول مستوف للشروط، والثانى أن فيه مسبوقة بعلم، وفى الثالث مسبوقة بما يفيد الظن.
٢	لن	لن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى			نفى الاستقبال فى هذه الآية محدود، وقد يكون غير محدود نحو قوله تعالى: (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا).
٣	إذن	إذن أكرمك.. لمن قال: أريد أن أزورك	أنا إذن أكرمك.. جوابا له، ومثله: إذن تصدق لمن قال: أنا أحبك.	إذن فى الدار أكرمك وإذن عندى أكرمك	النصب على رأى عصفور والرفع على رأى الجمهور، وإذا وقعت بعد الواو والفاء جاز إعمالها وإلغاؤها، وهو الأكثر، نحو: (وإذن لا يلبثون خلفك إلا قليلا فإذن لا يؤتون الناس نقيرا).
٤	كى المصدرية	كى تقر عينها			تسبقها اللام لفظا أو تقديرا، والخالية من اللام يجوز أن تكون تعليلية بمعنى لام العلة، فالفعل منصوب بأن مضمرة بعدها نحو: (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم). الأولى لام الجر، والثانية لام

تابع جدول ٢١
تابع (جدول النصب للمضارع)

عدد	نواصب	مضارع منصوب	مضارع مرفوع	مضارع يستوى فيه الرفع	ملحوظات
٥	لام الجر بإضمار أن بعدها	جئت لتكرمنى - ما كنت لأضربك - يريد الله ليذهب عنكم الرجس			الجحود، والثالثة لام التأكيد، فأن مضمرة جوازا بعد الأولى ووجوبا بعد الأخريين
٦	حتى	حتى يرجع إلينا موسى	مرض حتى لا يرجونه	وزلزلوا حتى يقول الرسول	قرىء بالرفع والنصب نظرا إلى حكاية الحال وإلى أن قول الرسول والمؤمنين مستقبل بالنظر إلى الزلزال، والنصب بحتى التى بمعنى إلى بأن مضمرة وجوبا، وكذلك تضمر أن وجوبا بعد الحروف الآتية.
٧	فاء السببية العاطفة	لا يقضى عليهم فيموتوا	ولا يؤذن لهم فيعتذرون ما أنت إلا تأتينا فتحدثنا.	ما تأتينا فتحدثنا	الفاء فى الثانى لمجرد العطف وفى الثالث إذا كانت للعطف مع السببية انتصب الفعل أو لمجرد العطف ارتفع.
٨	واو المعية العاطفة	أأخدمك وتجفونى	هل أخوك زيد فأكرمه.. وجب الرفع لأنه ولى الأداة.. جملة اسمية خبرها جامد.	أتأكل السمك وتشرب اللبن	إن قصدت الجمع نصبت وإن قصدت تشريك الأول مع الثانى رفعت.
٩	أو العاطفة التى بمعنى إلى أو إلا أو لام التعليل	لألزمنك أو تقضينى حقى - أى إلى أن تقضينى حقى - لأقتلن الكافر أو يسلم - أى إلا أن يسلم - لأطيعن الله أو يغفر لى - أى ليغفر لى.		تقاتلونهم أو يسلمون	قرىء بالرفع والنصب، فالرفع على التخيير بين المقاتلة والإسلام أو على تقدير مبتدأ والنصب على معنى تقاتلونهم إلى أن يسلموا، ومثله نموت فى قول امرئ القيس: فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا نصبه فعطف عليه فنعذر، قال سيبويه ولو رفعه لكان عربيا جائزا عطفا على نحاول أو على تقدير مبتدأ أى نحن نموت.

جدول ٢٢

(جدول نصب المضارع بأن مضمرة جوازا بعد الفاء والواو وأو وثم إذا كان العطف بها على اسم خالص)

	مثاله		مثاله		مثاله		مثاله	ملحوظات
بعد الفاء	لولا توقع معتر فأرضيه	بعد الواو	للبس عباءة وتقر عينى	بعد أو	ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا	بعد ثم	إنى وقتلى سليكا ثم أعقله	هذه الحروف الأربعة مخصوصة من بين حروف العطف بأن تعطف المضارع على اسم خالص فينصب بأن مضمرة جوازا بعدها .

جدول ٢٣

(جدول مبين للأشياء التسعة التى ينصب الفعل المضارع بعدها بأن مضمرة وجوبا بعد الفاء والواو ـ بيان الأشياء التسعة التى تسبق المضارع المعطوف بفاء السببية أو واو المعية فينصب بأن مضمرة وجوبا).

عدد	نصب المضارع بأن مضمرة وجوبا بعد الفاء	أمثلة	عدد	نصب المضارع كذلك بعد الواو	أمثلة	ملحوظات
١	جواب الأمر	تعال فأحسن إليك	١	جواب الأمر	تعال وأحسن إليك	بصيغة فعل الأمر أو بالمضارع المسبوق بلام الأمر لا باسم فعل الأمر .
٢	جوب النهى	لا تخاصم زيدا فيغضب	٢	جواب النهى	لا تخاصم زيدا ويغضب	
٣	جواب الدعاء	رب وفقنى فأطيعك	٣	جواب الدعاء	رب وفقنى وأطيعك	فعل الدعاء فى الحقيقة هو فعل أمر ولهذا جعل بعضهم الأجوبة ثمانية .
٤	جواب الاستفهام	هل لزيد صديق فينصره	٤	جواب الاستفهام	هل لزيد صديق وينصره	جواب الاستفهام يسمى أيضا جواب السؤال .
٥	جواب العرض	ألا تنزل عندنا فتصيب خيرا	٥	جواب العرض	ألا تنزل عندنا وتصيب خيرا	هو الطلب برفق ولين بأداة بالعرض
٦	جواب التحضيض	هل أحسنت إلى زيد فيشكرك	٦	جواب التحضيض	هلا أحسنت إلى زيد ويشكرك	هو الطلب بحث وإزعاج بأداة التحضيض
٧	جوانب التمنى	ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب	٧	جواب التمنى	ليت الشباب يعود يوما وأخبره بما فعل المشيب	التمنى طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عسر كعود الشباب كسب المال
٨	جوانب الترجى	لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع	٨	جواب الترجى	لعلى أراجع الشيخ ويفهمنى المسألة	الترجى هو طلب الأمر المحبوب
٩	جوانب النفى	لا يقضى على زيد فيموت	٩	جواب النفى	لا يقضى على زيد فيموت	يشترط فى النفى أن يكون نفيا محضا أى لم ينتقض بإلا ونحوها .

ثم إن الفعل المضارع المنصوب بالنواصب المتقدمة يكون نصبه ظاهرا نحو أن يقوم، ولن يرمى، ولن يدعو زيد، ونحو الزيدان لن يقوما، والزيدون لن يقوموا، ويا هند لن تقومى، أو مقدرا نحو لن يخشى زيدا، ومحليا نحو لن يقومن زيد، والنسوة لن يقمن، وهذا المضارع المنصوب هو تمام المنصوبات الخمسة عشر، وكلها من نوع الأسماء ما عداه.

* * *

وقد استفيد مما تقدم أن المرفوعات والمنصوبات من جنس الأسماء والأفعال لاشتراك الأسماء والأفعال فى الرفع والنصب، وأن المرفوع من الأفعال هو الفعل المضارع المجرد من الناصب والجازم، كما أن المنصوب منها هو الفعل المضارع الذى دخل عليه أحد النواصب التسعة، وقد سبق لنا أن الخفض مختص بالأسماء كما أن الجزم مختص بالأفعال، فلنشرع الآن فى بيان مخفوضات الأسماء.

الباب الثانى عشر

فى عوامل الخفض وفى مخفوضات الأسماء

يشتمل هذا الباب على قسمين :

القسم الأول فى بيان عوامل الخفض

والقسم الثانى فى بيان الأسماء المخفوضة ظاهرة أو مضمرة .

فأما القسم الأول فيشتمل على ثلاثة أنواع من العوامل تعمل الخفض :

النوع الأول : حروف الخفض ، وتسمى حروف الجر وحروف الإضافة ، لأنها توصل معانى الأفعال إلى الاسماء .

والنوع الثانى : فى المضاف ، أى ما اشتمل على النسبة الإضافية .

والنوع الثالث : التبعية للمخفوض بالحرف أو بالمضاف .

النوع الأول : يشتمل على سبعة عشر خافضا ،

الأول من ، ومعناها ابتداء الغاية فى المكان نحو سرت من البصرة ، وتكون للتبعيض نحو أخذت من الدراهم ، وللتبيين نحو لى عشرون من الدراهم ، ونحو (فاجتنبوا الرجس من الأوثان)[1] وتكون مزيدة نحو ما جاءنى من أحد ، و (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله)[2] ونحو هل من اله غير الله؟ فلا تزاد إلا فى النفى وشبهه ، الثانى إلى ، ومعناها انتهاء الغاية فى المكان ، نحو سرت إلى البصرة ، وإلى

(١) الحج : ٣٠ .

(٢) المؤمنون : ٩١ .

الله ترجعون، وهي معارضة لمن، وتكون بمعنى المصاحبة نحو قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ** ﴾[١] وقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فيقال انها بمعنى مع، الثالث حتى، وهي بمعنى إلى إلا أنه يجب أن يكون مجرورها آخر جزء ينتهي به المذكور قبلها، نحو أكلت السمكة حتى رأسها، أو عنده نحو نمت البارحة حتى الصباح، فالرأس ينتهي به السمكة والصباح عنده تنتهي الليلة، ولو قلت حتى نصفها أو ثلثها لم يجز، والرأس داخل في الحكم الذى قبلها وهو الأكل والصباح داخل فى النوم، ومنه قوله تعالى ﴿ **سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾[٢] وحقها أن يدخل ما بعدها فيما قبلها بخلاف إلى، وكلمة إلى تدخل على المظهر والمضمر بخلاف حتى فلا تدخل إلا على المظهر، الرابع فى، ومعناها الظرفية، نحو المال فى الكيس، والركض فى الميدان، ونظرت فى الكتاب، وسعى زيد فى حاجته، وتكون بمعنى على نحو ﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** ﴾[٣] لتمكن المصلوب فى الجذع تمكن الظرف فى المظروف مبالغة، الخامس الباء، ومعناها الإلصاق، ، نحو به داء، ومررت بزيد، وتكون للاستعانة نحو كتبت بالقلم، وبتوفيق الله فعلت، وباسم الله قرأت، وتكون للمصاحبة نحو خرج زيد بأهله، واشترى الفرس بلجامه، وتكون للقسم نحو أقسمت بالله، والله أقسم به، وتكون مزيدة نحو ﴿ **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾[٤] وبحسبك درهم، السادس اللام، ومعناها الملك، نحو المال لزيد، وتكون بمعنى الاختصاص نحو الجل[٥] للفرس، وبمعنى الاستحقاق نحو الحمد لله، وتكون للتعليل نحو جئت للزيارة، وتكون مزيدة نحو ﴿ **رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ** ﴾[٦] أى ردفكم، السابع رب، ومعناها التقليل، وتختص بالنكرة ظاهرة أو مضمرة، ولها صدر الكلام، نحو رب رجل كريم لقيته، وربه رجلا نفعنى بشجاعته، وتدخل عليها ما فتكفها عن العمل فتدخل حينئذ على الفعل والاسم نحو ربما خرج زيد، وربما زيد فى

(١) النساء: ٢ .

(٢) القدر: ٥ .

(٣) طه: ٧١ .

(٤) النساء: ٧٩ .

(٥) الجل - بضم الجيم وتشديد اللام - للدابة كالثوب بالنسبة للإنسان .

(٦) النمل: ٧٢ .

الدار، ومن دخولها على الفعل قوله تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين)[1] وإضمار رب بعد الواو كثير فى الكلام نحو:

وليل كموج البحر أرخى سدوله

وتضمر بعد بل نحو:

بل بلد ملء الفجاج قتمه

وبعد الفاء نحو:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع

وتحذف رب ويبقى عملها نحو رسم دار وقفت فى طلله، الثامن واو القسم، نحو والله، وهى مبدلة من باء القسم نحو أقسمت بالله، التاسع تاء القسم، نحو تالله، وهى مبدلة من واو القسم، ولا تدخل إلا على اسم الله، وقل تا الرحمن، وترب الكعبة.

وهذه الخوافض التسعة لا تكون الا حروفا، فلا تكون أسماء ولا أفعالا، أى لا تكون مترددة بين الحروف وغيرها بخلاف أدوات الخفض الآتية فمنها خمسة تكون حروفا تارة وأسماء تارة أخرى كما سيأتى، العاشر على، ومعناها الاستعلاء، نحو زيد على السطح، وعمرو عليه دين، وتكون بمعنى لكن نحو قوله:

بكل تداولينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع ... إذا كان من تهواه ليس بذى ود

فعلى معنى لكن، فهى للاستدراك، ولهذا قيل إنها مما لا تحتاج فى هذا المعنى إلى متعلق، وتكون اسما نحو نظرته من على الجبل، أى من فوقه، الحادى عشر عن، ومعناها المجاوزة أى البعد، نحو رميت السهم عن القوس، لأن السهم يجاوز القوس ويبعد عنها، ومنه قولهم فلان أطعم خدمه عن الجوع وكساهم عن العرى، أى باعد عنهم الجوع والعرى، وتكون عن اسما فى قولك جلست من عن يمينه، أى من جانب يمينه، الثانى عشر الكاف، نحو قولك زيد كالبدر، والذى كزيد

---

(١) الحجر: ٢.

أخوك، وتكون اسما نحو يضحكن عن كالبرد، أى عن مثل البرد، أى عن ثنايا مثل البَرَد، ثالث عشر والرابع عشر مذ ومنذ، ومعناهما ابتداء الغاية فى الزمان الماضى، كقولك ما رأيته مذ يوم الجمعة، ومنذ يوم السبت، ويكونان اسمين، ويرفع ما بعدهما سواء أريد بهما أول المدة أو جميعها، نحو ما رأيته مذ يوم الجمعة، ومذ يومان يجوز الجر، وإذا وقع بعد أحدهما فعل كان ظرفا نحو حضرت مذ قام زيد، ومنذ جاء عمرو، والثلاثة الباقية تكون تارة حروفا جارة وتارة أفعالا.

الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر خلا وعدا وحاشا، ومعناها الاستثناء، نحو قام القوم خلا زيد، وعدا عمرو، وحاشا بكر، بالجرو تكون أفعالا ماضية فينتصب ما بعدها على المفعولية، فإذا تقدمت ما على عدا وخلا وجب نصب ما بعدهما، ومن الجر بحاشا قول الشاعر:

حاشا أبى ثوبان إن بـــه ضنا عن الملحاة والشتم

وأما قوله تعالى (حاشا الله)[1] فمعناه أنزه الله تنزيها من كل سوء، فهو واقع موقع المصدر، وتحذف ألف حاشا كما قرئ (حاش الله) بدون ألف وقرئ أيضا (حاشًا لله) بالتنوين، وزاد بعضهم من حروف الجر لولا وجعلها تجر الضمير نحو لولاك ولولاه، فتكون شبيهة بالزائد، والضمير المتصل بها نائب عن المنفصل يعرب مبتدأ، وبعضهم زاد لعل فى لغة هذيل نحو قوله:

لعل الله فضلكم علينا بشىء أن أمكم شريـك

فهى أيضا حرف جر شبيه بالزائد.

وسائر حروف الجر لابد لها من متعلق تتعلق به، فعلا كان أو فى معنى الفعل، إلا ما كان زائدا منها أو شبيها بالزائد وهو المنظوم فى قول بعضهم:

وكـــل حروف الجـــر تبغى تعلقـا سوى ستة عن حفظها ليس يستغنى
لعـل ولولا ثم رب مزيـــد هـــم وكـــاف لتشبيه وحرف للاستثنـا

---

(١) يوسف: ٥١ .

إلا أن الصحيح أن كاف التشبيه تتعلق، والأولى إبدالها بعلى التى للاستدراك بمعنى لكن، نحو زيد لا ينفعنا بشىء على أنه غير حاضر معنا.

وهذه صورة جدولها المشتمل، على بيان معانيها وأمثلتها:

جدول ٢٤
(جدول حروف الجر التى لا تحتاج إلى متعلق كغيرها)

عدد	حروف الجر	معانى	أمثلة	ملحوظات
١	لولا	حرف امتناع لوجود	لولاكم لكنا مؤمنين	الكاف ضمير متصل فى محل المنفصل مبتدأ محذوف الخبر وجوبا، أى لولا أنتم موجودون، وجملة: لكنا مؤمنين جواب لولا لا محل لها من الإعراب.
٢	لعل	للترجى والتوقع	لعل الله فضلكم علينا لعل أبى المغوار منان قريب	لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة، وجملة: فضلكم خبر، وأبى المغوار مبتدأ مرفوع بواو مقدرة ومضاف إليه، وقريب خبر.
٣	رب	للتقليل	رب رجل عندى رب رجل صالح لقيت رب رجل صالح لقيته ربه رجلا عندى ربه امرأة لقيت ربه رجلين لقيتهما ربه امرأتين لقيتهما ربه رجالا لقيتهم ربه نساء لقيتهن	رجل فى المثال الأول مرفوع تقديرا على الابتداء، وفى المثال الثانى منصوب تقديرا على المفعولية، وفى الثالث محتمل للرفع والنصب تقديرا على الابتداء والمفعولية، والضمير المتصل فى المثال الرابع فى محل ضمير المنفصل مبتدأ وخبره الظرف، ورجلا تمييز منصوب، وفى الثانى فى محل نصب مفعول وفى باقى الأمثلة محتمل للابتدائية والمفعولية فيكون مرفوع المحل أو منصوبه.
٤	على	بمعنى الاستدراك	زيد على ما هو عليه من الفضل بخيل	أى مع ما عليه من الفضل، ومثله قولهم: على أنه لو صح كذا لما كان كذا، وبعضهم يقدر لها متعلقا.
٥	حرف الجر الزائد نحو من والباء	يزاد للتأكيد وفى معمول الوصف المتقدم على عامله لضعفه عن العمل فيتقوى بحرف الجر الزائد	نحو: ما لباغ من مفر وبحسبك درهم زيد لعمر ضارب	فى المثالين الأولين زيد حرف الجر فى المبتدأ، وفى الثالث زيد فى معمول الخبر حيث ضعف الوصف عن العمل فيه إلا بواسطة حر الجر.
٦	خلا وعدا وحاشا	حروف جر واستثناء	قام القوم خلا زيد وعدا عمرو وحاشا بكر	فهى بمعنى دون أو غير.

فهذه الستة لا تحتاج إلى متعلق منها نوع الزائد ليس له معنى من معانى حروف الجر الخاصة بها والخمسة الأخرى شبيهة بالزائد، يعنى أصلية شبيهة بالزائد فى عدم التعلق، وإنما كانت أصلية لإفادتها معانى تعدت بها من الأفعال إلى الأسماء.

وقد يحذف حر الجر فيتعدى الفعل بنفسه نحو (واختار موسى قومه سبعين رجلا)[1] ومنه دخلت الدار، ومنه قوله:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

وبعضهم يسمى هذا النوع بالمفعول منه، ويسمى أيضا بالحذف والإيصال، وهو مشهور بهذا الاسم.

والنوع الثانى وهو المضاف ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ماتكون إضافته معنوية، يعنى ما تكون فيه فائدة الإضافة عائدة على المعنى، بأن يستفيد المضاف التعريف من المضاف إليه إن كان معرفة مثل غلام زيد أو التخصيص إن كان نكرة مثل غلام رجل.

والقسم الثانى: ما تكون إضافته لفظية، بأن يكون المضاف وصفا مضافا إلى معموله، مثل هذا ضارب زيد الآن أو غدا، فضارب وصف لأنه اسم فاعل مضاف إلى معموله وهو زيد، بدليل أنك لو قطعته عن الإضافة نصبته فتقول هذا ضارب زيدا، فعل بهذا أنه مضاف إلى معموله، بخلاف مثل غلام زيد فإنك إذا قطعته عن الإضافة لم يكن زيد معمولا للغلام، فإضافة نحو ضارب زيد لفظية، لأنها تفيد تخفيف اللفظ بحذف التنوين أو نون التثنية والجمع نحو هذا ضارب زيد، وهذان ضاربا زيد، وهؤلاء ضاربو زيد، فإن أصله ضارب زيدا، وضاربان زيدا، وضاربون زيدا، فخفف لفظه بحذف التنوين والنون فلا يفيد لفظه تعريفا ولا تخصيصا فلهذا يقال إضافة الوصف إلى معموله على نية الانفصال.

ثم إن الإضافة المعنوية يقال لها إضافة حقيقية لإفادتها تعريف المضاف أو تخصيصه، ولا تخلو من أن تكون بمعنى اللام نحو غلام زيد، ودار عمرو، ومال

(١) الأعراف: ١٥٥ .

خالد، وأرض الله، أو بمعنى من نحو قولك خاتم فضة، وسوار ذهب، وثياب سندس، وباب ساج، وهى إضافة الشيء إلى جنسه، ويصح أن يخبر فيها بالاسم الثانى عن الأول فيقال الخاتم فضة، والسوار ذهب، أو تكون بمعنى فى نحو مكر الليل، ومن الإضافة التى بمعنى اللام نحو قولك أبوبكر بن أبى قحافة صاحب رسول الله› ورفيقه فى الغار، أى أبا بكر بن أبى قحافة صاحب لرسول الله ورفيق له فى الغار، ومن الإضافة التى بمعنى من قولك هذا رطل زيت، وكيل قمح، وذراع أرض، وثلاثة رجال، أى رطل من زيت، وكيل من قمح، وثلاثة من رجال، فجميع إضافة الأعداد إلى المعدودات والمقادير إلى المقدرات إضافة معنوية، بمعنى من، وأما الإضافة التى بمعنى فى فضابطها أن يكون المضاف إليه ظرفا للمضاف.

ومتى كانت الإضافة معنوية فإن المضاف يتعرف بها إذا كان المضاف إليه معرفة، ولا يجوز دخول الألف واللام عليه، فلو قلت فى غلام زيد الغلام زيد لم يجز لأن التعريف قد حصل بالإضافة فاستغنى بها عن لام التعريف، بخلاف الإضافة اللفظية غير الحقيقية فهى فى تقدير الانفصال فلم يتعرف المضاف ولو أضيف إلى المعرفة، تقول مررت برجل ضارب زيد وبرجل معمور الدار وجاءنى رجل حسن الوجه، فوقع صفة للنكرة قال تعالى (هديا بالغ الكعبة)[1] ولو كانت الإضافة حقيقية لما جاز أن تقع صفة للنكرة لأن الصفة تتبع الموصوف تعريفا وتنكيرا.

وإضافة اسم الفاعل إلى المفعول إنما تكون لفظية إذا أريد بها الحال أو الاستقبال، كما تقدم، وأما إذا أريد بها المضى أو الدوام كانت معنوية ومفيدة للتعريف نحو قوله تعالى (الحمد لله فاطر السموات والأرض)[2] وقول تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب)[3] وقوله تعالى (مالك يوم الدين)[4] بعد قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين)[5] فهو صفة لله تعالى.

ويستثنى من الأسماء التى تعرف بالإضافة إلى المعرفة إضافة معنوية ثلاثة أسماء

---

(١) المائدة: ٩٥.

(٢) فاطر: ١.

(٣) غافر: ٣.

(٤) الفاتحة: ٤.

(٥) الفاتحة: ٢.

متوغلة فى الإبهام وهى غير ومثل وشبه، فإن هذه الأسماء لا تتعرف وإن أضيفت إلى المعارف، ولهذا تقع صفات للنكرات، فى هذه الحالة تقول مررت برجل غيرك، ومررت بغلام مثل زيد وشبهه، قال تعالى ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾[1] وقال ﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴾[2] وقال ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾[3].

النوع الثالث من عوامل الخفض الجر بالتبعية فى التوابع الأربعة، وهى النعت والعطف والتوكيد والبدل، وهى الأسماء التى لا تعرب إلا على سبيل التبع لغيرها، فحيث تبعت متبوعها فى الرفع والنصب فكذلك ينبغى أن تتبعه فى حالة الخفض لإجراء التوابع فى إعرابها على وتيرة واحدة بدون نظر إلى أن العامل فى التابع هو العامل فى المتبوع، لأن هذه العلة موجودة أيضا فى الرفع والنصب ولم تكن موجبة لتقليل الأقسام، وبالجملة فالتبعية سبب الجر إن لم تكن جارة.

فمثال الخفض بالتبعية فى النعت مررت بزيد العاقل، ومررت بغلام هند العاقلة، ومثال الخفض بها فى العطف مررت بزيد وعمرو، ومررت بغلامى هند ودعد، ومثال الخفض بها فى التوكيد مررت بزيد نفسه، وبالقوم كلهم، ومررت بغلام هند نفسها، ورأيت غلمان النساء كلهن، ومثال الخفض بها فى البدل مررت بزيد أخيك، وحضرت بدار الزيود إخوتك، ومثال الخفض بها فى عطف البيان زيد منسوب إلى أبى حفص عمر، وقولك كان العدل فى أيام أمير المؤمنين أبى حفص عمر.

وأما الخفض بالمجاورة نحو هذا جحر ضب خرب، وكقوله تعالى ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٍ ﴾[4] فى قراءة الجر، وقيل إن النحاس فى الآية بمعنى الدخان، فالجر ليس بالمجاورة، أو بالتوهم نحو ليس زيد قائما ولا قاعد، بتوهم الباء فى خبر ليس، فليس قياسيا حتى يركن إليه وإن عد نوعا من عوامل الخفض.

وأما القسم الثانى وهو الأسماء المخفوضة فيكون فى الأسماء بالنسبة لكونها ظاهرة أو مضمرة مجرورة بحرف أو مضاف أو تبعية، مثال ذلك قولك ثواب عملى

---

(١) التوبة: ٣٩.

(٢) القصص: ٧١، ٧٢.

(٣) الطور: ٣٤.

(٤) الرحمن: ٣٥.

الطيب لى، وثواب عملنا الطيب لنا، وثواب عملك الطيب لك، وثواب عملكما الطيب لكما، وثواب عملكم الطيب لكم، وثواب عملكن الطيب لكن، وثواب عمله الطيب له، وثواب عملها الطيب لها، وثواب عملهما الطيب لهما، وثواب عملهم الطيب لهم، وثواب عملهن الطيب لهن.

فهذا مثال الأسماء المخفوضة بالحرف والمضاف والتبعية.

ولنذكر هنا جدولا يشتمل على عوامل الخفض وأقسامها وأمثلتها لتمرين التعليم:

جدول ٢٥

(جدول عوامل الخفض بأنواعها وأمثلتها)

عدد	خوافض		أنواع	أمثلة	ملحوظات
١	حروف الجر	١ ٢ ٣	أصلى زائد شبيه بالزائد	مررت بزيد وكفى بالله شهيدا رب رجل كريم لقيته	حصر بعضهم الخفض فيها وقال: إن خفض المضاف إنما هو بالحروف المقدرة فيه وهى اللام ومن وفى، فالخافض فى الحقيقة إنما هو الحروف، والصحيح خلافه.
٢	مضاف إلى مفرد أوجملة	١ ٢ ٣	إضافة معنوية مفيدة التعريف اضافة معنوية مفيدة التخصيص إضافة لفظية بتقدير الانفصال	كغلام زيد، وعبدى زيد، ومجاهدى الإسلام كغلام رجل، وخاتمى ذهب، وحافظى شريعة، وهذا يوم ينفع كضارب زيد، والضارب الرجل، والضاربى زيد- بالتثنية- والضاربى زيد- بالجمع-	الإضافة المعنوية بقسميها حقيقية فلا تجامع حرف التعريف ولا التنوين ولا نون التثنية والجمع، واللفظية أيضا لا تجامع النون ولا التنوين وإنما تجامع الألف واللام. معنى كون اللفظية على نية الانفصال أنه يصبح أن تقول: ضارب زيدا- بالتنوين- والضاربين زيدا، والضاريين زيدا، بخلاف غلام زيد.
٣	تبعية	١ ٢ ٣ ٤ ٥	نعت عطف نسق عطف بيان توكيد بدل	مررت بزيد الكريم مررت بزيد وعمرو مررت بأبى حفص عمر مرررت بالقوم كلهم	المناسب جعل التبعية قسما من عوامل الخفض تسهيلا للمتبدىء لاسيما وأنه متداول على الألسنة فى الإعراب حيث يقال دائما نعت المخفوض مخفوض والمعطوف على المخفوض مخفوض وهكذا.
٤	مجاورة			رضيت بالدرهم نصفه برسل عليكما شواظ من نار ونحاس- فى قراءة الجر-	ومنه: كأن ثبيرا فى عرانين وَبْله كبير أناس فى بجاد مزمل
٥	توهم			ومثله هذا جحر ضب خرب ليس زيدا قائما ولا قاعد	توهم المتكلم دخول الباء فى خبر ليس فجر بالتوهم، وهذا النوع فى ا لحقيقة يرجع للتبعية.

فهذا ما يتعلق بالخوافض والمخفوضات، التى هى القسم الثالث من المعربات، فلم يبق من المعربات إلا المجزومات من الأفعال.

الباب الثالث عشر

فى عوامل الجزم ومجزومات الأفعال

القسم الأول فى عوامل الجزم بالأدوات.

عوامل الجزم للأفعال المضارعة عشرون جازما وهى نوعان:

أحدهما: ما يجزم فعلا واحدا وهو ثمانية جوازم.

والثانى: ما يجزم فعلين شرطا وجزاء وهو اثنا عشر جازما.

فأول الجوازم من النوع الأول لم، وهى حرف جزم لنفى المضارع وقلب معناه إلى الماضى، كقوله تعالى: ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[1].

والثانى لما، وهى حرف جزم لنفى المضارع وقلب معناه إلى الماضى كلم، ويشترط فى منفى لما أن يكون متصلا بالحال، نحو ﴿ **بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ** ﴾[2] أى لم يذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقع.

والثالث ألم، وهى مركبة من همزة الاستفهام التقريرى ولم النافية الجازمة، وبدخول هذه الهمزة عليها صار ما بعدها مثبتا كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾[3] أى شرحنا لك صدرك، فلهذا عطف عليه ﴿ **وَوَضَعْنَا** ﴾، ومثله:

---

(١) الإخلاص: ٣، ٤.

(٢) ص: ٨.

(٣) الشرح: ١.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ﴾[1] ومثله أيضا ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾[2].

والرابع ألما، وهى لما النافية الجازمة دخلت عليها همزة الاستفهام التقريرى، ومثالها قول الشاعر:

إليكم يا بنى بكر إليكم ألما تعرفــوا منا اليقينــا

والخامس لام الأمر كقوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾[3].

واالسادس لام الدعاء، التى هى لام الأمر استعملت فى الدعاء كقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[4].

والسابع لا الناهية، كقوله تعالى: ﴿ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾[5].

والثامن لا الدعائية، التى هى لا الناهية استعملت فى الدعاء كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾[6].

وأما جوازم النوع الثانى الاثنا عشر فأولها إن ـ بكسر الهمزة وسكون النون ـ وهى حرف شرط وجزاء وتعمل ظاهرة ومقدرة.

فمثال عملها ظاهرة قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾[7]، ومثال عملها مقدرة ويكون بعد الأشياء التى تجاب بفاء السببية إذا حذفت الفاء ما عدا النفى فلا تجزم بعده فيجزم الفعل بأن مضمرة إذا وقع جوابا للأمر نحو زرنى

---

(١) الضحى: ٦، ٧.
(٢) الفيل: ٢، ٣.
(٣) الطلاق: ٧.
(٤) الزخرف: ٧٧.
(٥) لقمان: ١٣.
(٦) البقرة: ٢٨٦.
(٧) الإسراء: ٥٤.

أكرمك بالجزم، ومنه قوله تعالى: ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾[(1)] يعنى إن تزرنى أكرمك وإن تدع لنا ربك يبين لنا ما هى، وهكذا، ومثله ما إذا وقع جوابا للنهى فى بعض المواضع نحو لا تفعل شرا يكن خير لك، ونحو لا تدن من الأسد تسلم، بخلاف لا تدن من الأسد يأكلك، فلا جزم، أو للاستفهام نحو أين بيتك أزرك؟ بالجزم ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ ﴾[(2)] إلى أن قال: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾أو للتمنى نحو ليت لى مالا أنفقه، أو للعرض نحو ألا تنزل عندنا تصب خيرا، أو للترجى نحو لعلى أراجع الشيخ يفهمنى المسألة، أو للتحضيض نحو هلا تنزل عندنا تصب خيرا.

وجوازم الجزم فى هذه المواضع إنما يكون عند قصد الجزاء، فإن لم تقصد الجزاء رفعت الفعل وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي... ﴾[(3)] فمن قرأ بالرفع جعله صفة لقوله (وَلِيًّا) وأنه ليس جوابا للأمر ومن قرأ بالجزم جعله جوابا للأمر، ومما ورد بالرفع فقط ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[(4)] فليس المقصود فى الآية الجزاء، بل الحالية، فجملة (يَلْعَبُونَ) وقعت موقع الحال، أى ثم ذرهم فى خوضهم لاعبين.

ولعمل إن ظاهرة ومضمرة كانت أم الباب بالنسبة لما يجزم فعلين حتى قيل إن الجوازم الإحدى عشرة التى هى أسماء شروط جازمة إنما وضعت موضع إن لقصد الإيجاز والاختصار، مثلا نن الشرطية فى قولك من تضرب أضرب، قائمة مقام إن، وكان حق الكلام أن يقال إن تضرب زيدا أضرب زيدا، وإن تضرب عمرا أضرب عمرا، وإن تضرب خالدا أضرب خالدا، وهكذا إلى ما لا نهاية، فأتى باسم عام يشمل الجميع وترك استعمال إن معه فقيل من تضرب أضرب، فدل ذلك على كل إنسان، فلهذا حكم باسمية أسماء الشروط، وأنها بنيت لتضمنها معنى إن الشرطية وأنها لا محل لها من الإعراب.

---

(١) البقرة: ٦٨ .

(٢) الصف: ١٠ .

(٣) مريم: ٥، ٦ .

(٤) الأنعام: ٩١ .

ثانى الجوازم التى تجزم فعلين ما نحو قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾[1] ثالثها من كقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ...** ﴾[2]، رابعها مهما نحو مهما تذهب أذهب، وكقوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[3] خامسها إذ ما كقوله:

وإنك إذ ما تأت ما أنت أمر به   تلف من إياه تأمر آتيا

سادسها أى كقوله تعالى: ﴿ **أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾[4].

سابعها متى كقوله:

ولكن متى تسترفد القوم أرفد

أى متى تطلب الرفد من القوم أرفد

وكقوله:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره   تجد خير نارٍ عندها خير موقد

ثامنها إيان كقوله:

فأيان ما تعدل به الريح تنزل

تاسعها أين كقوله تعالى: ﴿ **أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا** ﴾[5]

عاشرها أنى نحو قول الشاعر:

فأصبحت أنى تأتها تستجر بها   تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

حادى عشرها حيثما، وهى ظرف مكان اتصلت بها ما الزائدة فلا تعمل الجزم إلا إذا اتصلت بها نحو حيثما تجلس أجلس، وقد تكون ظرفا للزمان كقوله:

---

(١) البقرة: ١٩٧ .

(٢) الطلاق: ٢ .

(٣) الأعراف: ١٣٢ .

(٤) الإسراء: ١١٠ .

(٥) البقرة: ١٤٨ .

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا فى غابر الأزمان

ثانى عشرها كيفما، وإنما تعمل هذا العمل إذا وافق شرطها جوابها، نحو كيفما تجلس أجلس، فلا يصح كيفما تجلس أذهب، ولم يعلم لها من كلام العرب شاهد.

ومما سمع جزمه لفعلين، لكن فى الشعر فقط، إذا فى نحو قول الشاعر:

استغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصبك خصاصة فتحمل

فالجزم بها سماعى فى الشعر، وإنما عملت إذا وإن كانت شرطا غير جازم حملا على متى كما أهملت متى حملا عليها، كقول عائشة رضى الله عنها خطابا له ﷺ فى مرضه حين أمر أبابكر أن يصلى بالناس: إن أبابكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، برفع الشرط والجزاء، والمتداول عدم الجزام بإذا ولو فى الشعر كقوله:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

برفع ترد وتقنع، ومثل إذا فى عدم الجزم لما الوجودية ولو الامتناعية ولولا ولوما وأمتا، فإنها وإن دلت على الشرط والتعليق إلا أنها لا تعمل الجزم فى فعل شرط ولا جواب، وسيأتى بيانها.

فإذا أضفت الاثنى عشر أداة الجازمة لفعلين إلى الحروف الثمانية التى تجزم فعلا واحدا كانت جوازم الفعل المضارع عشرين بدون عد إذا الخاصة بالشعر التى لا تجزم فى النثر أبدا.

ولنذكر جدول هذه الأدوات ببيان معانيها وأعاريبها فنقول:

جدول٢٦

(جدول الجوازم العشرين مع بيان معانيها وذكر أمثلتها وإعراب الأمثلة)

عدد	أداة الجزم	النوع والمعنى	أمثلة	إعراب
١	لم	هي حرف جزم لنفي المضارع وقلب معناه إلى الماضي، ولا يجوز حذف مجزومه إلا في ضرورة الشعر كقول الشاعر: احفظ . . . الخ.	نحو: قوله تعالى: (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد). * احفظ وديعتك التي استودعتها* * يوم الأعازب إن وصلت وإن لم تصل*	لم: حرف نفي وجزم وقلب، يلد: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون آخره وفاعله ضمير مستتر يعود إلى الله تعالى، والواو عاطفة جملة لم يولد ولم يكن له على جملة لم يلد ويولد المجزوم بلم أيضا، ويكن: مجزوم أيضا بلم، وهو فعل مضارع ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر، وكفوا: خبرها مقدما، وأحد: اسمها مؤخرا، وله: جار ومجرور متعلق بكفوا. وفي هذه الآية دليل على جواز تقديم خبرها إذا لم يكن جارا ومجرورا على اسمها، وعلى جواز الفصل بين كان ومعمولها بمعمولها إذا كان جارا ومجرورا.
٢	لما	هي مثل لم في جزم المضارع ونفي معناه وقلبه إلى الماضي، ولكن منفيها مستمر النفي إلى زمن التكلم ومتوقع الحصول في المستقبل.	بل لما يذوقوا عذاب. أي لم يذوقوه إلى الآن وسيذوقونه.	لما: حرف نفي وجزم وقلب، ويذوقوا: مضارع مجزوم بلما، وعلامة جزمه حذف النون، والواو: ضمير الجمع في محل رفع على الفاعلية، وعذاب: أصله عذابي، فحذفت الياء تخفيفا استغناء عنها بالكسرة، وهو منصوب على أنه مفعول بيذوقوا، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة تخفيفا.
٣	ألم	هي همزة الاستفهام التقريري ولم النافية الجازمة، وفي الحقيقة إن العمل للفظ لم زيدت عليها همزة الاستفهام التقريري الذي هو حمل المخاطب على الاعتراف بأمر استقر عنده ثبوته أو نفيه.	كقوله تعالى: (ألم نشرح لك صدرك). وكقول الشاعر: ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء.	فالهمزة: هي همزة الاستفهام التقريري، ولم: حرف نفي وجزم وقلب، ونشرح: فعل مضارع مجزوم بها وعلامة جزمه سكون آخره، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره نحن، ولك: متعلق بنشرح، وصدرك: منصوب بشرح على أنه مفعول به، والكاف: مضاف إليه، والخطاب للنبي ﷺ.
٤	ألما	هي همزة الاستفهام التقريري ولما النافية الجازمة، وفي الحقيقة العمل للفظ لما، ولا دخل لهمزة التقرير في الجزم.	كقول الشاعر: إليكم يا بني بكر إليكم لما تعرفوا منا اليقينا وقولك لمن أنكر معروفك: ألما أحسن إليك.	تعرفوا: فعل مضارع مجزوم بألما، وعلامة جزمه حذف النون نيابة عن السكون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: ضمير للجمع المذكر المخاطب في محل رفع على أنه فاعل، ومنا: جار ومجرور متعلق بتعرفوا، واليقينا: منصوب بتعرفوا على أنه مفعول.
٥	لام الأمر	هي اللام الموضوعة لطلب الفعل إذا كان الطلب من الأعلى للأدنى، وقد تستعمل في التهديد. هي لام الأمر استعملت	كقوله تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته) كقوله تعالى: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)	ينفق: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه سكون آخره، وذو: بمعنى صاحب، وهو مرفوع على أنه فاعل ينفق، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة، وسعة: مخفوض على أنه مضاف إليه، ومن: حرف خفض، وسعته: مخفوض بمن، والهاء: ضمير في محل خفض على أنه مضاف إليه، ومن سعته: متعلق بينفق.

تابع جدول (٢٦)

عدد	أداة الجزم	النوع والمعنى	أمثلة	إعراب
٦	لام الدعاء	فى الدعـــاء الذى هو طلب الفـعل من الأدنى للأعلى، وتستعمل فى الالتمـــاس وهو طلب الفعل من المساوى.	ليقض علينا ربك ليقض لى حاجتى صاحب	اللام: لام الدعاء، تجزم المضارع، ويقض: مضارع مجزوم بلام الدعاء وعلامة جزمه حذف الياء لدلالة الكسر عليها، وعلينا: جار ومجرور، متعلق بيقض، وربك: مرفوع على أنه فاعل يقض، والكاف: مضاف إليه فى محل جر، وهى ضمير متصل للمفرد المخاطب وهو مالك عليه السلام.
٧	لام الناهية	أى الموضوعة للنهى وهو طلب الكف من الأعلى للأدنى، وتستعمل فى التهديد.	كقوله تعالى: (لا تشرك بالله) حكاية عن لقمان (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله) وكقولك لعبدك: لا تطعنى.	فتشرك: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه السكون، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا فى محل رفع، وبالله: متعلق بتشرك.
٨	لا الدعائية	أى الموضوعة لطلب الكف من الأدنى للأعلى.	كقوله تعالى: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به).	ربنا: منادى منصوب على أنه مضاف، وحرف النداء محذوف، أى يا ربنا، ونا: ضمير متصل للمتكلم ومن معه وهم المؤمنون فى محل خفض على أنه مضاف إليه، ولا: دعائية، تؤاخذنا: مضارع مجزوم بلا، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت فى محل رفع، ونا: فى محل نصب على أنه مفعول تؤاخذ، وقس عليه فى الإعراب ما بعده.
	لا النافية	سمع عن العرب الجزم بها إذا صلح قبلها كى، لكن الجزم بها قليل فلم تعد من الجوازم.	جئته لا يكن له على حجة. وليس من المجزوم بها قوله ﷺ: «ولا تؤمنوا حتى تحابوا». لأنه لا يصلح لدخول كى عليه، بل حذف النون للتخفيف فى لغة فصيحة.	
٩	إن	الشرطية المستعملة لربط فعل بفعل.	كقوله تعالى: (إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم).	إن: حرف شرط جازم يجزم فعلين يسمى الأول شرطا والثانى جوابا وجزاء، ويشأ أصله ممدود فلما دخل عليه الجازم سكن آخره فالتقى ساكنان: الألف والهمزة، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وفاعل يشأ ضمير مستتر فيه جوازا يعود على الله تعالى، وجملة يشأ جملة الشرط، ويرحم: فعل مضارع مجزوم بإن وعلامة جزمه سكون آخره، وفاعله مستتر يعود على الله تعالى، والكاف ضمير متصل للجمع المذكر المخاطب فى موضع نصب بيرحم على أنه مفعول به، والميم: علامة الجمع، وجملة يرحمكم جواب الشرط، وقس الباقى.

تابع الجدول ٢٦

عدد	أداة الجزم	النوع والمعنى	أمثلة	إعراب
١٠	ما	اسم موضوع لما لا يعقل ثم ضمن معنى الشرط.	نحو قوله تعالى: (وما تفعلوا من خير يعلمه الله). وقوله تعالى: (وما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها).	فما: اسم شرط يجزم فعلين، وهو فى موضع نصب على أنه مفعول تفعلوا، وتفعلوا: فعل مضارع مجزوم بما وعلامة جزمه حذف النون، وهو فعل الشرط، والواو: ضمير متصل للجمع المذكر المخاطب فى محل رفع على أنه فاعل، من خير: جار ومجرور متعلق بتفعلوا بيان لما، وجملة: تفعلوا من خير جملة الشرط، ويعلم: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم بما وعلامة جزمه السكون، والهاء: ضمير يعود إلى خير فى محل نصب بيعلم على أنه مفعول، والاسم الكريم: فاعل يعلمه.
١١	من	اسم موضوع لمن يعقل ثم ضمن معنى الشرط.	كقوله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب). ومنه قول الشاعر: من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله سيان وجملة المبتدأ والخبر وهو الله يشكرها جواب الشرط، وكان حقه أن يقرن بالفاء لولا الضرورة الشعرية.	فمن: اسم شرط يجزم فعلين، وهو فى محل رفع على أنه مبتدأ، ويتق: فعل مضارع مجزوم بحذف الياء فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر يعود على من، والاسم الكريم: منصوب على التعظيم، وجملة الشرط فى محل رفع خبر المبتدأ، وعدم الفائدة بالخبر بسبب التعليق، ويجعل: فعل مضارع مجزوم بمن، وعلامة جزمه السكون، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله، تعالى، وله: جار ومجرور متعلق بيجعل، ومخرجا: منصوب بيجعل على أنه مفعول، والواو فى ويرزقه: حرف عطف، ويرزق: مضارع مجزوم بالعطف على يجعل، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله تعالى، والهاء: فى محل نصب على أنه مفعول به ليرزق، ومن: حرف جر متعلق بيرزق، وحيث: مبنى على الضم فى محل جر بمن وهو مضاف إلى الجملة بعده، ولا: نافية، ويحتسب: فعل مضارع مرفوع للتجرد، وفاعله يعود إلى من، وجملة لا يحتسب فى محل جر بإضافة حيث إليها لأن حيث لا يضاف إلا إلى جملة.
١٢	مهما	اسم موضوع للدلالة على ما لا يعقل غير الزمان ثم ضمن معنى الشرط فهى بمعنى أى الشرطية	كقوله تعالى: (وقالوا مهما يأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين). وقول الشاعر: أغرك منى أن حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل. وجواب الشرط فى البيت مضارع بخلافه فى الآية فهو جملة.	فمهما: اسم شرط يجزم فعلين، وهو فى محل رفع على أنه مبتدأ وخبره، جملة الشرط كما تقدم فى من، وتأت، فعل مضارع مجزوم بمهما وعلامة جزمه حذف الياء والفاعل مستتر فيه وجوبا تقديره أنت، ونا: ضمير متصل فى محل نصب بتأت على أنه مفعول به، وبه: متعلق بتأت، ومن آية: بيان لمهما متعلق بتأت، والضمير فى به: عائد على مهما، لتسحرنا: اللام لام كى، وتسحر فعل مضارع منصوب بأن مقدرة جوازا بعد لام كى، وفاعل تسحر ضمير مستتر فيه تقديره أنت، ونا: ضمير فى محل نصب بتسحر على أنه مفعول به، وبها جار ومجرور متعلق بتسحر، والضمير فى بها يعود على آية، فما: الفاء رابطة لجواب الشرط وما نافية حجازية ترفع الاسم وتنصب الخبر كليس، ونحن: ضمير منفصل معه غيره فى محل رفع على أنه اسم ما، وبمؤمنين: الباء: صلة، ومؤمنين: مجرور بالباء وهو منصوب وعلامة نصبه ياء مقدرة منع من ظهورها الياء التى جلبها حرف الجر الصلة خبر ما الحجازية، ولك جار ومجرور متعلق بمؤمنين، وجملة: فما نحن لك بمؤمنين فى محل جزم جواب مهما.

تابع جدول ٢٦

عدد	أداة الجزم	النوع والمعنى	أمثلة	إعراب
١٣	إذ ما	هى حرف شرط جازم بمنزلة إن الشرطية .	كقول الشاعر : وإنك إذما تأت ما أنت آمر به تلف من إياه تأمر آتيا .	فإذما : حرف شرط يجزم فعلين ، تأت : فعل الشرط مجزوم بإذما وعلامة جزمه حذف الياء ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا ، وما : اسم موصول فى محل نصب على أنه مفعول تأت ، وأنت آمر : مبتدأ وخبر ، وبه : متعلق بآمر ، وجملة أنت آمر به صلة الموصول وهو ما لا محل لها من الإعراب ، والعائد من الصلة إلى الموصول الهاء فى به ، وجملة تأت ما أنت آمر به جملة الشرط ، وتلف : مضارع ألفى بمعنى وجد ، جواب الشرط مجزوم بإذما وعلامة جزمه حذف الياء وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، ومن : اسم موصول فى محل نصب على أنه مفعول تلف ، وإياه : ضمير منفصل للمفرد الغائب فى محل نصب على أنه مفعول لتأمر مقدم عليه ، وتأمر : فعل مضارع مرفوع للتجرد ، وآتيا : منصوب بتلف على أنه مفعول ثان لتلف لأن ألفى يتعدى لمفعولين .
١٤	أى	هى اسم شرط ومعناها بحسب ما تضاف إليه لفظا أو تقديرا ، فإن أضيفت إلى ظرف زمان فهى ظرف زمان وإن أضيفت إلى ظرف مكان فهى ظرف مكان وإن أضيفت إلى غيرهما فهى غير .	كقوله تعالى : (أيّاما تدعو فله الأسماء الحسنى) ومثله قولهم : أيهم تضرب يُضرب - الأول بالبناء للمعلوم والثانى بالبناء للمجهول - أى من يضرب الناس يضربه الناس .	أيًا : اسم شرط يجزم فعلين ، وهو منصوب على أنه مفعول تدعو ، وما : صلة ، وتدعو : فعل الشرط مجزوم بحذف النون نيابة عن السكون لأنه من الأفعال الخمسة ، والفاء : رابطة لجواب الشرط ، وله : جار ومجرور متعلق بمحذوف وجوبا خبر مقدم تقديره فكائنة له الأسماء الحسنى ، والأسماء : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة ، والحسنى : مرفوع على أنه صفة للأسماء بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر لأنه مقصور ، وجملة : فله الأسماء الحسنى : فى محل جزم جواب الشرط ، وضمير له : يرجع إلى المدعو .
١٥	متى	هى للعموم فى الأزمان تتضمن معنى الشرط فتعمل . اسم موضوع للعموم	كقوله : ولكن متى تسترفد القوم أرفد : ومثله : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى	فمتى : اسم شرط وهو ظرف زمان يجزم فعلين ، وتسترفد : مضارع مجزوم بمتى وعلامة جزمه السكون ، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، وأرفد : مضارع مجزوم بمتى جواب الشرط ، وفاعله ضمير مستتر فيه .
١٦	أيان	فى الزمان كمتى ضمن معنى الشرط .	كقوله : فأيان ما تعدل به الريح تنزل ومثله أيضا قوله : أيان تؤمنك تأمن غيرنا وإذا لم	فأيان : اسم شرط جازم مبنى على الفتح فى محل نصب على الظرفية الزمانية ، العامل فيه النصب فعل الشرط بعده ، وتعدل : فعل الشرط مجزوم أيضا بالسكون ، وكسر للروى ، والريح : فاعل تعدل ، وأما فاعل تنزل فهو ضمير يعود عليها .

تابع جدول ٢٦

عدد	أداة الجزم	النوع والمعنى	أمثلة	إعراب
١٧	أين	اسم موضوع للمكان وتلحقها ما الزائدة.	تدرك الأمن منا لم تزل حذرا كقوله تعالى: (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) ومثله قوله تعالى: (أينما تكونوا يدرككم الموت)	فأين: اسم شرط يجزم فعلين، وهو ظرف مكان مبنى على الفتح فى محل نصب على الظرفية، وما: صلة، وتكونوا: فعل مضارع تام مجزوم بأين على أنه فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون، والواو: ضمير جمع المذكر المخاطب فى محل رفع على أنه فاعل لتكونوا، ويأت: مضارع مجزوم بأين على أنه جواب الشرط، وعلامة جزمه حذفه الياء، وبكم: جار ومجرور متعلق بيأت، والاسم الكريم: فاعل، وجميعا: منصوب على أنه حال من بكم.
١٨	أنى	اسم موضوع للمكان ضمن معنى الشرط مثل أين قبله.	كقوله: خليلى أنى تأتيانى تأتيا أخا غير ما يرضيكما لا يحاول ومنه أيضا قول الشاعر: فأصبحت أنى تأتها تستجر بها تجد حطبا جزلا ونارا تأججا	أنى: اسم شرط يجزم فعلين، وهو فى محل نصب على الظرفية بفعل الشرط، وتأتيا: فعل مضارع مجزوم بأنى على أنه فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون نيابة عن السكون لأنه من الأفعال الخمسة، والألف: ضمير متصل للمثنى المذكر المخاطب فى محل رفع على أنه فاعل، والنون للوقاية والياء مفعول، وتأتيا: جواب الشرط مجزوم بحذف النون، والألف: فاعل، وأخا: منصوب بالفتحة على أنه مفعول.
١٩	حيثما	هو ظرف مكان ضمن معنى الشرط بشرط دخول ما عليه.	كقوله: حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا فى غابر الأزمان	حيثما: اسم شرط يجزم فعلين، وتستقم: فعل الشرط وهو مجزوم بحيثما وعلامة جزمه سكون آخره، وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره أنت، ويقدر: فعل مضارع جواب الشرط وهو مجزوم بحيثما وعلامة جزمه السكون، ولك: جار ومجرور متعلق بيقدر منصوب، والاسم الكريم: فاعل، ونجاحا: مفعول يقدر، وفى غابر الأزمان: جار ومجرور فى محل نصب على أنه صفة لنجاحا، وغابر الأزمان: مستقبلها، وبهذا البيت استدل ابن هشام على أن حيثما تستعمل ظرف زمان.
٢٠	كيفما	اسم موضوع للدلالة على الحال، ثم ضمن معنى الشرط، والجزم بها مذهب كوفى سواء اقترنت بما أولا إن اتفق فعلاها فى اللفظ أو المعنى، لكن بشرط صحة المعنى، وجوز البصريون أن تكون شرطية غير جازمة بشرط اتفاق اللفظ أو المعنى.	نحو: كيفما تجلس أجلس، وكيفما تأمر أفعل. وكيف تجلس أقعد - عند الكوفيين - وأما البصريون فلا يجيزون إلا نحو كيف تصنع صنع. واتفق الطائفتان على منع: كيف تجلس أذهب، لفساد المعنى.	كيفما: اسم شرط جازم مبنى على السكون فى محل نصب على الحالية، مؤولا بالمشتق، يجزم فعلين الأول فعل الشرط والثانى جوابه وجزاؤه، وتجلس: فعل مضارع، فعل الشرط المجزوم، وأجلس: فعل مضارع، جواب الشرط. والمعنى إن تجلس متكيفا بكيفية مخصوصة أجلس متكيفا بها، وقس عليه باقى الأمثلة.

ولنذكر هنا جدول أدوات الشروط غير الجازمة، وهى التى لا يكون لشرطها ولا لجوابها محل من الإعراب.

جدول ٢٧

(جدول أدوات الشروط غير الجازمة، وهي التي لا يكون لشرطها ولا لجوابها محل من الإعراب)

عدد	أداة شرط غير جازمة	النوع والمعنى	أمثلة	إعراب
١	إذا الظرفية	ظرف زمان مضمن معنى إن الشرطية تستدعي شرطا وجوابا وتختص بالدخول على الجملة الفعلية ماضية أو مضارعية.	كقوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح) ومنه قوله: والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع	إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، جاء: فعل ماض، نصر الله: فاعل ومضاف إليه، وجملة الفعل والفاعل في محل جر بإضافة إذا إليها، والفتح: معطوف على نصر، ورأيت: فعل وفاعل، : والناس: مفعول رأيت، يدخلون: فعل وفاعل في موضع نصب على الحال من الناس، أي داخلين، في دين الله: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بيدخلون، أفواجا: حال من فاعل يدخلون، فهي حال متداخلة، فسبح: فعل أمر وفاعل، وقرن بالفاء لأنه جواب إذا وهو العامل فيها.
٢	لما الوجودية	هي حرف ربط على الصحيح تقتضي تحقق شيء لتحقق غيره، ويقال لها حرف وجود لوجود، وتختص بالماضي لفظا ومعنى شرطا وجوابا.	نحو قوله تعالى: (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) ومنه قوله تعالى: (فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا) وليس الجواب يجادلنا، بل فعل ماض محذوف تقديره: أقبل يجادلنا، أو هو: جاءته البشرى، والواو صلة، فالجواب ماض على كل حال.	لما: حرف وجود لوجود، وجاء: فعل ماض، فعل الشرط، وعيسى: فاعله مرفوع بضمة مقدرة للتعذر، بالبينات: جار ومجرور متعلق بجاء، قال: فعل ماض جواب الشرط لا محل له من الإعراب والفاعل مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود على عيسى، قد جئتكم: قد حرف تحقيق، وجئتكم: فعل وفاعل ومفعول، وبالحكمة: متعلق به، والجملة في محل نصب مقول القول.
٣	أما الشرطية	هي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، ودليل شرطيتها ربط جوابها بالفاء، ودليل التفصيل استقراء مواردها بتكرارها لفظا أو تقديرا، وأما التأكيد فظاهر، لأنك تقول: زيد ذاهب، فإذا قصدت توكيده وأنه لا محالة ذاهب قلت: أما زيد	نحو: (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) وأما تكرارها المستغنى عنه بأحد القسمين نحو قوله تعالى: (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم) الآية، أي وأما الذين كفروا فلهم كذا وكذا. نحو: (وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم) أي فيقال	أما: حرف شرط وتفصيل وتأكيد، والذين: مبتدأ مبنى على الياء في محل رفع، وآمنوا: فعل وفاعل لا محل لها من الإعراب صلة الموصول، والفاء رابطة للجواب، ويعلمون: فعل وفاعل في محل رفع خبر مبتدأ محذوف تقديره فهم يعلمون، وأنه الحق من ربهم: جملة أن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولى يعلم، وأما الذين كفروا: إعرابه نظير ما قبله، وماذا أراد الله بهذا مثلا: فما استفهامية مبتدأ مبنى على السكون، وذا: اسم موصول بمعنى الذي خبر في محل رفع، وأراد الله: فعل وفاعل صلة الموصول لا محل لها من

تابع جدول ٢٧
تابع جدول أدوات الشرط

عدد	أداة شرط غير جازمة	النوع والمعنى	أمثلة	إعراب
	تابع أما الشرطية	فذاهب، وتختص بالدخول على الجملة الاسمية، والفاء لازمة في جوابها على أكثر الحالات إلا إذا كان قولا محذوفا فتحذف تبعا لحذفه.	لهم: أكفرتم.	الإعراب، ويصح أن تكون ماذا كلمة مركبة معناها الاستفهام في محل نصب مفعول مقدم لأراد الله، وعلى كل فمثلا منصوب على التمييز أو على الحال كما نصبت آية على الحال في قوله تعالى: (هذه ناقة الله لكم آية). وجملة ماذا أراد الله بهذا مثلا في محل نصب مقول القول.
٤	لو الشرطية الامتناعية	هي حرف امتناع لما يليه واستلزامه لتاليه كامتناع طلوع الشمس المستلزم لوجود النهار في قولك: لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجودا. وجوابها إما مضارع منفي بلم أو ماض مثبت أو منفي بما، والغالب على الماضي المثبت إقترانه باللام وعلى المنفي تجرده منها.	لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجودا، وكقوله تعالى: (لو نشاء لجعلناه حطاما). وكقولك: لو كانت الشمس غير طالعة كان الليل موجودا. وكقوله تعالى: (ولو نشاء جعلناه أجاجا). وكقوله تعالى: (ولو شاء ربك ما فعلوه). وكقول الشاعر: ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالى وكقول الشاعر في وصف فرس سريع السير: ولو طار ذو حافر قبلها لطارت ولكنه لم يطر	لو: حرف امتناع لما يليه واستلزامه لتاليه، كان: فعل ماض ناقص، والتاء: للتأنيث، والشمس: اسمها، وطالعة: خبرها، واللام: واقعة في جواب لو، وكان: فعل ماض ناقص، والنهار: اسمها، وموجودا: خبرها، وجملة كان النهار موجودا: جواب لو لا محل لها من الإعراب، ومثله باقي الأمثلة.
٥	لولا الشرطية الامتناعية	هي حرف امتناع لوجود، أي ربط امتناع الجملة الثانية بوجود الأولى، أي امتناع الجواب لوجود الشرط. وتختص بالمبتدأت المحذوفة الأخبار العامة وجوابها ماض مثبت، وهو يقترن غالبًا باللام ولم يجئ في القرآن بغيرها، أو	كقوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) وقوله تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهمت)، وقوله تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته، ما زكى منكم من أحد). وكقول الشاعر: لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سالمنا ما	لولا: حرف امتناع لوجود، دفع: مبتدأ، والاسم الكريم: مضاف إليه من إضافة المصدر إلى فاعله، والناس: مفعول منصوب بالمصدر، وبعض: منصوب على البدلية من الناس، وببعض متعلق بدفع، واللام في لفسدت واقعة في جواب لولا، وفسدت فعل ماض، والتاء للتأنيث، والأرض: فاعل، والجملة جواب لولا لا محل لها من الإعراب. وقس عليه باقي الأمثلة

تابع جدول ٢٧
تابع جدول أدوات الشرط

عدد	أداة شرط غير جازمة	النوع والمعنى	أمثلة	إعراب
	تابع لولا الشرطية الامتناعية	ماض منفى بما، والغالب تجرده من اللام، وقد يذكر خبر المبتدأ بعدها وجوبا إذا كان كونا خاصا.	سلم. ومنه حديث: لولا قومك حديثو عهد بالإسلام لهدمت الكعبة.	
٦	لو ما الشرطية	بمنزلة لولا	نحو: لو ما زيد لأكرمتك. ومنه قول الشاعر: لو ما الإصاخة للوشاة لكان لى من بعد سخطك فى رضاك رجاء.	لوما: حرف امتناع لوجود، زيد: مبتدأ محذوف الخبر وجوبا لأنه كون مطلق، واللام فى لأكرمتك: واقعة فى جواب لوما، وأكرمتك: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب لوما، لا محل لها من الإعراب.

فهذه أدوات الجزم الستة المذكورة فى هذا الجدول مثل غيرها مما لم يذكر فيه نحو كلما فى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾(١) فلا عمل لها فى شرط ولا جواب لا فى النثر ولا فى الشعر إلا إذا، فقد سبق أنه قد سمع الجزم بها فى الشعر.

ومذهب البصريين أن الجزم لا يكون بغير الجوازم المعروفة المتفق عليها، وأجاز الكوفيون الجزم بالموصول مع صلته فيما يتسبب من الجزاء عن الصلة تشبيها بجواب الشرط نحو الذى يأتينى أحسن إليه، بجزم أحسن قياسا على من يأتنى أحسن إليه، واستشهدوا بقول الشاعر:

فلا تحتفر بشرا تريد أخا بها   فإنك فيها أنت من دونه تقع

كذاك الذى يبغى على الناس ظالما   تصبه على رغمٍ عواقب ما صنع

وجاء الجزم أيضا فى متسبب عن نكرة موصوفة بما يصلح أن يكون جزاء للشرط كقول الشاعر:

---

(١) البقرة: ٢٠.

وإنّ امرأ لا يرتجى الخير عنده   يكن سيئا فعلا على من يصاحبه

فحمل ذلك البصريون على الضرورة مع احتمال أن تكون هذه الشواهد من تسكين ضمة الإعراب تخفيفا كما قرئ وينصركم ويأمركم ويشعركم بالتسكين للتخفيف.

القسم الثانى من عوامل الجزم الجزم بالتبعية: من المعلوم أن التابع فى الاصطلاح هو المشارك لما قبله فى إعرابه اللفظى أو المحلى، فيدخل فى التابع الاسم والفعل، فكما يتبع الاسم الاسم فى إعرابه اللفظى أو المحلى كذلك يتبع الفعل الفعل على اللفظ أو المحل، وقد تقدم غير مرة أن توابع الأسماء خمسة، وهى النعت وعطف البيان وعطف النسق والتوكيد والبدل.

فتبعية الفعل لا تكون فى النعت لأن الفعل لا ينعت، ولا تكون فى التوكيد المعنوى الذى هو بالنفس والعين ونحوهما، فالنعت والتوكيد المعنوى لا يتبعان فعلا ولا جملة.

وإنما تكون فى عطف النسق وفى عطف البيان، أى فى نوع منه، وهو التفسير بأى أو بدونها، وفى البدل وفى التوكيد اللفظى.

مثال الجزم بالعطف على كل من فعل الشرط وجزائه قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ** ﴾[1] فتتقوا مجزوم لعطفه على فعل الشرط ولا يسألكم مجزوم لعطفه على يؤتكم، ومثله قول الشاعر:

ومن يعترف منا ويخضع نوله   ولا يخش ظلما ما أقام ولا هضما

فيخضع معطوف على يعترف ولا يخش معطوف على نوله، فلهذا جزما بالعطف على المجزوم لفظا، ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ** ﴾[2] بالجزم، فإن تؤتوها مجزوم بعطفه على الشرط وتكفر مجزوم بعطفه على محل الجزاء إذ هو فى محل جزم للجملة المقرونة

---

(١) محمد: ٣٦ .

(٢) البقرة: ٢٧١ .

بالفاء وجملة الجزاء إذا قرنت بالفاء كقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾[1] فى قراءة من قرأ به يعطف على محلها بالجزم ثم إن جواب الشرط إذا لم يصلح لمباشرة أداة الشرط يقرن بالفاء سواء كانت الجملة اسمية كالآية أو فعلية خبرية كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾[2] لاقتران الماضى بقد، فجملة فقد مضت سنة الأولين فى محل جزم لوقوعها جوابا لإن، أو إنشائية كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[3] فجملة فاطهروا فى محل جزم لوقوعها جوابا لإن، وتارة تقرن الجملة بإذا الفجائية ولا تكون إلا اسمية وأداة الشرط إن خاصة نحو (إذا هو يقنطون) من قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[4] ففى هذه الأمثلة جواب الشرط الجمل المقرونة بالفاء أو بإذا، فالعطف بالجزم إذا وقع يكون على محلها بعد تمامها.

فإن كانت جملة الجواب مصدرة بماض خال عن الفاء نحو إن قام زيد قام عمرو فالجزم محكوم به على محل الفعل وحده وهو قام، وكذلك إذا كانت جملة الشرط مصدرة بماض فمحل الجزم له خاصة لا للجملة، ولهذا صح عطف المضارع بالجزم على الماضى قبل ذكر فاعليه نحو إن قام ويقعد أخوك قام عمرو، فلولا أن المحل لقام وحده للزم عطف المضارع على الجملة قبل تمامها وهو ممنوع.

فهذه أمثلة الجزم بتبعية العطف بالحروف وهو عطف النسق.

وأما الجزم فى عطف البيان بالنسبة للفعل المجزوم فيكون فيما فيه أى التفسيرية، نحو إن يرتحل زيد، أى يسافر، أتبعه، فيسافر تفسير ليرتحل مجزوم بتبعية عطف البيان، وقد يكون فى تفسير الفعل المحذوف فى الاشتغال بدون أى نحو قول الشاعر:

(١) الأعراف: ١٨٦.
(٢) الأنفال: ٣٨.
(٣) المائدة: ٦.
(٤) الروم: ٣٦.

فمن نحن نؤمنه يبت وهو آمن ومن لا نجره يمس منا مروعا

فنؤمنه فعل مفسر لنؤمن قبل نحن محذوفا مجزوما بمن، والأصل من نؤمن نؤمنه، فلما حذف نؤمن برز الضمير، وهو نحن، فالمفسر بهذا المعنى من قبيل عطف البيان لأن المفسر ـ بكسر السين ـ يتبع المفسر ـ بفتحها ـ فى إعرابه.

وأما الجزم بتبعية البدل الذى هو فى الحقيقة على نية تكرار العامل فيكون فى أقسام البدل إلا بدل البعض من الكل إذ الفعل لا يتبعض إلا إن نظر لمتعلق الفعل، مثاله فى بدل الشىء من الشىء قول الشاعر:

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا

ومثله إن جئتنا تمش إلى أكرمك، فإن الإلمام هو الإتيان، فهو بدل فعل من فعل مساويه فى المعنى، ومثله بدل الاشتمال فى الفعل المجزوم قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ** ... ﴾[1] فيضاعف بدل اشتمال من يلق، ومنه أيضا من يصل إلينا يستعن بنا يعن، ومنه أيضا إن يعطك الله ما تحب يعطك العلم تنجح، فإن إعطاء ما تحب يشتمل على إعطاء العلم ويعطك العلم بدل اشتمال، ويصح أن يكون مثالا لبدل البعض من الكل فى الفعل، ومثله قوله تعالى: ﴿ **أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ** ﴾[2] وعلى كلتا الحالتين فالاشتمال والبعضية بالنظر إلى المتعلق، ويصح أن يمثل لبدل البعض من الكل بنحو إن تصل تسجد لله يرحمك، ومثال بدل الغلط المجزوم إن تمش تركب تصل سريعا، إذا أردت أن تقول إن تركب تصل سريعا، فغلطت فقلت إن تمش، ثم أبدلت منه تركب، فقد جزمته على البدلية، ومثله إن تطعم زيدا تكسه يرحمك الله، ومثال: التوكيد اللفظى المجزوم قولك إن تتق تتق مولاك تدخل الجنة، أو إن تتق تتق مولاك تفلح تفلح، فقد تبع التوكيد اللفظى متبوعة فى الجزم وغاية التأكيد اللفظى تكرير اللفظ مرتين إلى ثلاث مرات، فقد اتفق الأدباء على أن التوكيد فى لسان العرب إذا وقع بالتكرار لا يزاد عليها.

---

(١) الفرقان: ٦٨، ٦٩.

(٢) الشعراء: ١٣٢، ١٣٣.

فتبين من هذا أن عوامل الجزم إما حروف أو أسماء جازمة، وأن الجزم كما يكون بها يكون بالتبعية نسقا وبيانا وبدلا وتوكيدا لفظيا، وأن أصل المجزومات اللفظية الفعل المضارع بدليل أن الحروف التى تجزم فعلا واحدا لا تدخل إلا عليه نحو ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾[1] وأن المجزومات المحلية إنما تكون فى بعض الحالات فيما يجزم فعلين وهما فعل الشرط وفعل الجزاء.

فإذا كان الشرط والجزاء مضارعين وجب جزمهما نحو ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾[2] وإن كان الشرط مضارعا والجزاء ماضيا وجب جزم الشرط المضارع لفظا وكان فعل الجزاء فى محل جزم أى فى محل مضارع لو ذكر لكان مجزوما نحو من يستجر بنا أجرناه، فأجرناه فى محل نجره، وإن كان الشرط ماضيا والجزاء مضارعا كان فعل الشرط فى محل جزم، وجاز جزم المضارع على أنه جزاء الشرط وجاز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف مع الفاء نحو من استجار بنا نجره أو نجيره، فعلى الرفع يكون التقدير فنحن نجيره فالجملة فى محل جزم.

وإن كان الشرط والجزاء ماضيين كانا مجزومين محلا نحو من استجار بنا أجرناه بدليل صحة العطف عليه بالجزم فإنه يصح أن تقول من استجار بنا ويلتجئ إلينا أجرناه ولا نغدر به.

وقد سبق أنه إذا كان الجزاء لا يصلح لمباشرة أداة الشرط قرن بالفاء أو بإذا الفجائية وكان محله جزما.

---

(١) الإخلاص: ٣.

(٢) الطلاق: ٢.

الباب الرابع عشر
فى بيان الجملة وأقسامها

اللفظ المركب المشتمل على مسند ومسند إليه ونسبة بينهما مقصودة لذاتها المفيد فائدة يحسن سكوت المتكلم عليها بحيث يعده السامع حسنا فيكتفى به ولا ينتظر شيئا آخر انتظارا تاما لاحتوائه على المسند والمسند إليه والنسبة بينهما المقصودة لذاتها، وهو ما يسمى عند النحويين كلاما، نحو العلم نافع، وفاز العالم، كما يسمى أيضا جملة، فإن كان اللفظ مركبا مشتملا على الاسناد الأصلى، ولكن غير مفيد، سمى جملة فقط، نحو إن كان العلم نافعا، فكل كلام جملة، وليس كل جملة كلاما.

فحقيقة الجملة: اللفظ المركب المشتمل على إسناد أصلى، سواء أفاد فائدة يحسن السكوت عليها أو لا.

والفائدة التى يحسن السكوت عليها هى ما تستفاد من المبتدأ وخبره ومن الفعل وفاعله نحو زيد قائم، وضرب زيد، فإن السامع وإن انتظر من قولنا ضرب زيد المفعول به إلا أن انتظاره غير تام، فإن الكلام تم بدون ذكره.

تنقسم الجملة بالنظر لما بدئت به إلى قسمين: اسمية، وفعلية. نسبة لما بدئت به.

فالجملة الاسمية ما بدئت حقيقة أو حكما باسم مسند إليه أو مسند صريح أو مؤول، مثال المبدوءة حقيقة باسم صريح مسند إليه الصوم فرض، ومثال المبدوءة حقيقة كذلك باسم مؤول مسند إليه قوله تعالى: ﴿ **وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾[1].

---

(١) البقرة: ١٨٤.

ومثال المبدوءة باسم صريح مسند أقائم الزيدان؟ وهيهات العقيق.

ومثال المبدوءة به حكما ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[1] على مذهب الجمهور من إعراب (**الَّذِينَ ظَلَمُوا**) مبتدأ والجملة قبله خبر إذ حق المبتدأ التقدم فهو مبدوء به حكما، فالجملة اسمية، فإن أعرب بدلا من الضمير ففعلية، وكذلك نعم الرجل زيد، إن أعرب المخصوص بالمدح وهو زيد مبتدأ أو ما قبله خبرا فاسمية وإن أعرب خبرا لمحذوف فالجملة الأولى فعلية والثانية اسمية.

ثم إن الجمة الاسمية إذا دخل عليها حرف فلا يغير التسمية سواء غير الإعراب دون المعنى نحو ان زيدا قائم أو المعنى دون الاعراب نحو ما زيد قائم أو غيرهما معا نحو لا رجل فى الدار أو لم يغير شيئا منها نحو إنما زيد قائم.

والجملة الفعلية ما بدئت بفعل سواء كان ماضيا كضرب زيد، أو مضارعا كيضرب عمرو، أو أمرا كاضرب خالدا، وسواء كان متصرفا كما مثل أو جامدا كنعم الرجل وحبذا زيد وبئست المرأة، وسواء كان تاماً كما مثل أو ناقصا نحو كان زيد قائما، وسواء كان مبنيا للفاعل كما مثل أو للمفعول نحو ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾[2] وسواء كان مذكورا كما مثل أو محذوفا نحو زيدا ضربته، فزيدا مفعول لفعل محذوف يفسره ضربت المذكور، والتقدير ضربت زيدا ضربته.

ثم إن الجملة الفعلية إن دخل على فعلها حرف استفهام أو نفى أو غيره لم تتغير التسمية سواء غير ذلك الحرف الإعراب أو المعنى أو لم يغير شيئا نحو هل قام زيد، وما قام عمرو، ولم يقم عمرو، ولن يقوم خالد، وسواء بدئت بالفعل الآن كما مثل أو بحسب الأصل نحو يا زيد، لأن الأصل أدعو زيدا، فحذفت أدعو وعوض عنه حرف النداء، وسواء تقدم معمول الفعل عليه نحو زيدا ضربت، و ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ﴾[3] أو لم يتقدم كالأمثلة السابقة.

---

(١) الأنبياء: ٣.

(٢) الذاريات: ١٠.

(٣) البقرة: ٨٧.

وإن بدئت الجملة بظرف أو جار ومجرور نحو أعندك زيد و﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾[1] وإن قدر المرفوع فاعلا بالاستقرار المحذوف فإنه يحتمل أن يقدر اسما فتكون اسمية بهذا الاعتبار ويحتمل أن يقدر فعلا فتكون فعلية بهذا التقدير، فالجملة الظرفية لا تخرج عن الاسمية أو الفعلية فإن قدر المرفوع فاعلا بالظرف أو الجار والمجرور بعد الاستقرار المحذوف ولا مبتدأ مخبرا عنه بأحدهما كانت الجملة ظرفية فيصح أن تعد بهذا الاعتبار قسما ثالثا.

وتنقسم الجملة باعتبار الاستقرار فى ضمن جملة أخرى وعدمه إلى أربعة أقسام: صغرى، وكبرى، وذات وجهين، ولا صغرى، ولا كبرى.

فالأول الجملة الصغرى، وهى ما كانت مستقرة فى ضمن جملة أخرى بأن كانت واقعة خبرا عن مبتدأ فى الحال أو فى الأصل، اسمية كانت أو فعلية، نحو قام أبوه من زيد قام أبوه، ونحو أبوه قائم من زيد أبوه قائم، ونحو قام أبوه، وأبوه قائم، من ظننت زيدا قام أبوه، وأبوه قائم.

والثانى الجملة الكبرى، وهى ما استقر فى ضمنها جملة أخرى بأن وقع الخبر فيها جملة، نحو زيد قام أبوه وأبوه قائم، سواء كانت اسمية كما مثل أو فعلية نحو ظننت زيدا قام أبوه أو أبوه قائم.

والثالث الجملة الصغرى والكبرى معا، وتسمى ذات وجهين ووسطى، وهى ما وقعت خبرا عن مبتدأ وكان فيها مبتدأ خبره جملة، كما إذا قيل زيد أبوه غلامه منطلق، فزيد مبتدأ وأبوه مبتدأ ثان وغلام مبتدأ ثالث ومنطلق خبر الثالث وهو غلام وجملة غلامه منطلق خبر الثانى وهو أبو رابطها ضمير غلامه وجملة أبوه غلامه منطلق خبر عن زيد رابطها ضمير أبوه، فيسمى المجموع وهو زيد أبوه غلامه منطلق جملة كبرى لوقوع الخبر فيها جملة، وتسمى جملة غلامه منطلق جملة صغرى لوقوعها خبرا، وتسمى جملة أبوه غلامه منطلق صغرى باعتبار وقوعها خبرا عن زيد، وكبرى باعتبار وقوع الخبر فيها جملة، ومعنى هذا التركيب غلام أبى زيد منطلق.

والرابع الجملة التى لا صغرى ولا كبرى، وهى ما لا تكون مستقرة فى ضمن

---

(1) ابراهيم: ١٠.

جملة أخرى ولا مستقرا فى ضمنها جملة أخرى، أى ليست واقعة خبرا عن مبتدأ ولا واقع الخبر فيها جملة، نحو قام زيد وزيد قائم.

ثم إن الجمل باعتبار المحل من الإعراب وعدمه تنقسم إلى: جمل لها محل من الاعراب، وأخرى لا محل لها من الإعراب.

(فالجمل التى لها محل من الإعراب سبعة):

الأولى: الواقعة خبرا لمبتدأ فى الحال أو فى الأصل، وموضعها رفع فى باب المبتدأ، نحو زيد قام أبوه، فجملة قام أبوه فى موضع رفع خبر عن زيد، وكذا فى باب الحروف التى ترفع الخبر نحو إن زيدا أبوه قائم، ونحو لا رجل أبوه قائم، فجملة أبوه قائم فى محل رفع خبر إن فى الأول وخبر لا فى الثانى، وموضعا نصب فى باب كان نحو كانوا يظلمون، فجملة يظلمون من الفعل وفاعله فى محل نصب خبر كان، وكذا فى باب ما حمل على ليس فى العمل نحو ما رجل قام أبوه، فجملة قام أبوه فى محل نصب خبر عن ما.

الثانية: الواقعة حالا، اسمية كانت أو فعلية، فالأولى نحو قوله ﷺ «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» ﷺ، فجملة وهو ساجد من المبتدأ والخبر فى محل نصب على الحال من فاعل يكون وهو العبد سد مسد خبر المبتدأ أو من الفاعل المستتر فى كان التامة المحذوفة، وذلك أن أقرب أفعل تفضيل مبتدأ وما مصدرية يسبك مدخولها بمصدر ويكون مضارع كان الناقصة والعبد اسمه ومن ربه متعلق بمحذوف خبره، أى كائنا أو منتسبا من ربه، وخبر المبتدأ محذوف وجوبا لسد الحال التى لا تصلح خبرا مسده تقديره إذا كان، فإذا ظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ وكان تامة بمعنى وجد وفاعله مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود على العبد، فالضمير هو صاحب الحال، وجملة كان فى محل جر بإضافة إذا إليها، أى حاصل وقت وجوده والحال أنه ساجد.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ** ﴾[1] فجملة يبكون من

---

(١) يوسف: ١٦.

الفعل والفاعل فى محل نصب على الحال من الواو فى وجاءوا وعشاء منصوب على الظرفية بجاء فمحل الجملة الواقعة حالا نصب .

الثالثة: الواقعة مفعولا به وهى أربعة أقسام :

الأول: الواقعة محكية بالقول نحو ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ** ﴾[1] فجملة (**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**) من اسم إن وخبرها فى محل نصب على المفعولية محكية بقال ، والدليل على أنها محكية كسر همزة إن .

الثانى: الواقعة مفعولا ثانيا فى باب ظن ، نحو ظننت زيدا يقرأ ، فجملة يقرأ من الفعل وفاعله المستتر فيه جوازا فى محل نصب على أنها مفعول ثان لظن .

الثالث: الواقعة مفعولا ثالثا فى باب أعلم ، نحو أعلمت زيدا عمرا أبوه قائم ، فجملة أبوه قائم فى محل نصب على أنها مفعول ثالث لأعلم .

الرابع: الواقعة معلقا عنها العامل بإبطال العمل لفظا لا محلا ، ﴿ **لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ** ﴾[2] فنعلم طالب لمفعولين منع من ظهور نصبهما تعليقه بالاستفهام بأى الواقعة مبتدأ ، فهو مرفوع بالضمة والحزبين مضاف إليه وأحصى فعل ماض وفاعله مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود على أى ، والجملة من الفعل والفاعل خبر أى ، وجملة أى وخبره فى محل نصب ساد مسد مفعولى نعلم .

الرابعة: الواقعة مضافا إليها ، جملة فعلية أو اسمية ، فالأولى نحو ﴿ **هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** ﴾[3] فجملة (**يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**) فى محل جر بيوم المضافة إليه ، والثانية نحو ﴿ **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ** ﴾[4] ، فجملة (**هُم بَارِزُونَ**) من المبتدأ والخبر فى محل جر بيوم المضافة إليه ، والدليل على أن يوم فيهما مضاف عدم تنوينه ، وكذا كل جملة وقعت بعد إذ الموضوعة للزمن الماضى وتضاف للإسمية

---

(١) مريم : ٣٠ .

(٢) الكهف : ١٢ .

(٣) المائدة : ١١٩ .

(٤) غافر : ١٦ .

نحو ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾[1] فجملة أنتم قليل فى محل جر بإذ المضافة إليها والفعلية نحو ﴿ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً ﴾[2] فجملة كنتم قليلا كذلك، أو إذا الموضوعة للمستقبل، ولا تكون إلا فعلية على الأصح، نحو ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾[3] فجملة جاء نصر الله فى محل جر بإذا المضافة إليها، أو حيث الموضوعة للمكان، اسمية نحو جلست حيث زيد جالس، فجملة زيد جالس فى محل جر بحيث المضاف، أو فعلية نحو جلست حيث جلس زيد فجملة جلس زيد كذلك، وإضافتها للفعلية أكثر.

الخامسة: الواقعة جوابا لشرط جازم، ومحلها جزم إذا قرنت بالفاء، اسمية كانت أو فعلية، خبرية أو إنشائية، فمثل الإسمية قوله تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ ﴾[4] فجملة فلا هادى له فى محل جزم لوقوعها جوابا لشرط جازم وهو من، ولهذا قرىء بعده ﴿ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ بالجزم عطفا على الجملة باعتبار محلها، ومثال الفعلية الخبرية قوله تعالى ﴿ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ ﴾[5] فجملة فقد مضت سنة الأولين فى محل جزم لوقوعها جوابا لإن، ومثال الفعلية الإنشائية قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾[6] فجملة فاطهروا فى محل جزم لوقوعها جوابا لإن، ومثل الجواب المقرون بالفاء الجواب المقرون بإذا الفجائية، ولا تكون جملته إلا إسمية، كما لا تكون أداة الشرط إلا إن خاصة نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[7] فجملة إذا هم يقطنون فى محل جزم لوقوعها جوابا لشرط جازم وهو إن.

السادسة: التابعة لمفرد، وهى ثلاثة أنواع:

---

(١) الأنفال: ٢٦.
(٢) الأعراف: ٨٦.
(٣) النصر: ١.
(٤) الأعراف: ١٨٦.
(٥) الأنفال: ٣٨.
(٦) المائدة: ٦.
(٧) الروم: ٣٦.

الأول: المعطوفة بالحرف على مفرد، ومثالها فى حالة الرفع أبوه ذاهب من قولك زيد منطلق وأبوه ذاهب، إن قدرت الواو عاطفة على الخبر.

الثانى: المبدلة من مفرد، نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[1] من قوله تعالى: ﴿ **مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ فجملة (إن ربك) إلى آخره فى محل رفع بدل من لفظ (ما قيل) إن كان المعنى ما يقول الله لك إلا ما قد قال، أما إذا كان المعنى ما يقول لك كفار قومك من الكلمات المؤذية إلا مثل ما قال الكفار الماضون لأنبيائهم فالجملة مستأنفة.

الثالث: الواقعة نعتا لمفرد، ومحلها بحسب منعوتها، فإن كان مرفوعا فهى فى محل رفع نحو (لا بيع فيه) من قوله تعالى: ﴿ **مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ** ﴾[2] فجملة لا بيع فيه من اسم لا وخبرها فى محل رفع على أنها نعت ليوم، وإن كان منعوتها منصوبا فهى فى محل نصب نحو (ترجعون فيه) من قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ﴾[3] فجملة ترجعون فى محل نصب على أنها نعت ليوم، وإن كان مجرورا فهى فى محل جر نحو (لا ريب فيه) من قوله تعالى: ﴿ **لاَّ رَيْبَ فِيهِ** ﴾[4] فجملة لا ريب فيه فى محل جر نعت يوم.

السابعة: التابعة لجملة لها محل من الإعراب بعطف النسق أو بتوكيد لفظى، وذلك نحو قعد أخوه من قولك زيد قام أبوه وقعد أخوه، فجملة قام أبوه فى موضع رفع لأنها خبر المبتدأ، وذلك جملة، وقعد أخوه لأنها معطوفة عليها، ولو قدرت العطف على الجملة الإسمية لم يكن للمعطوفة وهى قعد أخوه محل لأنها معطوفة على جملة مستأنفة فتدخل فيما سيأتي مما لا محل له من الإعراب، ولو قدرت الواو للحال كانت الجملة فى محل نصب على الحال من أبوه وكانت قد فيها مقدرة لتقرب الماضى من الحال ويكون تقدير الكلام زيد قام أبوه والحال أنه قد قعد أخوه،

---

(١) فصلت: ٤٣ .

(٢) البقرة: ٢٥٤ .

(٣) البقرة: ٢٨١ .

(٤) آل عمران: ٩ .

فتكون داخله في الجملة السابقة الواقعة حالا، ومن هذا التبع أيضا ما يكون فى باب التوكيد اللفظى نحو قام أبوه من قولك زيد قام أبوه قام أبوه، فجملة قام أبوه الثانية فى محل رفع على أنها توكيد لجملة الخبر.

والجمل التى لا محل لها من الإعراب سبعة أيضا

الأولى: الجملة الابتدائية، أى الواقعة فى ابتداء الكلام، وتسمى المستأنفة والاستئنافية، سواء كانت اسمية نحو ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾[1] أو فعلية نحو ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ** ﴾[2] وسواء كان الكلام مفتتحا بها كالمثالين أو كانت منقطعة مما قبلها نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾[3] بعد قوله: ﴿ **وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ** ﴾ فجملة (إن العزة لله جميعا) مستأنفة لا محل لها من الاعراب وليست مقول القول حتى تكون فى محل نصب، إذ لو كانت مقول القول لفسد المعنى وإنما مقول القول محذوف تقديره ولا يحزنك قولهم إنه شاعر أو مجنون أو نحو ذلك ثم ابتدأ الكلام بقوله (ان العزة لله جميعا) فينبغى للقارئ أن يقف على قولهم ويبتدئ (إن العزة لله جميعا).

ومن الجملة المستأنفة الواقعة بعد حتى الابتدائية، نحو قول الشاعر:

وما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

فماء مبتدأ وأشكل خبره والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب.

الثانية: التابعة لما لا موضع له من الإعراب، فيشمل المعطوفة عطف نسق والمؤكدة توكيدا لفظيا، فمثال المعطوفة قعد عمرو من قولك قام زيد وقعد عمرو، فجملة قعد عمرو لا محل لها لأنها معطوفة على جملة قام زيد التى لا محل لها من لكونها مستأنفة.

ومثال المؤكدة توكيدا لفظيا الجملة الثانية من قولك قام زيد قام زيد، فالثانية لا محل لها لأنها مؤكدة للأولى، وكما تتأتى التبعية فى العطف والتوكيد فى الجمل الفعلية كما مثل يتأتى ذلك فى الجمل الإسمية والمتخالفة.

---

(١) الكوثر: ١.

(٢) النصر: ١.

(٣) يونس: ٦٥.

الثالثة: الجملة المفسرة لغير ضمير الشأن، وهى أربعة أقسام:

الأول: ما يحتمل التفسير والبدل، نحو ﴿**هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ من قوله تعالى: ﴿**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾(١) فجملة الاستفهام الصورى الذى هو فى الحقيقة نفى وهو هل هذا إلا بشر مثلكم مفسرة للنجوى فلا محل لها، وقيل إن جملة الاستفهام بدل من النجوى فيكون محلها نصبا بناء على أن ما فيه معنى القول يعمل فى الجمل، والنجوى اسم للتناجى الخفى، ففى أسروا معنى القول فعمل فى النجوى المفعولية وهى مفرد وأبدل من النجوى هل هذا إلا بشر مثلكم وهو بدل جملة من مفرد على رأى الكوفيين نحو عرفت زيدا أبو من هو، فجملة أبو من هو بدل من زيد.

الثانى: ما يحتمل التفسير والحال نحو قوله تعالى: ﴿**مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ**﴾(٢) فإنه تفسير لمثل الذين خلوا من قبلكم فلا محل لها من الإعراب، وقيل إن الجملة حال من الذين خلوا على تقدير قد.

الثالث: ما يحتمل التفسير والاستئناف، نحو قوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله) بعد قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾(٣) فجملة تؤمنون وما عطف عليها مفسرة للتجارة فلا محل لها وقيل هى مستأنفة استئنافا بيانيا فلا محل لها من الإعراب.

الرابع: ما هو متعين للتفسير نحو قوله تعالى: ﴿**خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ**﴾(٤) بعد قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**﴾ فجملة خلقه من تراب تفسير لكمثل آدم.

الرابعة: الجملة المعترضة وهى المتوسطة بين متلازمين، مفردين أو جملتين أو مفرد وجملة، كالواقعة بين الفعل وفاعله كقوله:

لقد أدركتنى والحوادث جمة أسنة قوم لا ضعاف ولا عزل

---

(١) الأنبياء: ٣.

(٢) البقرة: ٢١٤.

(٣) الصف: ١٠.

(٤) آل عمران: ٥٩.

فجملة والحوادث جمة من المبتدأ وخبره معترضة بين الفعل وفاعله، والحوادث مصائب الدهر، وجمة كثيرة، وأسنة جمع سنان وهو طرف الرمح، ولا اسم بمعنى غير ظهر إعرابها على ما بعدها وهو ضعاف جمع ضعيف، وعزل جمع أعزل وهو من لا سلاح له.

وكالواقعة بين الفعل ومفعوله كقوله:

وبدلت والدهــر ذو تبــدل   هَيْفًا دَبُوراً بالصبا والشمأل

بدل فعل ماض مجهول والتاء للتأنيث ونائب الفاعل ضمير الريح والدهر مبتدأ خبره ذو وتبدل مضاف إليه والجملة معترضة بين بدل ومفعوله الثانى، وهيفا الريح المسماة بالنكبا تأتى من جهة اليمن ودبورا صفة هيفا وهى ريح غربية وبالصبا متعلق ببدل والباء داخلة على المتروك والصبا تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار فلهاذا يقال مهبّها المستوى والشمال بفتح الشين وإسكان الميم بعدها همزة لغة فى الشمال، وهى ريح تهب من ناحية القطب.

وكالواقعة بين المبتدأ وخبره كقوله:

وفيهن والأيام يعثرن بالفتى   نــوادب يُمْلِلْنَّــه ونوائـــح

فيهن خبر مقدم والضمير للنسوة قبله ونوادب مبتدأ مؤخر جمع نادبة والأيام مبتدأ ويعثرن فعل مضارع ونون الإناث فاعل واقعة على الأيام وبالفتى متعلق بيعثر مضارع عثر وقع، أى يقعن بالفتى، والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر، وجملة يمللنه نعت نوادب، والضمير المفعول يعود على الندب المفهوم من نوادب ويملل مضارع أملل بمعنى ألقى، نوائح تفسير لنوادب.

وكالواقعة بين ما أصلهما المبتدأ والخبر كقوله:

إن سلمـى واللـه يكلؤهـــا   ضنت بشىء ما كان يرزؤها

سلمى اسم إن ولفظ الجلالة مبتدأ وجملة يلكؤها خبر المبتدأ معترضة لدفع توهم بغضه لها حيث بخلت بشئ لا يعيبها، وجملة ضنت فى محل رفع خبر إن، وبشىء متعلق بضنت، ما كان يرزؤها ما نافية وكان ناقصة واسمها ضمير شىء

ويرزؤ مضارع رزئ من باب علم وفاعله يعود على شيء ومفعوله البارز، ضمير سلمى والجملة خبر كان. وكالواقعة بين الشرط وجوابه نحو ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ** ﴾[1] فجملة ولن تفعلوا معترضة بين الشرط وهو لم تفعلوا وجوابه وهو فاتقوا النار للبيان إذ قوله فإن لم تفعلوا مجمل لأنه لا يدرى هل يقدرون على الفعل أم لا فبين أنهم لا يقدرون عليه بهذه الجملة المعترضة.

وكالواقعة بين الموصول وصلته كقوله:

*** ذاك الذى وأبيك يعرف مالكا***

ذا مبتدأ والكاف حرف خطاب والذى خبر وهو موصول صلته جملة يعرف مالكا، وأبيك قسم معترض بين الموصول وصلته، وكالواقعة بين أجزاء الصلة نحو الذى جوده والكرم زين مبذول، الذى اسم موصول فاعل لمحذوف تقديره ذهب ونحوه جود مبتدأ والضمير مضاف إليه وخبره مبذول والجملة صلة الذى والكرم زين مبتدأ وخبر معترض بين جزءى الصلة.

وكالواقعة بين الجار ومجروره اسما كان الجار نحو هذا غلام والله زيد أو حرفا نحو اشتريت بوالله ألف درهم.

وكالواقعة بين الحرف وتوكيده نحو:

ليت وهل ينفع شيئا ليت ... ليت شبابًا بُوع فاشتريت

فليت الثالث توكيد للأول. وكالواقعة بين قد والفعل كقوله:

أخالد قد والله أوطأت عشوة ... وما قائل المعروف فينا يعنف

الهمزة للندا وخالد منادى مبنى على الضم فى محل نصب وقد للتحقيق والله قسم معترض بينها وبين أوطأت، أى مهدت، وهو فعل وفاعل وعشوة بفتح أوله وضمه أى أمرا ملتبسا مفعول أوطأت.

وكالواقعة بين النافى ومنفيه نحو فلا وأبى زالت عزيزة.

---

(١) البقرة: ٢٤.

وكالواقعة بين القسم وجوابه والموصوف وصفته ويجمعها قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[1] وذلك لأن قوله تعالى إنه لقرآن كريم جواب قوله فلا أقسم بمواقع النجوم، وما بينهما وهو وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض لا محل له من الإعراب، وفى أثناء هذا الاعتراض اعتراض آخر وهو قوله لو تعلمون فإنه معترض بين الموصوف وصفته وهما قسم وعظيم.

الخامسة: صلة الموصول، سواء كان اسميا نحو قام أبوه من قولك جاء الذى قام أبوه، فجملة قام أبوه لا محل لها من الإعراب وإنما المحل للموصول وحده بحسب ما يقتضيه العامل بدليل ظهور الإعراب فى نفس الموصول نحو قوله تعالى: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾[2] فى قراء نصب أى ونحو ﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا﴾[3] وروى فسلم على أيهم أفضل بالخفض ونحو نحن اللذون صبحوا الصباحا أو كان الموصول حرفيا وهو ما يؤول مدخوله بمصدر نحو عجبت من أن قمت أى من قيامك فأن موصول حرفى وجملة قمت صلة والموصول وصلته فى تأويل مصدر مجرور بمن وأما قمت وحدها فلا محل لها لأنها صلة وكذا الموصول وحده لانتفاء الإعراب عن الحرف.

السادسة: الواقعة جوابا لقسم سواء ذكر فعل القسم وحرفه نحو أقسم بالله لأفعلن أو الحرف فقط كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[4] فجملة إن الإنسان لفى خسر جواب القسم لا محل لها من الإعراب أو ذكر الفعل وحده نحو أقسم لأفعلن، أم لم يذكر شىء منهما نحو ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾[5] فإن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف. وإذا وقعت

---

(١) الواقعة: ٧٤: ٧٧.

(٢) مريم: ٦٩.

(٣) فصلت: ٢٩.

(٤) العصر: ١، ٢.

(٥) آل عمران: ١٨٧.

جملة جواب القسم بعد مبتدأ نحو ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1] صح أن يكون فعل القسم وجوابه معا فى محل رفع خبر المبتدأ بدون أن يمنع ذلك من أن كلا من الجملتين على حدته لا محل له من الاعراب والمحل للجميع وأن يكون خبر المبتدأ محذوفا دل عليه جواب القسم .

السابعة: الواقعة جوابا لشرط غير جازم أو لشرط جازم ولم يقترن بالفاء ولا بإذا الفجائية ، فالأول كجواب إذا وأما ولو ولولا الشرطيات نحو إذا جاء زيد أكرمتك ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ ﴾[2] و ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[3] ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾[4] فأجوبة هذه الشروط لا محل لها من الإعراب .

والثانى نحو إن تقم أقم ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾[5] أما المثال الأول فلظهور الجزم فى لفظ الفعل وأما الثانى فلأن المحكوم لموضعه بالجزم الفعل لا الجملة ، فجملة الجواب فى المثالين لا محل لها من الإعراب بخلاف ما إذا وقعت جوابا لجازم واقترنت بما سبق فهى فى محل جزم كما سبق فى المجزومات فى الباب الثالث عشر :

---

(١) العنكبوت : ٦٩ .
(٢) الزخرف : ٦٣ .
(٣) الأنبياء : ٢٢ .
(٤) البقرة : ٢٥١ .
(٥) الإسراء : ٨ .

جدول ٢٨
(جدول الجمل التى لها محل من الإعراب)

عدد	أنواع	أمثلة	محل	ملحوظات
١	الواقعة خبرا	زيد قام أبوه، إن زيدا قام أبوه، كانوا يظلمون.	محل قام أبوه فى المثالين رفع، ومحل يظلمون نصب.	المراد بوقوعها خبرا أن تقع خبرا لمبتدأ فى الحال أو فى الأصل.
٢	الواقعة حالا	جاء زيد والشمس طالعة، وجاءوا أباهم عشاء يبكون.	محلهما نصب	جملة الحال تكون اسمية أو فعلية
٣	الواقعة مفعولا به	قال إنى عبدالله، ظننت زيدا يقرأ.	محلها نصب	ومن ذلك أعلمت زيدا عمرا أبوه قائم، ولنعلم أى الحزبين أحصى- برفع أى-
٤	الواقعة مضافا إليها	نحو: هذا يوم ينفع، الصادقين صدقهم يوم هم بارزون.	محلها جر	أى المضاف إليها ظرف، اسمية كانت أو فعلية.
٥	الواقعة جوابا لشرط جازم إذا قرنت بالفاء أو بإذا الفجائية.	نحو: من يضلل الله فلا هادى له. وإن كنتم جنبا فاطهروا، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون.	محلها جزم	لا فرق بين أن تكون فعلية خبرية أو إنشائية أو إسمية.
٦	التابعة لمفرد عطفا أو نعتا أو بدلا	زيد منطلق وأبوه ذاهب. (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه). (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبل إن ربك) إلى آخر الآية.	محلها يختلف باختلاف متبوعها.	جملة: إن ربك.. الخ.. فى محل رفع بدل من لفظ ما قيل إن كان المعنى ما يقوله الله لك إلا ما قد قال، أما إذا كان المعنى ما يقول لك كفار قريش إلا كما قال الكفار الماضون لأنبيائهم، فالجملة مستأنفة.
٧	التابعة لجملة لها محل من الإعراب	نحو: زيد قام أبوه وقعد أخوه. زيد قام أبوه قام أبوه.	يختلف محلها باختلاف متبوعه.	تكون التبعية بعطف النسق وبالتوكيد اللفظى.

جدول ٢٩
(جدول الجمل التى لا محل لها من الإعراب)

عدد	أنواع	أمثلة	إعراب
١	الابتـــدائيـــة وهى المستأنفة	نحو : (إنا أعطيناك الكوثر) و(إذا جـاء نصـر الله) ، (إن العـزة لله جميعا) .	تكون اسمية وفعلية ، والمدار على أنها ابتداء كلام ، فقوله تعالى : (إن العـزة لله جـميـعـا) بعـد (ولا يحزنك قولهم) مستأنف ، لا مقول القول ، لفساد المعنى .
٢	التابعة لما لا موضع له من الإعراب	قعد عـمرو ، من قولك : قام زيد وقعد عمرو ، وقام زيد ، من قولك : قام زيد قام زيد .	المراد التابعة بعطف النسق والتوكيد اللفظى .
٣	الجملة المفسرة لغير ضمير الشأن	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب .	فجملة : خلقه من تراب تفسير لكمثل آدم .
٤	الجملة المعترضة	كلو تعلمون من قوله تعالى : (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) .	هى المتوسطة بين متلازمين مفردين أو جملتين أو مفرد وجملة .
٥	الواقـــعـــة صلة الموصول	نحـو : فـرض عليك القـرآن ، من قـوله تعالى : (إن الذى فرض عليك القرآن) . وجملة : قمت ، من قولك : يعجبنى إن قمت .	صلة الموصول اسميا كان أو حرفيا لا محل لها من الإعراب ، وإنما المحل للموصول الاسمى وحده وللحرفى مع ما أول به مع صلته بحسب ما تقتضيه العوامل .
٦	الواقعة جوابا لقسم	نحو (إن الإنسان لفى خسر) . بعد قوله تعالى : (والعصر) .	المراد هنا ما يدل على اليمين ولو لم يذكر فيه إلا اللام الموطئة للقسم ، نحـو : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)
٧	الواقعة جوابا لشرط غير جازم أو لشرط جـازم ولم يقـتـرن بـالفـــــاء ولا بـإذا الفجائية .	لفـسـدت الأرض ، من قـوله تعـالى : (ولولا دفع الله الناس بعـضـهـم ببـعض لفسدت الأرض) . ونحو : عدنا ، من قوله تعالى : (وإن عدتم عدنا) ونحـو : أقم ، من قـولك : إن تقم أقم .	فجملة الجواب فى الأمثلة المذكورة لا محل لها من الإعراب .

(الباب الخامس عشر)

فى الجمل الخبرية وشبه الجمل بالنسبة لوقوعها بعد النكرة أو المعرفة

تقدم تعريف الجملة : وأما الجملة الخبرية فنسبة للخبر الذى هو ضد للإنشاء . والخبر ما لا يتوقف مدلوله على النطق به .

[والإنشاء][1] : ما يتوقف مدلوله على النطق به وعرف أهل المعانى الخبر بأنه ما لنسبته خارج تقصد مطابقته ، والإنشاء ما ليس لنسبته خارج تقصد مطابقته ، وعرف المناطقة الخبر بأنه ما احتمل الصدق والكذب لذاته ، أى بقطع النظر عن قائله .

الحدود متقاربة ، والنكرة عرفا اسم يقبل «أل» المعرفة كرجل وفرس أو يقع موقع ما يقبلها كمن وما ، والمعرفة ما عدا النكرة ، وهى ستة أنواع : الضمير نحو أنا وأنت وهو ، والعلم كزيد وهند وأسامة وأبى هريرة وزين العابدين ، واسم الإشارة كهذا وهذه وهؤلاء ، والموصول كالذى والتى والذين والألى ، والمحلى بأل كالرجل والفرس ، والمضاف لواحد من هذه كعبده وغلام زيد وغلام هذا وغلام الذى حضر وغلام الرجل .

والنكرة إما محضة أى خالصة عما يقربها من المعرفة بأل توصف ولم تدخل عليها أل الجنسية ، أو غير محضة ، أى غير خالصة ، وهى القريبة من المعرفة بالوصف أو بالاقتران بأل الجنسية .

---

(١) غير موجودة بالأصل .

وكذلك المعرفة تكون محضة كالعلم والضمير، وغير محضة، أى غير خالصة من شائبة التنكير كالمعرف بأل الجنسية فإنه قريب من النكرة فلا يسمى معرفة خالصة.

فالجملة الخبرية التى لم يطلبها عامل ويصح الاستغناء عنها إذا وقعت بعد نكرة خالصة تكون صفة لتلك النكرة ويكون لها محل بحسب إعرابه نحو (نقرؤه) من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾[1] فجملة نقرؤه فى محل نصب صفة لكتابا لأنه نكرة خالصة، فالجملة الوصفية إما أن تكون للتفسير نحو جاء تاجر يبيع ويشترى، أو للتخصيص نحو جاء رجل يقرأ، أو للمدح نحو جاء كريم يحب العلماء، أو للذم نحو رأيت بخيلا يكره الفقهاء، أو للتأكيد نحو رأيت فقيهًا يفقه الأحكام الشرعية.

وكذلك شبه الجملة، وهو الظرف والجار والمجرور إذا وقع بعد النكرة المحضة كان صفة نحو رأيت طائرا فوق غصن أو على غصن، لأنه وقع بعد نكرة محضة وهو طائر.

وإذا وقعت الجملة الخبرية المذكورة بعد معرفة محضة كانت حالا نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[2] فى قراء الرفع فجملة تستكثر من الفعل وفاعله المستتر فى محل نصب حال من الضمير المستتر فى تمنن المقدر بأنت، وهو معرفة خالصة، بل الضمير هو أعرف المعارف بعد اسم الله تعالى وضميره فإنه أعرف المعارف إجماعا.

وكذلك شبه الجملة، وهو الظرف والجار والمجرور، إذا وقع بعد معرفة محضة فإنه يكون حالا كقولك رأيت الهلال بين السحاب، فبين السحاب حال من الهلال، وكقوله تعالى حكاية عن قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾[3] ففى زينته فى موضع الحال أى متزينا أو كائنا فى زينته.

---

(١) الإسراء: ٩٣.
(٢) المدثر: ٦.
(٣) القصص: ٧٩.

والجملة الخبرية التى لم تطلب لعامل لزوما ويصح الاستغناء عنها ولم تقترن بمانع الوصفية وهو اقترانها بالواو العاطفة ولا بمانع الحالية ولا بمانعهما معا وهو عدم استقامة المعنى إذا وقعت بعد اسم غير خالص من شائبة التعريف والتنكير بأن كانت النكرة قريبة من المعرفة بالصفة أو كانت المعرفة قريبة من النكرة بأل الجنسية فالجملة الواقعة بعد المعرفة أو النكرة تحتمل الوجهين أى الوصفية فيكون محلها بحسب موصوفها والحالية فمحلها نصب .

مثال الجملة الواقعة بعد نكرة غير محضة مررت برجل صالح يصلى ، فإن شئت قدرت جملة يصلى من الفعل والفاعل صفة ثانية لرجل لأنه نكرة وقد وصف أولا بصالح فهى فى محل جر ، وإن شئت قدرتها حالا منه لأنه قد قرب من المعرفة باختصاصه بالصفة الأولى .

ومثال الجملة الواقعة بعد معرفة قريبة من النكرة قوله تعالى : ﴿ **كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾[1] فإن المراد بالحمار الجنس فى ضمن فرد مبهم فهو قريب من النكرة فى المعنى ومعرفة فى اللفظ فإن شئت قدرت جملة يحمل أسفارا من الفعل والفاعل والمفعول حالا من الحمار نظرا لتعريفه لفظا وإن شئت قدرتها صفة له نظرا لتنكيره معنى .

وكذلك الظرف والجار والمجرور إذا وقعا بعد نكرة غير محضة ، يعنى موصوفة ، أو معرفة غير محضة ، يعنى معرفة بأل الجنسية ، احتملا الوصفية والحالية نحو هذا ثمر يانع فوق أغصانه ، ونحو يعجبنى الزهر فى أكمامه ، فيجوز فى كل من الظرف والجار والمجرور أن يكون صفة اعتباراً للفظ وحالا اعتبارا بالمعنى .

ثم إن كلاً من الظرف والجار والمجرور لابد له من متعلق يتعلق به ، كما سبق الكلام على ذلك فى [الباب الثانى عشر] والمتعلق إما أن يكون فعلا أو ما فيه معنى الفعل ، ويشترط فى الفعل أن يكون متصرفا لا جامدا كنعم وبئس ، وأجاز بعضهم

(١) الجمعة : ٥ .

التعلق بالفعل الجامد لأنهما يكفيهما أدنى رائحة فلا يشترط فى ناصبهما التصرف واستشهد على ذلك بقوله :

فنعم مَذكاء من ضاقت مذاهبه ... ونعم من هو فى سر وإعلان

فقال إن من نكرة تامة تمييزا لفاعل نعم مستترا وإن الظرف متعلق بنعم، والصحيح أنه متعلق بمحذوف، والذى فيه معنى الفعل هو المصدر واسم المصدر أو الوصف أو المؤول بالوصف أو اسم الفعل .

فالوصف يشمل اسم الفاعل كضارب واسم المفعول كمضروب والصفة المشبهة كحسن وصيغة المبالغة كقتال واسم التفضيل كأعظم، والمؤول هو الجامد الذى أول بوصف كالمنسوب كقرشى فإنه فى تأويل المنتسب إلى قريش، والمصغر نحو رجيل فإنه مؤول بحقير، ويدخل فى المؤول إله فى قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾[1] ففى السماء متعلق بإله وكذلك فى الأرض وهو اسم غير صفة لكن لتأوله بمعبود صح التعلق به، وقد اجتمع تعلق الجار والمجرور بفعل ومصدر فى قول ابن دريد فى مقصورته :

واشتمل المبيض فى مسْوَده ... مثل اشتعال النار فى جزل الغضا

ففى مسوده متعلق بفعل وهو اشتعل وفى جزل متعلق بمصدر وهو اشتعال والضمير فى مسوده عائد على الرأس فى البيت قبله وهو قوله :

أما ترى رأسى حاكا لونه ... طرة صبح تحت أذيال الدجى

ومثل مفعول مطلق والجزل الغليظ من الحطب والغضا شجر معروف إذا وقع فيه النار يشتعل سريعا ويبقى زمانا، شبه بياض الشيب وانتشاره فى رأسه بانتشار النار فى الغليظ من حطب الغضا .

واجتمع أيضا تعلق الجار والمجرور بفعل واسم مفعول فى قوله تعالى : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾[2] فعليهم الأول متعلق بفعل وهو

---

(١) الزخرف : ٨٤ .

(٢) الفاتحة : ٧ .

أنعمت ومحله نصب وعليهم الثانى متعلق باسم مفعول وهو المغضوب ومحله رفع بالنيابة عن الفاعل.

ولنبين هنا أقسام الوصف والمؤول به فنقول:

الأول من أقسام الوصف اسم الفاعل، وهو يبنى من الثلاثى على وزن فاعل للمذكر وتزاد فيه تاء التأنيث للمؤنث، وضابط بنائه من غير الثلاثى أن يكون على زنة المضارع المبنى للمعلوم وأن توضع موضع حرف المضارعة ميم مضمومة مع كسر ما قبل الآخر.

فتقول فى اسم فاعل أكرم مكرم، بضم الميم وكسر الراء، ومن دحرج مدحرج، ومن انطلق منطلق، ومن استخرج مستخرج، وقس على ذلك.

الثانى اسم المفعول، وهو يبنى من الثلاثى على وزن مفعول، ومن غيره يكون على زنة مضارعه بوضع مكان حرف المضارعة ميم مضمومة وبفتح ما قبل الآخر فيه فتقول من أكرم ودحرج وانطلق واستخرج: مكرم ومدحرج ومنطلق به ومستخرج، بفتح ما قبل الآخر.

الثالث الصفة المشبهة باسم الفاعل، وتبنى من فعل لازم لمن تلبس بذلك الفعل على معنى ثبوته له واستمراره كحسن وأحمر وعطشان وغير ذلك فإن حسنًا مأخوذ من حسن للدلالة على ثبوت الحسن للذات واستمراره، ومنه ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ** ﴾[1] و ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[2] وسميت صفة مشبهة باسم الفاعل لأنه تشبه اسم الفاعل فى التصريف والإعراب نحو حسن وحسنان وحسنون وحسان وحسنة وحسنتان وحسنات فتقول زيد حسن الوجه والزيدان حسنا الوجه والزيدون حسنو الوجه وحسان الوجوه وهند حسنة الوجه والهندان حسنتا الوجه والهندات حسنات الوجه أو حسان الوجوه.

الرابع صيغ المبالغة، أى المفيدة للمبالغة التى هى الكثرة وهى ما حولت عن

(١) الأعراف: ١٦٧.
(٢) الرعد: ٦.

صيغة اسم الفاعل الثلاثى إلى فعال نحو قتال أو مفعال نحو مفضال أو فعول نحو ضروب أو فعيل نحو قتيل أوفَعِل نحو زمن وللمبالغة صيغ أخرى غير هذه الخمس كوزن فعيل بكسر الفاء كصديق وفعلان كرحمن وأما فعالة كعلامة ودراكة فأصله علام ودراك زيدت فيه التاء لتأكيد المبالغة .

الخامس : أفعل التفضيل ، وهو ما صيغ من فعل ثلاثى متصرف تام مجرد قابل للتفاوت غير دال على لون أو عيب ، فلا يصاغ من أجاب وانطلق وسمر وعور بأن يقال زيد أجوب من عمرو ونحو ذلك بل يقال أجوب منه جوابا وأسرع منه انطلاقا وأشد منه سمرة وأقبح منه عورا ، وشذ قولهم زيد أحمق من عمرو ، لأنه من العيوب ، كما لا يقال زيد أبيض من عمرو بل يقال أشد بياضا منه ، فهذه الأقسام الخمسة صفات مشتقة .

وأما المؤول بالمشتق فهو المنسوب والمصغر والعلم المشهود بوصف كحاتم ومادر واسم الجنس المؤول كأسد ، فالمنسوب هو الاسم الذى ألحقت بآخره ياء مشددة مكسور ما قبلها علامة للنسبة كما ألحقت التاء علامة للتأنيث فى الاسم للفرق بن اسم الجنس وواحده نحو تمرة وتمر ، فكذلك الياء قد تجىء للفرق بين اسم الجنس وواحده ، نحو رومى وروم ومجوسى ومجوس وما أشبه ذلك ، ومن المطرد فى الاسم الذى يراد النسب إليه حذف تاء التأنيث كقولك فى النسبة إلى البصرة والكوفة ومكة بصرى وكوفى ومكى ، وتحذف فى النسب لما كان على وزن فعيل الياء كثقيف يقال فى النسبة إليها ثقفى ، فإن كان فى فعيل تاء كحنيفة وفريضة وصحيفة قيل فى المنسوب حنفى وفرضى وصحفى ، وربما بقيت الياء وقالوا فى النسبة إلى سليمة ، التى هى قبيلة من الأزد ، سليمى وفى السليقة والطبيعة سليقى وطبيعى ، وقالوا فى سعيد ونمير وقشير على صيغة التصغير سعيدى ونميرى وقشيرى بإثبات الياء وفى قريش وهذيل وجهينة على صيغة التصغير أيضا قرشى وهذلى وجهنى بحذفها وفى المعتل اللام نحو قصى وأمية قصوى وأموى .

وإذا نسب الى الجمع رد إلى الواحد كقولك فى النسبة إلى الفرائض والصحائف

فرضى وصحفى وأما الأنصارى والأعرابى والأنبارى فإن هذه الجموع جرت مجرى أسماء القبائل فنسب إليها وكذلك نحو المدائنى .

وقد يبنى ما فيه معنى النسب على فعال وفاعل من غير إلحاق بياء النسب كلبان وتمار وبواب وجمال ولابن وتامر ودارع ونابل ، إلا أن بينهما فرقا وهو أن فعّالا يطلق على من يتخذ الشىء صناعة بخلاف فاعل فإنه يطلق على من له ذلك الشىء أو معه ، ومما سمع قولهم فى النسبة إلى البادية بدوى وإلى العالية علوى والى العظيم الأنف أنافى والى العظيم الرقبة رقبانى وإلى الدهر دهرى ، بضم الدال ، وهو الرجل المسن ، وإلى جذيمة جذمى ، بضم الجيم وفتح الذال ، وإلى طى طائى .

وأما المصغر من الأسماء فهو ما يضم صدره ويفتح ثانيه وتلحق به ياء ثالثة ساكنة ، فإن كان على ثلاثة أحرف كسهم قيل سهيم على وزن فعيل ، وإن كان على أربعة أحرف كدرهم فوزانه فعيعل كدريهم ، وإن كان على خمسة أحرف كدينار فوزانه فعيعيل كدنينير ، وقالوا فى تصغير أجمال أجيمال وفى حبلى حبيلى وفى حمرا حميرا وفى سكران سكيران للمحافظة على ألف الجمع فى الأول وألف التأنيث فى الثانى والثالث والألف والنون فى الرابع لمشابهتهما لألفى التأنيث .

والخماسى لا يصغر إلا على استكراه حذف الحرف الخامس فى التصغير ، تقول فى فرزدق فريزد وفى سفرجل سفيرج .

وتاء التأنيث المقدرة فى الثلاثى تثبت فى التصغير نحو أريضة وعيينة وأذينة فى أرض وعين وأذن ، إلا ما شذ فى نحو عريب فى عرب ، وفى الرباعى لا تثبت فى التصغير تقول فى عقرب عقيرب ، وكل اسم ثلاثى حذف منه حرف وبقى على حرفين يرد المحذوف فى التصغير فتقول فى تصغير دم دمى .

والواو إن وقعت ثالثة فى وسط الكلمة نحو أسود وجدول فالمختار قلبها ياء فتقول فيهما أسيد وجديل ، ومنهم من يقول أسيود وجديول ، وبعضهم يصغر

أسود على سويد بحذف الزائد فى الأول، وإن وقعت فى آخر الكلمة نحو غصا إذ أصلها عصو وجب قلبها ياء فتقول فى التصغير عصية، وتقول فى منطلق ومضارب مطليق ومضيرب بحذف أحد الحرفين الزائدين، وتقول فى عنكبوت ومقشعر عنيكب وقشيعر بحذف كل زائد.

والأسماء المركبة يصغر الصدر منها، تقول فى بعلبك وحضرموت ومعدى كرب بعيلبك وحضير موت ومعيدى كرب.

فكل من المصدر واسم المصدر واسم الفعل والوصف والمؤول به يكون متعلقا للظرف والجار والمجرور.

ولنذكر أمثلتها فى هذا الجدول:

جدول ٣٠
(جدول شبه الجملة، وهو الظرف والجار والمجرور بالنظر لمتعلقه المتعدى به)

عدد	نوع المتعلق	ظرف ومثاله	جار ومجرور ومثاله	إعراب	ملحوظات
١	فعل	سلمت أمام المسجد	على زيد	سلمت: فعل وفاعل، وأمام المسجد: ظرف ومضاف إليه. وعلى زيد: جار ومجرور، وهو الظرف قبله متعلقان بسلم.	التعلق بالنسبة للجار والمجرور بالفعل أو شبهه هو تعدى المجرور وصيرورته فى المعنى مفعولا به أى أن زيدا صار مسلما عليه. وقس على ذلك.
٢	مصدر	تسليمى أمام المسجد	على زيد أفرحه	تسليمى: مبتدأ ومضاف إليه، وخبره جملة أفرحه من الفعل والفاعل والمفعول، وكل من والظرف والجار والمجرور متعلق بتسليم.	اجتمع تعلق الجار والمجرور بفعل ومصدر فى قول ابن دريد: واشتعل المبيض فى مسوده مثل اشتعال النار فى جزل الغضا
٣	اسم المصدر	سلامى أمام المسجد	على زيد أفرحه	إعرابه كإعراب ما قبله.	ومنه قوله تعالى (سلام هى حتى مطلع الفجر)
٤	اسم الفعل	شتان بين بلادها وبلادى	واها لسلمى	شتان: اسم فعل ماض، والفاعل محذوف للعلم به تقديره الأمر، وبين: ظرف، وبلاد: مضاف إليه، والهاء: مضاف إلى بلاد، وبلادى معطوف على بلاد ومضاف إلى الياء وواها: اسم فعل مضارع، والفاعل مستتر، ولسلمى: جار ومجرور متعلق باسم الفعل كما أن بين متعلق بشتان.	سلمى مجرور باللام بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف لما فيه من العلمية والتأنيث.
٥	اسم الفاعل	أنا مسلم أمام المسجد	على زيد	أنا مسلم: مبتدأ وخبر، وأمام المسجد: ظرف ومضاف إليه، وعلى زيد: جار ومجرور وهو والظرف قبله متعلقان بمسلم.	مسلم ـ بكسر اللام المشددة ـ والثانى بفتحها فالكسر والفتح هما الفرق فى غير الثلاثى بن اسم الفاعل والمفعول.
٦	اسم المفعول	زيد مسلم أمام المسجد	عليه		
٧	الصفة المشبهة	زيد طاهر القلب الآن	فى رأى الجميع	مبتدأ وخبر ومضاف إليه، وكل من الظرف والجار والمجرور متعلق بالخبر.	
٨	صيغ المبالغة	زيد مهذار اليوم	فيما لا يعنيه	مثل ما قبله فى الإعراب.	ويقاس على مفعال: أمثلة بقية الأمثلة.

تابع جدول ٣٠
(جدول شبه الجملة، وهو الظرف والجار والمجرور بالنظر لمتعلقه المتعدى به)

عدد	نوع المتعلق	ظرف ومثاله	جار ومجرور ومثاله	إعراب	ملحوظات
٩	أفعل التفضيل	زيد أفضل بعد عمرو	من جميع أقرانه	إعرابه يعلم مما قبله	هو آخر الصفات المشبهة .
١٠	المنسوب	هذا رومى الآن	شامى فى الأصل	هذا رومى : مبتدأ وخبر ، والآن : ظرف متعلق برومى بمعنى منسوب ، وشامى : خبر ثان ، وفى الأصل : متعلق به .	صح التعلق للتأويل بالمشتق .
١١	المصغر	زيد رجيل الآن	فى أعين الناس	مبتدأ وخبر وظرف وجار ومجرور متعلقان بالخبر .	صح التعلق لأن رجيل مؤول برجل محتقر .
١٢	العلم المشهور بصفة	أنت حاتم الآن	بسخائك	إعراب ما قبله .	ويقاس عليه ما أشبهه نحو : أنت الآن قس فى ذكائك وسحبان فى فصاحتك .
١٣	اسم الجنس المؤول بمشتق	زيد أسد لدى الميدان	فى الحرب	لدى : ظرف منصوب بمتعلقه وهو أسد ، وفى الحرب : متعلق به أيضا .	صح تعلقه وعمله لتأويله بمعنى جسور أو جرئ .

وليس هذا الجدول حاصرا لمتعلقات الجار والمجرور فقد يتعلق باسم الإشارة نحو هذا بعينه زيدا إذا جعل بعينه متعلق باسم الإشارة بتأويله بمعنى أشير ، ويتعلق بياء النداء نحو يا لزيد لعمرو .

وقد انتهى ما يتعلق بالجمل وشبه الجمل مما هو الغرض من [الباب الخامس عشر] .

خاتمة

تتعلق بالخط والإملاء وحسن القراءة

قد سبق في أول الكتاب في تعريف النحو بأنه علم يعرف به تصحيح الكلام العربى قراءة وكتابة، وقد ذكرنا من القواعد ما يفيد ضبط اللسان فى التكلم بالكلام معربا صحيحا، إلا أن للخط مدخلا فى حسن الرسم والتلاوة على موجب قواعد الخط مع ما يضاف إلى ذلك من معرفة الوقف والابتداء بهمز الوصل وهمزة القطع مما يحتاج إلى معرفته الطالب وبدونه لا يحسن القارىء النطق، وهذا هو موضوع هذه الخاتمة الحسنة، والمبادئ بخواتيمها.

الخط هو تصوير اللفظ بالحروف الهجائية المسماة حروف المبانى، وهذه الحروف التى أولها الألف وآخرها الياء، ولها اسماء ومسميات، فمسمى الباء مثلا ب ومسمى الجيم ج وهكذا، فتكتب الألفاظ بمسميات الحروف كزيد مثلا يكتب بمسميات الزاى والياء والدال وهى ز ى د.

ولما كان الخط مبنيا على الوقف والإبتداء وعلى وصل الحروف وفصلها وجب تقسيم هذه الخاتمة إلى ثلاث مسائل أصلية بمعرفتها يتصحح رسم الكلمات على الطرق الفصيحة، لأنه كما جعلوا فى الألفاظ فصيحا وأفصح جعلوا فى الكتابة النائبة عنها مثل ذلك، كما سيأتى.

المسئلة الأولى: فى الوقف وكتابة الموقوف عليه.

الوقف: قطع النطق عند آخر الكلمة، فإن كانت مختومة بتاء التأنيث الساكنة لم

تغير فى الوقف نحو قامت وقعدت، وإن كانت تاء التأنيث متحركة فإما أن تكون الكلمة جمع مؤنث سالما أو لا، فإن كانت جمع مؤنث سالما فالأفصح الوقف بالتاء وبعضهم يقف بالهاء فيقولون دفن البنات من المكرمات وإن لم تكن جمع مؤنث سالما فالأفصح الوقف بإبدال التاء هاء تقول هذه رحمة وهذه نعمة وبعضهم يقف بالتاء سمع بعضهم يقول يا أهل سورة البقرة فقال بعض من سمعه والله ما أحفظ منها آيت، بسكون التاء فى البقرة وآية، ومثل الوقف يصير تصوير الرسم.

ويوقف على الاسم المنصوب بالألف ويكتب آخره بها نحو رأيت زيدا ورجلا وقاضيا، وتسمى ألف الإطلاق، وإنما تقف ربيعة فى بعض لغاتها على المنصوب بحذف الألف كما قال شاعرهم:

ألا حبذا غنم وحسن حديثها لقد تركت قلبى بها هائما دَنِف

فدنف بسكون الفاء وليس الوقف والرسم بالحذف عند هذه القبيلة لغة عمومية بل ينطق بها بعضهم على هذا الوجه فهم كغيرهم فى الوقف على المنصوب بالألف.

ويوقف بالألف أيضا على المنتهى بنون التوكيد الخفيفة الواقعة بعد الفتحة كقوله تعالى: (لنسفعن)(١) و(ليكونن)(٢) قال الشاعر:

فلا تعبد الشيطان والله فاعبدا

ومحل كتابة النون الخفيفة بالألف عند أمن اللبس، أما إذا خيف اللبس لم تعتبر حالة الوقف نحو لا تضربن زيدا واضربن عمرا، فتكتب بالنون لئلا يلتبس أمر الواحد أو نهيه بأمر الاثنين أو نهيهما فى الخط فتكتب النون ألفا فى تلك الأمثلة على حسب الوقف وتصح كتابتها نونا حسب اللفظ، وكذلك إذا الجزائية فيوقف عليها بالألف فإن كانت ناصبة كتبت بالنون أو غير ناصبة كتبت بالألف تبعا للوقف.

وأما الاسم المنقوص، أى الذى آخره ياء مكسور ما قبلها، فإن كان منونا

---

(١) العلق: ١٥.

(٢) فاطر: ٤٢.

فالأفصح الوقف عليه رفعا وجرا بالحذف كقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾[1] ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾[2] وإن كان غير منون فالأفصح الوقف عليه رفعا وجرا بالإثبات كقوله تعالى: ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾[3] على قراءة ابن كثير حيث وقف بالياء على الوجه الأفصح، ويجوز الوقف عليه بالحذف كما وقف الجمهور عليه بذلك، والقراءة سنة متبعة ليس مرجعها الرأي.

فإذا كان المنقوص منصوبا وجب فى الوقف إثبات يائه، فإن كان منونا أبدل من تنوينه ألفا كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ﴾[4] وإنكان غير منون وقف على الياء كقوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾[5] ومثل الوقف يكون الرسم.

وترسم الألف ياء إن تجاوزت ثلاثة أحرف فى الفعل أو الاسم نحو اشترى والمصطفى، أو كانت منقلبة عن ياء نحو رمى وهدى والفتى والهدى، وإن كانت ثالثة منقلبة عن واو كتبت ألفا نحو دعا وعفا والعصا.

وكيفية تمييز ذوات الواو من ذوات الياء فى الأفعال عند خفاء الأصل أن تصل الفعل بتاء المتكلم أو المخاطب فما ظهر فهو أصله تقول فى رمى وهدى رميت وهديت وفى دعا وعفا ودعوت وعفوت.

وفى الأسماء عند الخفاء أيضا أن تثنيها فتقول فى الفتى والمعدى الفتيان والمعديان وفى العصا والقفا العصوان والقفوان فما ظهر فى التثنية فهو الأصل، قال الشاطبى:

وتثنيــة الأسمـــاء تكشفهــا وإن ... رددت إليك الفعل صادفت منهلا

وقال الحريرى:

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) الرعد: ٣٤.

(٣) الرعد: ٩.

(٤) آل عمران: ١٩٣.

(٥) القيامة: ٢٦.

إذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه   فالحق به تاء الخطاب ولا تقف

فإن تره بالياء يوما فكتبه   بياء وإلا فهو يكتب بالألف

المسئلة الثانية فى همزات الوصل:

همزة الوصل هى التى تثبت فى الابتداء وتحذف فى الوصل، والكلام على الهمزة فى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فى ضبط مواضعها، فنقول: من المعلوم أن الكلمة إما اسم أو فعل أو حرف، فأما الاسم فتكون همزته همزة وصل فى مواقع: أحدها أسماء غير مصادر، وهى عشرة محفوظة اسم است ابن ابنم ابنة امرؤ امرأة اثنان اثنتان ايمن الله فى القسم، ثانيها تثنية السبعة الأول إذ هى تابعة لها فى الحكم وهى اسمان استان ابنان ابنمان ابنتان امرآن امرأتان، ثالثها الأفعال الماضية الخماسية والسداسية نحو انطلق واستخرج، رابعها مصادر هذه الأفعال نحو الانطلاق والاستخراج، خامسها همزة فعل الأمر ما عدا الرباعى منه نحو اضرب وانطلق واستخرج، سادسها همزة أل نحو الرجل والغلام.

وما عدا هذه الستة همزته همزة قطع، ويمكن أيضا جعلها فى خمسة مواضع أحدها المضارع نحو أعوذ بالله وأستغفر الله وأحمد الله، ثانيها الماضى الثلاثى أو الرباعى نحو أخذ وأكل وأخرج وأعطى، وثالثها فعل الأمر من الرباعى نحو زيد أكرم عمرا وأجب دعوته، رابعها جميع الأسماء غير مصادر الفعل الخماسى والسداسى وغير الأسماء العشرة السابقة، خامسها همزات جميع الحروف ما عدا أل نحو أم وأن وأو.

المبحث الثانى: فى حركة همزة الوصل، من همزات الوصل ما يحرك بالكسرة فى الأكثر أو بالضم فى لغة ضعيفة، وهى اسم، ومنها ما يحرك بالفتح، وهو همزة لام التعريف، ومنها ما يحرك بالفتح فى الأفصح، وبالكسرة فى لغة ضعيفة، وهو ايمن الله المستعمل فى القسم فى قولهم ايمن الله لأفعلن كذا، وهو اسم مفرد مشتق من اليمن، وهو البركة، ومنها ما يحرك بالضم فقط وهو أمر الثلاثى إذا انضم ثالثه

ضما متأصلا، نحو اقتل واكتب وادخل، ودخل تحت قولنا متأصلا نحو قولك للمرأة اغزى يا هند لأن أصله اغزوى يا هند، بضم الزاى وكسر الواو، فاسكنت الواو للاستثقال ثم حذفت لالتقاء الساكنين وكسرت الزاى لمناسبة الياء بدليل قولك للمذكر اغز يا زيد، وخرج من هذا نحو قولك امشوا، فإن همزته تكون بالكسر لأن أصله امشيوا، بكسر الشين وضم الياء، فاسكنت الياء للاستثقال ثم حذفت لالتقاء الساكنين ثم ضمت الشين لتجانس الواو ولتسلم من القلب ياء، ومنها ما يحرك بالكسر لا غير وهو الباقى نحو اعلم واسمع واضرب وما أشبه ذلك.

المبحث الثالث: فى رسم الهمزة من حيث هى، ثم إن الهمزة من حيث هى إن كانت فى الأول تكتب بصورة الألف أبدا، نحو انصر واضرب واكرم، وإن كانت متوسطة ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها، نحو بأس وبؤس وبئس، وإن كانت متحركة وكان ما قبلها ساكنا تكتب بحرف حركتها نحو يسأل ويلؤم وإن كانت متحركة وكان ما قبلها متحركا أيضا جاز أن تكتب بحرف حركتها أو حركة ما قبلها نحو لؤم فتكتب بالواو والألف، وإن وقعت متطرفة وسكن ما قبلها فلا تكتب بصورة حرف نحو جزء وبدء وشىء إلا إذا كانت منصوبة فتكتب ألفا نحو جزأ وشيئا، وإن وقع بعد الهمزة حرف مد فلا تكتب بحرف المد نحو المآكل جمع مأكل، وأما ماضى مهموز اللام المسند إلى المثنى فيكتب بألفين نحو قرأا ويكتب مضارعه المرفوع بثبوت النون بألف واحدة نحو يقرآن، وإن حذفت النون كتب بألفين نحو لم يقرأا ولن يقرأ.

المسئلة الثالثة: فى اتصال بعض حروف بما قبلها فى الكتابة وذكر بعض حروف زائدة تكتب ولا تقرأ وذكر بعض حروف تحذف خطا لا لفظا:

تتصل ما الحرفية فى الكتابة بنحو إن وأين وبين وكل فتقول إنما وأينما وبينما وكلما، فإن كانت موصولة فلا تتصل بما قبلها فتقول أين ما وعدتنيه وكل ما قلت لكم ونحو ذلك، وتتصل ما بمن وعن نحو مما وعما، والأصل من ما وعن ما، وتتصل أن الناصبة للمضارع بلا نحو لئلا، والأصل لأن لا وتتصل إذ بظرف الزمان نحو حينئذ ويومئذ ووقتئذ وساعتئذ والأصل حين إذ ويوم إذ.

وتزاد ألف فى آخر الفعل الماضى والمضارع والأمر المسند إلى واوالجمع نحو ضربوا ولم يضربوا واضربوا قياسا مطردا، ولا تزاد الألف فى مضارع الناقص المعتل بالواو وإن كان مسندا لمفرد نحو زيد يدعو للفرق بين المفرد والجمع، وتزاد الألف أيضا جوازا فى اسم الفاعل الدال على الجمع نحو الزيدون ضاربوا القوم.

وتزاد لام أيضا فى مثنى الذى والتى ومصغرهما نحو اللذان واللتان واللذيا واللتيا وتزاد الواو فى آخر عمرو فى حالتى الرفع والجر.

وكذلك تحذف الألف وجوبا من هذا وهؤلاء وهكذا وذلك وأولئك، ولكن ولا يجوز حذفها من ها ذاك، وتحذف جوازا من ثلث وثلثين ومن ملئكة وسموات، وأما فى ها أناذا فتكتب إما هنيذا وإما هنذا جوازا.

ويجوز كتابة بعض الكلمات تبعا لخط المصحف العثمانى من الحيوة والصلوة والزكوة بالواو وتقرأ بالألف، كما يجوز حذف الألف خطا من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهارون وسليمان.

وكذلك تحذف الهمزة وجوبا من البسملة الشريفة خاصة لكثرة الاستعمال. ولا يجوز حذفها من اسم الله فى غير البسملة يعنى (بسم الله الرحمن الرحيم) ويعوض عنها تطويل الباء.

وتحذف الهمزة قياسا مطردا من ابن إذا وقع بين علمين.

ويجوز حذف همزة الاستفهام من أول الكلمة المبدوأة بهمزة نحو أنت ابن زيد؟ أى أأنت؟ ويجب حذف همزة التعريف إذا دخلتها لام الجر نحو أأنت قلت للناس اتخذونى؟

ومتى اجتمعت واوان فى وسط الكلمة وكانت الأولى منهما مضمومة جاز حذف الثانية قياسا نحو داود، ويجوز أيضا حذف واو رؤوس جمع رأس فتقول رؤس، ولا يجوز حذف واو فعول الأجوف الواوى مثل فؤول.

* * *

ولنختم كتابنا بإعراب البسملة الشريفة كما بدأنا بها ليكون محبوك الطرفين، فنذكر هنا فى إعرابها ما ذكره خاتم المحققين العلامة الشيخ حسن العطار فى حاشيته على الأزهرية فنقول: ثم الباء فى بسم الله إن كانت أصلية احتاجت لمتعلق تتعلق به، وهو إما فعل كأولف، وهو مذهب الكوفيين، قال ابن هشام وهو المشهور فى التفاسير والأعاريب، فالجملة فعلية، وبسم ظرف لغو متعلق بالفعل، والمجرور فى محل نصب بذلك الفعل على المفعولية، وقدره البصريون اسما فالجملة اسمية، وهو إما مبتدأ واسم ظرف لغو متعلق به فمحل المجرور نصب على المفعولية. وقولهم المصدر لا يعمل محذوفا خاص بغير الظرف لتوسعهم فيه والخبر محذوف والأصل ابتدائى بسم الله.. إلخ كائن، وأما خبر بسم ظرف مستقر متعلق به، فمحل المجرور نصب على المفعولية أيضا، والأصل ابتدائى كائن بسم الله الخ، فعلى كلا الاحتمالين المبتدأ وخبره محذوفان، إلا أن بسم على الأول متعلق بالمبتدأ وعلى الثانى متعلق بالخبر، وينبنى على الوجهين أن حذف المتعلق واجب على الثانى لعمومه دون الأول، ورجح مذهب الكوفيين بقلة المحذوف لأن المحذوف عليه كلمتان وعلى الثانى ثلاث كلمات وبأن الأصل فى العمل للأفعال وبكثرة التصريح بالمتعلق فعلا كما فى آية (اقرأ باسم ربك) وحديث «باسمك ربى وضعت جنبى».

ثم إن كان المراد بلفظ الجلالة الذات الأقدس فإضافة اسم إليه حقيقية وإن أريد به اللفظ فالاضافة بيانية، ويكون فى إرجاع الضمير المستتر فى الرحمن الرحيم له بمعنى الذات استخدام، والرحمن الرحيم نعتان، اشتهر فيهما بحسب الإعراب تسعة أوجه: جرهما، ورفعهما، ونصبهما، ورفع الأول ونصب الثانى، وبالعكس، ورفع الثانى ونصبه مع جر الأول، ويمتنع منها جر الرحيم مع نصب الرحمن أو رفعه، واعترض ذلك بجواز الاعتراض بين الصفة والموصوف كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** ﴾[1] وأجيب بأن المنع ليس من حيث الاعتراض بل من حيث أن فى القطع ثم الإتباع رجوعا للشىء بعد الانصراف عنه

(١) الواقعة: ٧٦.

ومن حيث أن التابع أشد ارتباطا به فكيف يؤخر عن المقطوع، وجعل الرحمن نعتا مبنى على أن كلا من الرحمن الرحيم صفة مشبهة، وقيل إن الرحمن علم بدليل وقوعه فى القرآن كثيرا متبوعا لا تابعا، وجرى على هذا الاعلم وابن مالك، وعلى هذا فيعرب بدلا من لفظ الجلالة لا نعتا، والرحيم نعت له لا للجلالة، إذ لا يتقدم البدل على النعت.

ويظهر أثر الخلاف فى الجار للرحمن ما هو فعلى القول بأنه نعت يجرى فيه الخلاف فى تابع المجرور فى غير البدل أهو مجرور بما جر المتبوع؟ أو بنفس التبعية؟ والأصح الأول، وعلى القول بأنه بدل يكون مجرورا بمحذوف مماثل للعامل فى المتبوع لما تقرر أن البدل على نية تكرار العامل، وعلى أحد الأوجه المقررة سابقا من جعل كل من الرحمن الرحيم خبرا لمبتدأ محذوف فكل من الجملتين، أعنى هو الرحمن هو الرحيم، مستأنف استئنافا نحويا أو بيانيا واقعا على جواب سؤال مقدر، لكن هذا السؤال ليس القصد به طلب التعيين، إذ المولى معلوم غير مجهول، بل هو سؤال من يريد التلذذ بالجواب وتعظيم شأن المسئول عنه، مع العلم به، فإن قلت قد تقرر أن الجمل بعد المعارف أحوال، ولفظ الجلالة أعرف المعارف، فمقتضاه أن يكون كل من الجملتين حالا على هذه القاعدة، فالجواب: إن ذلك وإن صح لفظا لكنه منع منه مانع معنوى، لأن الحال وصف لصاحبها قيد فى عاملها، والعامل فيهما على تقدير الحالية متعلق البسملة. فكأنه يقول: أبدأ باسم الله فى حالة كونه رحمانا رحيما، وليس المعنى على التقييد لأن الملاحظ البداءة باسمه تعالى مطلقا بدون التقييد بوصف من الأوصاف.

انتهى والله الموفق للصواب * وإليه المرجع والمآب *

والحمد لله وحده * والصلاة

على من لا نبى بعده *

جمال الأجرومية

[وهى المنظومة التى أنشأها الطهطاوى فضمنها ـ نظما ـ قواعد النحو العربى التى تضمنتها «الأجرومية».

وكان إنشاؤه لها أواخر عهد الخديوى سعيد (غالبا ما بين ١٨٦١ و ١٨٦٣م ولقد طبعت هذه المنظومة سنة ١٢٨٠هـ سنة ١٨٦٣م)..]

[مقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

عن حمد ذى الحمد اللسان يُعْرب ... مُعَرِّفًا ما للضمير يُنسب
يشير بالصلاة والسلام ... نحو نبى رافع الأعلام
محمد مصدر كل علم ... ومظهر الحق بحكم الجزم
وآله من خفضوا بالكسر ... جمع العدا وانتصبوا للنصر
وفتحوا أبواب عز مقبل ... متصل بالحال والمستقبل
وصحبه من عطفوا على الهدى ... وأكدوا التنبيه حالا بالندا
تميزوا فى محكم الآيات ... ونُعتوا فى الفتح بالصفات
ثم الدعاء لعزيز مصر ... وصادق الوعد جمال العصر
من أيد العلوم والمعارفا ... وشيد الفنون واللطائفا
همة «إسماعيل» فى التمدن ... كالروح إذ بها قوام البدن
وبعد، فالقصد هنا والأمل ... نظام منثور عليه العمل
فى النحو صاغه ابن آجرّوم ... متنا ونفعه من المعلوم
فى كشفه تنافَسَ الشراح ... ونَظَمَتْهُ ألسن فصاح
وكلهم مشمر لخدمته ... ساع ببذل عزمه وهمته

وراغب به اكـتـسـاب الأجـر وطالـب حـسـن الثنـا والذكـر

فـلا عـجـيب أن نظمت نـفـسى فى سلـكهم إذ حَـسُن الـتـأسِّى

ولم أراجع نظمـة العـمـريطى[1] أو غـيـرها خـوفـا مـن التـشـبيط

فـإن وجـدت شطر بـيت شـاعـر فـاحـمل على تـوافق الخـواطر

نحـو المعـانى الشـعـرا قُـصّاد وفى المـقـال يسـبق الأرصـاد

ومـذ بدا فى حلة بـهـيـه سـمـيـتـه جـمـال الأجـرومـيـة

فـيـه تحاشـيـت ارتكاب الحـشـو وليس فى وسـعى اجتناب السـهو

وربما اقـتـضى المقـام بسـطا أو اخـتـصـارا أو قـضى بالوسطى

لسـان حـال هذه الـصناعـه يـبـدى جميل الـصفح عن رفـاعه

إذ ظلّ بعـدمـا بشـخـصـه ألمّ ليس لـه ظل سـوى ظـل قلم[2]

لـكنـه أبـرزه عـروسـا تلوح من بـروجـهـا شـمـوسـا

تروى بهـاءها عن الصنـهـاجى وعـن سـراج ذهـنـه الوهـاج

والآن حـان البـدء فـى المرام وأسـتـعـين الله فـى الإتمام

(١) يحيى بن موسى (المتوفى ٨٩٠هـ ١٤٨٥م) وهو فقيه أصولى ناظم.

(٢) فى هذا البيت يحدد الطهطاوى تاريخ نظمه للأجرومية هذا.. فلقد كان ذلك فى أثناء عزله من وظائفه فى المدة من سنة ١٨٦١م حتى تولى الخديو إسماعيل الحكم سنة ١٨٦٣م. ولقد طبعت هذه المنظومة سنة ١٨٦٣م.

(تعريف الكلام)

كلامهم لفظ أفاد السامعا معنى كأبصرت الهلال لامعا
أقسامه: اسم ثم فعل حرف فى قولهم قضى بهذا العرف
الخفض والتعريف والتنوين علامة الاسم بها تمكين
للفعل قد وسوف ثم السين وتاء تأنيث لها تسكين
والحرف عن دليل كل منهما خلا وللدليل نصا عدما

(باب الإعراب)

إن عامل غير آخر الكلم فذاك بالإعراب فى النحو عُلم
إن قلت: جاء زيد الذكى فإنما إعرابه لفظىّ
وإن تقل: جاء الفتى المفدى وكم شجٍ يرجو وصال سعدى
كذا: غلامى قابل للفهم وقد أتى القاضى لفصل الحكم
فإنما إعرابه مقدر وفيه الاستثقال والتعذر
أقسامه: رفع ونصب يستوى اسم وفعل فيهما كما رُوى
والخفض من خصائص الأسماء والجزم للأفعال بالولاء
فتلك أربع وكل واحد له علامات بث للقاصد

(باب معرفة علامات الإعراب)

للرفع ضمة وواو وألف كذا ثبوت النون فيه قد أُلف
فرفع مفرد بضمة عُلم كجمع تكسير وتأنيث سلم
والضم فى مضارع لم يتصل شىء بآخر له نحو: يصل
تقول: زار مصرنا الخليفة مشّرفا فحمدت تشريفه

هبــــاته تنبى عن الســـخـــاء　　وتفـــتح الأبـواب للرخــــاء

فى مـوضعـين الرفع بالواو اتضح　　جـمع مـذكـر به الآخـر صح

كـالـطيـبــون فى الحيـــاة فــازوا　　والصــالحون بالجــزاء امتـــازوا

وخـمسـة الأسـمـاء وهى ظاهره　　نحـــو أبوك ذو هـبـات وافـــرة

أخـو الفتى حـمـو الفـتاة الحسنا　　وإن بدا فـــوها أضــاء حُــسنا

أمــا هنوهـا فــالسكوت عـنه　　أولى وحكـم النقص خـيـر منه

بــألـف يــرتـفــع المـثـنـى　　كـقــولك: الظـبـيـان فـرًّا منا

وخـمسـة الأفـعــال بالنون ارفع　　كـيسـمعـان القـول خيـر مسـمع

لا ينبـــغى تبـــغـون مـــا يزول　　وأنت تـصــغــين لما أقـــول

للنـصب فــتــحــة ويـاء وألف　　وكـسـرة والنون حـيث تنحـذف

فـالـفـتح فى المفـرد والتكسـيـر　　كـيـا إله العـرش كن نصـيرى

ويا رجـال الغـيب كـونوا شفـعـا　　لمن نـحــا طريـقكم واتبـعــــا

وانصب بهـا مـضـارعـا إذا خـلا　　آخـــره مما بذاك اتـصـــلا

وهو ضــمـــيـر الرفع والـنونان　　فـــاحكـم لـه إذًا بحـكم ثـان

تقــول: أهوى أن أعــيش عــالما　　وأن أُرى من كل جـــهل ســالما

باليـاء نصب الجـمع ذى السلامـة　　وللـمــثـنى نصـبـــه عــلامـــه

تقــول ســرت الخـافــقــين طرا　　وزرت كل المشـــرقـــين قـطرا

فـــمــا وجـــدت المؤمنـين إلا　　أعـــــزة لا يـحـــــملـون ذلا

وانصب بكـسـر مـا بتـاء وألف　　قـد صح جـمعـه كـربات الحلف

والاغنيـــا صـــادوا بفـخ المال　　صـويحـبـات الحـسن والجـمـال

وانصب بحـذف النون فرد مسألة　　خـمـسـة أفـعـال تسـمى الأمـثلة

كـالحــاســدون قلَّ أن يســودوا　　والبــاخـلون الدهر لـن يجــودوا

فالحسد الذميم والبخل معا تعاهدا فى الوغد أن يجتمعا
لا بدع يا سعاد أن تميلى إلى كريم ماجد نبيل
بفتحة أو كسرة أو ياء يخفض ما يأتى من الأسماء
فمفرد منصرف بالكسرة يخفض بل جموعه المكسرة
بها تُجر إن تكن منصرفه وجر بالفتحة ما لن تصرفه
غير مُحلىّ أو مضاف كعمر زينب عثمان وأشياء أُخر
وفى المثنى اليا وجمع سالم وخمسة الأسما كذى المكارم
علامة الجزم السكون وهو فى مضارع صح وإلا فاحذف
فجزم ما اعتلّ بحذف العلة كنحو لم أرض التصابى ملّه
واجزم بحذف النون فى الأفعال الخمسة الكثيرة الأمثال
لا تسمحى بالعقد ما لم يسمحوا بالنقد فالصفقة نقدا تربح
وإن تتويا شاهد مقرر وإن يريدا مثله إذ يذكر

(فصل)

والمعربات عندهم قسمان وليس ثم ثالث للمعانى
بالحركات الكل قسم يعرب وآخر إلى الحروف ينسب
كلاهما مبين فيما سبق منتظم أحسن نظم ونسق

(باب الأفعال)

والفعل إما ماض أو مضارع ... أو أمر إذ ليس هناك رابع
كنحو قام أو يقوم خالد ... والفتح للماضى عليه شاهد
والأمر يبنى على ما يجزم ... به مضارع له نحو ارحموا
من بينها قد أعربوا المضارعا ... وقد أتى التجريد فيه رافعا
وإن عليه تدخل العوامل ... نصبا وجزما فهو أيضا قابل
وبدؤه بالحرف من نأيت ... ومثله أتين أو أنيت
وانصب مضارعا بأىّ ناصب ... من الحروف العشرة النواصب
كأن ولن وإذن وكى ولامها ... كاعلم لتشفى النفس من آلامها
لام الجحود مثلها فى النصب ... كلم يكن ليستميل قلبى
وانصب بحتى نحو حتى يرجعا ... كذا بفاء أو بواو وقعا
جواب إحدى التسعة المنظومه ... فى قوله: مُرْ وأنْهَ ذى معلومه
وانصب بأو وهى بمعنى إلا ... أو كإلى أو مثل حتى فعلا
واجزم مضارعا بلم ولما ... تقول: لم يدّع فلان علما
وهمز تقرير عليهما بدا ... نحو ألم نشرح بهذا وردا
واجزم بلام الأمر والدعاء ... ليُنْفِق أو ليقض بالسواء
ولا لنهى ودعاء تجزم ... ومنه لا تطغوا ولا تحرّموا
وهذه تجزم فعلا واحدا ... وغيرها لاثنين جاء واردا
فاجزم بإن فعلين أو ما بعدها ... كإن تَزُر هندا تصادف سعدها
ومثله ما تفعلوا من خير ... من يأتنا يأمن جميع الضير
مهما يكن عند امرئ وإذما ... تحضر هنا تجد لدينا علما

أيّ وأيان وأنّى جازمة ... في حيثما وكيفما ما لازمه
كما بإذما وهي قد تقدمت ... بدون ما إذا بشعر جزمت

(باب مرفوعات الأسماء)

وكلما الأسما أتت مرفوعه ... فإنها في سبعة مجموعة
ففاعل ونائب والمبتدا ... وخبر واسم لكان قد بدا
وخبر لأن ثم التابع ... لواحد كنعم ذاك الطائع

(باب الفاعل)

وارفع بفعل أو بشبه فعل ... فاعله مؤخرا كقولي:
جاء الفتى الفائق حسنه القمر ... يزري قوامه الغصون مذ خطر
وعمت البلوى بكفران النعم ... لكنّ بلوى المن والأذى أعم
وذاك إما ظاهر أو مضمر ... كظفر الأمير أو سيظفر
ونحو قد عشقت ظبيا أهيفا ... وكيف صادفت المحل الأشرفا
وأنت يا هند نسيت العهدا ... وما حفظت للمحب ودّا
ويا خليليّ ادخلا هذا الحمى ... لكي تفوزا بالقرى وتكرما
ويا ذوي العشق احذروا العُذّالا ... وإن عشقتم فاعشقوا غزالا
هيا بنا نعشق غزلان النقا ... ونثني نحو العفاف والتقى

(باب المفعول الذى لم يسم فاعله)

وإن ترد ما لم يسمّ فاعله ... فالفاعل احذفه ويبقى عامله
فيرفع المفعول بالنيابة ... كتُلِيَت فضائل الصحابة
وإن ترد حقيقة الوصول ... إلى بناء الفعل للمجهول
فضمّ فى الماضى هديت الأولا ... وكسر ما قبل الأخير يجتلى
وفى مضارع يضم الأول ... للفتح ما قبل الأخير ينقل
كقيل يا أرض وغيض الماء ... وقضى الأمر ويشفى الداء
ونائب الفاعل أيضا ينقسم ... لظاهر ومضمر كما علم
كما تقول: قد رزقنا المالا ... وكم منحنا فى الملا آمالا

(باب المبتدأ والخبر)

والمتبدا اسم رفعه تقررا ... بمعنوى عامل فيه جرى
خبره المرفوع أيضا يسند ... إليه كى يفيد معنى يُقصد
مثاله فى: قل هو الله أحد ... محقق وبعده الله الصمد
والمبتدا قسمان قسم مظهر ... كالصدق خير والأخير مضمر
نحو أنا الله فذاك وارد ... نحن الالى أيضا عليه شاهد
خبره منقسم قسمين ... لعدم الخلو عن هذين
فمفرداً يأتى وغير مفرد ... وبالأخير عندهم لم يقصد
سوى وقوع جملة أو شبهها ... كيما تفيد عن إخبار بها
مثال هذا القسم زيد يتقى ... مولاه فهو للنعيم ما بقى
والفوز دوما فى اتباع الشرع ... والأصل قد ينمو بطيب الفرع
والصبر عقباه زوال الشدة ... والبِشْر طبعا يجلب المودة

وعندنا معاشر الإسلام للضيف أقصى غاية الإكرام
فهذه الأمثلة الموضحة أتت لغير مفرد لتشرحه

(باب كان وأخواتها)

ترفع كان المبتدا ويدعى اسما لها وليس ذاك بدعا
وكونها ناصبة للخبر متسلم فى رأى أهل النظر
فى حكمها أمثالها كأمسى أصبح أضحى بات ظل ليسا
صار ومالها من النظائر كاليوم صار البخل غير ضائر
ومثله ما برح الحبيب مواصلا مذ ذهب الرقيب
ما انفك خلى راثيا لحالى ما فتئ العذول لا يبالى
ما زال ربى رازقا وناصرا ما دمت حيا شاكرا وصابرا
وكل ما من هذه تصرّفا فهو بحكم أصله قد عرفا

(باب إن وأخواتها)

تعمل إن فى كلا الجزأين بعكس ما لكان فى الحالين
ومثل إن ذات كسر الهمز أن بفتحها لكن ليست وكأنّ
كذا لعل ثم إن تَرد فى جملة لحكمها تؤكد
كقولهم إنّ أجلّ الناس فى البأس والجنود بنو العباس
لأنهم فى سائر الآفاق قد نشروا مكارم الأخلاق
وإن تشبّه قل كأن العلما نور وما ذو الجهل إلا أعمى
وعند الاستدراك قل جاد الرشا لكنّ عاذلى علينا قد وشى
قل إن تمنيت الصبا أن يرجعا يا ليتنى كنت صبيا مرضعا

وفى التـــرجى قل لـعلّ المولى يديـم من إحـســـانه مـــا أولى
لـعله بالـفــــرج القـــريـب يجـــيـــرنـا من زمن مــــريب

(باب ظن وأخواتها)

وانصب بـبــاب ظن مــفـعـــولين كـــانا عـــبـــارة عن الجـــزأين
أى مــبــتـدا وخـبـــر قـــد بطلا حكمـــهـــمـــا بفـعل قلـب دخـلا
أفـــعـــال هذا البـــاب ظن زعـمـــا خلت حـسبت واتـخـذت علمـا
رأى سـمـــعت وجـعلـت وجـدا نحو وجدت الصـدق عونا منجدا

(باب التوابع)

هـنا تـوابع لـهـــــا تحـــديـد نعـت وعطـف بدل توكــــيـــــد

(باب النعت)

النـعت تابـع لذا المنعــــوت فى الإعـــراب والتنكيـــر والتـعـــرف
كـذاك فـى التـأنيث والـتـذكـيـر إذا جـــرى عليـــه بـالضـــمــيـــر
وهو إذا يـتــــبـــع فى الإفـــــراد تثنيـــة جـــمــع لدى التـــعــداد
فـذاك بـالنعت الحـقـيــقى لقب ومـا ســـواه فـهـــو نعت سـببـى
تقـــول: فـــاز زيـد الشـــجـــاع وصـحـــبــه المخلّـفـون ضـاعـوا
وهند المســـعـــود حظـهـــا وفت وهذه الدنيـــا لقــوِم قـد صـفـت
وكم رأيـت عــــالما تـقــــيــــا بعلمــه الســامى عــلا الـثـريا
فـإن يك اسم شـاع فـى الجنسيـة ليـس لفـــرد فـــيــــه أولـوية
فـــســــمــــه نكرة ويـقـــبـل رُبّ وأل أيضـــا عليـــه تـدخل

وغـيـره فـهـو مـن المعـارف وقـد تبـدت خـمـسـة لـلعـارف
فـمـضـمـر يذكـر قـبـل العلم وذو الأداة جـاء قـبـل المبـهـم
فـتلـك أربع وذو الإضـافـة لواحـد وقـد حـوى أوصـافـه
مـثـالـه أنت كـزيـد هذا أو كـالـذى بـه الذكـى لاذا
هذا غـلامى وهو صـهـر الرجل وعـبـدك الراجى بلـوغ الأمل

(باب العطف)

عطف البـيـان تابع مـفـسـر والنسـق العطف بحـرف يذكـر
كـالـواو والفـاء وأو وثـمـا وبـل وأم ولا ولـكـن أمّـا
مـسـبـوقـة بمثلهـا وحـتى فـالـعطف بالعـشـر هنـا تأتىّ
ويتـبـع المعطوف فـى الإعـراب متـبـوعـه رفـعـا وفى انـتـصـاب
والخـفض والجـزم كـجـاء الجند حتـى الأمـيـر والفـتى والعـبـد
وقد عـهدت الصـدق والصـلاحا للأمـرا وغـيـرهم سـلاحـا
سـادوا متى شـادوا ذرى العـدالة وهدمـوا دعـائم الضـلالة

(باب التوكيد)

وأتبع الـتـوكـيـد للـمـؤكـد فى الرفع والنصب وخـفض تهتـد
وهو بـألفـاظ له مـعـيـنة كـالنـفس والعـيـن وكل بيـنه
وأجـمـع ومـالـهـا من تـبع كـأكـتـع وأبتـع وأبصـع
كـجـاء زيد نفـسـه والناس أعـيـنهم ومـا بقى يـقـاس
وسَمِّ هـذا القـسـم مـعـنويا لا لا أبوح سـمـه لفـظيـا
كـذا أتى أتاك واحـبس احـبس ومـثله إن تـقل: اجلس اجلس
وإنما الـلـه إلـه واحـد توكـيـد وصف ليس فـيـه شـاهد

(باب البدل)

ين الأسامى يحسن الإبدال كذا تكن بينها الأفعال

فيتبع المبدل منها البدل فى كل إعراب قضاه العمل

وبدل الشىء من الشىء ورد وبدل البعض من الكل اطرد

وغير هذا بدل اشتمال وغلط فى نادر الأحوال

نحو جبى الساعى عماد الدولة مال الزكاة ثلثيه حوله

ينفعنى علم الفتى رسائله وقد دهانى جاهل مسائله

وفى أصيد زيد الغزالا وأبغض الأحبة العذالا

إن صدر الأول عنك غلطا فاقصد بإبدال إزالة الخطا

فهذه أربعة أقسام بها يتم ههنا المرام

(باب منصوبات الأسماء)

وخمس عشرة من الأسماء منصوبة نصا عن استقراء

فتلك مفعول به والمصدر وعنه بالمطلق أيضا عبروا

ظرف زمان ومكان عدّا اثنين والمفعول فيه سدا

والحال والتمييز والمستثنى كذا اسم لا لنفى جنس يعنى

كذا المنادى بعده المفعول له ومعه ككيف أنت والوله

وخبر لكان وإسم إنا توابع المنصوب حيث كنا

(باب المفعول به)

وحدّ مفعول به: ما وقعا عليه فعل نحو نرضى الشفعا

وقد نعى العلم الهمام «الذهبى» مجتهد العصر إمام المذهب

لظاهر ومضمر ينوّع ... ومضمر قسمان فيما يسمع
فأول متصل والآخر ... منفصل وفرق كل ظاهر
متصل مثاله فى الذكر ... آية: ما فعلته عن أمرى
والثانى فى إياك قبل نعبد ... وقبل نستعين إذ تستشهد
كلاهما اقسمه إلى اثنى عشرا ... وسردها قبل مضى محررا

(باب المصدر)

والمصدر انصب فى ضربت ضربا ... وحارب الأعدا الأمير حربا
وثالثا يأتى لدى التصريف ... لفعله فى صرفه المعروف
وسمه إن شئت بالمفعول ... وصفه بالمطلق كالأصول
ومنه لفظىّ ومعنوىّ ... قمت وقوفا مثل جلىّ

(باب ظرف الزمان وظرف المكان)

اسم الزمان انصبه إن ضمن فى ... معنى وقل وقت الصباح شرّف
وسمه ظرف زمان كغدا ... ودائما وأبدا وأمدا
والليل والمساء والصباح ... وكالضحى والآن والرواح
والحين والدهر ولفظ سحرا ... وعتمة وغدوة وبكرا
كصمت شهر رمضان كله ... مع اعتكافه وقمت ليله
وطول دهرى لم أزل وفيا ... للأصدقا ودائما صفيا
والقوم إن فازوا مساء بالقرى ... عند الصباح يحمد القوم السّرى
وإن أتيتنا طلوع الشمس ... أصبحت عندنا تمام الأنس
ومكثرو لومى غداة البين ... حكّمت ربى بينهم وبينى

قــد ذقت ســاعــة الـفــراق المرّا وغبّ هذا مـا اسـتـطعت صـبـرا
ظرف الزمـان اسم المكان ضـمنا مــعـنى لفى ونـصـبـــه تعـيـنا
ومن ظروفـه الجــهــات الست أمــــام خـلف فـــوق ثـم تحت
وراء قـــــدام وعنـد وكـــــذا تجــاه تـلقـــاء إزاء وحـــذا
هـنـا وثـم بيـن إذ تـقـــــول تحت الـظلال يحـسن المقـــيل
مـلائك الرحـمـن حـول العـرش وغـيـرهم كـالطيـر حـول العش
وكم مـجـاور حـذاء الكـعـبـة وعـــــابـد هنـاك يـرضى ربـه
وكم فـتى تلقـاه تلـقـا طيـبـه على مـحـيـاه البـهـا والهـيـبـه
كل من الـظرفـيـن بالمفــعـول فـيـه يسـمى طلـب الشـمـول

(باب الحال)

مـا فـسـر الهـيـئـات عن إبهـام حــال كـجـئت راغب الإكــرام
فــانصبـه قـائلا أتيت راكـبـا واليــوم ودعت الحـبـيب ذاهبـا
ركـبت ذيّاك الجـواد مـسـرجـا لأقطع الـبـيـداء ليـلا مـدلجـا
ثم انتـضـيت الـسـيف مـشـرفـيـا كـمـا اعـتـقلت الرمـح سمـهـريا
ولا يكـون الحــال إلا فـــضـله نـكرة بـعــــد تمـام الجـــملة
صـاحـبـهـا قد عـهـدوه مـعـرفـه وقـــد أتى نـكرة ذات صـــفــة
كـــعند زيد حـــسنـا كـتــاب مـــا رقـــمت نظـيـره الكـتّـاب

(باب التمييز)

تفـــسيـــرك الإبهــام فى الذوات يدعَى بـتـمــيــيــز لدى النحــاة
فـانصب وقد طاب الأمـيـر نفسـا وصح مـعـنى خــالد وحـــســا

وحـزت عـشـرين غـلامـا ملكا وكم نظـمت للمـعـالى سـلكا
وها أنـا أسـعـد منـك جـدّا مـع أننـى أبـهـى أبا وجـدّا
ونكروا التـمـيـيـز مـثـل الحـال لكنـه عن الاشـتـقـاق خـالى

(باب الاستثناء)

حـروف الاسـتـثـنا ثـمـان: إلا غـيـر سـوى بكسـره اسـتـهـلا
سُـوى بضـم وسـواء مـدا خـلا عـدا حـاشـا وتمت عـدا
فـمـوقـع النـصب بإلا عـمّـا كل كـلام مـوجب قـد تمـا
تقـول قـام القـوم إلا زيدا وجـاءت الـنسـوة إلا هـندا
وإن بدا الـنفـى مع الـتـمـام فـأنـت بالـتـخـيـيـر فى الأحكام
فى نحـو مـا قـام الصـحـاب إلا مـعـربد قـد فـارق الأخـلا
أبدل أو انصـبـه علـى اسـتـثـناء على لـغـات العـرب الـعـرباء
وحـيثـما الـكلام بالنقص اتصف وقد قـضـى العامـل فيه وانتـصف
تقـول مـا اسـتـقـام إلا خـالد ومـا اهـتـدى للعـدل إلا المـاجـد
ولم أبـع بالبـخس إلا عـبـدا ولم أبـح إلا بسـر سـعـدى
مـا بـعـد غـيـر وسـواء وسـوى كسـرا وضـما فـعلى الجرّ احـتوى
مـا بعـد حـاشـا وخـلا كـذا عـدا فـنـصـبـه وجـره قـد وردا
تقـول لا أمـلك غـيـر درهـم ومـا سخـا سوى جمـيل الشـيم
لاح البـدور ما عـدا الوجه البـهى وذهـبـوا حـاشـاه لـلمنتـزه

(باب لا التى لنفى الجنس)

وإن أفـادت لا انتـفـاء الجنس كـلا أنيس عـندنـا بالأمـس

تعمل مثل أنّ لكن ما جرى عملها فى غير ما تنكرا
فنصبها للنكرات اختصا بنفيها للجنس منها نصا
إن باشرت فى الحس ما يسمى اسما لها كلا غلام ثَمّا
وعند الانفصال كررٍ وارفع مدخولها على ابتداء الموقع
تقول لا فى الحبس مسجون ولا مكبل ولا مدين ذو ولا
وإن تباشر لا مع التكرار مصحوبها فأنت بالخيار
ما بين إعمال وإلغاء فلا لغو ولا تأثيم فيها قد جلا
نصب اسمها إن كان غير مفرد حَتم كلا حليف عدل يعتدى
لا ناهضا نحو فلاح هالك لا رائضا ذات جماح سالك
فإن تلاها مفرد فقد وجب له البنا كلا قتال فى رجب

(باب المنادى)

وللمنادى خمسة أنواع فى حقه أوجبها السماع
العلَم المفرد ثم النكرة مقصودة الشخص لدى من ذكره
والغير مقصود بها معيّن ثم المضاف وهو أيضا بين
وشبه وهو الذى تعلقا شىء تمامه به تحققا
والأولان سميا بالمفرد سوى البناء فيهما لم يرد
لكن بناهما على ما أعُربا قبل الندا حالة رفع وجبا
تقول يا زيدان يا زيود يا هند يا هندات يا هنود
يا سيدان يا محمدونا يا مسلمون باللقا انجدونا
يا رجلا خذ بيدى من أعمى يا سيدا ما أنت جاء نظما
يا راكبا إما عرضت بلغا صحبى بأنّ القرب منهم فرغا

يا ربة الجمـــال يا رب النهى يا من علا كماله على السها
ويا عـريقـا أصله وحسبه ويا رفـيقـا طبعه وأدبه
ويا بديع الحسن والجمال يا باخـلا بالوصل أو بالمال
يا مطر ويا عديّا فى الندى منونين لاضطرار وردا

(باب المفعول لأجله)

وإن تراسما فضلة منتصبا دل على وقوع فعل سببا
فذاك مفعولا لأجله دعى كهاجر السنىّ خوف البدع
خضعت إجلالا لرب الناس وزرت صحبى طلب الإيناس

(باب المفعول معه)

وانصب بذات الفعل مفعولا معه وذلك اسم الاصطحاب أوقعه
عقيب واو تُفْهِم المعيه لفاعل الفعل بها الجمعيه
نحو أتى الأمير والجنودا وقفل الخبير والعبيدا
وسرت والنيل وسِرْ والعقبة فهنا الماء استوى والخشبة
وكيف أنت وجريت تمر وكيف زيد وصروف الدهر

(بقية المنصوبات)

أخبار باب كان واسم إنّا وتابع المنصوب حيث عنّا
تقدمت فى السبعة المرفوعة محمولة فى بابها موضوعة
وسابق فى الذكر لا يعاد وإن يُراجع يفهم المراد

(باب مخفوضات الأسماء)

عـــوامل الخـــفض هنا ثلاث　　إلى النهى مـن علمـهـا انبـعـاث

فاخفض بحرف أو مضاف أو تبع　　والخـفض بالإتبـاع غـيـر مـتـبع

وإنما بـخـــافض المتـــبـــوع　　يجـــر تابـع لدى الجـــمـــيع

حـروف جـر مـن إلى وعن على　　وفـــى ورب فـــى مـنـكـــر تـــلا

والبـــاء والكاف كـــذاك اللام　　وأحـــــرف فى قــــسم تـرام

فـــالواو والبـــاء وتا فى الحلف　　وأخـفـض بمذ منـذ وحـتى إن تف

وبالمضـاف اخفض على المشهور　　وذاك قــسـمـــان لدى التــقـــدير

قـــدر بـلام نحـــو كـــسب عـــز　　ثم انـو مِنْ فى مـــثل ثوب خـــز

وباب ســاج للهنـا مـفـــتـــوح　　مـــوصـل للنصـــر والفـــتـــوح

ومـــثلـه خـــاتم فـــضـــة بـهى　　فـــابـدأ بحـمـــد الله ثم اخـتـم به

قـد انتـهى جـمـال الأجـرومـيـة　　بكرا عـــروبا غـيـــر أعـجـمـيـه

والحـــمـــد لـله على الإعـــراب　　عـمـا انطوى فـيـهـا بلا إغـراب

وأفـضل الصــلاة والتـحـيـة　　علـى النبـىّ ســـيـــد البــــرية

وآله وصـــــحـــبــــه الـكرام　　فى حـسـن مـبـدأ وفى اخـتـتـام

* * *

مقدمة وطنية مصرية

{نثر وشعر.. أفرده الطهطاوى للحديث عن وطنه الصغير طهطا.. وإقليم الصعيد.. وطنه الأم: مصر..

كتبت وطبعت سنة ١٢٨٣ هـ (سنة ١٨٦٦م)..}

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من أودعت فينا حب الأوطان، وجعلته من شعب الإيمان، ونصلى ونسلم على صاحب المقام الأعظم، الذى شرع الدين بموطنه الأولى ونظم، ونستفتح أبواب الخير والسعادة، ونستمنح اجتلاب أعلى درجات السيادة لمن أسبغ على مصر نعمة تنعيم البال، وغبطة الحال والاستقبال، ومنّ عليها بمنة الحقوق الوطنية، وأوجب لها على نفسه واجبات حقوق الإنسانية، وحتى أنشد فيه لسان حالها:

ان كنت فى شرف العلا كلية   فهواك منى شامـل الأجـزاء

فلـذاك يمتنع التناقض بيننـا   وقياسـه يأتيـك بالأنبـاء

ألا وهو عزيز مصر إسماعيل، جليل المساعى سليل الخليل[1]

فأصبحت فيها مليكا عزيزا   مُعَانـا مُعينـا مَثابـا مُثيبـا

تحكم فيمـا تملكـت منهـا   حساما ضنينا وكفًّا خصيـبا

لا زال توفيق الإله له ملازما، ولا برح سر الأصل للفرع لازما

فلأنت بدر السعـد وهـو هلالـه   ولأنت سيف المجد وهو السمهرى

(أما بعد) فإن حب الوطن من الإيمان، ومن طبع الأحرار إحراز الحنين الى

---

(١) أى سليل إبراهيم باشا بن محمد على باشا الكبير.

الأوطان، ومولد الإنسان على الدوام محبوب، ومنشؤه مألوف له ومرغوب، ولأرضك حرمة وطنها، كما لوالدتك حق لبنها، والكريم لا يجفو أرضا بها قوابله، ولا ينسى دارا فيها قبائله، فإنى وإن ألبستنى المحروسة نعما، ورفعت لى بين أمثالى علما، وكانت أم الوطن العام، وولية الآلاء والإنعام، وأحبها حبا جما، لأنها ولية النعما.

وقضيت فيها الأربعين مجاورا كرام السجايا والبحور الطواميا

فلا زلت أتشوّق إلى وطنى الخصوصى وأتشوف، وأتطلع إلى أخباره السارة وأتعرف، ولا أساوى بطهطا الخصيبة سواها، فى القيام بالحقوق وإكرام مثواها.

منازل لست أهوى غيرها سقيت حيا يعم وخصت بالتحيات

وأمنحها زمنا بعد زمن الزيارة، وأجدد فيها من هبات الحكومة العمارة، وأبذل فى محبتها النفيس لتحصيل الأراضى للزرع والغرس، وافتخر بها كما افتخر عصام بالنفس، وأنشد قول الحافظ كمال الدين الأدفوى[1]:

أحن إلى أرض الصعيد وأهله ويزداد وجدى حين تبدو قبابها
وتذكرها فى ظلمة الليل مهجتى فتجرى دموعا إذ يزيد التهابها
وما صعبت يوما علىّ ملمة وشاهدتها إلا وهانت صعابها
بلاد بها كان الشباب مساعدى على نيل آمال عزيز طلابها
مواطن أهلى ثم صحبى وجيرتى وأول أرض مس جلدى ترابها

فتوفق لى من نعم الله الجزيلة، ومن هبات ولى النعم الوافرة الجليلة، منحى برزقة[2] جديدة وضم الطريفة الى التليدة، بهذا البندر المعمور ليكمل الحظ

---

(١) جعفر بن ثعلب (١٢٨٦ ـ ١٣٤٧م) فقيه وأديب ومؤرخ، مصرى. . اشتهر بكتبه التى ترجم بها للأعيان والعلماء، خاصة أبناء صعيد مصر.
(٢) البرزقة هى الأرض المعفاة من الضريبة.

الموفور، فكانت هذه النِّحلة سببا لتجديد الرحلة، وتسبب عن هذه الصلة والإنعام، صلة الأقارب والأرحام.

فأخذت فى أثناء رمضان المعظم كتابى باليمين، لأربض فى ديارى ربض الليث فى العرين، وأجمع الحواس مشتغلا بما فى يدى من الترجمة والتأليف، مع آداب الدعاء لولى النعم فى هذا اشهر الشريف.

ومن عادتى أنى فى أثناء السياحة كالإقامة، أجيد النظر وأجيل الفكر فى كل رحلة ومقامة، لأروح الخاطر بما تجدد من المحاسن والمآثر، وتزايد فى وطنى من آثارالمفاخر، من الخير العاجل، لما أنه عنوان الآجل. فرأيت على سواحل النيل فى هذه الدفعة، ما يؤذن بازدياد علو الشأن وسمو الرفعة، مما طوقه ولى النعم من العلا لجيد مصر الجميل، وابتهجت به من حين الولاء من حسن المنظر الجليل، بما كمل ولى النعم بالبلاد نسجه، وجمل لمصلحة العباد نهجه، وما بذله فيها من الجاه والمال، لإبلاغها أسمى درجات الكمال.

وإذا تباع كريمة أو تشترى فسواك بائعها وأنت المشترى

مع ما يضاف إلى ذلك من حسن توزيع المياه، الذى أنعش روح القطر المصرى وأحياه، إذ لا شك أن رزق مصر فى تصريف النيل، وما يصرف فى مصلحته معدود من الأثر الجميل، وكان قبل ذلك لا تعرف كبار القرى والبنادر إلا بارتفاع المآذن والمنابر، والآن صارت وابورات الزراعة والصناعة كالأعلام يهتدى بها السارى فى الظلام، آيات زخرف حواميمها الشامخة الحسان، تفصح من الفجر إلى الليل عن سورة الدخان، وتنبعث من حياضها على الرياض جداول المياه بحسبان، والنجم والشجر يسجدان.

وللمياه ابتسام فى جداولها كما تشق جيوب فوق لبات

حدائق أحدقتها للمنى شجر خضر وأودية حفت بروضات

لا سيما وابورات الروضة البهية، وما حولها من المزارع النضرة الزهية، ولإنشاء الوابورات أولو الهمم العالية يساقون، إذ واحدها يسبق أمة من الناس يسقون،

وبجوارها فى حافتى النيل ميمنة وميسرة تصفق أجنحة الوابورات الطائرة بالأبخرة، محاسن تأنس بها النفوس، ومباسم تنفى العبوس والبوس، أبيض بها وجه الصعيد بعد السواد، وزها بالخضرة والنضرة عن سواد العراق وساد.

ديار مصر هى الدنيا وساكنها هم الأنام فقابلها بتفضيل

يا من يباهى ببغداد ودجلتها مصر مقدّمة والشرح للنيل

فالوابور لكسر قلب البورجابر، وجالب لجباة المعمور إكسير جابر[1].

وليست الكيميا فى غيرها وجدت وكل ما قيل فى أبوابها كذب

فالبركة فى الصعيد، وبالوابورات تنمو أضعافا مضاعفة وتزيد.

صعيد تظهر البركات فيه وتبيض المطالب وهى سود

وعما قريب يبدو به مبهج جديد بسلوك منهج الحديد[2]، الصادر عن عزم شديد، وحزم سديد، يكون به للنجامة الحركة، وللتجارة اليمن والبركة، فلو شاهد العمران[3]، ما تجدد فى هذا العصر من العمران، من نفحات العزيز الزكية، ولمحات أنوار ذكائه الملكية، وإدارة عزائمه الفلكية، لحكما له بأنه قد أعز التاج اليوسفى[4] يقينا، وتلا كلاهما ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾[5] فكيف وفى أيامه تجددت الدور العالية، والقصور السامية، والطرق الوسيعة، والجسور والقناطر المصنوعة على الترع والخلجان الجديدة بأعلى صنيع وأعلى صنيعة، كما كثر إحياء الموات، ورخاء الأقوات، وصون البلاد فى الداخل والخارج، وتكميل نظامها عل أكمل المناهج، مع كمال الأمْنيّة الممتدة من الإسكندرية إلى أقصى البلاد السودانية.

---

(١) الإشارة إلى جابر بن حيان، العالم العربى المبرز فى علم الكيمياء.

(٢) أى طريق السكك الحديدية.

(٣) لعل المراد: عمر بن الخطاب، وعمر بن عبدالعزيز، فهما مضرب المثل فى عدل الحكام.

(٤) صاحب التاج اليوسفى.. هل هو يوسف الصديق، الذى تولى مسئولية خزائن أرض مصر؟ ربما.. أم هو الملك يوسف صلاح الدين الأيوبى؟.. ربما أيضًا.

(٥) الفتح: ١.

فقد شاهدت طهطا كأمثالها من البلدان زادت من العمران بقدر الثلثين، ونالت في ظل العدل من المتاع والعين ما تقر به العين، يروق الناظر ما تجدد في نواحيها من القصور الشامخة، وما تشيد في ضواحيها من القصبات الباذخة، والخانات السامية، والمنازل العالية، وجلها بشبابيك الحديد والبلور والقزاز، التي كانت لا تدرك بالحقيقة إلا على نوع من المجاز، والمساجد العالية المناير، والجوامع الباهية المنابر، لا سيما جامع القطب الرباني والفرد الصمداني، الذي ثغور أسراره في مطالع تلك الآفاق بواسم، ذي المقام الحسيني سيدي أبي القاسم، وكذلك الهياكل المرتفعة، للتبعة وغير التبعة، والحدائق المثمرة والبساتين، وسواقي الحديد المكثرة للماء المعين، وحمام لطيف يباهي حمام مطوش باشا بالإسكندرية، غير الحمامات المنزلية، والسراية المسمية، التي بين طهطا وساحلها وحديقتها البهية.

ومما يلاحظ في هذا البندر مما يستحق أن يسطر أن بها قنصلية تجارية، عليها راية فرانساوية، ولوحة أرمية بالعلامة الملية، فانظر إلى كمال الائتلاف بعد النفور، وزوال الاختلاف باعتدال الأمور، فهي في درجة العمار والابتهاج، أعمر وأبهى من سوهاج، بل أحسن من جرجا، لو كانت فسيحة الأرجا، وكذلك أيضا ازدحام أجناس التجار على موردها المستعذب، واقتسامهم مع أهلها طيب العيش والمكسب، والعادة أن ما ينمو من الأراضي ويخصب، ينتجع إليه قحطان ويعرب، فتراهم إليها من كل حدب ينسلون، وفيما حولها من البلدان والقرى يتسللون، لا سيما أن ما حولها من النواحي التي ليست ببنادر، فإن التمتع بهناء العيش فيها ليس بنادر، بل تكاد القرى أن تنافس الأمصار، فقد رأت في هذا العصر ما لم تر مثله في سائر الأعصار، حيث تعالت فيها الأبنية الجديدة، وتغالت في تحصيل الأمتعة النفيسة المجيدة، وتزينت دورها بالتحائف الابتهاجية، واللطائف الإفرنجية، فلا تجد بهذه القرى شيخا أو عمدة إلا وعنده لحسن القرَى الأدوات والعدة، كما سيفصح عنه المقال، عند ذكر وليمة العقال، وما ذلك على الله بعزيز، حيث سخر لهم المليك العزيز، ففي الحقيقة قد أدى ولي النعمة لوطنه من الخدمة ما تقتضيه العدالة والرحمة، وأجرى فيه من الخيرات الجارية ما نزه به عن أثواب العارية، وغرس فيه من المودة والمحبة ما تقتضيه العدالة المستحبة، فليس بين هذا الوطن وبين

عوده إلى أصله الحقيقى إلا ستر رقيق، وحجاب دقيق، فقد لاحت الإشارة، وفاح عبير الأمارة، برقيق العبارة، من استنارة إسكندر عزمه، واستشارة خضْر فهمه، بأن إحياء مملكته حياة طيبة يكون سريعا ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1] . .

وقس على الشىء بأشكاله يدلك الشىء على الشىء

فعما قريب تنتصب أعلام الطنطنة الملكية تمييزا لفضله، ويرفع الابتداء مقام الملوكية الموطنة إجلالا لمحله، وسيظهر ما صين من الدّر المكنون فى صدف المعالى للوجود، ويبهر الألباب ما صيغ من تاج الإقبال العالى لفرد الكرم والجود، فتدرك الحضرة الإسماعيلية من المعالى قاصيتها، وتملك من المراتب العوالى ناصيتها، وذلك بما استوجبته من فعل الصلاح والأصلح لرعيتها، حيث رعتها حق رعايتها :

أرعى من النجم للرعايا أبهى من الكوكب المنير
قرت به أعين البرايا فاعملوا أكؤس السرور

وبما حصنتها به من العدل الذى هو أقوى جيش، والأمن المستجلب لأهنى عيش، فقضت عن المفرّط من الأهالى استقراض العسر، وأنظرته إلى زمن اليسر، وجنبته وسائل الإسراف، وحادت به عن غوائل الإتلاف

إذا شئت أن تستقرض المال منفقا إلى شهوات النفس فى زمن العسر
فسل نفسك الإقراض من كيس صبرها عليك وإنظارا إلى زمن اليسر

وخففت فى العمليات تقسيم الأعمال، ولطفت فى أوراد التقسيط بربط المواعيد لتوريد الأموال، فأزيلت عجمة الزحمة، وتليت آية ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[2]

قسطت عدلك بين الناس فاعتدلوا وللممالك تقسيط وتقسيم

---

(١) المائدة : ٣٢ .
(٢) البقرة : ١٧٨ .

ولما تلاحظ لمجلس النواب، حل بلاد العهد لمنع الغدر من الأكثر وفك الرقاب، قضت الإرادة السنية بالمساعدة، وحلت الجميع طرد اللباب على وتيرة واحدة، وقد علم علام الضمائر، بأن هذه المكرمة من الأمير على الحرية من أعظم الأمائر. وهذا كله فى ظرف أربع سنوات من هذه الولاية العدلية، الناظرة بعين الرحمة للمصالح الملية المحلية

وصرنا بحمد الله مستبشرين فى أتم ظهور بعد داعية الكتم
وهذا بعون الله رابع عامه وها هو فيه حاسم الظلم والهضم

فلله المستشار الناصح، والمفتش المناصح، والأمين فى إدارة المصالح، والمرشد إلى العمل الصالح. فما دام ولى النعم يتصفح وجوه عماله، وينيط بالنفس والإدارة من الرؤساء كل مجرب فى أطواره وأحواله، ولا يقلد المناصب العالية من ثقاته إلا من يتق الله حق تقاته، ممن لا يحيد عن المناصحة، ذى القلب السليم والجارحة غير الجارحة، لصيانة شعائر المملكة، ومحافظة حقوق الأهالى المحافظين على وداد ولى النعم وبحبل حبه متمسكة، فإنه يحظى دائما بابتهاج السرير بالسرور، ويصفو عيش الرعية باستقامة الأمور، فما أحسن الأمير الذى يصطفى من أخصائه من يصادقه ويناصحه، ويماسيه بالتعاون على صالح المصلحة ويراوحه، وإن كان عقل الأمير لم يستتر إلا بشمسه، ولم يستشر برأيه غير نفسه، لكنه قد يرضى من المشير بما هنالك ومع ذلك فهو السيد المالك، فقد سعدت رعيته بمعدلته، ونالت الرفاهية فى أيام دولته، فبهذا اشتهر عدل مليكنا فى الآفاق، وانعقد على أنه محيى ملك مصر الإجماع والاتفاق، وصار له اسم بهى فى العدل سارت به الركبان، واستقر بدائرة ملكه فنعم عزيز المكانة رفيع المكان.

تجمع فيه ما تفرق فى الورى حقيق بكل المكرمات جديرها
له عزمات دونها كل سيد وفطنته يبدى الخفىّ منيرها
فما سؤدد إلا إليه رجوعه ولا رتبة إلا إليه مصيرها
ولا عجب أن يخدم السعد دولة على بيت إسماعيل وقفا سريرها

فما أحسن هذه الشجرة الإسماعيلية الثابتة الأصول، النابتة الغصون، الباسقة الفروع، السابقة إلى أرجح مطبوع وأنجح مشروع، عقود جوهرية، وكواكب درية، طاب عنصرهم، فلله الجوهر الفرد

*** وما طاب ماء الورد إلا من الورد***

تيمموا أندية الصعيد ففاحت بسائر أرجائه النسائم المسكية، ولاحت على جميع أنحائه أنوار الملكية

مـــا مصـــر إلا منـزل مستحسن   فاستوطنـوه مشرقـــا أو مغربـــا

هـــذا وإن كنتم علـــى سفـر بـــه   فتيمموا منـــه صعيـــدا طيبـــا

عليهم سمة الهيئة والهيبة، وعلامة حسن التودد والمحبة، تسرّت أسارير جبينهم بالسماحة، وتوسم فيهم جميع الأهالى الخير فقضى لهم حاكم العقل بالرجاحة، لا سيما توفيقهم الأكبر، فما رأى أحد نور جبينه إلا هلل وكبر

نجل المعالى رفيع المجـد شب على   فرش الريـاسـة فى أنواب إدراك

شاهده تنظره لا وصف يحيـط بـه   وتدر بالخبر أن قد قصـر الحـاكى

وكنت إذ ذاك بطهطا فأدركت بالاستقراء والاستتباع، والتواتر والسماع، أن بعض محسنات من الشمائل، على علو همة الجميع من أبهر الدلائل، وذلك أن من كانت له ظلامة أو خليا من الخدمة، وتفرس فى أمير منهم المرحمة وعلو الهمة، ولاذ إلى أعتابه المنيفة والتجأ، أصدر إلى الحاكم التنبيه الشفاهى بقضاء حاجته فى صورة الشفاعة والرجا، وأكد على الحاكم فى إنجاز هذا الإحسان، قائلا: لابد فى عـودتى أو عند وصـولى أتفـحص عن راحـة هذا الإنسـان، فـإياك أن تقـول عند حضورى نعم، وتبخل بعد ذلك بمكارم والدى ولى النعم

إذا قلـت فى شـىء نعـم فأتمـه   فإن نعم فرض على الحر واجب

فكان الحاكم لا يتنصل عن الإجابة، ولا يتعلل ما دامت واقعة موقع الإصابة، وكلهم فى المرور والعبور يواسى الرعايا بالمال والجاه، شفقة منهم كوالدهم على عباد الله، فكان لديهم الغنىّ يكرم، والفقير يغنم، والعاجز يرحم، والسائل لا

يحرم، وكل هذا مع البشاشة والطلاقة، وجبر القلوب حسب الطاقة، مع ما يؤذن بالفطرة السليمة، والفطنة المسقيمة.

ومما تستحسنه منهم العقول الحضور إلى وليمة العقال[1]، إجابة لدعوة عمدتها قائمقام أغا عبدالعال، فإنه من مشاهير هوارة الصعيد ورجاله، متمول ومتميز بين أقرانه وأمثاله، له فى زراعة البياض اليد البيضا، ولما تحسنت الأرزاق فى الأيام العزيزية فاض عليه الرزق فيضا، وله ميل إلى اقتناء الخيل النجاب، ولاعتناء الأعراب بتربية النوق العراب، فهو كثير الماشية والحاشية، وشهرته بالزرع والضرع فاشية، ولقربه من أسيوط قصبة الصعيد، وكون منزله المعمور عرضة للوافد من قريب وبعيد، كان دائما متأهبا بالأهبة المدنية، متوافرة عنده أبهة الرفاهية، لو وفد عليه ألف أو أكثر، لا يرتبك من القيام بحقوقهم ولا يتأثر. فلما حصلت واقعة قاو[2] وكانت بجوار بلاده، وأظهر من الصداقة كأمثاله ما كان سبب إسعاده، قوبل من الحضرة العزيزية برتبة القائمقام التشريفية، وفى أيام مسرات العهد الخيرية، ومبرات الذرية الدرية، زين هذا الأغا قريته وأولم، ووسع فى فعل الخيرات من الأذكار والقرآن وغير ذلك كما يلزم، ثم لما علم بقدوم الأنجال الأكرمين، للفسحة وللاطلاع على آثار الأقدمين، وتوسيع دائرتهم فى العلوم التاريخية، وليكون لهم فى تاريخ مصر سهام الأرسخية، بضم العلم إلى العمل، وبلوغ الأمل، بذل من النخوة ما عنده، ليدعوهم إلى تشريفه عند العودة، فضرب لهم القباب والخيام، ونصب لهم الأشائر والأعلام

فى كل أرض يضربون قبابهم لا يمنعـــون تحيــز الأوطـان

وأحضر ما عنده من المفروشات الثمينة، والأدوات النفيسة الظاهرة والكمينة، وزين ساحل بلدته بأعظم زينة، وكساه حلة البهاء والنور، وأكثر المصابيح والشموع

---

(١) هناك قرية العقال قبلى والعقال بحرى، والثانية مجموعة نجوع، وكلتاهما تابعة لمركز البدارى بمحافظة أسيوط.

(٢) قاو: قرية بصعيد مصر، شرقى النيل، تجاه ما بين طهطا وطما.. وواقعة قاو التى يشير إليها المؤلف هى تدميرها وتهجير أهلها على يد جند الخديو إسماعيل بسبب تمردهم بزعامة الشيخ أحمد الطيب. سنة ١٢٨٠هـ، وهو تمرد كان له طابع طائفى.

من كل مطبوع ومسموع، وأكثر من المشاعل العظام، حتى صار الأفق فى ليالى لانتظار أضوأ من بدر التمام، فكأنما الدرارى فيه مصفوفة، أو الكواكب إليه مزفوفة، وكأنما هذه نار القِرى، وكأنه هاشم وقريته أم القرى، أو حاتم وقد شرف طى، أو الجواد عبدالعال وَقد قصد أن يكون له نخلة فى الحى.

ثم مكث نحو عشرة أيام على هذه الحال، يرصد كواكب وابورات الأنجال، ومواكب أرباب الإنعام والأفضال، ولا زال كذلك بخيله ورجله، طول يومه وليله، وشاع ذكر انتظار هذه الوليمة العقالية، وغلب على الظن أنها من باب المحالات العقلية، وأن هذا الهوارى قد غفل وسها، وكان كمن مد يده ليتناول السها، حتى إن المذكور تخوف عدم الفوز بمراده، وخشى الكسوف بين أمثاله وأنداده، وأن يكون فى محافل الهوارة غرضا لسهام الأمثال والحكايات، لما أن لبعضهم مع بعض نكات ظريفة ونكايات، فظن أنه قد تعدى مذهبا، واتخذ سبيله فى البحر عجبا، وامتطى ليل الشك مركبا، فبينما هو فى بحر الحيرة، إذ لاحت له فى نحو وقت الظهيرة مناظر الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام، خافقة الخوافى والقوادم تسابق الغمام، فكان

للمنشآت الجوارى عند رؤيته كموقع النوم فى أجفان ذى أرق

فطار إليها فى الحين، وهب عليه نسيم قبول تلك الرياحين، فكأنما نشط من عقال، لما تنسم نسيم الإقبال، لأن أنجال ولى النعم لا يعرفون فى الإجابة بمكارم الأخلاق إلا نَعَم

لزمتَ نعم حتى كأنك لم تكن عرفت من الأشياء شيئاً سوى نعم

وعاديت لا حتى كأنك لم تكن سمعت بلا فى سالف الدهر والأمم

وقد كان مد على مطلع النيل أشراكه، وبسط لهذا المطمع شباكه، فنزلوه بالمسرة، ووصلوا للمبرة، وعطفوا على منازل النزول والمقيل، فوجدوا منازه تزرى بمنازه جذيمة مع مالك وعقيل، وكان العمدة المذكور لابسا ملابس رتبته، وملبسا لباس التجمل لأعيان بلدته، وعلى أكمل حالة من زينته وبهجته، فأدوا جميعا رسم التشريف ولثم الأذيال، وانصرفوا إلى الخارج وبقى عبدالعال، فقربه كل من

الأنجال واستدناه، وأناله من التلطيف ما تمناه، لأن أنفاسهم الطيبة إلى تطييب النفوس مبثوثة، وخواطرهم على تطييب الخواطر مبعوثة.

فبتشريفهم الساحل استهلت نساء البلدة الزغاريد الريفية، علامة منهم على معرفة بالعلمية والوصفية، وإعلانا بالأفراح وكمال الانشراح بحوز هذه المزية، ودقت طبول البشائر، التى هى علائم على السرور وأشائر، واجتمعت الأكابر والأصاغر كصيغة منتهى الجموع. وظهرت علامات المسرات فى البيوت والربوع، والأنجال يمرون ويعبرون، وإلى نواحى رياض الساحل ينظرون، مع حفظ الهيبة التى كسيت بالبهاء والنور، وظهور علامات الجزل والحبور، ثم نحر من الكرائم ما ينحر فى منى، وأبدى من المكارم ما يفوق الشمس فى الإشراق والسنى، وهيأ على كوثر النيل مائدة أشهى من المن والسلوى، مبدوءة بأطايب الأنعام مختومة بغرائب الحلوى، فكأنما نزلت من السماء، إذ كانت موسما للجميع وميسما، وقد أراد تفريجهم على فروسية الهوارة، وما عندهم من ركوب المهارى من المهارة، فجاء بجياد الحلبة، وعليها الرخوت المذهبة

تختال من كتب ومن أمم كان ظبية تعطو إلى وارق السّلم

وعلى متونها أنجاله وأقاربه ورجاله وبأيديهم الزان، فبرزوا بحومة الميدان بخيولهم رخية اللبب مرخية العنان، خيل تزاحم مناكب الجوزاء مناكبها، وتتيه الخيلاء براكبها، من كل طرف يسبق مد الطرف، ويمال بهمز النداء من الإيغال إلى العطف، فأجروا الطراد بهذه الجياد بين يدى الأمراء الأمجاد، وجالوا بها فى التهائم والأنجاد، وكأن لسان حالهم أنشد إذ شدوا أزرهم بمحمد وآل محمد

ندوس بخيلنا زهر الثريا ونوردها المجرة إن ظمينا

وننزل جبهة الأسد اعتسافا إذا ما البدر مر بها كمينا

فما تجاذبت الأعنة، وتلاعبت الأسنة، وبان الناضل من المنضول، والفاضل من المفضول، أمر الأمراء بانفضاض المرماح، وشهدوا لأهل الحلبة بالبراعة والبراح.

ولما ظهرت نتائج المقدمات، وبهرت فرائد المكرمات، أنعم الأنجال الكرام على

الخدم والحشم بما لا مزيد عليه م الإنعام، وفاز أهل المزامير والطبول بما فوق المأمول، ولم يحرم الفقراء والمساكين من الصدقات، فأحيوا قلوب الجميع بالمبرات والمسرات، وابتهج الأنجال بمساعى صاحب هذه الساحة الفسيحة، وأثنوا عليه بمعالى الألسنة الفصيحة، وعلموا أن بالصعيد كثيرا من البيوت المعمورة، وبمكارم ولى النعمة مغمورة، فبسط الجميع أكف الدعاء للحضرة العزيزية، بتخليد دولتها التعزيزية، ثم قصدوا العود إلى المراكب، فقاد الأغا إليهم أصائل الجنائب، وسار جميع الوجوه معهم إلى الموردة، فسلموا سلام الوداع على الأغا وذويه، والأمم المجتمعة كالجنود المجندة، وقال الأغا لحضراتهم: عادة إن شاء الله مستمرة، ولا يخفى عل سادتى أن العادة تثبت ولو بمرة، فساروا بكمال المحظوظية، وحظى عبدالعال بعين الملحوظية، ومكث الأغا المذكور عدة أيام مستقبل من يأتيه للتهنئة من البلاد، من كل حاضر وباد، إلى أن أقبل عيد الفطر فكان عيدا لم ير مثله ولا رآه أحد من سلفه قبله.

فحسبك هذه اللمعة اليسيرة، فهى إلى تقدم أهل الصعيد فى التمدن مشيرة، وبتحسين المستقبل بشيرة، وبالجملة فالعيان يغنى عن الإيضاح والبيان، لا سيما وأن الصعيد لا يخلو فى عام من الأعوام من سياحة الخاص والعام، وكان يشهد بتقدم البلاد فى المدنية، وتمام الأمْنيّة فى أيام الدولة العزيزية ومعدلتها السنية، وقد وجب علينا أن نصيغ هنا وطنية بهيَة من بحر المتدارك على أسلوب حركة السرعة، إحدى الحركان العسكرية

نعم ما قال سادة الأول   أول الفكر آخر العمل

وها هى الأبيات:

(مذهب)

من أصل الفطرة للفطن   بعد المولى حب الوطن
هبة مَنّ الوهاب بهَا   فالحمد لوهاب المِنَن

(دور)

للموطن كل ينتسب ومعاهده أمّ وأب
فصحيح العزّ له سبب يستملك صبّا ذا شجن

(مذهب)

من أصل الفطرة للفطن بعد المولى حب الوطن
هبة مَنَّ الوهاب بها فالحمد لوهاب المِنَن

(دور)

لما وجدوه دار حمى وصلوه وما قطعوا رحما
تخذوه لمأمنهم حرما يفدى بالروح وبالبدن

(مذهب)

من أصل الفطرة للفطن بعد المولى حب الوطن
هبة مَنَّ الوهاب بها فالحمد لوهاب المِنَن

(دور)

فى الدنيا مصر أجل وطن يدها عليا فى كل زمن
فلكم قهرت شام ويمن فانقاد الشامى واليمنى

(مذهب)

من أصل الفطرة للفطن بعد المولى حب الوطن
هبة مَنَّ الوهاب بها فالحمد لوهاب المِنَن

(دور)

والآن تسامت دولتها وبإسماعيل صولتها
لو جالت عظمت جولتها من أرض الروم إلى عدن

(مذهب)

مـن أصـل الـفـطـرة لـلـفـطـن بـعـــــد المـولـى حب الـوطـن

هـبـــــة من الـوهاب بـهــــا فـــالحـــمـــد لـوهاب المِنَن

(دور)

للمـــصـــريـيـن الوقت صـــفـــا إذ مـــوطـنهم نـال الشـــرفـــا

كل بـالمجـد قـــد اعـــتـرفـــا لعـــزيز الـعـــصـــر المؤتَـمَن

(مذهب)

مـن أصـل الـفـطـرة لـلـفـطـن بـعـــــد المـولـى حب الـوطـن

هـبـــــة من الـوهاب بـهــــا فـــالحـــمـــد لـوهاب المِنَن

(دور)

وعـــزيز المـوطن نخــدمـــه برضــا في الـنفس نـحكمـــه

مـــال المـصـــرى كـــذا دمـــه مـــبـــذول فى شـــرف الـوطن

(مذهب)

مـن أصـل الـفـطـرة لـلـفـطـن بـعـــــد المـولـى حب الـوطـن

هـبـــــة مَنَّ الـوهاب بـهــــا فـــالحـــمـــد لـوهاب المِنَن

(دور)

تفـــديـه العـــيـن بنـاظرهـا والنـفس بخـــيـــر ذخـــائـرها

تـهـــــدى فى نـيـل مظـاهرهـا لشـــــرا الـعليـــا أعـلى ثـمن

(مذهب)

مـن أصـل الـفـطـرة لـلـفـطـن بـعـــــد المـولـى حب الـوطـن

هـبـــــة مَنَّ الـوهاب بـهــــا فـــالحـــمـــد لـوهاب المِنَن

(دور)

فــرعــيــتــه الغــرا ســعــدت إذ عنهــا الآصـــار ابتــعـــدت
ومـفــاصل من عـادى ارتـعـدت للصــادق صــفــو العــيش هنى

(مذهب)

مـن أصـل الــفـطـرة لـلـفـطـن بـعــــــد المـولـى حب الـوطـن
هـبــــــة مَنَّ الـوهاب بـهـــــا فـــالحـــمـــــد لـوهاب المِنَن

(دور)

قـــرّى عــــينا ثـم ابتـــــهج يا مـــصـــر بمولاك الـبـــهج
ملك فـى عــشق المجـد شـجى والمجـــــد طراز لـلـحــــســن

(مذهب)

مـن أصـل الــفـطـرة لـلـفـطـن بـعــــــد المـولـى حب الـوطـن
هـبــــــة مَنَّ الـوهاب بـهـــــا فـــالحـــمـــــد لـوهاب المِنَن

(دور)

فـــالمجـــد له قـــد مـــدّ يدا وتخــيــر توفــيــقــا عــضــدا
من جـــدّ ورام علىَّ وجـــدا والحـــمـــــد لوهــاب المِنَــن

مملكة الجزائر[1]

هى إحدى الحكومات الأربع التى بالسواحل البربرية، وهى واقعة بين مملكة تونس شرقا ومملكة مراكش غربا، وحدها من الشمال البحر الأبيض ومن الجنوب الصحراء الكبرى، وداخلة كثيرا فى البر الأصيل، وأهلها ما بين مغاربة وبربر يسمون بالقبائل وعرب ويهود وسودان وإفرنج مختلفى الجنس، ويبلغ جميع أهلها فوق ثلاثة ملايين، والإفرنج منهم نحو مائة وخمسين ألفا.

وكانت هذه المملكة إيالة عثمانية، يحكمها حكم يقال له «الداى» ومعناه الخال أو الكافل. وكانت مقسومة إلى أربعة أقاليم، إقليمين فى الوسط، وهما إقليم الجزائر وإقليم ططرى وواحد فى الغرب، وهو إقليم تلمسان، وواحد فى الشرق، وهو إقليم قسنطينة، وكان كل من إقليم ططرى وتلمسان وقسنطينة محكوما بأحد البيكوات من طرف حاكم الجزائر، وكان يحكم إقليم الجزائر بنفسه. وبقية بلاد الجزائر، غير هذه الأقاليم، من عربان البوادى، مما هو مسكون بقبائل البربر، منقسم بين مشايخ هذه القبائل، وهم أشبه بالمستقلين لا يكادون يطيعون الداى.

وأمهات المدن بهذه الولاية، بعد مدينة الجزائر، مدينة وهران وتلمسان وبونه

(١) (روضة المدارس). . وهو تعقيب ذيل به الطهطاوى دراسة نشرتها المجلة لأحد شهود العيان الذين حضروا حرب احتلال فرنسا للجزائر، وهو أحمد أفندى الجزائرى. . والدراسة عربها عن التركية، محمد حليم أفندى. . ونشرتها (الروضة مع التعقيب فى العدد ٢٤ من السنة الثانية الصادر فى غاية شهر الحجة سنة ١٢٨٨هـ، سنة ١٨٧١م. . ص ٥ ـ ١١ (الدراسة). والتعقيب: ص ١٢ ـ ١٤.

وقسنطينة وبوجيه، ومع أن قطرها حار إلا أن الرياح التى تهب به ترطبه، وشتاؤه معتدل جدا، لا يظهر به البرد إلا حين نزول الأمطار الغزيرة. ويشق هذه البلاد جبال الأطلس الشامخة الموازية للسواحل، وفيها عدة أنهر، وأرضها خصبة جدا، إلا أنها غير مخدومة الزراعة، وفى سواحلها يغاص المرجان الجيد الظريف. وقبل أن يأخذها الفرنساوية كان لهم بها من مدة قرون محطات على الساحل لغوص المرجان.

وكانت فى الأحقاب الخالية محكومة بملوك من أهاليها، ثم تغلب عليها الرومانيون، وكانت فى أيامهم عامرة زاهرة، ثم تغلب عليها الوندال الذين تغلبوا على الأندلس، ثم دخلت فى حكم خلفاء العرب فى صدر الإسلام وفتوحاته، فدخلت فى قبضة خلفاء بنى أمية ثم العباسيين ثم الأغالبة ثم الزيرية المرابطين ثم الموحدين ثم المرينية ثم الإسبانيول ثم الأشراف الهاشمية ثم الإسبانيول ثانية، ثم حضر من طرف السلطنة العلية خير الدين باشا[1]، واستعان به أهل الجزائر على الإسبانيول فاستولى على مدينة الجزائر سنة١٥١٦ ميلادية، ثم فتح ما حولها من الأراضى، وصارت أهل الجزائر رعية عثمانية، وبعث إليها السلطان سليم واليا ومعه فرقة ينكجارية[2] ثم إن هذه الفرقة فيما بعد تظلموا من عسف الوزراء، واستأذنوا من الدولة العلية أن يعينوا رئيسا على الجزائر من وجاقهم بمعرفتهم لحمايتهم، فأذن لهم السلطان أحمد الثالث بذلك، وسموا الوالى باسم الداى، فكانت الحكومة مشتركة بين الوزير والداى، ومكثت على ذلك مدة طويلة. إلا أنه كان يقع غالبا بين الحاكمين الشقاق والتفاقم، فكان اليابا على سنة ١٧١٠ شريكا للوزير، فقوى أمره وطرد الوزير من الجزائر وانفرد بولايتها وحده، فمن هذا الوقت صارت يد الدولة العثمانية عليها غير قوية، وصار وجاق الينكجارية بيده زمام الجزائر كالجمهورية الانتخابية، فكان هذا الوجاق يولى الداى ويعزله على هوى نفسه، حتى قيل إنه فى يوم واحد ولى ستة ولاة وعزلهم، بل وقتلهم فى يومهم، وقل أن يمكث الداى حاكما مدة مديدة، وأكثر مدة من طال حكمه منهم الداى بابا محمد،

---

(١) (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م) وشهرته «بارباروسا» وتعنى ـ بالإيطالية ـ ذو اللحية الحمراء. ولقد تولى قيادة الأسطول العثمانى، وأحرز انتصارات عدة، ومارس العديد من أعمال القرصان انتقامًا من قراصنة أوربا فى البحر المتوسط وعلى شواطئه الأوربية.

(٢) أى انكشارية.

فإنه مكث خمسا وعشرين سنة، وكذلك آخر داى، وهو حسين باشا، كان حاكما على الجزائر مدة اثنتى عشرة سنة لحين نزعها الفرنساوية من يده وخروجه منها إلى مدينة ليورته بإيطاليا، ثم منها إلى إسكندرية، وكان الداى ولو أنه غير آمن على نفسه من الينكجارية إلا أنه كان مطلق التصرف.

ولما وقعت الجزائر فى يد الفرنساوية عينوا لها حكاما عسكرية، ثم ولاة ملكية، ثم قسمها الفرنساوية إلى ثلاث ولايات كبيرة، ولاية الجزائر فى الوسط، وولاية وهران فى الغرب، وولاية قسنطينة فى الشرق. وولاية الجزائر منقسمة إلى عدة أقسام، بعضها محكوم بالحكام الملكية وبعضها بالحكام العسكرية. وأهلها المتأصلون بها نحو ثلاثة ملايين والباقى أغراب.

والمشهور أن حسين باشا المذكور ضرب القنصل بمروحة كانت فى يده، وذلك لأن القنصل حضر بخطاب من وزير الخارجية بفرنسا بخصوص دين على شخص صراف يسمى بكيرا، فقال حسين باشا: إنى لا أقبل خطاب الوزير وإنما أقبل المخاطبة إذا كانت من ملك فرنسا، فقال له القنصل: إن ملك فرنسا لا يوجه إليك الخطاب بنفسه بل يتوسط وزيره، فغضب من ذلك، وكانت فى يده مروحة فضربه بها، وحصلت المنافسة. وكان الفرنساوية يخشون خيبهم فى حرب الجزائر، حيث إن كثيرا من ملوكهم عجزوا عن النصرة عليها فى حروبهم السابقة، وكانوا يميلون إلى الصلح، ولهذا كان حصارهم لها فى الأول مجرد إحاطة على بعد، كما هو معلوم، وصاروا مداومين على السعى فى الصلح، وانتهى الحال بأنهم صنعوا سفنا مفرطحة لا تأخذ من الماء إلا قليلا للوصول إلى البر، فنجح مشروعهم فى ذلك.

وأما قول صاحب النبذة[1] إنه (يعنى نفسه) توسط فى الأمان شفقة على المسلمين الخ. فالظاهر أنه كان من جملة المرسلين من طرف الباشا للصلح، إلا فرجال فرنسا، كغيرهم، لا يقبلون توسط فضولى، وأيضا فالشروط التى انعقدت لخروج حسين باشا من المدينة وكيفية الدخول فى الجزائر تؤذن بالأمان، فإن

---

(١) أى: أحمدى أفندى الجزائرى.

الفرنساوية أمنوه عن أن يخرج منها بحرمه وأتباعه وخزينته الخصوصية وجميع ما يملكه، وكانت خزينته الخصوصية تبلغ نحو تسعة ملايين فرنك غير المدخر من جواهر وغيرها، ولما قدم إلى المحروسة[1] وتلاقى بجنتمكان[2] محمد على باشا لم يحسن الترحيب به، حيث ضيع مملكة من ممالك الإسلام ولم يقبل النصيحة.

وكان من جملة نواب الجزائر وأمراء عربها عدة اجتهدوا اجتهادا كثيرا لأجل حماية إقليمهم، بعد أخذ المدينة، وفضل الأمير عبدالقادر فى ذلك لا ينكر، ومن أجلهم أيضا أحمد بيك حاكم ططرى، فإنه لا زال يحارب الفرنساوية ويحامى عن الإقليم، واجتهد فى ذلك اجتهادا عظيما حتى جعل نفسه صاحب تلك البلاد، وضرب السكَّة كما كان يضربها حسين باشا، وجاهد كل الجهاد حتى وقع أسيرا فى قبضة الفرنساوية، وولى الفرنساوية إذ ذاك أكبر أولاده على ولاية ططرى، فجاء إلى مصر فأكرمه المرحوم محمد على باشا كل الإكرام، ورتب له المرتب اللازم لمقامه، لحمايته عن الإسلام بقدر إمكانه، وتوفى بمصر.

وأما الفرنساوية فإنهم تخلصوا من الترك ومن أبناء المولدين فى الجزائر بوضعهم فى سفن فرنساوية وإرسالهم إلى مبلغ مأمنهم فى أزمير وغيرها، وصفا للأمة الفرنساوية الوقت وجعلوها من المستعمرات، ثم صارت كسائر الولايات الفرنساوية، بعد أن كانت من الأوجاقات السلطانية. وأما ملك فرنسا شارل العاشر فإنه هو ووزراءه الذين أخذت الجزائر فى زمنهم أخرجوا من مملكة فرنسا عقب التغلب عليها بمدة ليلة، وخرجوا من سطلنتهم وطنطنتهم كما حرموا أمراء الجزائر منها حتى إن الفرنساوية صوروه هو وحسين باشا بصورتين وجعلوا كأن حسين باشا يقول لملك فرنسا المعزول: وأنت أيضا سقطت من كرسيك! وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً** ﴾[3].

---

(١) أى: مصر.

(٢) جنتمكان: كلمتان مدغمتان، أولاهما: جنة، والثانية: مكان.. وإدغامهما تعبير تركى، أى الجنة مكانه ومستقره.

(٣) الأنعام: ٤٤.

ومع هذا كله فلا زال أعراب الجزائر وقبائلهم الداخلة فى بلادهم يتحركون دائما على الفرنساوية ويقومون عليهم وتقع بينهم معارك جزئية، ومن تدبر سر قوله تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ** ﴾[1] أذعن للحكمة الإلهية، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

---

(١) آل عمران: ٢٦.

النَّفحة المِسكِيَّة
في بِركَةِ الأزبكيَّة

(ما قيل فى البركة والمياه)

البركة كالحوض، والجمع البرك، سميت بذلك لإقامة الماء فيها، قال الصفى الحلى:

والريح تجرى رخاء فوق بحرتها	وماؤها مطلق فى زى مأسور
قد جمعت جمع تصحيح جوانبها	والماء يجمع فيها جمع تكسير

وقال ابن طباطبا، وأجاد:

كم ليلة سامرت أنجمها التى	عرصات أرضٍ ماؤها كسمائها
قد سيرت فيها النجوم كأنما	فلك السماء يدور فى أرجائها
أحسن بها بحرا إذا لبس الدجى	كانت نجوم الليل من حصبائها
قرنوا إلى الجوزاء وهى غريقة	تبغى النجاة ولات حين نجائها
تطفو وترسب فى اصطفاق مياهها	لا مستعان لها سوى إيمائها
والبرق يخفق فوقها فكأنه	قلب لها قد ريع فى أحشائها

وحكى القاضى شهاب الدين فى ترجمة مجير الدين بن تميم: أنه جلس على بحرة أشرقت سماؤها، وطاف بكعبة المجلس ماؤها، والشمس قد توسطت الظهيرة، وأرخت ذوائب أشعتها الضفيرة، واللجة قد نصبت فى كل ناحية حبالة،

وتناومت عينها فما رأت من الشيء إلا خياله، والماء قد لبس من شعاع الشمس ذهبى الغلالة، وغابت سباع البركة فلعبت الغزالة، فقال:

ولما احتمت منا الغزالة بالسما   وعز على قناصها أن ينالها
نصبنا شباك الماء فى الأرض حيلة   عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

وقال صاحب [بديع البداية] أخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد قال: اجتمعت مع جماعة من أدباء الإسكندرية فى بستان، فحللنا روضا تثنت قامات أشجاره، وتغنت قيان أطايره، وبين أيدينا بركة ماء، كجو سماء، فنثر عليه بعض الحاضرين ياسمينا زان سماءها بزواهر منيرة، وأهدى إلى لجتها جواهر تثيره، فتعاطينا القول فى تشبيهه، وأطرق كل منا لتحريك خاطره، وتنبيهه، ثم أظهرنا ما حررنا، ونثرنا ماجهزنا، فأنشد عباس بن طريف:

نثر الياسمين لما جنوه   دره فاستقر فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكى   زهر الأرض فى أديم السماء

والذى صنعته أنا:

نثروا الياسمين فى صفحة الما   ء فخلنا النجوم وسط السماء
فكأن السماء فى باطن الأر   ض أو الدرّ طف فوق الماء

وقال ابن تميم فى مليح يشرب من بركة، مضمنا:

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا   من بركة راقت وطابت مشرعا
أبدت لعينى وجهه وجماله   فأرتنى القمرين فى وقت معا

مضمن من قول المتنبى:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها   فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها   فأرتنى القمرين فى وقت معا

وقال ابن تميم مضمنا :

لو كنت إذ أبصرتها فوارة ... للشمس فى أمواجها لألاء
لرأيت أعجب ما ترى من بركة ... سال النضار بها وقام الماء

مضمن من قول المتنبى أيضا :

جمد القطار ولو رأته كما أرى ... بهتت فلم تتبجس الأنواء
وكذا الكريم إذا أقام ببلدة ... سال النضار بها وقام الماء

وقال ابن زين الدين العجمى فى فوارة :

تسلسل مائى وهو لا شك مطلق ... وأضحى صحيحا حين قالوا تكسرا
وفى قلب مائى للقلوب مسرة ... وقالوا سيجرى باطنا وكذا جرى

وقال بعض المغاربة :

وتحدث الماء الزلال مع الحصى ... فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشيا ظاهرا ... وكأن تحت الماء سرا مضمرا

قال صاحب [بدائع البداءة][1] مررنا ببعض العشايا على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل، فرأينا بئرا عليها دولابان يتجاذبان، قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس، ولعبت بقلوب ناظريها لعب الأمانى بالمفاليس، وهما يئنان أنين أهل الأشواق، ويفيضان دمعا أغزر من دموع العشاق، والروض قد جلا للأعين زبرجده، والأصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده، والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون، والسواقى قد أزالت من سلاسل فضتها كل مصون، والنبت قد اخضر شاربه وعارضه، وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه،

---

(١) اسم الكتاب مكتوب فى الأصل : بدايع البداية - بالياء بدلاً من الهمزة - وصاحبه هو ابن ظافر الأزدى (٥٦٧ - ٦٢٣هـ) أديب ومؤرخ ومشتغل بعلوم الحديث، عاش بمصر، وتولى بها المناصب، ومات بها. وكتابه هذا جمع فيه محاسن الشعر المرتجل على البديهة.

ورضاب الماء قد علاه من الطل لمى، وحيات المجارى حائرة أن يدركها من زمرد النبات عمى، والبحر قد صقل صيقل النسيم درعه، وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل السماء ردعه، واستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا، وملأ قلوبنا وأبصارنا التلذاذا، وملنا إلى الدولابين شاكين هل زفرا حين شجت قيان الطير بألحانها، أو شدت على عيدانها، أم ذكرا أيام نعمى وطابا، وكانا أغصانا رطابا، فنفيا لذيذ الهجوع، ورجّعا النواح وأفاضا الدموع، طلبا للرجوع، قال ابن تميم:

ودولاب أرض كان من قبل أغصنا   تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فكله   عيون على أيام عهد الصبا تجرى

وقال أيضا:

تأمل تر الدولاب والنهر إذ جرى   ودمعهما بين الرياض غزير
كأن النسيم الرطب قد ضاع منهما   فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

قال رحالة العلماء وقدوة الأدباء المرحوم الشيخ حسن العطار فى وصف «بتركة الأزبكية» ما صورته: وأما بركة الأزبكية فهى مسكن الأمراء، وموطن الرؤساء، قد أحدقت بها البساتين الوارفة الظلال، العديمة المثال، فترى الخضرة فى خلال تلك القصور المبيضة، كثياب سندس خضر على أثواب من فضة، يوقد بها كثير من السرج والشموع، فالأنس بها غير مقطوع ولا ممنوع، وجمال يدخل على القلب السرور، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور، ولطالما مضت بالمسرة فيها أيام وليال، هن فى سمط الأيام من يتيم اللآلى، وصورة البدر منطبعة فى وجناتها، وفيضان لجين نوره على حافاتها وساحاتها، والنسيم بأذيال مائها الفضى لعاب، وقد سل على حافاتها من تلاعب الأمواج كل قرْضاب[1]، وقامت على منابر أدواحها فى ساحة أفراحها مفردات الطيور، وجَالبات السرور، فلذيذ العيش بها موصول، وفيها أقول:

---

(١) القرضاب: بكسر القاف وسكون الراء، السيف القطاع.

بالأزبكيــة طابت لـى مســرات ولذ لى من بـديع العيـش أوقـات

حيث المياه بهـا والـفلك سـابحـة كـأنهـا الزهر تحويهـا السـموات

مدت عليها الروابى خضر سندسها وغـردت فى نواحـيهـا حـمامـات

والماء حـين سرى رطب النسـيم به وخل فــيــه مـن الأدواح زهرات

كـســابغـات دروع فـوقـهـا نقط من فـضة واحـمـرار الورد طعنات

وللنـديم بهــا عــيش تســاعــده على اغــتنام دواعــيــه المســرات

يروح منها صريع الـعقل حين يرى على مـحـاسنهـا دارت زجاجـات

وللرفــاق بهـا جـمـع ومفـتـرق لما غـدت وهى للندمـان حــانات

وقال فى بركة ماء :

وبركــة مــاء قـد ترقــرق مــاؤها عليــهـا من الأصـال ثـوب نضـار

ترينـا إذا مــر النســيم بمتنهــا فــرند حــســام أو فــريد ســوار

وتحـسـبـهـا وقت الغـيـوم مجـرة كأن بـهـا الأشجـار سحـب سوارى

ومـذ غربت بين الخـمـائل شمـسنا حكت غــادة لفت بـخـضــر إزار

* * *

منشأ بركة الأزبكية

ويسـتـفـاد من كـتب التـاريخ أن منشـأ بركـة الأزبكيـة كـان فى سنة ثمـانين وثمانمائة[1]، على يد المعز الأتابكى أزبك بن الظاهرى، الذى نسبت إليه، وكانت هذه البقعة ساحة أرض خراب، كيمان فى أرض سباخ، وبها أشجار أتل وسنط، وكان بها مزار سيدى عنتر وسيدى وزير، رضى الله عنهما، وكانت هذه الأرض

(١) هجرية، وبدايتها توافق ٧ مايو سنة ١٤٧٥م.

قديما عامرة، وبها المناظر والبساتين، وتسمى مناظرها مناظر اللوق، وكانت تقرب من بحر النيل، ثم إن بعض الملوك حفر خليجا وأجرى فيه الماء من فم الخور، وصار يعرف بخليج الذكر، وبقى من جملة متفرجات القاهرة، وبنى على ذلك الخليج قنطرة الدكة، وكان عليها دكة للمتفرجين ليجلسوا عليها، وكانت تعرف أيضا بقنطرة التركمان، لأن الأمير بدرالدين التركمانى كان عمرها على الخليج الذكر.

واستمرت هذه البقعة إلى سنة خمس وخمسين وستمائة[1]. فتلاشى أمرها، وضعف الماء من خليج الذكر، وخربت مناظر اللوق التى هناك، وصارت هذه البقعة خربة مقطع طريق مدة طويلة لا يلتفت إليها، ثم إن شخصا من الناس فتح بجون من الخليج الناصرى فجرى فيه الماء أيام الزيادة، وروى أرضها وزرع برسيما وشعيرا، واستمر على ذلك إلى سنة ثمانمائة وثمانين فى دولة الأشرف قايتباى، فحسن السلطان المذكور للأتابكى أزبك أن يعمر هناك مناخا لجماله، وكان سكنه قريبا منها فلما أن عمر المناخ حلى له العمارة فبنى القاعات الجليلة والدور والمقاعد وغير ذلك، ثم إنه أحضر أبقارا ومحاريث وجرف ما احتاج إلى جرفه من الكيمان ومهدها، وصارت بركة، وبنى حولها رصيفا متقنا محيطا بها، وتعب فى ذلك شديدا، وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى، حتى تم ما أراد، وصرف عليها أموالا عديدة، نحو المائتى ألف دينار.

ثم إن الناس شرعوا فى البناء عليها، فنبيت القصور الفنية النفيسة الفاخرة، والأماكن الجليلة، وتزايدت العمارات بها إلى سنة إحدى وتسعمائة[2]، وصارت بلدة بانفرادها، وأنشأ بها الأتابكى أزبك الجامع الكبير بخطبة ومنار عظيم، وأتقنه حتى صار فى غاية الحسن والزخرفة، ثم أنشأ حول الجامع البناء والربوع والحمامات، والقياسر وما يحتاج إليه من الطواحين والأفران وغير ذلك من المنافع، ولما تمت عمارتها أنعم السلطان قايتباى على أزبك بأرضها بعد أن كانت وقفا على

---

(١) هجرية، وبدايتها توافق ١٩ يناير سنة ١٢٥٧م.

(٢) هجرية، وبدايتها توافق ٢١ سبتمبر سنة ١٤٩٥م.

خـزائن الإسـلام، ثم سكن أزبك فى تلك القـصـور إلى أن مـات، وبه ذكـرت الأزبكية.

* * *

وكان عند فتح البركة يجتمع عنده الأمراء المتقدمون وتأتى الناس للفرجة أفواجا أفواجا، وكان لها يوم مشهود، وكان فى كل سنة تضرب حول البركة خيام، ويقع من القصف والفرجة ما لا مزيد عليه، وشرعت الناس تبنى على هذه البركة القصور الفاخرة، والأماكن الزاهرة، ولم تزل تتزايد العمارة بها إلى سنة إحدى وتسعمائة حتى صارت مدينة مستقلة، ثم تلاشى أمرها جدا إلى أوائل القرن الحادى عشر.

وفى غرة محرم سنة خمس وأربعين ومائة وألف[1] ابتدأ عثمان كتخدا فى عمارة الصهريج والمسجد بالأزبكية بجوار مدفن الشيخ أبو طاقية، الذى كان بجوار المسجد، لكن فى مدة الفرنساوية تهدم بعض المسجد فنقلوا الشيخ من مدفنه هذا، وبعد خروجهم عمروا المسجد وقامت شعائره، وفى هذا العام تم بناء مسجد الخواجا قاسم الشرايبى الذى بالرويعى، المدفون فيه الآن السيد على البكرى، ثم بنى بها الشيخ زين الدين البكرى منزله، وأخذت الناس من حينئذ فى العمارة بها حتى صارت نزهة للناظرين إلى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف[2] سنة دخول الفرنساوية فحصل بها تخريب.

وبقيت على ذلك حتى سكن بها المرحوم محمد على باشا ببيته الذى بالأزبكية، وهو بيت أيوب بك الكبير، وأصله بيت على بك الغزاوى، وكان قد خربت بيوت البركةالمذكورة ما عدا بيوت قلائل، وعادت إلى أصلها، فبسكنى المرحوم محمد على أخذت فى العمارة.

وفى سنة ألف ومائتين واثنتين وخمسين[3] برز أمر المرحوم محمد على بطم البركة وغرسها بستانا، فكان الأمر كذلك، فعمرت فيها السواقى والدواليب،

(١) هجرية، وبدايتة توافق ٢٤ يونيو سنة ١٧٣٢م.
(٢) هجرية، وبدايتها توافق١٥ يونيو سنة ١٧٩٨م.
(٣) هجرية، وبدايتها توافق ١٨ أبريل سنة ١٨٣٦م.

وذهبت عنها عفونة المياه الراكدة عقب فيضان النيل، وكثرت فيها المبانى المنتظمة على الأساليب الجديدة، وتجددت القصور والبيوت التى حولها على هذا النظام البديع، وتجددت فيها العمائر العمومية، كاللوكندات الجميلة تقليدا للبلاد الأوروباوية. ومما زاد فى تحسينها فتح السكة الجديدة بما كان كيمانا فى المحل المعروف بكوم الشيخ سلامة، الذى أصله من امتداد الأزبكية، وكذا إزالة التل الكبير الذى كان بالمقس بعد أولاد عنان الموصل إلى طريق شبرا، التى غرسها المرحوم محمد على بالأشجار وصارت متنزهاً عظيماً.

* * *

وفى كتب التاريخ أن المقس كان قديما فى الجاهلية فى بر الخليج الغربى، وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل، وبه أنشأ المعزلدين الله أبو تميم الصناعة. - (الترسانة)- وبه أيضا أنشأ الحاكم بأمر الله على أبو منصور جامع المقس، وهو المطل على الخليج الناصرى، وإنما سمى هذا الموضع بالمقس لأن المعاشر[1] كان يقعد به، وهو صاحب المقس، فقلبت القاف كافا فقيل المكس، والأصل الأصيل المقسم، وهو محل يزار، حيث هو المكان الذى نزل به الصحابة عند استيلائهم على مصر، وكانوا يقسمون فيه الغنائم، وأيضا دفن فيه العارف بالله تعالى سيدى محمد بن عنان، رضى الله تعالى عنه، وعند قبره الدعاء مستجاب.

وقال بعضهم إن المقس كان يعرف قديما بباب البحر، وإن سبب تسميته بذلك أن الإنسان إذا خرج منه كان يرى بر الجيزة لا يحول بينه وبينها حائل، فإذا زاد ماء النيل صار الماء عند خارج باب البحر تعرف بوكالة الجيزة، وإذا كان أيام الاحتراق تبقى الرمال تجاه باب البحر، وذلك قبل أن يحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج.

وأنشأ الناس البساتين والدور بالمقس، وكان فى غاية العمارة، به عدة أسواق يسكنها أمم من الأكراد والأجناد والكتاب وغيرهم، وقد تلاشت عند حصول الغلاء

---

(١) الذى يأخذ ضريبة العشر من التجار والمارين ببضائعهم.. وهى الضريبة التى اشتهرت «بالمكوس».

بمصر أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين[١]، وقد كثرت المحن فى سنة ست وثمانمائة[٢] فى أيام الملك الناصر فرج أبو السعادات بن برقوق، فى فتنة تيمورلنك، الذى ترتب عليها هزم عسكر ذلك السلطان بالشام ورجوعه إلى مصر هاربا مع الخليفة والأمراء، وتشتت عساكره، وعود القليل منهم معه حفاة عراة، وحصول الفتن العظيمة فى مصر، وخراب البلاد المصرية يضعف هيبة السلطان المذكور، واختفاؤه وخلعه، فنشأ من هذا كله خراب عظيم للمقس وغيره، إلا أنه بقى فى المقس بقية صالحة، وكان فيه خمسة جوامع تقام فيها الجمعة، وعدة أسواق دثر معظمها، ولم يبق فيه إلا جامع واحد وهو جامع أولاد عنان.

وركب أحمد بن طولون فى غداة باردة إلى المقس، فأصاب بشاطىء النيل صيادا عليه خلق لا يواريه منها شىء، ومعه صبى له فى مثل حاله، وقد ألقى شبكة فى البحر، فلما رآه رق له وقال: يا نسيم ادفع إلى هذا عشرين دينارا، فدفعها إليه، ومشى ابن طولون ولم يبعد، ورجع فوجد الصياد ميتا والصبى يبكى ويصيح، فظن ابن طولون أن بعض السودان قتله وأخذ الدنانير منه، فوقف بنفسه عليه وسأل الصبى عن أبيه، فقال له هذا الغلام، وأشار إلى نسيم الخادم: دفع إلى أبى شيئا فلم يزل يقلبه حتى مات! فقال: فتشه يا نسيم، فنزل وفتشه فوجد الدنانير معه بحالها، فعرض على الصبى أن يأخذها فأبى، وقال: هذه قتلت أبى، وإن أخذتها قتلتنى! فأحضر ابن طولون قاضى المقس وقضاته وأمرهم أن يشتروا للصبى دارا بخمسمائة دينار، يكون بها نخيل، وأن تحبس عليه، وكتب اسمه فى أصحاب الجرايات والعلوفات، وقال: أنا قتلت أباه، لأن الغنى يحتاج إلى تدريج وإلا قتل صاحبه، هذا كان لا يدفع له إلا دينار بعد دينار حتى يستوفى هذه الجملة على مرات فلا تستكثر فى عينه.

(ونرجع) إلى ما كنا بصدده: ثم لما تجددت سكة الحديد بوضع هذه التلال فى الأيام القريبة وعمرت ضواحى المحروسة بالقصور والمساكن والحوانيت

---

(١) من المماليك البحرية حكم من ١٣٦٣ حتى ١٣٧٦م.

(٢) هجرية وبدايتها توافق ٢١ يوليو سنة ١٤٠٣م.

واللوكندات المنظمة، زادت بهجة الأزبكية، وتجددت أماكن أخرى خارج باب قنطرة الدكة، الذى أزيل، وانتظمت الطريق انتظاما عجيبا.

وفى هذا الوقت الحاضر، الذى هو لمصر تاريخ الانتظام الحقيقى، صار نظم الأزبكية على شكل غريب، حيث انتظم فى بستانها المبانى العجيبة، مثل السلسبيلات المشتملة على الفورات، وتنظيم الطرقات، وعمل التياترات، التى هى الملاهى الإفرنجية والملاعب الأوروباوية، وتعميم التنوير بالغاز، وتتميم التمدن، بإزالة موانعه، وحل ما كان منها أشبه بالألغاز، ثم بتجديد خطة الإسماعيلية العجيبة، التى هى منها زادت بهجة وجمالا، واتجهت عمارة المحروسة إلى جهاتها بالكلية، وغلت قيم عقاراتها غلوا بليغا، حيث صارت صقعا يتنافس الأغنياء فى استملاك شىء منه، ويبذلون فيه وفيما جاوره أغلى الأثمان، فجمال الأزبكية بهذا النظم على غرابة شكلها، يقصر نظم الأديب ونثر الأريب عن وصف مثلها، فرؤيتها تسر النفوس الزكية، وتزيد فى العقول الذكية، فمتجدداتها وضعها عجيب، ورونقها بديع غريب، مزخرفة النواحى والأرجاء، من حيث التفت الرائى لا يرى إلا منظرا بهجا، فهى كما قيل:

زينت بالنقوش فهى عروس ... قد غدت من نقوشها فى تمائم
فأجل طرف طرف عينك وانظر ... أوجها فى جمالها القلب هائم
وغصون المنى بروض التهانى ... أثمرت فاقتطف زهور كمائم

أو كما قيل:

هكذا هكذا المبانى فدعنا ... من مبان فى الحسن لا تدخل العد
فوق أنهارها غصون عليها ... ثمر الحسن يانع ومنضد
لو رآها رب الخورنق والإيو ... ان بل والسدير أصبح مكمد
كم بها للعيون مرأى بديع ... يجلب الأنس للذى راعه الصد

* * *

ومن تفكر فى هذا الزمن الأخير رأى أن مواهب المولى الجليل، على خديو مصر إسماعيل، لا تدخل تحت العد، ولا تنحصر برسم ولا حد، وأن من أعلاها موهبة، وأسناها مرتبة، توفيقة لتجديد البناء بصورة إيجاد على نظام مستجاد.

سيد عزمه أحد من السيـ ـف وأمضى من عامل المران
أشرقت مصرنا بشمس علاه وتباهت مجدا على البلدان
ورث المجد عن أبيه وقد زا د على سابقيه بالإحسان
واستنارت بفكره مدلهما ت أمور أعيبت لكل معانى

فنعمة الاختصاص بهذه الخصائص، المنزهة عن شوائب النقائص، منة عظيمة، ومنحة جسيمة

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

فمن الملحوظ أن العمارات بالجهة البحرية والغربية والشرقية من المحروسة تمتد امتدادا لا مزيد عليه، وتتسع بالرغبة اتساعا بليغا، وكذلك الجهة القبلية، وكل هذا بالعناية الخديوية كما قيل:

إذا ذكرت محاسن كل عصر فمنك لعصرنا المنح الجسام
رقت بك مصر ذروة كل مجد ومصر لمنبر الدنيا إمام

وعلى تداول الأيام وتوالى الأعوام، مع الرغبة فى العمائر، واستمرار مساعدة الحكومة المصرية، تصير محروسة مصر مع ضواحيها ورساتقها من أعظم مدن الدنيا، وإن لحظتها عين السعادة باستكمال المزايا العصرية، وكمال القابلية المصرية، التى امتازت بها هذه الديار على غيرها، من سعة الثروة، والغنى المتحصل من منافعها الممكنة، تصير أول مدينة من مدن الدنيا، ولا حرج على فضل الله فى تيسير هذا، فكم من أخريات صارت بعونه تعالى وهمم الأمراء والحكام أوليات، والعبرة فى كل شىء بالخواتيم، وعلى الله حسن التكميل والتتميم.

خطبة عن التعليم

بسم الله الرحمن الرحيم (1)

إن أحسن ما أبتدئ به المقال، فى كل أمر ذى بال، حمد ذى الجلال، الكبير المتعال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعى لأشرف الخصال، وعلى صحبه خير صحب خير آل، ثم الدعاء لولى النعم، حضرة الخديو الأعظم، بدوام العز والبقا، كلما تقدم وطنه فى العلوم وإلى سماء المعارف ارتقى.

(أما بعد)... فمن المعلوم أن حضرة الخديو الجليل، معيد تمدن وطنه على النهج الجميل، قد مَنَّ على الأقاليم المصرية بأعز ما يكتسب، مما يوصل إلى أشرف الرتب، وخص هذه المدينة قسيمة القاهرة، باشتراكها معها فى إشراق العلوم الباهرة، حتى انه فى السنة الماضية فضل معارف تلاميذها بهر، ومن سبق وروده من إخوانكم أيها التلامذة بهذه المدرسة فإلى مدارس المحروسة صدر، وقد أعجب فى المدارس الخصوصية جميع العقلا، وأرباب الفضل والعلا، وانتظموا فى سلك النبلا، ورجح القدر الذى فتح الله عليهم به، وأفاضه المولى تعالى عليهم من

---

(1) خطبة ألقاها رفاعة الطهطاوى، بوصفه ناظراً لقلم الترجمة وعضو قومسيون المدارس، فى حفل افتتاح امتحان تلامذة مدرسة أسيوط يوم الاثنين ٢٩ رجب سنة ١٢٨٧هـ (سنة ١٨٧٠م)، وهى منشورة فى مجلة (روضة المدارس) بالعدد ١٦ من سنتها الأولى الصادر فى غاية شعبان سنة ١٢٨٧هـ، سنة ١٨٧٠م، بصفحة ٩، ١٠.

مواهبه، فإن شاء الله تعالى يظهر من امتحانكم فى هذه السنة أيضاً فضل هذه المدرسة الجامعة، لتكون فى رياض الفضائل رائعة، ليشهد لكم أرباب الجمعية بالفضل، حيث إن تحصيل الفضل فى أقرب زمن ليس بسهل.

إذ سبيل الفضل وعر　　قل فيه سالكوه

ولجهل الجاهلين الفضل　　جحدا أنكروه

إنما يشهد بالفضل　　من الناس ذووه

وها هو قد حضر فى امتحان هذا العام بهذه المدرسة العظيمة الشأن، التى هى للمواطن الصعيدية كالأساس للبنيان، أعيان الأمراء وأمراء الأعيان، سعادة الأمير الكبير، والهمام الخطير، وكيل العموم أيوب بك جمال الدين، وحضرة أيوب كاشف بك زاده صاحب المجد المكين، وحضرة إبراهيم أفندى الشريعى، وكيل المديرية، وحضرة يوسف أفندى عمر، ناظر قلم الدعاوى المحلية، وجناب كل من الأميرين الجليلين خليل أفندى جلبى، المعظم، وحضرة صالح كاشف جمال الدين، الأفخم، وأشرقت هذه الجمعية البهية، بأنوار حضرات كل من الأفندى قاضى المديرية ونقيب السادة الأشراف فخر السلالة العفيفية وحضرات أكابر العلماء الأعلام، وعمد التجار الفخام، وسائر الأعيان الذين هم كالغرة فى جبين الزمان، فمنهم ذو المجد والاعتبار، حضرة السيد محمد خشبة سر تجار، والسيد أحمد الهلالى، وخليل أفندى سرى، المشيد فى هذه الديار دار الافتخار.

وقد حضر مجلس هذا الامتحان ليشارك بالسؤال فى الفرنساوى جناب حكيم باشا المديرية جاد الكريم أفندى العقباوى، وحضرات نظار المدارس العيسوية، الساعين فى نشر المعارف البشرية، فى هذه المدرسة البهية.

ولو تيسر بهذا المحفل الشريف، والجمع المنيف، حضور سعادة مدير العموم محمد باشا سلطان، لازدان به ابتهاج مجلس الامتحان، ولكن عاقه عن الحضور الأعذار، عساه أن يشرفه بحضوره كالعام الماضى ولو فى آخر النهار. وبالجملة، فهو بتكرار المرور بهذه المدرسة البهية، لا يخفى على سعادته تقدمكم فى المعارف العلمية.

فيا أيها المعلمون الجهابذة، والمتعلمون من التلامذة، كما ظهرت فى العام الماضى نجابتكم، وبدت فى الأجوبة المقنعة إصابتكم، فلا شك أن يكون المأمول منكم فى هذا العام أيضا أكثر وأعظم، حتى يبلغ تقدمكم فى التعليم والتعلم مسامع حضرة الخديو الأكرم، فبهذا تستحقون كسب رضاه، ويعلم أن جميعكم ساع فى كسب العلوم والمعارف على وفاق رضاه.

وبالجملة، فيجب على جميع الحاضرين بسط أكف الضراعة والابتهال، ببقاء ولى النعم الأكرم الذى مَنَّ على الجميع بتسهيل الوصول إلى درجة الكمال، على أنسق طريقة وأنظم منوال، إذا قام فى شأن المدارس والمنافع من فروض الكفاية والأعيان بما كان أهمله من قبله فى مصر فى سالف الأزمان، فكان، حفظه الله، بوطنه برا، ولحماه صديقا حرا، أدام الله عليه صلاح السريرة، ووفقه لصنيع كل خير يخلد له حسن الذكر والسيرة، وجعل جميع ما فعله لوطنه نافعا ولخيري الدين والدنيا جامعا، ومتعه بأنجاه الفخام، وجعل توفيقه لحسن وطنه أمضى حسام، بجاه خاتم الأنبياء الكرام، عليه وعليهم أكمل الصلاة وأتم السلام. آمين.

خطبة ثانية عن التعليم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى مَنَّ بالخديو على هذه الأقاليم، وشمل أهاليها بفضله العميم، وغمر بفائض عدله العباد، وعمر بسديد نظره البلاد، حتى اشتد باعتنائه كاهلها، وتحلى بولائه غاطلها، تشهد بذلك البقاع وأصحابها، وتقرّ به الأصقاع وأربابها، لا سيما ناحية أسيوط التى نجم سعدها أشرق، وغصن مجدها أورق، فكم قلد أعناقها مننا، واتخذه عند الله أجرا حسنا، فكيف وقد شملها فضله العميم، وتمهدت لأهلها قبل غيرها بمدرستها البهية وسائل الترقى والتقديم، حيث تجلت على أبنائهم فى شرخ الشباب شمس السعادة ومواهب النعمة، وانجلت عنهم غياهب الدجى والظلمة، ورجع حتى العلوم إلى صاحِبه، ودفع رسم العلوم إلى من يقوم بواجبه، فكانت هذه المدرسة حرية بما جدد الخديو لأبنائها من التربية السنية، المترتب عليها ارتقاء الدرجة العلية، وإن شاء الله تعالى تكتسى فى امتحان هذه السنة حلية التربية البهية، حتى يقال: إن كل تلميذ من تلاميذها إلى مقصد الجناب العزيزى نما، وإلى الصدق فى عبوديته انتمى، فوجب عليها أن تبذل الهمة فى أداء شكر هذه النعمة، وتقول بلسان حالها وقالها:

---

(١) ألقاها دفاعة الطهطاوي، ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس، ورئيس الامتحان في حفل امتحان مدرسة أسيوط يوم الثلاثاء ٢٥ من رجب سنة ١٢٨٨هـ (سنة ١٨٧١م) ونشرتها (روضة المدارس) بعددها ١٦ الصادر يوم الأحد غاية شعبان سنة ١٢٨٨هـ (سنة ١٨٧١م).

وما نالنى من نعمة الله نعمة | وإن عظمت إلا وأنت سفيرها
وإنى وإن كانت أياديك جمة | لدى فإنى عبدها وشكورها

وينبغى لهذه المدرسة أن لا تنسى شكر عناية من انعقدت على حسن إدارته كلمة الإجماع، وشهد لسان المحامد له بشرف التدبير والاصطناع، علىّ الهمة، مبارك الطلعة، مدير المدارس المجتهد بنشر المعارف فى ديار مصر بكل بقعة، وكل غروسه إن شاء الله تعالى مثمرة، ونجومه مقمرة وأيضا فالفضل كل الفضل فى نجاح الأقاليم القبلية، لا سيما هذه المدرسة البهية، للأمير الخطير الذى جميع الألسن عليه بالثناء ناطقة، والقلوب على محبته متطابقة، سعادة محمد باشا سلطان، الذى لا زال يلاحظها بعين اللطف والامتنان، وكذلك حضرة الأمير الأجل، مدير المحل، وحضرة وكيله المبجل، ومن شملها نظره من الأكابر والأعيان، محبى الأوطان.

وأما مادة حسن الترتيب والتنظيم، وسير التعلم والتعليم على أبهج منهج قويم، فاليد الطولى فى ذلك حضرة الناظر وحضرات الخوجات، وآيات ذلك بينات، فهو غنى عن الشرح، ولا حاجة إلى الإطناب فى هذا الخصوص من المدح، وكل هذا لكسب رضاء ولى النعم، ومفيض الجود والكرم، أدام الله على العدل والإحسان اقتداره، وأعلى على مدى الأيام والأعوام مناره، وخلد على ممر الجديدين ملكه، ونظم بحسن عدالته من القطر عقده وسلكه، وأدام تأييده، وتمكينه، وجعل توفيقه مصاحبه وقرينه، بجاه خاتم المرسلين. آمين.

[خطبة ثالثة فى التعليم](1)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعله يعرب عما فى الضمير باللسان، فسبحانه من إله واحد ديان، وصلاة وسلاما على خاتم رسله، المبعوث بدين الحق ليظهره على الدين كله، الذى أمن أهل الذمة والعهد فى الحمى، وقال استوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما، وعلى آله وصحبه من بعده، وعترته وحزبه وجنده.

وبعد، فالمعروف من عهد الفتح الإسلامى أن أمة القبط المصرية سلالة الأمة الأصلية، كانت بمعزل عن ممارسة المعارف والعلوم، اللهم إلا أن يكون لهم عناية بكتابة الدواوين والحساب والمساحة كما هو معلوم، ولم تكن هذه الخصوصية لأفراد هذه الملة على العموم، بل كان جمهورهم يتعاطى الصنائع المعروفة، التى هى فى الحقيقة مشروفه، وكانت عليهم موقوفة، وإليها همتهم مصروفة، ولطباعهم مألوفة، إلى أن استولت على مملكة مصر العائلة المحمدية العلية، لا سيما فى ولاء الحكومة الإسماعيلية، فمن هذا العهد دخلت هذه الطائفة القبطية فى عموم التسوية والحرية، فكانت كغيرها بذلك حَرِيّة، وشاركت أهالى هذا القطر الشريف، فى معالى معالم التشريف، وتأهلَت لارتقاء المراتب، ورتبت فى معابدها بالمحروسة وغيرها مدارس ومكاتب، نظمتها فى غاية من التنظيم

---

(١) خطاب ألقاه رفاعة فى حفل امتحان مدارس الأقباط بالقاهرة يوم الاثنين ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٨٨هـ. ونشرته روضة المدارس بالعدد ١ من السنة الثالثة فى ١٥ محرم سنة ١٢٨٩هـ. ص٢٢، ٢٣.

والتكميل، وأعانها بهباته الجزيلة ونعمائه الجليلة عزيز مصر إسماعيل، حتى صارت مدارسها الملية، يدرس فيها جميع دروس نظائرها من المدارس الأهلية، من المبادئ الأولية والتجهيزية، وتأهل من تلاميذها مقدار جسيم، ودخل فى الخدمة الميرية وأدى وظيفته تأدية ذكى فهيم.

ومن مبدأ انشاء هذه المدارس صار لها، كأمثالها فى حومة الميدان، فى كل سنة عموم امتحان وسبق رهان، يحضره كبار الأمراء والعلماء والأعيان، ورجال ديوان المدارس المصرية أولو التدقيق والتحقيق، ويشهدون لكل تلميذ بدرجات تحصيله ويشملون ذلك فى جدوله بعد التصور والتصديق، ليرسل صوب من أنعش روح المعارف انتعاشا، سعادة مدير المدارس الملكية والمكاتب الأهلية على مبارك باشا.

وفى هذه السنة المكتبية، قد تبين لأرباب مجلس المتحان تقدم كثير من أبناء مدرسة الأزبكية، ومدرسة حارة السقائين تقدما كافيا شافيا، على قدر أقدارهم، بالنسبة لأحوالهم وأعمارهم، وأنهم جميعا اجتهدوا فى دروس الألسن والرياضيات، وتحصلوا على بعض أدبيات [كالمقامات]، ولا شك أن هذه التقدمات العرفانية، بحسن همة صاحب الهمم العظيمة جناب وكيل البطريركية، الذى قد جدد بهذه المدرسة البهية، فن الرسم واللغة الإيطاليانية، وكمال إدارة ناظر المدرسة المذكورة، الذى همته فى النظارة والتعليم مشهورة، مع ما يضاف إلى ذلك، وهو الجزء الأعظم، من اجتهاد الخوجات على الوجه الأقوم، ورغبة التلاميذ فى التعلم الرغبة القوية، لا سيما ذوى الفطن الذكية، والأصل الأصيل فى الحصول على هذه النتائج الوفية، عناية ورعاية الحضرة الخديوية الإسماعيلية، التى شملت بأنظارها أيضا جميع المدارس الملية، وساعدت على تقدمها بالجزئية والكلية

وفكرة إسماعيل فى كسبه العلى	**لأوطانه قد أنتجتها مقاصده**
به يقتدى فى الرشد كل موفق	**ليبلغ فى الخيرات ما هو راصده**
لكل زمان واحد يقتدى به	**وهذا زمان ذاك والله واحده**

أدام الله توفيقه، وجعل الرفق فى كل الأمور رفيقه، ولا برح موفقا لصالح الأعمال، ممتّعا ببقاء حضرات الأنجال، بجاه خاتم الرسل والصحب والآل.

[خطبة رابعة فى التعليم](1)

حمدا لمن جعل البلاد كالعباد، تعز وتسعد، وترقى وتصعد، ومن على بندر أسيوط كغيرها بإعزاز الجناب الأوحد، والمليك الأمجد، عزيز مصر، الذى هو كالغيث رحمة للعباد، فى جميع البلاد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى طلعت من أفقه شموس العدل وأقماره، وأضاءت به مصابيح الفضل وأنواره، وعلى آله وأصحابه الذين عمت نعماؤهم البرية، وتمت لهم بهداية الخلق المزية، أقاموا منار الاسلام، وجرى على أيديهم سعادة الأنام، لا سيما الخلفاء الراشدين، وهداة الدين، ومن اقتفى أثرهم من الخلفاء والسلاطين، والملوك الهادين المهتدين.

أما بعد، فإن الخديو الأكرم منذ تقلد مصر لا يعرف وجها يرضيها من التقدم إلا توجه إليه، ولا طريقا يدنيها من التمدن إلا اعتمد عليه، فقد أعلى شأنها، وأعز مكانها، وشيد بنيانها، وأيد برهانها، بدولته الزاهرة، وحكومته الباهرة، فقد حسّنت الأقاليم آثارُ سياسته، فلم يكن مثله من سلفه ناصرا لحقها، وناشرا لكلمتها فى غرب الأرض وشرقها، لا سيما وقد جعل أصل المعارف مركزا تدور حوله أمور أهلها، مدار السيارات على قطبها، وتزدحم عليه الآمال كلها، ازدحام الحائمات على عذبها، فليس إلا بمزايا المعارف السنية يبلغ الأهلون العواطف العلية، بعناية مليك فاق الأوائل والأواخر، وحاز جميع الفضائل والمفاخر، فلا غرو أن زاد مصره نضارة وحسنا، ملأ عصره بركة ويمنا، فكل أفق من آفاق ملكه منير ساطع، ومضىء لامع، واضح البرهان، راجح الميزان.

---

(1) خطاب ألقاه رفاعة فى حفل امتحان مدرسة أسيوط ١٢٨٩هـ. ونشرته (روضة المدارس) فى العدد ١٦ من السنة الثالثة فى غاية شعبان سنة ١٢٨٩هـ ص ٧ ـ ٩.

فانظر بعين الفكر والتأمل إلى مدينة أسيوط، فإن تلامذتها زادوا نباهة وسموا، وشرفا وعلوا، شهد لهم بذلك أرباب الامتحان العام، وزكاهم صيت تحصيلهم بين الخاص والعام، فلقد فاقوا بفصل الخطاب، وفضل المعارف والآداب، فيما يتلى عليهم من أنواع المعارف وصنوف الألسنة، وحسبوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وإن شاء الله تعالى يحسنون الإجابة فى امتحان هذه السنة، حتى تظهر ثمرات الغروس المثمرة، وأنوار نجومه المقمرة، لأرباب المجلس الباهى، والمحفل الزاهى، بحضرات سعادة الباشا وكيل تفتيش عموم وجه قبلى، وحضرة رئيس مجلس الاستئناف، وحضرة المدير، وحضرات العلماء العظام، وأعيان البندر الفخام، المشرفين لامتحان هذا العام، ليبسطوا أكف الدعاء ببقاء ولى النعم الذى شغفه العلم حبا، ولم يزل فى عشق الفضائل صبا، فإليه كل فضيلة منسوبة، وهمته الكريمة مصروفة إلى تحصيل كل مثوبة، جمع فى مصر الفضل بعد شتاته، ورد فى جسد المعارف روح حياته، ومن مثل الذى يرد ما الدهر سلب، ويهب من الشباب ما ذهب، فالحمد لله على حسن العطية، والشكر له على نيل المزية، حقق الله فى جميع مشروعاته ظنه، وأثابه على ما أسداه من الإحسان والمنة، حيث أحسن فى حق من يعامل، والله لا يضيع عمل عامل

تقلده الأيام عقد سعادة　　　له العز سلك والسعود نواظم

تظل صروف الدهر وهى تطيعه　　　وأنف عداه بالمذلة راغم

ومأمولنا جميعا، إن شاء الله تعالى، فى هذه السنة المباركة، أن تلاميذ هذه المدرسة تفوق الأقران، وتفوز بالسبق فى حومة الميدان، لنقدم جدولها بين يدى نجوى عطو فتلو أفندم الباشا الأكرم، نجل الخديو المعظم، من انعقدت على فضله الخناصر، وانطوت على محبته الضمائر، لترى منه المدارس بتلطفا وحنوا، ورفعة وعلوا، وتحصل على الجانب الأمنع والمجد الأرفع، أدام الله على المدارس يمن وجوده، وأجراه على مألوف توفيقه ومعهوده وأبقى لدواوينه مستشاره مبارك الطلعة، من أبلغ المدارس بحسن إدارته وكمال اجتهاده، درجة علية الرفعة، بجاه بدر التمام، وخاتم الرسل الكرام، عليه أفضل الصلاة والسلام.

تحية... وشكر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن أسعد على يد حضرة الخديو الأعظم هذه الأوطان، وجعلها فى أيامه السعيدة أبهى بقعة وأبهج مكان، والصلاة والسلام عل نبى الأمة، وولى النعمة، وآله وصحبه الأئمة، أصحاب المآثر الجمة، ثم الدعاء بالعز والتمكين، لسلطاننا الأعظم، وخاقاننا الأفخم، مولانا السلطان عبدالعزيز خان، أيد الله دولته، وأيد شوكته إلى آخر الزمان، وحفظ الله سبحانه وتعالى حضرة الخديو الأعظم، الذى جعل تزيين البلاد نصب عين، وتحسين أحوال العباد فرض عين وعطف بالرأفة على قلوب هى من الرحمن بين أصبعين، وأجرى فيها من منابع المنافع أصفى عين، فلله در خديو مصر الأكرم، ومليكها الأفخم، الذى أبدى وأبدع من براهين العمائر أمائر وشواهد، تعترف له بالآية الكبرى وبأنه وحيد هذا العصر والمجدد لفرائد الفوائد، بتأسيسها على أقوى أساس وأثبت قرار، يضمن لها إيناع الفروع واجتناء الثمار، جميع نتائج مشروعاته ميسرة، ولوثوقه بفضل مولاه لا يقول: (فنظرة إلى ميسرة)، صفات يقف الفضل عندها، ويقفو الشرف مجدها، وتبرز الأفلاك

(١) أنشأها رفاعة على لسان المدارس الملكية - (المدنية) - والمكاتب الأهلية، بمناسبة زيارة الخديو إسماعيل لديوان المعارف وتوزيعه المكافآت على النابهين . . وكان رفاعة يشغل منصب «ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس» . . ونشرتها (روضة المدارس) بالعدد ٢٢ من السنة الثالثة فى غايةذى القعدة سنة ١٢٨٩هـ. ص ٣ - ٥.

سعدها، وتلتزم المعالى شكرها وجدها، طالما بهرت الألباب آياته، وظهرت بمعالم العلوم بيناته، نظم المكاتب والمدارس فى جميع المدن والقرى، نظم الدر أو الدرارى، حتى عطر شذا عبيرها جميع الأرجاء، كعطر العنبر الشجرى، والمسك الدارى، فغواص البراعة ظلوا فى بحار علوم مصر خائضين، وفرسان البراعة أصبحوا فى حلباتها راكضين، وأبناء الزمان تليت عليهم آياتها فظلت أعناقهم لها خاضعين، بزغت شمس العلوم فما رضيت غير الدائرة المصرية فلكا. وأدت لها الطاعة فما ودت غير سلطنة المعارف ملكا، مدارسها يَلقى الله الروح من أمره على القلوب يجذبها، وروضتها جنة عرفان تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، مكملة بزواهر الأنوار وأنوار الزواهر، ومكللة بجواهر الأنفاس ونفائس الجواهر.

وأما دار العلوم بمصر المحروسة، بديوان المعارف بسراى درب الجماميز المأنوسة، فهي من أجل المدارس وأحلاها ذكرا، وأسماها وأسناها قدرا، فضل حديثها وحديث فضلها سار كالمثل السائر، حتى عز وجود مثلها بأهل شرفها وشرف أهلها، أسست على تقوى من الله ورضوان، ونشرت فى أرجائها جواهر الكتاب والسنة غير ما فيها من جميع أنواع العرفان، كستها العزائم الحسينية حلل المحاسن والحسنات، والهمم الكاملة حلتها لما حلتها بكمال المحسنات[1]، وأفادتها الهمة المباركة المستشارة، أصالة التأسيس مما هو غنى عن الإشارة[2].

فلما كان مركز هذه المدارس من أعظم المغارس، شرفه ولى النعم بالحضور فيه بنفسه، وتهلل محياه الشريف بما رآه فيه من بدوّ صلاح إثمار غرسه، وكان ذلك فى أثناء أيام أفراحه وأعراسه، وأويقات تجليات طلعة ابتهاجه وإيناسه، وظهوره بمظهر السرور والحبور، فكان ذلك نورا على نور، افتتح فيه بإعطاء المكافآت لأكفائها، من تلامذة المكاتب والمدارس وأبنائها، إذ كل منهم فاق على الأقران بحوز شموس المعارف التى أشرقت فى سمائها، بمحفل تمثل فيه بين يدى حضرته العلية كل من

---

(١) الحديث يشير إلى حسن كامل باشا، نجل الخديو، وناظر ديوان المعارف.

(٢) الإشارة إلى مؤسس دار العلوم على باشا مبارك، مستشار ديوان المعارف.

حضرات الأنجال الكرام، والأمراء الفخام، والعلماء الأعلام، وأعيان الدول والملل، ووجوه الأهلين ممن عز وبجل، فكان هذا المحفل كما قيل:

وللفضائل فى عليائــه سمــر   إن الحديث عن العلياء أسمار

وحضر من التلامذة الغلمان والولائد، وتقلدوا من المكافآت السنية بأبهى قلائد، من كتب مذهبه، وأدوات بهيجة قضايا تفريحها كلية موجبة، انقسمت بين البنين والبنات، ففاز الجميع بالمسرات.

وتستوى الإنـاث والذكــور   فيه كما قد أوضح المسطــور

فاكتسوا من حلى التشويق حللا، حتى غدوا لسائر الأبناء مثلا.

فهذه المفاخر الكلية والجزئية، جواهرها وأعراضها كمالات إسماعيلية، تشهد لحضرة الخديو الأعظم بإعلاء معالى المعالم، وتشييد المعاهد العلمية بتعليم كل عالم، فشكر الجميع هذا الصنيع بالبتداء، إذ كانت أفكاره السنية نجوما للاهتداء والاقتداء.

هو مبتدا مرفوع قدر فى العلى   والحــق يأبى غير رفـع المبتـدا

فكأنما مصره تناديه لتناجيه، بقول من قال، وأحسن فى المقال:

علمـتنى فـجـمـيع مـا آتى به   مستحسنا هو بعض ما علمتنى
أغنيتنى عمن سواك من الورى   حليت جيـدى بعدمـا أغنيتنى
اثنى عليك كـمـا تشـاء وإننى   والله عـن نشــر الثنا لا أنـثنى
من لى بألـسنة المديح وليــتنى   أقوى على عُشر الذى أوليتنى
ومنحت أبنائى نـعيـمـا دائمـا   بالعز والإقبـال والعيش الهنى

فضمائرنا الصوامت تسفر عن الإضمار، وألسنتنا النواطق تبرز أحاسن الآثار، وطروسنا تسطر فى حسن تحسيناته المتجددة خيار الأخبار، فلا نزال نشكره على

مشروعاته الكريمة، ومنافعه العميمة، وإقامة شعائر العلوم، ومشاعر العدالة التى نفعها معلوم.

ولما منح، حفظه الله، تلاميذ عموم المدارس تحف التشويق، لإحياء قلوب بنى الوطن بنور إلهى وتوفيق، وكامل تحقيق، قال لسان الحال، لشكر هذا النوال:

نحن أبناء مصر لولا ظفرنا	**بمعالى جنابه ما طهرنا**
إن سر العزيز سر عجيب	**قد هدانا سبل الرشاد فسرنا**
سهر الليل لاكتساب المعالى	**فاقتفينا طريقه وسهرنا**
صادق الوعد سابق السعد مولى	**صح إسعادنا به فافتخرنا**
وإذا قيل مَنْ به أهلُ مصر	**سابقوا للعلى إليه أشرنا**
وجرينا فى حومة السبق ركضا	**وسبقنا إلى مدى وانتصرنا**
كم بسطنا بساط عز ومجد	**كان قبلا قد انطوى فنشرنا**
عمرك الله إن أردت اختبارا	**فى ميادين سبقنا فاختبرنا**
قدحبانا الخديو تشويق مجد	**بجميل الثنا عليه ابتدرنا**
خصنا وده بأبهى امتياز	**فنظمنا لآلئا ونثرنا**
وطلبنا لدولة العز حفظا	**وبقاء وبالدعاء جهرنا**
كلنا شاكر فيا سعد أرخ	**بجميل كافأتنا فشكرنا**

٨٥   ٥٥٣   ٦٥١

سنة ١٢٨٩

* * *

تهنئة[1]

تهنئة سنية، ومدحة سنية، منوهة لجناب العزيز إسماعيل بكل تنويه، عما يقصده لسنة ختان سعادة نجله إبراهيم باشا وينويه، لا زالت جميع القلوب معه، والنفوس على حبه مجتمعة، حتى يحيط علمه يقينا، أن أبناء وطنه يقولون سرا وجهرا: نحن قومك ما بقينا، ولا برح لحمانا حصنا حصينا، من جميع الأسواء يقينا. آمين:

لله منك بشائر	لعلاك هن أشائر
يا جوهرا فردا به	جمعت بمصر جواهر
الملك يحسده عليك	أكاسر وقياصر
ما يعجز الأقيال عنه	عليه عزمك قادر
بعزازة أنوارها	فى المشرقين بواهر
الحلم طود راسخ	والجود بحر زاخر
فلأنت بدر والبنو	ن كما النجوم زواهر
ذرية درِّية	بسنا حجاك سوافر
السعد برج جميعهم	والملك منهم عامر
إن الحما بجمالهم	لمعضد متظافر
عن مدح إبراهيم	ألسنةالورى تتقاصر
عن مهرجان ختانه	زهوا تلوح مفاخر
إن قيل غصن زاهر	أوقيل عود ناضر
تنمو الغصون إذا جنى	منها المزيد الشاطر

(1) روضة المدارس. عدد ١ من السنة الثانية فى ١٥ محرم سنة ١٢٨٨هـ ص ٤، ٥.

والزهر يربو فى الربا   وبقطفه يتزاهر
قلم اليراع إذا انبرى   هرعت إليه محابر
والطرف إن زال القذا   عنه استضاء الناظر
بالقط شمعة مجلس   تزهى ويزهو السامر
ولعض كلبتى الأسى   أنس الغزال النافر
جعل الختان طهارة   طه النبى الطاهر
أكرم بها من سنة   وبها الجميع يبادر
وختان أبناء الملو   ك يلوح فيه مفاخر
المطربات جميعها   ومجامع ومحاضر
لكن خديو مصرنا   بالشرع ناه آمر
بالسنة الغراء قد   زان الختان شعائر
آيات بر ماالها   بين البرية حاصر
عتق وحسن تصدق   وندى وجود وافر
إطلاق مسجون جنى   ولكل كسر جابر
إيصال عيش ذوى العفا   لاحت بذاك أمائر
قتل الأثيم بصفحه   فأناب وهو يحاذر
من يشترى بالجاه ذخرا   فهو نعم التاجر
للفرع كل حامد   للأصل كل شاكر
يا كوكبا فى مصره   كل إليه ناظر
حاشا يوفى حق مد   حك ناظم أو ناثر
لكننى أرخته   باه ختانك باهر

٨   ١٠٧١   ٢٠٨

سنة ١٢٨٧

* * *

تهنئة[1]

خل برلين ولندن ... يصعدا أوج التمدّن

واعتصم بالنيل تسعد ... واسل جيحون والأردن

واطّرح أنس دمشق ... وانس بغداد والأرْزَن[2]

مدح مصر اليوم يحسن ... أفصحت بالمدح ألسن

روض واديها خصيب ... فيه للنيل التسلطن

إن تقل جنة عدن ... منك لا تطلب أيمن

تحتها الأنهار تجرى ... وبها التنعيم يقطن

مركز الدنيا جميعا ... منذ أدوار وأزمن

وأريب حل فيها ... يصطفيها للتوطن

منزه زاه بهيّ ... بالتزيى والتزين

لا تزنها بسواها ... فهى عند الوزن ترزن

ذكرها فى الذكر يقضى ... لعلاها بالتمكن

كيف لا تنمو وفيها ... روح جثمان التيمن

إن إسماعيل أصل ... حوله الأنجال أغصن

قد حذوا حذو أبيهم ... صوب عطف وتحنن

سرّ توفيق إله ... أمره فى قوله كن

---

(١) نظمها رفاعة تهنئة للخديو إسماعيل بمناسبة قدوم رأس السنة الهجرية (سنة ١٢٨٩هـ). . ونشرتها روضة المدارس بالعدد ١ من السنة الثالثة فى ١٥ محرم سنة ١٢٨٩هـ ص ٤ ـ٦ .

(٢) هناك مدينتان شهيرتان تحملان هذا الاسم، إحداهما قرب خلاط بأرض أرمينية، والثانية بأرمينية أيضًا هى أرزن الروم.

أسكن الملك ببيت لم يكن لولاه يسكن
وارتقت مصر مقاما عنده الأقيال تجبن
أشرقت فيها شموس نورت أفق التفطن
كم فنون مبدعات زانها حسن التفنن
وتعاديل أصول طبق منهاج التدين
وقوانين تجار قصد ترويج التدهقن
جندها برا وبحرا لا يبارى فى التمرن
فهمو أسد عرين سيفهم للفتك برثن
كم جوار منشآت بلغات البحر ترطن
سفن إسماعيل قالت افترض ما شئت واسنن
حول البرزخ بحرا ونسيم السعد يسفن
كم حياض فى ثغور تلثم الفلك وتحضن
ومنيعات بروج محكمات فى التحصن
كم طريق من حديد تسبق الطير فيكمن
وبريد كهربائى وحيه لمحة أعين
ووبورات مياه كجبال النار تدخن
ومبانيها العوالى كمعالى الملك ترصن
كم بها من سلسبيل كوثرى ليس يأسن
عينه العذبة منها عين أهل الحقد تسخن
وشموس الغاز يجلو نورها ما كان يدجن
منظر الألعاب يسمو بأعاجيب التلوّن
وجياد الخيل قالت قد ربحنا السبق فامنن
مصر إسماعيل نالت صفو عيش ليس يأجن
سل قراها كى تراها ألفت وصف التحسن

وبـــــوادى كـــــل واد	أنفت طبع الـتـــخـــشن
فـلنـهـنـئـــــه بعــــام	ذى ســـعــود عـن تيـــقن
كـــــسنين تـتـــوالى	بدلالات الـتـــضــــمن
فـــاحظ بـالـبـشـــرى وأرخ	دور تقـــديـم الـتـــمـــدن

٥٢٥ ٥٥٤ ٢١٠

١٢٨٩

* * *

تأريخ[1]

وفّى العلى حقها زمان	رضا حسين عليه دين
روض الأماني به نضير	وصفو سلساله لجين
منافع القطر منه ضاءت	لها بنور النجاح عين
تزهو دواوينه ابتهاجا	إذا أرّخت ناظرى حسين

١٢٨ ١١٦١

سنة ١٢٨٩

(١) عندما تقلد حسين باشا، نجل الخديو إسماعيل نظارة ديوان المدارس الملكية والأوقاف. أرخ الطهطاوى ذلك شعرا، على عادة عصره، فكتب ناظمًا هذه الأبيات، التى نشرتها روضة المدارس فى العدد ١٢ من السنة الثالثة (غاية جمادى الآخرة سنة ١٢٨٩هـ) ص٣.

الكواكب النَّيرة
فى ليالى أفراح العزيز المقمرة

[وهى تهانٍ، نثرية وشعرية، نظمها الطهطاوى فى مناسبة أفراح الأمراء:
محمد توفيق باشا (الخديو فيما بعد)
حسين كامل باشا
طسن باشا
حسن باشا
إبراهيم أحمد باشا
وذلك سنة ١٢٨٩هـ سنة ١٨٧٢م.

[مقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

نبتدئ. باسمه تعالى لصون عقود هذه الجواهر النظيمة، وعقود هذه الزواهر البسيمة، والوجوه البواهر الوسيمة، فإن اسمه فى الأفواه عذب، وذكره فى الألسنة رطب. . .

غن لى باسم من أحب وخل   كل من فى الأنام يرمى بسهمه

لا أبالى وإن أصاب فؤادى   إنه لا يضر شىء مع اسمه

ثم نثنى بحمد المنعم الحميد، وبشكره الذى هو سبب للمزيد، فكم لله من نعمة واردة، تقيد بالشكر وإلا كانت شاردة، وسبحانه من إله ألف بين القلوب، ووصل على سنة نبى الهدى عروس الأفراح حبل المحب بالمحبوب، وأرجح سعدا، وأنجح وعدا، وأقمر الأمل، وأثمر العمل، وجاد بالنعم وفاقا، والديم دفاقا. أعلى بيت إسماعيل الرفيع، فما بيت «الفضل» و«الربيع»؟ رونقه يزين الدنيا بمعاليه، ويشيد العلياء بمآثره ومعانيه، يحسده الملوك أصحاب الأسرّة، حيث جعل درة مصره فى جبين العصر غرة، تاهت به مصر تيه الحسنا، إذ صعدَت به إلى المقام الأسنى

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة   سال النضار بها وقام الماء

صفت لياليها بالبدور المقمرة، وانصاغت لها من العسجد والنضار القناطير المقنطرة.

فلهـا بالعزيـز أطيـب عيـش قد أتاها من عيشها ما ترجى

معهدها بالعزازة معمور، وموقعها من مهمات الأمور، وجمهورها هو الجمهور، ما أمر عزيزها الدهر إلا وأتمر، ولا غرس فيها الزهر إلا واجتنى الثمر

قـد أشـرق النهـى بأنعمـه فالحـر قـد أضحـى له عبـدا

مـا حـل إلا والنـدى معـه والدهر أسد للمنـى سعـدا

ومن ذا الذى لا يعلم أن مجادة هذا العزيز فى دولة الإقبال والاسعاد، كمجادة مصر حرسها الله فى البلاد، فكما هى منطوية على العالم الأكثر، فهو، وله الطول، منطو على العالم الأكبر، وإن أجَلْتَ النظر، وأمعنت الفكر، فما هى إلا عبارة عن ناديه السامى، وما أصابع نيلها إلا من فيض أياديه الهامى، زمانه هدية الفلك، وهو ملك ينبىء عن خلق مَلَك . .

إذا لحت قالت عيون الورى أذا مَلِك طالع أم مَلَك

(وقال آخر)

سما فأصبح يدعوه الورى مَلِكا وربما فتحوا عينا غدا ملكا

فما قبلت أفواه الوجوه له كفا، إلا لرؤيتها بحرا تطلب منه رشفا

سقى الله بحرا منه بالنيل لم يزل يفيض لراجيه ندى ورغائبا

وحيا زمانا فيه غرة وجهه تحية صوب المزن يروى السحائبا

فهو مليك معدود من الملوك بألف، وجميع من تقدمه فى مصر متأخر إلى خلف، يعبد الله فى حقوق الرعية على حرف . .

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا إلى المجد حتى عد ألف بواحد

رفعت ذكره ملوك أوانه، وتباهت دواوينها بديوانه، وأوسعت حقه رعيا، حيث أحسنت فيه رأيا، وحيته ولا تحية إسكندر وكسرى، إذ تقف الآراء عن مداه حسرى، نسبته إلى المجد نسبة أولى، ويده فى المكارم يد طولى، تعترف به الأبصار والأسماع، وإن جحدت عارضها الإجماع، بشهادة لا يتطرق إليها نزاع.

ذكر الأنـام لنـا فكنت قصيــدة أنت البديــع الفرد مـن أبياتهـا

فهو من ينبوع العناية ريان، ملحوظ بعينها من الملك الديان.

وقـد أمـده المولى تبـارك وتعـالى بلطائف الطرائف، والتـلاد، وبارك له فى عـواطف عـوارف الأهل والأولاد، ووفـقـه لسـرور رعـاياه حـتى بتكرار المواسم والأعياد، من كل ما يبهج الناظر، ويسر الخاطر، ويخرج الجوهر من الصدف، والعناية صدف.

يـروِّح أرواحـا وينـعـش أنفسـا يـجـدد أفـراحـا يشيِّـد مـا عفـا

ينبــه جفنــا للمسـرات كـان عــن أويقات جمع الشمل بالأنس قد غفا

فجنابه العالى بهذه المزايا بهيج رشده، ونسيج وحده، فأعوامه غرة فى جبين الدهور، وابتسام فى فم الزهور، فلله ما وهبه من تجمله بأنجاله الأمجاد، وأشباله عراق الأنجاد..

فـــانظـم عـــقـــود المدح فى أبـنـائـه أهــل المنــاصـب

وإذا ذكـــرت مـــديحــــهم فـــاخـــتـــر من المدح المناسب

قـــد أعـــجـــزت أوصـــافـــهم بحلى الفـضـــائل كل كـــاتب

وهو رونق منبتهم العالى، وبهجة منتداهم الذى أطلع ثمر المعالى..

يـا تـرى فـى أى يـوم مـــــا يصـل المحـــبـــوب حـــبـله

وبـه فـى طـيـب عــــــيـش يجـــمع الـرحـــمـن شـــمـله

فــلـــه فـــى الـــقـــلــب ود لا تـروم الـعــــــين نـقـلـه

لـو رآه الحــــسـن أعـــــلا مـــــحـــــلا وأجـلـه

فـــمن الحـــسن ولـلحـسن بـــــدور وأهـــــلّـــــه

وقد بلغنا خبر مقربة الحركة، المقرونة بالخير والبركة، براعة بشارة، وعبارة عن إشارة...

فراحـــل وصـــادر عـــن بـــابـــه   مبـــــشـــر لـــوارد وقـــــادم

فاستقبلنا خبر تبكير سنة التأهيل، بسنا التكبير والتهليل، لحضرات الخضارم البهاليل، وكنا قبل ذلك نستنشق أرج شميم هذه الأفراح، بما يبدو من سر صميم ما فى الصدور من الانشراح.

فـكـل كـف رآه ظنـه قدحـــا   وكـــل شخص رآه ظنـه الساقـــى

والا أن تنشد للهناء المتجدد، وبلوغ المنى المتعدد

منـا نهنـى نفوسا طالمـا انتظـرت   هذا السرور الذى أوقاته حضرت

فاسكرتنـا براح الأنـس إذ بهرت   وأرقـصتنـا ليالى قطعـا قصـرت

كتب البشائر تعرف بسماتها، وتستنشق أنوار البشاشة من قسماتها، وتقر الأبصار بشرف الأسماع، ويتلقى مقدمه بطلوع البدر بثنية الوداع، وقلنا أيضا للبشير المشير إنشادا:

بشـــرت بالخـيـــر يا بشـيـــرى   جئت على الوفق من ضـمـيـرى

لـو أحـــــد طار مـن ســـــرور   لطـرت من شـــــدة الســـــرور

ســـمـــحـــت يا دهر بالتـــهـــانى   أحـــســـنت يا أحـــسن الـدهور

فما من شمس من شموس هذه«الفاملية» الوضية، ولا قمر من أقمارها المضية، إلا سيأخذ عما قريب زينته بزينة، والمسرات ملء قلبه، والمهابة ملء عينه، ولا فتى من فتية هذه الذرية الدرية إلا لثوب العز ساحب، وللوقار مع الصبا مصاحب، فى عزة شهامة أشهر من مثل، وعن الملوك فلا تسل، وإذا تطرز غيرهم بلمعة من الإعزاز، فهم كلهم فى درة تاج العزيز طراز.

أعـز نـــي العليـــاء ورفعـــه   ومن قرع الشماء من رتب المجد

ولا يخفى أن لميدان هذه الأفراح الخديوية مجمعا حفلا، فكان الإطناب فيه فرضا لا نفلا، ولكن يرجى السماع للمسابق فى وصف هذا الرهان، حيث إنه يستخلب الأذهان، ويستجلب الألسنة بالتسبيح لله الذى خلق الإنسان، فهى لا

تنتهى إلى وصف واصف، ولا بحساب حاسب عارف، فكم فيها من أعاجيب أسماع وأبصار، فكأنها جنات نعيم بهذه الديار، تؤذن بطلوع أقمار التهانى، وسطوع شموس التدانى، وهبوب نسيم الإقبال، وشميم عبير شذا هؤلاء الأقيال، وشهود العين بالعين، واتحاد محبوبين اثنين، من كل ما تعجز عن الإفصاح به العبارة، وتدق عن إدراكه الإشارة.

أنوارهم من سناها الشموس ثم الأهلة

هم فى المعانى كثير　　وغيرهم جمع قلة

فلا غرابة أن كان حضرة الخديو الشقيق، الذى يطالع الغيب من وراء ستر رقيق، ويطلع على الضمائر بسر إلهى وتوفيق، يشيد لبنيه وذويه من قرابته العلى، كيف شاء وارتضى، ويضرب صفحا عن عرف زمان مضى وانقضى، حيث رأى بفضل حسه ونبل قياسه، ما لا يراه حاذق غيره بإحساسه، خص الجميع بخصائص سنية، ومزايا سنية، فاصطفى لهم مصاهرة بنات العم، ليكون نظام المنزل كنظام المملكة على وجه أتم، وهذا هو المحل الأعظم، والذروة العليا لعقد الذرية الأنظم، وعادة العرب أنها إلى بنى العم تحن شوقا وتئن، قالت بنات العم يا سلمى وإن

وليس كفأ للفتى الأشم　　فى حينا إلا بنات العم

فليس الحظ الأوفر، فى استحسان حسان بنى الأصفر، ولا فى أن يقصر المميز امتيازه، على خرائد الكرج والجركس والابازة، فاجتبى حضرة ولى النعم، جليل الشيم، لكل شهم من بنات عمه الفائقات الرائقات شمسا تخجل شمس السناء، ولا تشاركها الشمس إلا فى الأسماء(شعر):

غادة تسلب العقول ولا بد　　ع وأعمال طرفها سحريه

جبلت ذاتها من المندل الرطب　　ففاقت على الرياض الذكيه

مالها فى الغصون ند وليس الند　　إلا أنفاسها المندليه

ذات لحظ وسنان يفعل ما لم الرطب　　يفعل السيف فى قلوب الرعيه

ومحيا من دونه يخسف البد ... ر إذا لاح فى الليالى البهيه

حوَت الحسن كله فهى مما ... أبدع الله صنعه فى البريه

شبهوها عند التلفت بالظبى ... وهيهات ما هما بالسوية

كل شىء يخفى إذا ما تبدت ... وهى كالشمس لا تزال مُضيّة

تسكن إلى إلفها الراغب، وينشأ من بينهما كرام المناسب، يوافقها وتوافقه، ويصادفها وتصادفه، حيث التفاتات الود من الطرفين متوجهة، ودواعى المحبة بينهما متنبهة، بجمعهما جد أعلى، ومجد أسمى، صلة تأكدت أسبابها، وتوثقت أطنابها، وهذا فى معرض الكمال أقبل، وبطالع سعد العشيرة أجمل وأنبل، يروى مرسل النسل مسلسلا بسند الاتصال، وحديث النبل مرفوعا مدبجا بلجين الغدو وذهب الآصال، فسبحان المانح للعزيز هذه الفكرة الجليلة، التى عن مثلها أفكار غيره فى هذا المعنى الدقيق كليلة . .

لكل شىء صنعة حكمت ... وصنعة العقل اختيار الكرام

مع ما يضاف إلى ذلك من محبة كل من الفريقين الأشرفين، ووداد كل من الطرفين الأظرفين، وامتزاجهما امتزاج الأصابع بالأنامل من الراح، أو امتزاج الماء بالراح، والأشباح بالأرواح فكأنهما تشاكلا فى عالم الذر، وتشابها فى نفس الأمر، إذ الأرواح هناك جنود مجندة، ماتعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، كما قيل :

محبة ما عرفت الدهر سلوتها ... تجرى مع النفس أو تسرى مع النفس

وما لها آخر لكن أولها ... تعارف سابق فى حضرة القدس

أشهى إلى النفس من أمن إلى وجل ... ومن مجال الكرى فى الأعين النعس

وقيل أيضا :

روحاهما روح ونفساهما ... نفس، كذا فليكن الحب

وقد أجاد من يرى توحيد المحبة فى الاتحاد

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحـن روحـان حللنـا بدنـا

ومثله من قال، وأحسن المقال:

بكم اتحدت هوى فلو حييتكم   قلت: السلام علّى إذ أنتم أنـا

ولبعضهم:

أرى قربـه قربى ومغناه غنيـة   ورؤيته ريا ومحيــاه لى حيـا

وفى تلك الذرية الدرية أيضـا تشـاكـلات مـعنوية، مـبناها على حـسن التـربيـة الملوكية، وهى موجودة فى الطرفين الأشرفين، ولا أثر بعد عين، فبانضمامها إلى الحسن الرائق، والجمال الفائق، والكمال فى الخلائق، يتم الائتلاف لا سيما عند خروج الدر من الأصداف. .

فـى المغانــى مخــدرات غــوان   أنـزلت آيــة الحجـاب عليهـــا

فالحال والشان كما قيل:

أهلة الحسن قد لاحت بأفق سما   وكلهم فوق فرق الفرقدين سمـا

لمـا تجلـت بهـم للعين طلعتهـا   اختـار كـل هـلال مالـه قسمــا

ولنسلك هنا مسلك التلميح، مع رعاية حال الأدب بدون الغنى عن التصريح، مما يحسن فى طريق الأدب، ولا يخرج عن ديدن كلام العرب، كما قيل:

فبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى   فـلا خير فـى اللذات من دونـها ستـر

وإن كـان لابـد من القـول، فلنسـتـعن بذى الطول، ونشـرع فى حـسن الإيراد، ليحظى بالقبول إذ كان على وفق المراد فنقول:

(تهنئة دولتلو محمد توفيق باشا)

إن سـعـادة ولى العـهـد، رب المجـد والسـعـد، سـمىّ أعلى جـد، وسنىّ الحظ والجد، المشير الجليل، والوزير النبيل، دولتلو توفيق العزيز، خالص الإبريز هو

النير المسى في خط الاستواء، وهو القمر فى أعلى منازله فى تقدير الاهتداء على حد سواء، كوكب مجد، أضاء سناه بموكب سعد، عليه من بها المفاخر أسناه، ذو محيا أضاء نورا، ورواء ملأ قلب الرائى فرحا وسرورا، وسجية وارية الزناد، يعطر عبير شذاها كل ناد، فهو العلم الفرد، وأعرف المعارف فى المجد والجد، جرى إلى آمال الشهامة والفتوة، فقال له نجاب السعد: خذ الكتاب بقوة..

افئدة الخلق على حكمه   له رعايا والسرير الحشا

ملكه الحلم قلوب الورى   والله يؤتى ملكه من يشا

فهو كما قيل:

فتى طاب أعراقا وفضلا وسؤددا   كما طاب فى بذل النوال له أب

فكان حظ دولته البهية، فى التأهل على وفق ما اقترح له السعد، وخطب ذات الطلعة البهية، والغرة الزهية السمية، من رفعت أعلى محاسنها إلى أعلى السماك، ونادى منادى كمالها: جلال التوفيق لولاك لم يكن لى أحظ القسمة لولاك، حضرة أمينة هانم، كريمة المرحوم إلهامى باشا فهمى، أبهى عروس فى منصتها، أخذت من معزة البيت الإسماعيلى أوفر حصتها، وهى شمس توفيقه الطالعة، وأنوار كوكبه الدرى الساطعة..

أعطيت القوس من براها   وبُوِّئَ الدار من بناها

فما سواه لها بكفء   وليس كفئاً له سواها

شهم دعته العلى: فلبى   وما توانى ولا تلاها

فقرينة السعد أمينة، جبلت على السكينة والوقار، والأمير مكين أمين بديار مصر التى هى أعظم ديار، وفى هذا القول بالموجب ما يؤذن بتحسين المطابقة، والوفاق، مما يضيق عن إيضاح محاسنه البديعة جوهرى النطاق، ولم يسمح الدهر بخير من ذلك ولو شمر عن ساق مفرد تثنى، وحسن لفظ جمع أبلغ معنى، فقدر مجد محمد لا غرو جليل، وكثير المدح فى جنب معاليه قليل، فهو أول الأصالة فى بيت الشرف المنتخب، من نسل إسماعيل أصل شرف العرب:

نعم إن سخا دهرى وجاد أجدت فى	مديحى إسماعيل نخبة أمجاد
أبا العرب عم المسعدات أخا الحيا	حليف الندى مولى الجدى شرف النادى
سليل الموالى حائز كل مفخر	جليل المعالى منتهى كل مرتاد
عزيز له التقديم فى شرعة العلى	به يقتدى طلاب هدى وإرشاد
سما رتبا فى العدل من دونها السها	فمن رامها ضل الطريق ولا هادى
وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا	لعليائه دام السعود له حادى
وتوفيقه رب المعالى رفيقه	له صوب عهد الملك أكمل إسعاد

فلا أقسم بهذا البلد، ووالد وما ولد، إن هذا المقام الأسمى، والنور الأسنى، لقرة عين الزمان، وإنسان عين ذلك الإنسان، وإنه للمعانى والمعالى لهو الروح والجثمان. وأقسم بالطور، وكتاب مسطور، فى رق منشور، والبيت المعمور، إن هذه الخود المشرف جلالها من أعلى الرفارف، والتى يجلى كمالها ويتلى على كل لبيب وعارف، لهى من الحور المقصورات فى الخيام، لا تنجلى إلا على قمرها بدر التمام، فكيف وهى كفء عروس المعانى والمعالى، تحفة المباهى والمعالى، بها نال البدر بكف الثريا كوكب الجوزا، وحاز رتب المعالى حوزا، وفاز بجمل الأمانى فوزا.

نسب جاوزت معاليه قدرا	أن تسامى بأنجم الجوزاء

فلله صباح تلك الإنارة، ومصباح اقتبست من نوره من السبع السيارة، وأصبح بضياء طلعته يقر كلا الجوزا هر والنو بهر، أبهج عرسه البهى مصر وأقطارها، وبهرج ربوعها وديارها، متع الله الأمير بطلعة سروره السنية، وبهجة أمينة أسراره الأنسية، وجعله مدى السنين، مشمولا بالرفاء والبنين، وسره بما يجب مدى الزمان، ما تعاقب الملوان، بجاه سميه محمد خلاصة عدنان، وقد وفق البارى سبحانه وتعالى لعمل عدة تواريخ لأنس هذا التأهل المباهى، فجاءت على وفق المراد وها هى، أولها:

بأفق مصر كوكب التهانى ضيـاؤه فـوق العـلا تلالا
رقى ذرى العلى فأرخـوه والكـل مـن توفيقـه تعالـى
سنة ١٢٨٩

ثانيها :

أفراح توفيق الخديو أبى الفدا فيها سرور نواظر ومسامـع
سعدت بها الأوطان لما أرخوا تأهيل توفيق بأسعد طالـع
سنة ١٢٨٩

ثالثها:

روض التهانى قد تبسم زهـره وسرت بأفـراح السرور نسائم
فلسان حال الأنس قال مؤرخا أنسـى بتوفيـق التأهـل باسـم
سنة ١٢٨٩

وأما تاريخ ربة المكارم حضرة أمينة هانم فهو :

أميـنـة إلهـام تجـلـت لمـاجـد بأسنى علاه قـد تكامـل مجدهـا
ولمـا تحلت بـالسعـادة أرخـوا بشمس بها التوفيق يبسم سعدها
سنة ١٢٨٩

ليالى أفراحه ما أبهاها وأحلاها وأزهاها وأجلاها
فحيـا الحيـا ليـلات أنـس مـنيـرة محاسنها فى الكون تنشر لا تطوى

(تهنئة دولتلو حسين كامل باشا)

وأمـا تأهل صنو الكمـال، مظهـر الجـلال والجـمـال، أسـد العـريـن، أشم العرْنين[١]، دولتلو حسين باشا، مشير المعالى، ثانى الأنجال، فالقول فيه فسيح المجَال، فهو جمال النادى، وكمال الحاضر، والبادى، والشائد والشادى. ساس

---

(١) العِرْنين - بكسر العين وسكون الراء من معانيها : الأنف، كله أو ما صلب منه. وهذا المعنى هو المراد هنا.

فأحسن السياسة، ورأس فأتقن الرياسة، ولما تقلد وزارة الدواوين درًا وياقوتا، أضحت سيرته الحميدة لأرباب النهى من دربره فوتا، حكت نسمات الصبا أخلاقه لينًا ولطفا، وأخجلت محاسنه حسن الحسان كمالا وظرفا، صيته بالمحامد سرى مسرى الخيال، متكفلا لمكارم الأخلاق ببلوغ الآمال، لم يدع من دواعى المبرة لغيره مثقال ذرة، فكأنه المخصوص بقول الشاعر:

هو الرئيس ومنّاح الجليس من الـ ـقول الأنيس مقالا طيب الأثر
الحائز المجد عن قوم أماجد قد نالوا المعالى بجد الحازم الحذر
حوى من النبل ما لو ناله أحد سواه قيل له: يا أوحد البشر
وقلدته المعالى من جواهرها لآلئا تزدرى بالشمس والقمر
وأودع الله فيه كل مكرمة شاعت مآثرها فى البدو والحضر

لفظه للمعانى مخاطب، ومعناه للمعالى خاطب، نضرة محياه اقترنت بعين الحياة، فصافحت يمن هذا التأهل النضر، مصافحة يمين عين الحياة للخضر، ونعنى بذلك حضرة الهانم بُضْعة المرحوم أحمد باشا الفاخرة، طلعة الكواكب الزاهرة، فريدة غراء، وخريدة زهراء، نفحاتها مسكية، ولمحاتها زكية، من أطيب العناصر، تعقد على مثلها الخناصر، عروس تجلت على منصة الإخلاص، وتحلت بجواهر الاختصاص، محياها أقمر أنور، وجبينها أبهر أزهر.

*** أطلعة الشمس تزهو أم هى القمر***

يقول لسان الحال لحسينها الجدير بها والحقيق، دونك وهذه الدوحة التى غصنها وريف وريق، بهجة الناظر، وبغية الخاطر:

سبحان من جمع المحاسن كلها فى ضمن ذات من على ومفاخر

وافقت هذا الأمير الخطيرْ فى وصلة أدبه ونسبه، وذكاء ذكائه وحسبه..

وليس يعرف لى فضلى ولا أدبى إلا امرؤ كان ذا فضل وذا أدب

وقد قال من لا فض فوه، إنما يعرف الفضل من الناس ذووه، فأخلاقها أصفى من لب اللباب، كما ابتسم فم الكاس عن الحباب، وراح الروح بسلسلها ممزوجة، وأزهار الروض على منوالها منسوجة، فهى لحضرة هذا الأمير نجى وأنيس وسمير، فيحق لكل منهما أن يكون صاحبه له نجيا، ويجنى ثمرات صداقته جنيا، فهو فى الصدق والنسب إسماعيلى الصدق والوفا، كما أنها فى الصفوة أحمدية بساط الصفا، فيحق لهما أن ينشدا لمن شدا:

فنحن العيان ونحن الكيان　　ونحن الأنام منحنا المنى
غَلا جدنا من عُلا جدِّنا　　فيا سعد أكمل لنا سعدنا(١)

وقد توفق لنا نظم تاريخين لمهرجان تأهيل هذا المشير، كل منهما بكامل السعد له بشير، الأول:

أوميض برق لاح أم مصباح　　أم ضاء من وجه الصباح صباح
أم ثغر زهر بالمسرة باسم　　أم بالتهانى دارت الأقداح
أم أسعدتنا بالبشائر والمنى　　أخبار عرس للرواة صحاح
وبلابل الأفراح قد غنت صبا　　فصبا إليها الصب وهى فصاح
رصد النهى عشاقها فحسينها　　رصد المعالى هل عليه جُناح
مألوفة عين الحياة فعيشه　　خضر ونور جبينه وضاح
هو كامل الأوصاف عز نظيره　　كسب العلى طرز له ووشاح
أفراحه ابتهجت فقلت مؤرخا　　بحسين باشا تسعد الأفراح

سنة ١٢٨٩

الثانى:

لحسين باشا من صفا الأوقات　　حظ بهى جوهرى الذات
ومواهب حسنت ومنها ناهب　　أوفى نصيب الأنس واللذات

(١) علا، الأولى، بفتح العين، والثانية بضم العين، وجد، الأولى: هى الحظ، والثانية هى الجد، والد الوالد.

خطبت لـه العليـا كـريمـة عـمــه وهى الفـريدة فـى كـمـال صـفـات

حـيت فـأحـيت أنسـه مـذ أرخـوا وصل فـيـا بشـراى عـين حـيـاتى

سنة ١٢٨٩

وها هو تاريخ لحضرة عين الحياة أيضا، فاض به مداد اليراع فيضا :

عـين الحيـــاة بهجـــة جاءت على وفق المراد

مذ طاب أنس عرسهـا أرخـه بالمرغوب جـاد

سنة ١٢٨٩

متع الله الجناب الحسينى العالى بأسعد أمنية، ورزقه منها بصالح الذرية، بجاه سميه سبط أشرف البرية . . .

(تهنئة دولتلو طسن باشا)

ثم لما تنبهت العيون من إغفائها، ولم يسغ أن يذوق المدام غير أكفائها، فاحت نسـمة عاطرة من أعلى القصـور، ولاحت لمحة صادرة عن النور الذى قد حـجب بالبراقع والستور، لتأهيل أهلة الأهل إذ هو على أهله مقصور . .

فلسان الجمال أضحى ينادى أنا سعدى ما عند أهلـى غربـه

وبرزت آرام النقا[1] من الشعب، لقرب اللقا بين المحبوب والمحب . .

عــجبت لســحـر عــيــون الظبى تصــيــد الـقــســاور من غــابـهنه

وهن الـدمى الخـــرد الآنســـــات ومن لهـم الشـعـب أضــحى مـظنه

فــثـم الغــوانـى الملاح الصـــبـــاح يـزن الوشــــاح بـأعطـافـــــهنـه

إذا مـــسن مــا بـين تلك الخـــدور يحــــاكى القـناليـن قــامـــاتهـنه

فقد آن لحضرة فاطمة الزهراء أن تتحلى لعروسها، كما تجلت سميتها قبل ذلك

(١) النقا : قطعة الرمل المحدودبة .

لامرئ قيسها، وانجلى لسليمان من مملكة سبا جمال بلقيسها، ومالت لبنى بالوداد لقيسها، فحياها سعادة الأمير طسن بأهلا وسهلا، ولم يقل لها أفاطم مهلا . .

أمبشـرى ممن أحـب بـزورة   أهلا وسهلا بالبشارة والهنا

وما القصد هنا ذكر امرئ القيس، ولا لبنى ولا قيس :

مالى أكنى بالنقا عن غيره   وأقـول شام والمراد عـراق

وإنما القصد حضرة الطلعة البهية، والبُضْعة الخديوية، الفائقة بالحسن والجمال، والبهاء والكمال، جميع ربات الحجال، أخت حضرات الوزراء الأنجال، التى صارت قرينة الجوهر الفريد، والدر النضيد، دولتلو طسن باشا السعيد ابن السعيد، الجدير بالتبجيل والإجلال، المنتظم فى سلك أكابر الأمراء وفحول الرجال، وهو لدى حضرة الخديو الأعظم، فى سلك حضرات أنجاله الكرام قد انتظم، فهو براء رعاية حضرته محفوظ، وبعين عناية سعادته ملحوظ، فكأن لسان حال الجناب العالى يقول فى حقه، وحلية لسان إسماعيل فى صدقه

هـذا الأميـر بغيتى ومطلبى   من مثله أو فوقه فى النسب

تـشويقنـا لــه هــو المـراد   وحظـه من قربنـا الإسعـاد

فقد ورد على الساحة الكريمة أحسن مورد، وفاز من التأهل بحضرة كريمة الجناب الخديوى بأشرف مقصد، وفاز بنميقة[1] الإنعام والإحسان، بالعقد على حسناء الحسان، عقد أودع أجمل الفرائد، واشتمل على أكمل الفوائد، شيد عصرنا بمعاليه، وعطر مصرنا بغواليه، وحلى قطرنا بلآليه، أسوغ من الزلال، وأسبغ من الظلال، وهو من أعظم ذوات البال، يضوع نشره، ولا يضيع بشره، تفوح نفحات رياه، ويصبح ويغدو صائبا صيب حياه، وقد قضى قاضى الجمال، لهذا الهلال، فى دولة العز بالنصر والتأييد وأن يشمله كالجارى فى حقه حسن أنظار ولى النعم المؤيد بالعز والتخليد.

---

(١) النميقة: المزينة.

خطبتك مذ علمت بأنك كفؤها فــأتـتـك طائـعـة ولـم تتـردد
فـبـشـراك يـا ابــن السعيــد
قـد خصـّك الـداورى بـالمنـى يـخـصـه مولاه بـالـعـافـيـة

ولله قول من قال :

وقـــائله لـى أين أنت وحـــبـــهم وأين قـوام الغـصن من رفعـة البـدر
لئن كـان قدرى كـامنا قـبل وصلهم فـإنى مـذ واصلتهم أظـهروا قـدرى
ولو لم يـكن بين الســرائر نسـبـة غـــريزية لم يـألف الســـر للســـر
فـإن كـان لا يدرى عــزولى بمثل ذا فـما ضـره لو كـان يسأل عن أمـرى
فـيـا حـبـذا العـم الذى عم مـجـده أقـاربـه والأبعـدين مــدى العـــمـر

ونعمى حضرة الخديوى نمت وعمت الجميع، لكنها لا تزال يزداد بها قدر كل ذى قدر رفيع، ثم إن طالع دولتلو طسن باشا دائما سعيد كما هو معلوم، فقد استـروح بريحـانة زاهرة ولا رياحـين بنى مـخـزوم، نعـمـة حق عليـه أن يقـوم بشكرها، ويقضى الأوقـات فى طيب ذكـرها، وينشـد بلسـان حـاله، وفـم تهـليله وابتهاله :

ألا يا سعد حى الدار إنى أحب لحب فاطمة الديارا

وقد أنشده السعد، وشدا له المجد، يقول الشاعر :

زمن الأفــــراح الـغــــر وافــــاك فــــامـــــلأ بالحظ يـديك وفــــاك
فـــــإذا جـــاز الجــــوزاء فــــتى بوفـــا عـــهـــد لـم يحك وفـــاك
هنـئـت بـعـــــرس قـــــد بهـــــرت فـــحـــز الإسـعـــاد بـهـا وكـفـــاك

ولما كانت أنوار ليلات الأنس المخصوصة بهذا الأمير كغيرها من التفريح فى الدرجـة القـصـوى أنست أفـراح «بوران» وبهـا انطوى ذكـر «قطر الندى» وغـدت حكايتها «كهيان بن بيان» . .

ولما صارت زهرة الزهرة فى طلعة جبينه، وطوع يمينه، دعى لهما بما قاله الشاعر، فى نظير هذه المشاعر:

ودوما فى أمان من زمان وحظكما من الإسعاد جم

وقد أرخت هذا التأهل بقصيدتين، وها هما بمرأى العين،

الأولى:

وافى الهناء وطاب وصل الغيد وصفا ورود الأنس بالتجديد
سطع السنا وزهت أسارير المنى وشدت طيور الروض بالتغريد
قد قابلت وجنات ساقينا الطلا فاحمر خد الكأس بالتوريد
لاحت بسر كواكب مصرية لمخدرات فى القصور وخود
فيهن أكفاء لكل ممجد هو فى نظام الملك حلية جيد
طسن رقى الأفلاك كوكب سعده وسما بآباء كرام صيد
تجلى له الزهراء فاطمة التى فى ببيت إسماعيل بيت قصيد
لا غرو أن تك فى الكمال فريدة فبمن مولاها انتمت لفريد
طسن علا فى المجد أسنى رتبة وعلى المدى سينال فضل مزيد
وبعرسه الزاهى يزيد سروره بمواسم فيها بواسم عيد
سعد التهانى فيه قال مؤرخا حظ بهى بسعاد لابن سعيد

سنة ١٢٨٩

والثانية:

طسن له فى المجد فضل إمارة وعليه من علم الوقار أماره
شهم تهذب فى العلى من مهده وقضى له أن العلى أوطاره
يحوى الفصاحة والبلاغة والبرا عة والبراعة عزة ومهارة

أمضى الدجى سهرا ليظفر بالرحى صقل الحجى إذ حاز خير تجاره

نفس لها ينقاد وهى زكية من حيث يعصى في الهوى الأماره

فى دولة الاداب صار مؤيدا وأدام فيها ليله نهاره

وقد اكتسى بالرشد أبهى حلة من حيث يصرف فى العلا ديناره

وقد اصطفاه خديو مصر محبة وحباه صفو صهاره واختاره

لكريمة زهراء تاج محاسن قد أخجلت زهر الرياض نضاره

وازداد إقبالا ونال معزة فى ضمن زهر كواكب سياره

بسعادة وسيادة أبدية قدما وقد أعلى العزيز مناره

لله من أحيا مآثر بيته وأدام فى طول المدى آثاره

ورث المفاخر كابرا عن كابر حتى غدت بين الأنام شعاره

شهم فخيم قدره ومقامه كفء لدست سياسة وإداره

سل مشرفات الأنس عن تاريخه طسن على عز الصهارة والوزاره

سنة ١٢٨٩

وها هو تاريخ طلعة أنسه وبهجة عرسه :

فاطمة ضياؤها فى أفق مصر ساطع

عن سعدها قد أرخت بالسعد بختى طالع

سنة ١٢٨٩

وبهذا نبسط أكف الدعاء المقبول للملك المتعال، أن يحفظ لنا حضرة ولى نعمتنا ويجعله مظهر السعادة والإقبال، وأن يمنحه من جزيل الإنعام ما يريد، ليتروح من روح نداه كل قريب وبعيد، ويبدى من مشارق المسرات ما يعيد.

(تهنئة دولتلو حسن باشا)

وأما حضرة ثالث كرام الأنجال، والسابق فى ميدان الفضل وله فيه أرسخ قدم

وأفسح مجال، والمعدود فى ميزان الرجحان من فحول الرجال، فهو حسن الصفات والاسم، وله من حسن الصيت والشهرة أوفر حظ وأوفى قسم، وهو من أنضر أغصان الدوحة الخديوية المثمرة، والروضة الإسماعيلية المزهرة، يهوى سياحة البحور والبرور، وسعيه لتحسين وطنه مشكور مبرور، فهو كما قيل:

للمجد لازم ملكا أو بحرا   أوزرهما ما خيرا أو حبـرا

فمثل هذا الأمير الخطير، والمشير الشهير، يطلع من أسفاره المستحسنة، على ما ليس يدركه المقيم فى بلده ولو عاش ألف سنة، يتحقق بحسن مساعيه فى سائر ممالك الأقطار، لمنفعة أوطانه منال الأغراض والأوطار، ويحرز ازدياد معلومات مهمة، وتحسين أفكار جمة، يبتسم له فم الآفاق عن فجر صادق، وآيات بينات وحقائق، فكأنما خبر جهينة به يأتى فى أقرب حين، من سبأ بنبأ يقين.

هو الحسن الاسم الذى قد حوى من الـ   ... محاسن أوصافا تفوق النهى غرا
أطال إلهى عمره وأراه فى   حماه الذى يهوى وأعلى له قدرا
ينال الهنا والسعد والعز والعلى   وعيشا رغيدا ما بدت أنجم الشعرى

ولما كانت مطالع سعود بهية، كانت قسمته السعيدة بالتأهل بالطلعة الزاهرة، والجبهة الطاهرة، حضرة خديجة هانم، التى هى أبهى وأبهج الهوانم، كريمة المرحوم محمد على الأصغر، وحفيدة المرحوم محمد على الأكبر، والكرائم لا تكون إلا للكرام.

تحلى بها جيد الزمان لأنها   لعمرى أضحت للمعالى عقودها

فهى زهرة روض بهى ناضر، وفريدة سعد سعودها فى آفاق مصر زاه زاهر، بر إحسانها لا يحاسن فى الآفاق، كما لا يحاسن حسنا أحد فى الإشراق، ومن ادعى معاليه غير ذويه فقد اغتصب حق الأصالة والأعراق، وفى فرحه المنيف نقول مقال من بهر أرباب العقول:

فأثمار التهاني دانيات لجانيها وليس لها خفير
وأقمار الأماني طالعات لرائيها فدونك يا بصير
وآرام الغواني راتعات بوادي الأنس ليس بها نفور
وأنهار من الجنات تجري يحيط بها من الأشجار سور
ومن غيم البخور لنا سماء وأنجمنا مصابيح تنير
فدونك رد وردد منك لحظا بمرأى ما له أبدا نظير
بمرأى جل إحسانا وحسنا وكمل حسنه حسن الأمير
أمير قد غدا في حسن قول وفعل نحوه كل يشير
له في دولة الإقبال عرس به أيامنا عيد كبير
به الأفراح قد عمت وخصت بما يهوى كبير أو صغير
فكم من لذة فيه أقيمت بها حاز المنى الجم الغفير
وكم من ليلة بالأنس مرت وما مرت وكوكبها منير
بها تهدى الكريمة من ذراها أكف وهو للعليا وزير

فنهنى منك المهاب بالتأهيل، المحفوظ بالتكبير والتهليل، وبرتبة المشيرية اللائقة بأوج شأنك الجليل، الذي يبقى حديث مجدها الأثيل في كل جيل، فتمتع واحظ بجوهرة كريمة عقدت في التاج، وابتهج ببهائها كمال الابتهاج، فلسان حالها ينشد :

شوقوني إليك بالقال حتى صرت أهواك قبل أن نتلاقى
فاجتمعنا بأنفس وقلوب أوجب الود بينهن وفاقا

وقد جاء تاريخ فرحه الأبهج، على أحسن منوال وأنسج :

قد أنعم الله على مصر ومَنّ بنعمة تعد من أسنى المنن
وفق إسماعيل وهو المؤتمن فمن يسامي صادق الوعد فمن

كم ظهرت فى عهده مفاخر　　فاقت بها الأوائل الأواخر
بر الندى كالنيل وهو زاخر　　يجود فيضه بإسعاد الوطن

فى مصره كل المزايا حازها　　والعدل فى أيامه الغَراً زها
وقد أجاد للعلى إعزازها　　وخاطب الحسنا يغالى فى الثمن

أيامه جميعها مواسم　　نواسم الأنس بها بواسم
وكم له حول الحمى مراسم　　تجرى بعدله إلى أهدى سنن

فى دولة الأمان والأمانى　　عز الحمى لديه فى ضمان
فالذهب الإكسير كالجمان　　عن جابر يروى غنى هذا الزمن

لا غرو أن توالت الأفراح　　وقد زها الأنس والانشراح
ودار فى روض التهانى راح　　وغرد القمْرِى على أعلى فنن

عرس المشير ثالث الأنجال　　فى غاية التبجيل والجمال
وصف سناه واسع المجال　　يكل عن بيانه أولو اللسن

أفراحه فى أفقنا كواكب　　أنوارها تزهو بهاء واكب
وأنعم من جوده سواكب　　فى السِّر دَرّ دَرُّها وفى العلن
يتيه عجبا حسن بعرسه　　كعجبه قدما بعالى درسه
فليقتطف دانى الجنى من غرسه　　كما اجتنى من العلوم كل فن

نسيم أنس عرسه هبت رخا ومن غوالى طيبه شمنا الرخا
من حاسد عوذه من أرخسا بالحسنين عوذ واصفوا حسن
سنة ١٢٨٩

وقد توفق تاريخ لحضرة الهانم، ذات المحاسن والمكارم، وهو:

للــه أفــراح زهــت حـوت المعالـى والنضـاره
فلهـا كمـا قــد أرخـوا بخديجـة أزهـى أمـاره
سنة ١٢٨٩

(تهنئة دولتلو إبراهيم باشا ابن المرحوم أحمد باشا)

وأما عقد تأهل نقى الأصل والمحتد، زكى العنصر الجوهرى المتفرد، دولتلو إبراهيم باشا، بن المرحوم أحمد باشا، فمن خير تأهل وأحمد سعد من المغانم، بحضرة ثالثة الهوانم، كريمة الكرائم، فهى نعمة من أجل المواهب، ورغيبة من أكمل الرغائب، مبشرة لمقارنها بازدياد السعادة، وبلوغ الآمال فوق الإرادة، فإن حضرة عمه مولى الإحسان، قلده نعمة الامتنان، بسعادة كريمته زينب رفيعة الشان، جليلة البرهان، لما آنس من صبحه أن يكون بالآمال منيرا ساطعا، ومن بهاء جبينه أن يصير فى سماء المعالى بدرا طالعا، وأن تتسم المناصب بسمات رياسته، والمراتب بآثار سياسته، وأن تنتفع به مراتع الأوطان، وأن يكون له فى العلم والعمل فى ظل حضرة عمه وولى نعمته رفيع مكانة وأعلى مكان، فلذلك شرع لسان الحال منه ينشد، ما يدل على المعالى ويرشد:

ولقـد أنالنى الزمـان بقـربكـم مجدا يقصر عـن مـداه الفرقـد
وأحلنى فى ذروة الشرف الذى يفنـى الزمـان وفخـره لا ينفـد

وقال بلسان حاله يخاطب الجناب المهاب، مما ينهيه للأعتاب:

ومـا أتتنى بـه الأيـام مـن نعـم وراحـة فـإلى عليـاك أنسبـه
وكـل خيـر يوافينـى الزمـان بـه فـأنـت بـاعثـه لـى أو مسببـه

وقال :

أوليتنى نعما أبوح بشكرها وكفيتنى كل الأمور بأسرها

وأما كريمة حضرة الخديوى العزيزية ، فهى التى أعدت لفرع الدوحة الأحمدية الإبراهيمية ، وخص بها حضرة المشير إبراهيم ، وصار بها فى كل واد من التمدح يهيم ، وقد أرخت عقد التأهل بتاريخين ، يليقان بكل من الطرفين :

أولهما :

لله عقد ساميات سروره هى فى سماء النيرات زواهر

عجبا لها وهى البدور وأشرقت معها الشموس دجا وهن سوافر

فكأنما افتخرت بحلية زينب فعقودها فى جيدهن جواهر

ولطيب إبراهيم باشا أرخوا تأهيل إبراهيم باشا عاطر

سنة ١٢٨٩

وثانيهما :

روضة بالحسن غنّا فى رباها الطير غنى

يخطب الظبى الأغنا وسواه لم يحزه

وبها أبهج قصر شيد للعليا بمصر

حسنه مفرد عصرى قل لإبراهيم جزه

يا فتى من نسل أحمد كم خصال فيك تحمد

لك در العقد مفرد كنز درّ فاكتنزه

لك بالأفراح عرس كله حظ وأنس

كم به صنف وجنس بالتهانى فاعتزه

فنديم الأنس صافى   لك بالراح سلافا
زمن الإسعاد وافى   فانتهبه وانتهزه

قدم فى المجد أرسخ   علم فى السعد أشمخ
ومقام العز أرخ   بخت إبراهيم يزهو
سنة ١٢٨٩

وأما تاريخ البضعة الخديوية، ذات الطلعة البهية، فهو:

وكريمة المجد الخديوى زينب   قاضى الملاحة بالبهاء لها أمر
فلسعد إبراهيم باشا أرخوا   حاكى محياها بها ضوء القمر
سنة ١٢٨٩

أسعده الله بكمال الحظوة بتلك الخريدة الفريدة، فى أيام سعيدة وأفراح جديدة..

* * *

فمهرجان الجميع طار صيته فى الأقطار وشاع وذاع، فكأن هناؤه مثنى وثلاث ورباع، وانتظم له فى لياليه الغراء أعظم أدوات السماع، فكم فيه من منظر أوربى، وملعب إفرنجى، كالتياترو والبال، مما هو عند أهالى أوربا من الأمور ذوات البال، مبناه على إيقاع الرقص، الخالية تفاعيله عن الخبن والوقص[1]، حيث هى جارية على توقيع نغمات الألحان، مع ما اشتمل عليه من أنوار الكواكب الدرية، المخجلة للأنوار الشمسية والبدرية، فأين نور سواطع البدور والشموس، بجانب أنوار تجلى أبهى عروس، فكأن كل لحظة منه طلعة وجه بهى منير فى الدياجير، وصباح أنس إلى العلياء يشير، تاهت بزهائه الباهر مصرنا تيه الحسنا، إذ هو أبهى وأزهى من

---

(١) الخبن والوقص من علل الوزن فى علم العروض.

شمس الضحى وأسنى، فكم فى «باله» من مطرب غنى من رَمَل وهَزَج[1]، ومدير سلاف لو امتزج راحه بالروح امتزج، ومما أبهجه حضور بدوره المقمرة، وغصون رياضة المثمرة، وأمراء الحكومة المصرية، وأعيان أهل الدول والملل، من كل شمس طلعت أو بدر أهل، وقد أرخت ذلك بقولى:

لقد شاد الخديوى مهرجان　　أضاء الكون من سامى مناره

له صيت به الركبان سارت　　لهذا أرخوه بافتخاره

سنة ١٢٨٩

ثم أرخت هذا الفرح العالى فى حد ذاته، بما يليق بمحاسن صفاته، فقلت:

رعى الله مصرا فهى أبهى كنانة　　حلاها مدى الأيام واسطة السلك

نراها بإسماعيل أعذب مورد　　به أبحر العرفان جارية الفلك

بها المشتهى الأشهى فلو قال قائل　　بها جنة الفردوس ما جاء بالإفك

وما هى إلا غادة تسلب النهى　　بما جمعت بين الخلاعة والنسك

كواكب أفراح العزيز بأفقها　　كصبح يقين قد جلا ظلمة الشك

ورنات أنغام المعارف أطربت　　كأن قيان الجن تلعب بالجُنْك[2]

وملعب بال بالحسان منعم　　عيون غوانيه تغازل بالفتك

رياضة رقص فى كمال منزه　　عن الريب موزون على التم والتك[3]

وكم من فتاة فيه سكرى بلا طلى　　يراقصها السنيور لطفا مع السبك

وفيه صفى البال بالرقص مغرم　　يقول ذات الخال لابد لى منك

تميس كغصن البان عطفا وتنثنى　　وتفتّر عن برق تألق بالضحك

ولولا الحيا والدين والعلم والتقى　　لقال حليف الزهد قد طاب لى هتكى

---

(١) الرمل والهزج: من ضروب وزن الشعر المعرفة فى العروض.

(٢) الجنك ـ بضم الجيم وسكون النون ـ آلة من آلات الطرب.

(٣) التم والتك: أصوات إيقاعات يتوافق معها الرقص.

ومـجلس أنس قـد تعـطر روضـه وأرجـاؤه فـاحت بهـا نـفحـة المسك
وفى الجـو تقـليـد النجـوم مـنيـرة صـواريخ أنوار لشهـب السمـا تحكى
تلـون كـالحـربـاء بل ربما حـكت يواقـيت قـد مرت على حـجـر الحك
وحليـة سـبق بالجـيـاد يزينـهـا (رمـاح أعـدت لـلطعـان بلا شك)
ومـذ زهت الأفـراح قـلت مـؤرخـا بهـيج العـلى تأهيل فـامـيلـة الملك

٢٠ ١٤١ ٤٤٦ ٥٦١ ١٢١

سنة ١٢٨٩

وقلت مؤرخا أيضا على طريقة الفرس باحتساب المعجم من الحروف فقط . .

ولمـا جـلا أفـراح مصـر عزيـزهـا رشفنا على حب العزيز لَمَى الراح[1]
وطاب زمـان الأنس عيشـا فأرخـوا زهت بكمال السعـد أضـواء أفـراح

٢٤٠٧ ٨٠٠ ٨٠

سنة ١٢٨٩

ومما جمل الأفراح السنية، وكمل رسومها البهية، محافل الهيبة والطنطنة، وجحافل الأبهة والسلطنة، بإبراز نياشين الإعزاز، وامتياز شأن الشوار والجهاز، بموكب شريف، طالع كوكبه منيف، بين يدى نفيس الجوهر والمجوهر، والفضى والمذنر، من كل مايذهل العقول ويبهر، مما لا يكاد يقوم بأثمان، ولا يعبر عن وصفه ترجمان، ولا يعبر لمغاصه فى بحر عُمان، ولا تكاد تفى به جبال سرنديب، من كل عجيب وغريب، مما سمح به إنعام الخديوى الأكرم ذى المواهب، من كل ما يليق بحال الموهوب له والواهب، وقد قلت:

يا من أعادوا لمصر الرتبـة العليـا الناس أنتم ومصر زينـة الدنيـا
وكم تخيلت أن الدهر يسعدهـا بكم وقد صدقت باليقظة الرؤيا

---

(١) اللمى: سواد فى الشفة.

وكذلك من أعظم ما زاد هذا الفرح المنير بهجة وسرورا، وأنظم ما أفاده مسرة وحبورا، عطر أنفاس دولة الوالدة الماجدة، ذات المفاخر الطريفة والتالدة، من فاض بحر إحسانها على مصر فيضا، ولها فى إهداء المكارم اليد البيضا.

أن يرق لى فى الحى أخضر عيش فلهـــا عنــدى اليـــد البيضـــاء

أدامها الله تعالى بأبهج السرور، وكمال المجد والحبور، وعمر بها سبل الهدى الصافية، ومنحها مع الإقبال، فى ظل حمى ذريتها الأقيال، كمال الصحة والعافية، فبقاؤها فى ظل حضرة الخديو الأكرم، ولى النعم الأفخم، هبة من المواهب اللدنية، ونعمة جزيلة للديار المصرية، وهو من دلائل الخيرات، وفضائل المبرات، فهى مظهر ولى نعمتنا الذى عم عدله الرعية، وشمل فضله البرية، وأجرى على يديه المولى سبحانه وتعالى سعادة الأنام، وإعلاء منار سنةالإسلام، فعلينا أن نهنى أنفسنا بفائض عدله، والرعية بحميد فعله، والأقلام بآثار سياسته، والأعلام بسمات رياسته، أعلى الله به منازل ملك مصر وسلطانه، وعمر به حماه وأوطانه، ولا زالت النعم محفوفة بجنابه، والبشائر موقوفة على أبوابه، ما بقى الزمان، وأضاء النيران، بجاه خاتم الرسل سيد بنى عدنان، وأصحابه وأحبابه أهل بيعة الرضوان. آمين.

* * *

مقدمة

مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك

[كتبها الطهطاوى مقدما بها ترجمته رواية تليماك، التى ألفها الكاتب الفرنسى فينيلون (Fénélon).. والعنوان الفرنسى للرواية:(Les Aventures Télémaque)..

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أظهر عجائب المخلوقات من دائرة ملكوته، وبرأ النسم وأبدى غرائب الموجودات من مكنون غيبه وأبرزها إلى الوجود بعد العدم. رتب مقادير التقادير فى أم الكتاب، وأبدع ما أبدع من العجب العجاب بواسطة اللوح والقلم. أعجز العقول عن معرفة ذاته العلية. وحقيق صفاته الذاتية والمعنوية. فلا يتقدم إلى ساحة كنهه من سالف الأزل وسابق القدم قَدم. جعل الموجودات دلائل قدرته الكاملة، وإرادته الشاملة، وصيرها للناظرين كالعلم. هدى وأضل. وعز وأذل. وأعطى وحرم. أحمده حمد عاجز عن شكر مولاه، وتعداد ما منحه وأولاه من جزيل النعم. وأصلى وأسلم على سيدنا محمد خير من اختص بالقصص والنبا. وأنبأ عن قصة بلقيس وسبا. ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها من أخبار العرب والعجم. وأبسط أكف الدعاء والابتهال. ببقاء صاحب الأفضال. من أخرج مصر من الشقا، وسقى ملكها ماء حياة التخليد والبقا. كانت لا ترى الغنى ولا فى الأحلام. وتتطلب للمنى ولو فى لذيذ المنام. فأذاقها طعم ذلك يقظه لما حكم واحتكم. ناصر الأمة. وكاشف الغمة. وولى النعمة. معلى المنار وماحى الظلم. أجل عزيز ذهنه وقاد. أمثل أمير صاحب أمر وإمرة بها جنده ممتثل ومنقاد. طالع يمنه محفوف بالإسعاد. وساطع ذهنه مقرون بالسداد. غيث ديم وغوث

كرم. سيد جليل. وسند نبيل مطاع. صاحب جيش جراد البقاع حليم فى السلم. وفى الحرب همام، بل أسد مقدام. إذا وطيس الحرب اضطرم. كما قلت شعرا:

لله در عزيز مصر لقد حوى فى الملك فضل معارف ورسوخ

حدث عن البحر المحيط وفى الوغى حدث عن البرجيس والمريخ

أبقاه مولاه. ومتعه بما أولاه.

أما بعد، فيقول المرتجى أن يكون لوطنه خير نافع. رفاعه بدوى رافع. ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس: قد تقلدت بعناية الحكومة المصرية. الفائقة على سائر الأمصار. فى عصر المدة المحمدية العلوية. السامى على سائر الأعصار. بوظيفة تربية التلاميذ مدة مديدة. وسنين عديدة. نظارة وتعليما. وتعديلا وتقويما. وترتيبا وتنظيما. وتخرج من نظارات تعليمى من المتفننين رجال لهم فى مضمار السبق وميدان المعارف وسيع مجال. وفى صناعة النثر والنظم أبهر بديهة وأبهى روية وأزهى ارتجال. وصنوف حماة صفوف لا يبارون فى نضال ولا سجال. عربت لتعليمهم من الفرنساوية المؤلفات الجمة. وصححت لهم مترجمات الكتب المهمة. من كل كتاب عظيم المنافع. وتوفق حسن تمثيلها فى مطبعة الحكومة وطبعها. ومالت طباع الجميع إلى مطبوع ذوقها وطبعها. وسارت بها الركبان فى ساير البلدان. وحدا بها الحادى فى كل وادى . وقصدها القصاد كأنها قصايد حسان. وكان زمنى إلى ذلك مصروفا. وديدنى بذلك معروفا. مجاراة لأمير الزمن على تحسين حال الوطن الذى حبه من شعب الإيمان.

وفى مدة نحو الثلاثين سنة لم يحصل لهمتى فتور ولا قصور [شعر]:

فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

وإنما فقط لما توجهت بالقضا والقدر إلى بلاد السودان. وليس مما قضاه الله مفر. أقمت برهة خامد الهمة. جامد القريحة فى هذه الملمة، حتى كاد أن يتلفنى سعير الإقليم الفاير بحره وسمومه. ويبلعنى فيل السودان الكاسر بخرطومه. ومع ذلك فكنت فى الوقت الحاضر مصداق قول الشاعر:

فمـا أنـا للأيـام غيـر محـارب   أصـاحبـهـا مستبشـرا متـهـللا

فإن كان حظى رامحا كنت رامحا   وإن كان حظى أعزلا كنت أعزلا

فكيف وأن لى نصيبا فى السعود المقبلة . والعهود المستقبلة . وحظاً من الأوقات المفيدة . وسهما من العدالة أباعد به عنى وجوه هذه البلاد البعيدة . فما تسليت هناك إلا بتعريب «تليماك» . وتقريب الرجا بدور الأفلاك . وقلت لقلبى : إن تعريب «تليماك» بكل أمن فى حماك . أو ليس أنه مشتمل على الحكايات النفايس . وفى ممالك أوروبا وغيرها عليه مدار التعليم فى المكاتب والمدارس . فإنه دون كل كتاب مشحون بأركان الآداب . ومشتمل على ما به كسب أخلاق النفوس الملكية . وتدابير السياسات الملكية ، فإن مؤلفه (فنولون) ملك آداب وذو ملكة سيالة تفيض بالعجب العجاب . فما كل من تصدى وتصدر ألف وعد من الكتاب . وليس سواء فى التأليف أهل الكتاب . فبذلت غاية المجهود فى إنجاز هذا المقصود . وأديت التعريب بأسهل تقريب وأجزل تعبير . وتحاشيت مما يورث المعانى أدنى تغيير . ويؤثر فى فهم المقصود أقل تأثير . اللهم إلا أن يكون ثم محلا مخلا بالعادة . فأتمحل لذكر مآل المعنى ومضمونه بعبارات تفيد لازم المعنى أكمل إفادة وهذه أساليب فى قالب الترجمة معتادة . عساه أن ينفع فى سائر البلاد المشرقية التلامذة . وأن يكون كتابا جيدا من كتب العربية تعتمد عليه فى التعليم الأساتذة . لا سيما فى الديار المصرية التى تقدمت كل التقدم فى التعليم والتعلم . فحمدت الله حيث لم يضع زمنى فى تلك الجهة التاسعة[1] هباء منثورا . بل يعد سعيى فى إبراز هذا الكتاب كغيره من المساعى مشكورا .

هذا وإن كان بحر جواهر ألفاظ هذا الكتاب لا يدرك له فى لغته الأصلية قرار . إلا أنه معلوم عند أهل الصناعة أن بحر اللغة العربية يقطع على محيط بحار اللغات الأخرى التيار . وأنه لدررها ولآليها غواص . ولسماء غيثها مدرار . ولآدابها ومعارفها ميزان ومعيار . وكل شىء عنده بمقدار . فلا غرو إذا فتح اللسان العربى بمقاليده عن مفردات الألسن ومجتمعها ومستقرها ومستودعها . ولا عجب إذا وقع

---

(١) أى أنها لا تدخل فى الجهات الأربع الأصلية والأربع الفرعية .

القلم من علمها أحسن مواقعه. فإنه لا يحرف الكلم عن مواضعه. ولكن ليس كل من غَرب أعرب وأغرب. وأورد النفوس الزكية أعذب مشرب. وازدحم على مورده الخلق الكثير والجم الغفير. بل هذه منحة الملك الوهاب. يمنحها لمن يشاء باستكمال الأدوات والاستحصال على الأسباب.

ثم إنى لم أر لهذا الكتاب ترجمة فى اللغة التركية ولا العربية وإنما سمعت أنه صار ترجمته بالمآل فى اللغة التركية بعناية حضرة صاحب الفخامة كامل باشا صهر أفندينا ولى النعم صاحب الديار المصرية. ولا غرو فى ذلك حيث حضرة هذا المشير المشار إليه له فى آداب اللغتين يد قوية. فعلى ظنى أن كلتا الترجمتين تكون منسجما فى بابها، معجبا لطلابها. وإنهما نهاية المقال. يصدق عليهما قول من قال:

يخطط مولانا خطوط «ابن مقلة»[1] وينظمها نظم اللآلىء فى السلك

فهذا عليه رونق الخط وحده وهذا عليه رونق الخط والملك

وحيث تم تعريبا على أحسن الوجوه. وانتظم فى سلك السلوك. وصار جديرا لأن يهدى لوجوه الأمراء وكبار الملوك. سميته [مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك] وجعلته برسم عزيز مصر الذى أطلق فيها عنان القلم. وأعاد لسلمى أيام ذى سلم. وأخرج من أفنان المعارف فنونها. وأجرى من فواتح المعارف عيونها. الملك وأمير العصر والأوان. الذى لولاه لقيل لصناعتى النظم والنثر: قضى الأمر الذى فيه تستفتيان. بل أيامه أيام علوم وآداب. علماء وكُتّاب. وجيوش وجنود وليوث وأسود. وكم عنده من «لوميروس» يتحف الوطن من المآثر بأبهى عروس. وأين «عولوس» و «ابن عولوس» و «ابن عولوس». فقد التحق فى الفضائل بملوك مصر الأقدمين. وبخلفائها المتقدمين. فهو الرشيد والمأمون. وفى أيامه اليمن لجميع الأنام مضمون. ولنذكر هنا بعض قصائد. حلية بهذا الكتاب. وتحفة لذوى الألباب. وهى:

قلت:

---

(١) محمد بن على بن الحسين (٢٧٢ ـ ٣٢٨هـ ـ ٨٦٦ ـ ٩٤٠م) وزير وشاعر وأديب اشتهر بجمال الخط حتى ضرب به المثل فيه. وزر للعباسيين، ثم غضبوا عليه فعذبوه حتى مات بسجنهم.

{دور}

أيـــا خليــلــى دعـــا   ذكرى السوى واستمعا
حديـــث فخـــر طلعـــا   فــى مصـر أبهـى مطلع

مذهب

فخـر أجـــاب من دعـا   لـكسبـه ومـــن دُعـــى
فــى وطـــن مـــن ادعـى   لـــه لحـاقــًا فـدَعَـى

{دور}

بــــدر عــــلاه سطعــــا   وفى سما المجـد سعـى
علـى البهـــاء خلعــــا   فى الكـون ابهى الخلـع

{مذهب}

فخـر أجـاب من دعـا

{دور}

حادى الســرور رجعـا   بـعــزنـا مــذ رجـعـــا
وقــــد أبـــان لمُعـــا   يـا حسنهـا مـــن لمُـــع

{دور}

وطــننـــا تـعـــــزّزا   وبــالهنـــا تحيّـــزا
هـــل غيـــره تميـــزا   بـــسهلـــــه الممتنـــع

{دور}

اصيـــل فخـــرٍ أسبـق   على مدى الدهـر بقــى
بـطيـــب ذكــرٍ عبــق   يضـــوع للمستمــــع

{دور}

حديثـه عالـى النسـبْ   بالعز مرفــوُع الحسْب
وحسبـه أن يـحتسب   ففـى المحــلّ الأرفــع

{دور}

سوق علاه نافق بغيضه منافق
صديقه الموافق يسوقه للأنفع

{دور}

ليس اللبيب ذو الفطن إلا المحب للوطن
وموضع به قطن لديه أسمى موضع

{دور}

فمسقط الراس أحب من رأس مال يُكْتَسب
ومن لحَيِّة انتسب فهو الذكى الألمعى

{دور}

وذو العقوق يوقَظ وبالحقوق يوعَظ
عسى يعى ويحفظ عهدا رعاه من يعى

{دور}

أكرم بمصر من حمى علاه قد سامى السما
مَرْبَعُه لقد سما فيا له من مربع

{دور}

مضت عليه أعصر والمجد لا يقصّر
فيه المديح يقصر أقصر أخىَّ واجمع

{دور}

نظم النسيب والغزل فى غير مصر يُعتَزل
فيها علا وما نزل على غزال لعلع

{دور}

في حبِّها تسمو الهمم   في حبِّها تعلو الشيم
في حبها تغلو القيم   بقدرها المرتفع

{دور}

ونيلها المبارك   في الفيض لا يشارك
أرجاؤه مسالك   تُرجى بكل مَشْرع

{دور}

يروى بعذب سلسل   أخبار فضل مُرْسَل
وبالصفا مسلسل   عن الوفا بالأذرع

{دور}

فمصر ما أجلّها   الكل يهوى وَصلها
فإن رنت عين لها   نفقأها بالأصبع

{دور}

رفيعة شؤونها   منيعة حصونها
بديعة فنونها   كم شيدت من بلقع

{دور}

عزيزها موفق   وبالنفوس يرفق
وللنفيس ينفق   من بحر جود أوسع

{دور}

مليكها توطنا   حيث اصطفاها وطنا
وللمعالي فَطِنا   وللسوَى لم يهرع

{دور}

ومـــذ غـــدا مولاهـــا للعـــز قـــد أولاهـــا

مؤبـــــدا ولاهـــــا بيـــــأس ليـــث أروع

{دور}

يـــا أيهـــا الجنـــــود والقـــادة الأســـــود

إنْ أمَّـــك حســـــود يعـــودهـــا فـــي المَدْمَـع

{دور}

فكـــم لكـــم حروب بنصــــركـــم تؤوب

لـــم تثنكـــم خطـــوب ولا اقتحـــام معمـــع

{دور}

وكم شهدتم من وغـى وكم هزمتـــم مـــن بَغَى

فمن تعـــدى وطغـــى على حِماكـم يُصْـــرع

{دور}

وحسبكم: أي اهبطـوا مصـــراً فمـــن يثبـــطُ

ومـــن بـــذم يخبـــط فـــادعـــوه بالمبتـــــدع

{دور}

فلتبسطوا كف الدعـــا لمـــن عُلاكـــم رفعـــا

وشملكـم قـــد جمعـــا بالعـــز أبهـــى مجمـــع

{دور}

محمـــــد علــــــيّ بـــوعـــــده وفــــى

وعزمـه حيي بـوعـــده لم يجن زهر مَطْمـــع

{دور}

والسعـــد إسماعيـــل　　مقصـــــده جليـــل

كجـــــده يميـــــل　　لكسب مجـــد أرفـــع

* * *

وقلت أيضا وطنية

{مذهب}

يا صـاح حـب الوطـن　　حليــة كــل فَطِـــن

{دور}

محبـــة الأوطـــــان　　مـــن شُعَــب الإيمـــان

فى أفخـــر الأديــــان　　آيـــة كـــل مؤمـــن

{مذهب}

يا صـاح حـب الوطـن　　حليـــة كـــل فـَطِـن

{دور}

مســاقـــط الـــرؤوس　　تلـــــذ للنفـــوس

تُــذهب كــل بــوس　　عنــا وكـــل حَـَــزن

{دور}

ومصـــر أبهـــى مولـــد　　لنـــا وأزهـــى مُحْتَـــدِ

ومربـــع ومـعـهـــد　　للـــروح أو للبـــدن

{دور}

شدت بهـــا العزائـــم　　نيطت بهـا التمائـــم

لطبعنـــــا تلائـــــم　　فى السر أو فى العلـن

{دور}

مصـــر لهـــا أيـــادِ عُليـا علـى البـــلاد
وفخـــرهـا ينـــــادى مـا المجـد إلا ديدنـــى

{دور}

الكون من مصر اقتبس نورا ومـا عنـه احتبس
ومـــا فخارهـــا التبس إلا علـــى وغـد دنـــى

{دور}

فخـــر قديـم يُؤْثَـــر عـــن ســـادة وينشـــر
زهـــور خمجـــد تُنْثَـر منها العقـول تجتنـــى

{دور}

دار نعيـــم زاهيـــــه ومعـــدن الرفاهيـــــه
آمـــرة ونـاهيـــــــه قدْمـــا لكـــل المـــدن

{دور}

تحنو علـــى الغريـــب تحلـو لـدى الغريـــب
ترنـــو إلـــى الرقيـــب شذرا بسهـــم الأعـــين

{دور}

طـول المـــدا ولـــود وللـــهـــــدى ودود
مـــا أمهـــا جحـــود إلا انثنـــى بالوهـــــن

{دور}

قـــوة مصـــر القاهـرة على سواهـــا ظاهـــره
وبـالعمـــار زاهـــره خصت بذكـــر حســـن

{دور}

منـــــازل رحيبـــــه وبالمُنَــــهْ خصيبـــــة

وللهنــــا مجيبـــــه وهــــى أعــز موطــن

{دور}

علــومهــا حقائـــق فهومهـــا دقـــايـــق

رموزهـــا رقائـــق تحلو لأهــــل الفطَــن

{دور}

أمــا تـــرى الأهـــالى ترقـــى ذرى المعالـــى

هــم ســادة مـــوالِ جمــال وجــه الزمـــن

{دور}

أبنــاؤهـــا رجـــال لم يثنهـــم مجـــال

ولا بهـــم أوْجـــال فى ليل وقـــع دجـــن

{دور}

وذوقهـــم مطبـــوع وقدرهـــم مرفـــوع

وصيتهـــم مسمـــوع بشـــــرف التمـــدن

{دور}

وجندهـــم صنديـــد وقلبـــه حديـــد

وخصمـــه طريـــد بــل مُدْرَج فى كفــن

{دور}

كل فتـــى جليـــل يعشــق وادى النيـــل

كم فيه مـــن نزيـــل يقــول مصــر وطنــى

{دور}

فـــإن تـــرم إسعـــادا يا سعـــد دع سعـــادا

ولـــذ بمـــن أعـــادا لمصـــر فخـرها السنى

{دور}

صـادق وعـد محسـن وذكـــره يُسْتَحْسَـــنُ

ولا تـــزال الألســـن تشدو بذكـر المحسـن

{دور}

ربِّ عـــلا وحســب عـن جـده وعــن أب

فقـل لمصـر انتسبـى إلـــى جزيـل المـــنن

{دور}

أدامـــه رب العـــلا أميـــر عـــز وولا

بجـاه طـه مـن عــلا بالعـدل جـور الفـتن

* * *

وقلت أيضا:

{مذهب}

لقــد عــزت منازلنـــا   علينـــا مـــن ينازلنـــا

منــــار عزينـــا عـــال   لــه خضعت عواذلنـــا

{دور}

ألا يا مصـر قـد وافــى   عزيـزك والهنـا صافــى

حبانـــا منـــه إنصافـــا   وعـــدلا مـــن يعادلنـــا

{دور}

إلا يـا مصــر فابتهجى   بحكم عزيـزك البهـــج

به ترقـــى ذرى الـــدرج   وبـالحسنـــى يعاملنـــا

{دور}

فهـــذا مثـــل والــــده   رشيـد فـــى مقاصـــده

بطارفــــه وتـالــــــده   تعـــود لنــا فضائلنـــا

{دور}

حمالك مصـر معمــوره   وبالخيـــرات مغمـــوره

مآثـــر مصـــر مشهــوره   بهـــا التـاريـــخ واصلنـــا

{دور}

شدت بعجائب الزمـــن   بـــدت بغرائـب المـدن

وفـــت بمناقـب الوطـن   معـالمنـا تـداولنــــا

{دور}

فمن للجد أن يشهد نجاز مقاصد تحمد
بهمة نجله الأوحد بها راقت مناهلنا

{دور}

فوادى النيل بالطبع غدا متمكن الوضع
وقطب دوائر النفع ومركزها أساكلنا

{دور}

ولما مست الحاجه كسونا نيلها تاجه
فهل «صور» و قرطاجه عن العليا تسائلنا

{دور}

لفتح الترعة الكبرى بغرب النيل فى مصرا
تجدد للغنا عصرا به تسمو منازلنا

{دور}

غروس صعيدنا تسمو
وحان لمجده يوم
صنوف نباته تنمو
تمنته أوايلنا

{دور}

مدارس مصر قد عادت وعدة أهلها ازدادت
وفى الآفاق قد سادت بجد من يهازلنا

{دور}

لنا فى حومة المجد سباق باء بالرشد

وكم في حوزة الحـــد سعـــادات تقابلنـــــا

{دور}

ننظم جنـدنـا نظمــا عجيبـا يعجـز الفهمـا

بأسد ترعب الخصمــا فمـن يقـوى ينـاضلنا

{دور}

رجــال مالهــا عـــدد كمـال نظامهــا العُـدد

حلاها الــدرع والزرد سنـان الرمـح عاملنـا

{دور}

وهــل لخيولنــا شَبَــه كرائـم مـا بهــا شُبَــه

إليهــا الكـل منتبـــه وهـل تخفـى أصائلنــا

{دور}

لنا فـي الجيـش فرسـان لهم عنـد اللقـا شـــان

وفــي الهيجـاء عنـوان تهيـم بــه صواهلنـــا

{دور}

فها الميــدان والشقــرا سقت أذن العـدا وقرا

كأنـا نرسل الصقـــرا فمن يبغـــى يراسلنــا

{دور}

مدافعنا القضـا فيهــا وحكم الحتف فى فيها

وأهونهـا وجافيهـــا تجـود بــه معاملنـــا

{دور}

لنـا الرؤســاء أبطـــال رجــال أينمـا جالـوا

بصولـة خيلهم صالـوا يفـوق الحـد صائلنـا

{دور}

لنـا فـى المـدن تحصين وتـنظيـم وتحســين
وتـأييــد وتمــكــين منيـعـات معاقلنــــا

{دور}

زمـان بالهنــا أقبــل وماضى العزم مستقبـل
عزيـز نــال مــا أمــل بــه نطقــت دلائلنــا

{دور}

ويـرقـى صهـوة المجـد ويصعـد مـدرج السعـد
بإقبــال بــلا حــــد بــه تشـدو بــلابلنــا

{دور}

يداوى الحرب بالسلـم ويعطــى الطب للكلـم
ويشفى الصدر بالحلـم بهــذا عـــمّ طائلنــا

وقلت أيضا:

بحمد مولانا البديع يفتتح بديع نظم ذانه نظم الملح
من الأراجيز ولكن قد رجح ميزان بحره بلقط الدرّ
وفاق بالممدوح كل بحر
ممدوحنا محمد السعيد عزيز مصر بالعلا معيد
وهل مجال فى الولا بعيد إلا ويرقاه بأدنى يسر
بسر عزم فى المعالى يسرى
تحسين مصر صار جل مقصده وجال فى مصدره ومورده
وفى جليل فكره وخلده قد انجلى تخليد عالى الفخر
لما تجلى شمس فكر بكر
أنعش روح الفتية المصرية براح حب الوطن القسرية
حتى غدت نفوسهم سرية فصح فوز صحوهم بالسكر
وقابلوا إحسانه بالشكر
هاموا بحب الوطن العزيز فصار ميلهم له غريزى
ومذ كسوه حلية التعزيز وأنفقوا فيه نفيس العمر
لم يخش من زيد ولا من عمرو
حمى حوى نهاية الأصانه وغاية التمكن والحصانه
روض إذا هز الصبا أغصانه ترى عوامل القنا والسمر
تفعل بالألباب فعل الخمر

حمى منيع الجاه من له التجى   أشارت البشرى إليه بالرجا
ما حله عاف لجا إلا نجا   من ضيق أمر أو حلول أسر
ومن خطوب واحتمال إصر

فيا له من حرم وركن   صَرّح بذكر أمره وكنٍّ
عليه منطق الملوك يثنى   عزيزه درة تاج العصر
ومصره أبهة جكل مصر

إن رمت وصفه على التحقيق   فمظهر العدل به حقيقى
وفّى له بأكمل الحقوق   ولم يزل مآلنا فى البر
يا حسن بحر فى الوفا وبَرّ

أمير عصر هل يرى نظيره   حب الفخار والعلا سميره
نصيره مولاه بل ظهيره   بعون مولاه قوى الظهر
ذو مظهر يبلغ حدّ الزُّهر

أعلا عماد الملك نحو الأوج   بعد اضطراب وهياج مَوْج
بنظم فوج أو بنثر فوج   والنظم ما أحلاه بعد النثر
دراً لثغرٍ أو حلىَ لنحر

يا حبذا نظم الصنوف الأربع   من الصفوف فى مقام أرفع
نوع السوارى وضروب المدفع   ومعشر المشاة أسد الكَرٍّ
والفلك من فوق البحار تجرى

رجالها قد أحرزوا فنونها   أبطالها قد أبرزوا مكنونها
وطالما سام السوى مرصونها   وجاد بالروح لها فى المهر
وعن حجاه احتجبت فى خدر

هل بلغ إسكندر أن مصرا   ترجف ملك قيصرٍ وكسرى

كـم قلب جيش أورثته كَسـرا وقـل أن يُجـبر بعـد الكسـر
قلـب يقابـل الوفـا بـالجـبر
هل بلـغ الماضـين أن النيـلا يخـص بالثنـاء إسماعيـلا
عمـوم نفعـه غـدا جزيـلا كـل لياليـه ليـالى القَـدر
وليلـة خيـر مـن ألـف شهـر
من قبلـه صعيدنـا الخصيـب هل خصه مـن الهنـا نصيـب
عزيزنـا اجـتهـاده يصيـب يروى حديث مجده عـن بشـر
يسنـده لنـافـع والزهـرى[1]
أيـامـه لعزنـا مظاهـر جـد وإقبـال ومجـد باهـر
يُمْن وإسعـاد جلـى ظاهـر أوضح مـن ضوء الدرارى الغر
ومن سنا الشمـس ونور البـدر
بـوارق المجـد إليـه تُنسب سرادق الحمـد عليـه تنصب
وصـادق الوعد لسـان يُعـرب عمّا بـه يبسـم ثغـر الدهـر
ممـا بـه تقـر عـين الحُـرّ
أنجـاله قـرت بهـم عيـون فـلاحهـم محقـق مضمـون
وجوهـر المجـد لهم مكنـون على المـدا يشـرح كـل صدر
مـع ازديـاد إمـرة وأمـر
كـل كريـم يجلـب الإسعـادا وينجـب الأبنـاء والأحفـادا
شـاد العـلا بين الملا وسـادا لا غـرو أن نعيـذهم بالفجـر
مـن حاسـد وبالليالى العشـر

---

(١) بشر ونافع والزهرى من مشاهير رواة الحديث.

ونسأل المولى بلوغ القصد للداورى واكتمال السعد
إدراك آمال بغير عدّ طلابنا متوجُ بالنصر
والحمد للمولى ختام الشعر

ثم اعتذر لمطالعى هذا الكتاب المستطاب. التى فوايده تملأ بمطالعته الحقيبة والوطاب[1]. لأنى عرَّبته وأنا بتلك البلاد السودانية. مبلبل الخاطر. وسحايب الهموم علىَّ مواطر. بالبعد عن الأهل والدار. والتعرض لحوادث الدهر والأخطار. ثم طرحته فى زوايا الإهمال. ولم يسنح لى إشهاره ببال. حتى علم به بعض الطلاب من الأحباب ذوى الألباب. وطرق الباب. ودعا بدعاء مجاب. فاقتصرت على أن أرسلت إليه بنسخة مقابلة على أصلها. إذ كان أحق بها وأهلها. وقد كان خطر لى أن أفرغه فى قالب يوافق مزاج العربية. وأصيغه صياغة أخرى أدبية. وأضم إليه المناسبات الشعرية. وأضمنه الأمثال والحكم النثرية والنظمية. يعنى أنسجه على منوال جديد. وأسلوب به ينقص عن أصله ويزيد. حتى لا يكون إلا مجرد أنموذج لأصله الأصيل. وعين أن يقبل عليه من الأهالى كل قبيل. إلا أنى رأيت أن الأوفق الآن بالنسبة للوقت والزمان. حفظ الأصل. وطرح الشك. وإبقاء ما كان على ما كان. وإنما لم أجد بدا من مسايرة اللغة العربية. وقواعدها وعقايدها المرعية. مع المحافظة على الأصل المترجم منه حسب الإمكان. فبهذا ناموس الأصل والفرع محفوظ. وقانون الترجمة الحقيقة ملحوظ. وقد ذكرت قبل التعريب ديباجة. حيث إليها قد مست الحاجة. فقلت وبالله التوفيق. والهداية إلى أقوم طريق.

ديباجة

تليماك هو ابن عولوس، أحد شجعان سالف الأزمان، ومشاهير ملوك اليونان، الذين حاصروا مدينة ترواده[2] بإقليم ترواده، وهذه المدينة الحصينة المنيعة، ذات

(١) الوطاب: سقاء اللبن.
(٢) يعنى اسكى أزمير (الطهطاوى).

القلاع الرفيعة، تأسست بعد مدينة رومية العظمى بنحو سبعمائة سنة، ومن كبار الملوك الذين كانت لهم اليد العليا فى هذه المحاصرة عولوس، ويقال إنه «هرقول». والمحقق أنه خلافه، وأن «هرقول» الذى قد كان أشهر فحول رجال القدماء فى كتب الخرافات اليونانية هو ابن البرجس ـ (المشترى) ـ وأمه الكمينة زوجة انفتريون ملك مدينة طيوه ببلاد اليونان، وأن البرجيس تشكل بشكل هذا الملك الجليل، وواقعها فحملت منه بهذا الناجب الباسل النبيل، فكان متولدا بين بشر وعلوي، وهذا يقرب مما ذكره «الدميرى» فى كتابه [حياة الحيوان] نقلا عن «الجاحظ» حيث قال ما ملخصه: إن عمرو بن اليربوع كان متولدا بين السعلاة ـ (أى أنثى الجن) ـ والإنسان، قال: وذكروا أن جرهما كان من نتاج الملائكة والآدميين، فكان إذا عصى الملك ربه فى السماء أهبطه إلى الأرض فى صورة رجل، كما صنع بهاروت وماروت، وأن من هذا القبيل كانت بلقيس ملكة سبأ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه آدمية وأبوه من الملائكة، ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا ينادى رجلا ياذا القرنين قال: أفرغتم من أسماء الأنبيا فارتفعتم إلى أسماء الملائكة؟ قال: وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس، قال تعالى: ﴿ **وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ** ﴾[1] وذلك أن الجنيات إنما تعرض بصرع رجال الإنس على جهة العشق فى طلب السّفاد، وكذلك رجال الجن لنساء الإنس، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء، قال تعالى: ﴿ **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ** ﴾[2] ولو كان الجان لا يفتض الآدميات ولم يكن ذلك فى تركيبه لما قال الله تعالى هذا القول اهـ كلام الدميرى[3].

وما ينسب لهرقول من أشغاله الشاقة أنه دخل الأقيانوس، أى البحر المحيط، فى الجزء الذى يفصل أوربا من إفريقيا، عندما فتح بوغاز قادس، المسمى الآن جبل الطارق، وكان بين جبلين متصلين ببعضهما أحدهما جهة الأندلس فى أوروبا

(١) الإسراء: ٦٤.

(٢) الرحمن: ٥٦.

(٣) الدميرى: محمد بن موسى (١٣٤١ ـ ١٤٠٥م). . وانظر كلامه الذى ينقل عنه الطهطاوى فى (حياة الحيوان) ج٢ ص ٣٥ ـ ٣٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦.

والآخر فى جهة إفريقية، وصار فتح البوغاز كأنهما عامودان، وكتب عليهما هرقول ما معناه: ليس خلف ذلك شيء. وللآن يسمى هذا البوغاز عند الإفرنج بوغاز العواميد. وفى كتاب [نشق الأزهار فى عجائب الأقطار][1] أن إسكندر ذا القرنين اجتاز بلاد الأندلس وفتح بها بوغاز جبل الطارق المسمى بحر الزقاق، وأن محل هذا البوغاز كان برزخا بين طنجة وبين الأندلس، اهـ .

فتلخص من هذا استظهار أن هرقول الرومى هو عين إسكندر ذى القرنين الذى بنى السد، حيث هو عند اليونان مُوَلَّد بين إنسى وغيره، وعند العرب كذلك، وغاية ما هناك أن اعتقاد اليونان ألوهية الملايكة والعلويات، فيقولون للعلوى إنه رب، أو العلو عقل، ويقولون للمتولد بينه وبين البشر نصف رب ونحو ذلك.

ومبنى خرافاتهم وآدابهم على إفراط العبارة فى ذلك، وفى من انفرد بشىء من أبناء جنسه من البشر، ولا يتحاشون عن إطلاق لفظ الإله أو الرب على كل من اشتهر بوصف من الأوصاف، مثلا لما اشتهر شخص منهم يقال له «بخوس» بكونه أول من اعتصر الخمر، قالوا فى حقه إنه رب الخمر، وكذلك الكواكب السيارة والثوابت وخلافها، ومثل هذا هو أصل عبادة الأصنام ومنشؤها، وذلك أنه لما قامت بالناس حرارة شهواتهم حملتهم على ارتكاب أعظم الكباير، فلم يتذكروا خالقهم وموجدهم، ونسوا أصلهم، فاتخذوا لهم معبودا سوى الخالق الرازق، فعبدوا الشمس والقمر أولا لزهوهما فى رأى العين أكثر من غيرهما من الكواكب، ثم عبدوا الكواكب والنجوم، فكان هذا منشأ لاعتقاداتهم الفاسدة، ثم بعد ذلك نظموا أفراد البشر فى سلك الألوهية، وخصوهم بما حقه أن يكون لله عز وجل.

وذكر بعض المؤرخين أن الملك نينوس، مؤسس مدينة نينوى بالعراق، هو أول من اتخذ عبادة الأصنام فى نحو ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين من تاريخ خلق الدنيا، وذلك أنه صور صنما على صورة أبيه، وأظهره للناس، وأمرهم بعبادته

---

(١) هذا الكتاب لابن إياس.

والابتهال إليه، فاقتدى به فى ذلك من قاربه من أمم الممالك المجاورة، فصاروا يؤدون لملوكهم وأمراءهم وشجعانهم التعظيمات اللائقة بمقام الألوهية، وكذلك نظموا فى هذا السلك الكواكب والنجوم وعبدوها من دون الحى القيوم، وسلك هذا المسلك الأمم القديمة التى من جملتهم أمة اليونان، مع وفور عقلها وغزارة علمها وشهرة حكمتها.

قال بعضهم: إن قايل هذا القول لم يدقق النظر فى أحوال الناس، وإلا فالواقع أن ذلك إنما نشأ من فساد قلوب الأمم القديمة وضعف عقولهم وقصور أذهانهم وضلال أوهامهم وتخيلاتهم، فإن أمريكا لما استكشفها الإفرنج وجدوا عند أهلها عبادة الأصنام والأوثان مع أن أهلها لم يروا نينوس ولا سمعوا به.

ونهاية القول إن الميثلوجيا عند ايونان إنما هى، على بعض الآراء، لها ظواهر وبواطن، فظواهرها محض أقاويل وأباطيل، فلا ينبغى لفاضل أن يدخل فى تخريجها وتعديلها وإطفاء سقيم ضوء قنديلها، بل لا يقيم لها وزنا، ولا يورثه سماعها هما ولا حزنا، بل غاية ما فيها مدخليتها فى فهم ما تتوقف عليه الأدبيات كما يتوقف الشعر العربى على بعض أشياء من عقائد جاهلية العرب، كقول الشاعر:

فلو أنا على حجر ذُبحنا سرى الدَّمَيان بالخبر اليقين

وأما بواطنها فربما اشتملت على بعض إشارات ورموز، كما فى نظمهم الزمن الذى يعنون عنه بزحل فى هذا السلك من حيث تسلطه على الأشياء ودوامه وفتكه بأهله، فيقولون إن زحل يأكل أولاده، يعنى أن الدهر يفنى أهله، فهذا هو المقصود والباطن من ذلك.

ولما كان الفرنج يحذون فى آدابهم حذو اليونان اتخذوا الخرافات اليونانية قدوة فى ذلك وأسوة، وألفوا فيها تآليف تسمى الميثولوجيا. ووقائع تليماك مشحونة بهذه الأشياء، وما فيه من الآداب مبنى على الآداب اليونانية.

ثم إن بعض المؤلفين ـ كما سبق ـ قال: إن هرقول هو عين عولوس، والد تليماك

صاحب الوقائع المذكورة، وبعضهم قال إنه خلافه، وإنه عولوس بن لايورس، وأمه أنطاكية، وإنه بعد خراب تلك المدينة مكث هايما لا يستقر بمحل مدة عشر سنوات، ولم يتيسر له العود إلى بلاده، وإنه رمت به الرياح إلى سواحل روم إيلى، ثم سار فى البحر وقذفته إلى إفريقة، ثم وقع فى أيدى البربر الذين كانوا يأكلون لحوم الآدميين، ويسكنون بسواحل يقال لها سواحل النمل، فحاولت ساحرة شهيرة يقال لها سرسا أن توقعه فى حبالة صيدها وأشراك كيدها، فغيرت شكل أصحابه إلى صور حيوانات مختلفة، ولكنها لم تبلغ مرامها فيه، حيث تخلص من تمويه سحرها بما كان معه من نوع من العقاقير التى كان أهداها له رب الحكمة المعبر عنه بعطارد، ثم سار فى البحر عساه أن يعود إلى طياكى، دار ملكه، للانضمام إلى أهله وولده، وتحسين نظام وطنه فى عقْد العز وسلْكه، إذ عبثت به يد الدهر الغدار إلى أن قاسى ماقاسى من أخطار البحرَ حتى وقع فَى جزيرة أوجيجبا وبها كالبسة، الشهيرة بأنها من الجواهر الروحانية، وأنها من العقول الأنانى، وأنها جنية أو هاروتية معدودة عند اليونان من الربات المدبرات والعقول العلويات، وهى فى جزيرتها ملكة متصرفة، ولها بالمغيبات خبرة ومعرفة، فلما دخل عندها عولوس كان عندها من الحب بمكانة قوية، ومن العشق بمنزلة عليه علوية، وكان شغفها به شديدا، تريد به أن يقيم معها تأبيدا، ولا زالت تسارع فى هواه، وهو يبادر فى تنجيز ما صمم عليه ونواه، حتى أقلع عن حبها، وأقلع سفينته التى صنعتها له، وسار ونادى بلسان حاله: البدار البدار، والفرار الفرار، وبإعانة الرياح الملايمة غاب سريعا عن العيون والأبصار، فكان له الهواء الطيب من جملة الإخوان والأنصار، وفى أثناء ذلك خرج ابنه تليماك من مدينة طياكى، يصحبه الحكيم الصالح منظور، كما صحب الخضر موسى عليهما السلام، وعلمه من الرشد ما يفى بالمرام، وجرى ما جرى لتليماك من الحوادث، مما كانت غرابتها باعثة للحبر النحرير فيلون الفرنساوى الشهير على تحرير التحبير وتحبير التحرير. وكانت من أقوى الدواعى والبواعث حيث نظمها فى سلك الاختراعات، وأدخلها فى مضمار المبتدعات. و من المعلوم أنها من الموضوعات على هيئة المقامات الحريرية فى صورة

مقالات، وأين منها عند القوم ألف ليلة وليلة والف يوم ويوم، وهل تقاس بها قصة ذى يزن أو عنتر، فكيف وموضوعهما أقطع أبتر، فقد اشتهرت هذه المقالات بين الملل والأمم اشتهار نار على علم، وترجمت فى سائر اللغات، وسارت بفصاحتها الركبان فى سائر الجهات، لما اشتملت عليه من المعانى الحسنة مما هو نصايح للسلاطين والملوك، وبها لسائر الناس تحسين السلوك، تارة بالتصريح والتوضيح، وأخرى بالرمز والتلويح، فلله دره حيث قال وأبدع فيما أبداه فى افتتاح المقال[1].

* * *

(١) وبعد ذلك تبدأ الترجمة بالمقالة الأولى من الرواية الأسطورية (مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك).

مقدمة

قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر

[كتبها الطهطاوى يقدم بها ترجمته لهذا الكتاب الذى طبع فى أول شعبان سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م).

وهنا قد أثبتنا كذلك «الخاتمة» التى أنشأها تذييلاً لهذه الترجمة..]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العالم بالحقايق، المدير سائر الخلايق، المعبود فى المغارب والمشارق، المنفرد بالألوهية عما سواه، فسبحانه من إله خلق العوالم وأحصاها، وقربها إلى الترقى وأقصاها، وعلى الاعتراف بالألوهية أوصاها، فأجابت بتسبيحه والإذعان بأنه الإله، ثم كلف منها النوع الإنسانى بتكاليف، لما أودعه فى عقله من التعاريف، ففريق تبع الهدى ودفع التخاريف، وآخر عن منهج الرشد تاه، فيا ويح من حاد فى الأنام، عن التمسك بشريعة الإسلام، وتناءى عن سنة خير الأنام، سيدنا محمد السيد الأوّاه، صلى عليه ذو الجلال وسلم، وشرف وكرم وعظم، وعلى آله وصحبه أهل الكرم، وأحبابه وأحزابه ومن والاه.

ثم أعمر اللهم مصرنا، ونور بين العصور عصرنا، بحضرة ولى النعمة والثناء. محمد الاسم علىّ القدر والجاه (منبع الفواضل والفضائل)، جامع ما تفرق فى الأواخر والأوائل، جميل الذكر حسن الشمائل، بلّغه الله مراده ومناه.

وبعد، فيقول العبد الفقير إلى مولاه رفاعة رافع الطهطاوى، الحسينى القاسمى: إن طبيعة كل فاضل بل كل إنسان تشتاق إلى الإحاطة بعلم سائر المخلوقات التى ظهرت وانكشفت بواسطة الأسفار برا وبحرا، وإلى علم معاشها ومعادها وسائر عوائدها وفوائدها وأحوالها ومحالها، إلى غير ذلك، ومن الواضح أن المعلوم لنا إنما هو شىء هين، سيما بالنسبة للبلاد القاصية، على أننا لا نعرف إلا ما هو

معروف لسائر الناس من قديم الزمان، وربما كان علمه صادرا عن مجرد الأخبار والسماع لا عن المشاهدة والعيان، وأما ماظهرت معرفته من البلاد عن قريب كبلاد الأمريكة والجزائر التى بالبحر المحيط، أو كان معروف الاسم مجهول الحال كالبلاد الإفرنجية والهندية والصينية وباطن الأراضى السودانية، فهو محتاج إلى شرحه وبيانه لنا، فكان علينا أن نبحث عن ذلك فى معدنه (ونطلبه من كنوزه وخزائنه).

وقد اشتهر بين الخاص والعام أن طائفة الإفرنج قد امتازت الآن بين الطوائف بالتجارات والمخالطة لسائر البلاد، بل قد اخذت معرفة البلاد وأحوالها سببا، وانتخبت بذلك نخبا، فاتسعت معارفها فى الجغرافيا والميقات، ولا زالت فى الزيادة فى العلوم على سائر الأوقات، فلا سبيل حينئذ فى معرفة أحوال البلدان والخلايق إلا بنقلها عمن حققها من الإفرنج، ودونها فى الكتب وسلك فى بيانها أسهل نهج، ولا شك أن من أعلم الإفرنج وأحكمهم طائفة الفرنسيس، فإنها الآن بلاد الفنون والصنايع من غير شك وتلبيس، ولما كان للفقير معرفة هذه اللغة، وفيه ملكة مطالعة عظيم كتبها، وتمييز الغث من السمين، طلب منى الخواجه «جومار» مدبر تعليم الأفندية المصريين المبعوثين من طرف حضرة ولى النعمة إلى باريس كرسى الفرنسيس أن أترجم إلى العربية كتابا لطيفا يسمى بما معناه [ديوان قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر] فأجبته لذلك، علما بأنه نصوح فى محبة أفندينا ولى النعم، ومحب لبلاد مصر كأنها وطنه، ويسارع فى أن يشحنها بالمعارف والحكم، ولما كان هذا الكتاب المذكور غير مقصور على مجرد نقل العوائد، بل هو مشتمل على استحسان أو ستقباح بعضها، أشار علىّ مدبر التعليم المذكور أن أحذف ما يذكره مؤلف الكتاب من الحط والتشنيع على بعض العوائد الإسلامية، أو مما لا ثمرة لذكره فى هذا الكتاب، فعلى غالب ظنى أنه يصير نافعا لمن يرغب فى التبحر فى معرفة عجائب المخلوقات، ومما يشق على تغيير ترتيبه فى الذكر بأن أقدم وأوخر على حسب مقتضى الحال، لأن الزمن غير قابل لذلك، على أنه ولو كان قابلا لراجعت بعض الكتب العربية وقابلته وصححته وذكرت مناسبات، إلى غير ذلك، ولكن قد يقيض الله تعالى من يفعل ذلك.

وقد رتبه المصنف على مقالتين **المقالة الأولى** : فى ضروريات الإنسان وعيشه مع أهله وعشيرته ، وفيها أحد عشر فصلا : **الفصل الأول**: فى السكنى واختلاف العوائد فيها . **الفصل الثانى**: فى المؤنة . **الفصل الثالث**: فى الملبس والزينة . **الفصل الرابع**: فى النظافة . **الفصل الخامس**: فى الزواج واختلاف العوائد فيه . **الفصل السادس**: فى النساء . **الفصل السابع**: فى الذرية . **الفصل الثامن**: فى الشيخوخة . **الفصل التاسع**: فى الجنائز . **الفصل العاشر**: فى صيد البر والبحر . **الفصل الحادى عشر**: فى التجارة والنقود .

المقالة الثانية : فى الأخلاق والعوائد بالنسبة إلى إختلاف الأمم وعقولهم ، وفيه خمسة عشر فصلا : **الفصل الأول**: فى اللعب ورياضة البدن . **الفصل الثانى**: فى الشعر والموسيقى ، وهى علم الألحان . **الفصل الثالث**: فى الكتابة . **الفصل الرابع**: فى الرقص . **الفصل الخامس**: فى لعب «السبكتاكل» الرومية ، المسماة الكومدية . **الفصل السادس**: فى الأعياد والمواسم . **الفصل السابع**: فى الآداب والقوانين . **الفصل الثامن**: فى إكرام الضيف . **الفصل التاسع**: فى الرق واستعباد الأحرار . **الفصل العاشر**: فى الأوهام والعقائد الفاسدة والبدع . **الفصل الحادى عشر**: فى اعتياد أكل لحم الآدمى وفى الحروب والأسلحة . **الفصل الثانى عشر**: فى العقوبات . **الفصل الثالث عشر**: فى أشراف الناس والطوائف والقبائل . **الفصل الرابع عشر**: فى الملوك : **الفصل الخامس عشر**: فى جملة عوائد مختلفة .

[خاتمة][1]

قال معرب هذه الرسالة، أحسن الله تعالى حاله ومآله، وهو باسط أكف الضراعة لمولى الموالى، وطالب الشفاعة من سيد الرسل الراقى إلى أوج المعالى، عبده رفاعة رافع الطهطاوى، غفر الله له ولوالديه جميع المساوى:

قد تم تعريبها، وانتظم فى سلك الآداب العربية غريبها، فى يوم الاثنين المبارك من العشر الأوائل من جمادى الآخرة سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين من هجرة سيد البرية، عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية، ثم كمل تصليحها بعد ذلك على يد معربها المذكور، وانتهى تصحيحها على أتم الأمور، فكأنما هى قد خرجت من الظلمات إلى النور، وبرزت للطبع فى حلل الحبور، فبدأ طبعها بدار الطباعة العامرة، ببولاق مصر القاهرة، التى أنشأها الخديوى ولى النعم، كريم الشيم، لنشر أدوات العلوم وآلات الصنائع، وتكثير كل فن لازم لبلاد الإسلام ونافع، ولا شك فى منفعة كتب الآداب والأخلاق، لسائر ممالك الآفاق، لا سيما فى الولايات العامرة، التى بالمعارف أضحت زاهية زاهرة، الطالبة لحسن التمدن، والراغبة فى المعرفة والتمرن.

وهذا الكتاب من أجل كتب الآداب وأكملها، لما أنه قد جمع ثمرة السياحات الإفرنجية والأسفار، وحوى غريب السير والأخبار، وصار جديرا بأن يعد من عظيم الكتب التى ظهرت فى عهد ولى النعم، محيى العلوم فى مصر بعد العدم، أبقا الله أيامه، وعمر ممالكه وأيد أحكامه، ولا زال سعده قائما فى سائر الدهور، ولا برح اسمه مقرونا بأسماء القياصرة الكبار فى سائر العصور. آمين. تم.

---

(١) كتبها الطهطاوى فى نهاية ترجمته لكتاب (قلائد المفاخر).

مقدمـــة

بداية القدماء وهداية الحكماء

[كـتب الطهطاوى هذه المقـدمة لكتـاب(بداية القـدماء وهداية الحكمـاء) الذى راجعه وضـمنه مقتـبسات من تاريخ «أبى الفداء» عن بدء الخليـقة وتاريخ الأنبياء وعن تاريخ العرب.

أما ترجمة الكتاب فقد نهض بها عدد من مدرسى وطلاب مدرسة الألسن.]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدك أسمى المفاخر المأثورة. وشكرك أسنى المآثر المشكورة. يا من أنزلت الكتب السماوية من صحف وأسفار. مسفرة عن أخيار الأخبار وأخبار الأخيار أىّ إسفار. قصصت فيها من أنباء الرسل والأنبياء. والملائكة والأصفياء. ما يكون تذكرة. ومن أحوال المتمردين والأشقيا. والجبارين والأقويا. ما يكون تبصرة. فكم تكفلت بحكاية تولية ونزع. ووضع ورفع. وحرمان وبذل. وتنصيب وعزل. وآداب وسلوك. ونصايح سلاطين وملوك. وانتحال ملل. وانتقال دول. وتداول إقبال. وتبادل إعزاز وإذلال فسبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ولا رشاد لنا إلا ما أرشدتنا بإرسال سيد البشر المبعوث بالنصر والتأييد. والقامع لكل جبار عنيد. فيا له من نبى فضلت دولته الدول. وملته الملل بل نسخت شريعته الشرائع. ورسخت بها العلوم والصنائع. وسنت كل ما أجدى نفعا وربحا. وضربت عما سواه صفحا. فأماطت القناع عن المزايا. واطلعتها حسن الاطلاع من الخبايا. فبذلك حازت جميع المعارف واللطائف. وقصد إليها كل ساع وطائف. فهى الحنيفية المطهرة. التى عن أوجه الحق إلى مسفرة. وفى وجوه المؤمنين ضاحكة مستبشرة. وعابسة فى وجوه عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة. فكيف لا وصاحب هذه الشريعة سيد الأولين والآخرين. وواسطة عقد النبيين. أُرسل من الحق إلى الخلق بشيرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. عليه صلوات المولى الكريم. وسلام قولا من رب

رحيم. وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الاهتدا. من أوسعوا محجة الرشاد. وصدعوا حجج الكفر والعناد. ما هبت نسمات السداد. من آفاق الإسعاد.

أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى الكريم النافع. رفاعة بدوى رافع:

من المعلوم أن الإنسان مدنى بطبعه. مائل إلى التأنّس والعمران بأصله وفرعه. مضطر إلى السياسة والرياسة. وحسن الاجتماع والكياسة. وما يكون به استجلاب كماله. ومعرفة أسباب حفظه أو تحوله وانتقاله. وما يكون عليه حال الملك فى نفسه أو مع رعيته. وعمارة مدائن مملكته. حيث احتاج إلى ذلك تنظيم المصالح. وضبط المهمات على وجه راجح ناجح. لما أنه يستنبط من ذلك كمال فوائده. من كان تدريب التجاريب نصب مصادره وموارده. ولا يشم ذلك إلا من للأخبار اختبر. وللسِّير والتواريخ سبر. حتى تضلع من وقائع المشارق والمغارب. وتجرع من محيطها بأنواع الأذواق والمشارب. ورجع عن طروق الشُّبَه إلى أهل الذكر. وهرع إلى طرق التاريخ بالهمة والفكر. لما أنه يجود بذكر ما جرى عليه النسيان. ويجيد حوادث الحدثان. ويخرجها من حيز الخفا إلى حيز العيان. ولولا أن مصباح التاريخ به الاستصباح. لأصبح ما مضى هشيما تذروه الرياح. فمنفعته عامة. للخاصة والعامة. وهو مشير كل أمير. وأمير كل مشير. وسمير كل وزير. وظهير كل سمير. إذا سئل أجاب وأبدى العَجب العُجاب. ترتاح به الأرواح الفاضلة. وتلتاح إليه النفوس الكاملة. من الحكماء والأساطين. والملوك والسلاطين. فلذا كانت مطمح نظر الخديوى الأعظم. وملمح بصر الداورى الأفخم. نادرة الدهر. أنموذج الفخر. سيد مصر وصاحب العصر. مجلبة التأدب. مغناطيس التعجب. صاحب اليد البيضاء التى لا تُوارى. والحسنات الجمة التى لا تجارى. من به اضمحل الظلم وتلاشى. أفندينا ولى الممالك محمد على باشا. الذى سارت الركبان فى ذكره فى كل ناد. وهامت الشعراء بمدحه فى كل واد. وملأ قلوب الأعادى فزعا ورعبا. وتلقب بأعظم الألقاب لا سيما عند ملوك أوربا. أوليس أنه يلقب عندهم معيد تمدن الإسلام. ومبيد تمكن الأوهام؟.. وقد طرزت اسمه مع ذلك اللقب فى هذه القصيدة حيث قلت:

ملأ الكون بشرا عدله واعتداله	وأغنى البرايا بره ونواله
حوى عزم «كسرى» فى مهابة «قيصر»	وما «إسكندر» فى هزم «دارا» مثاله
متى قسته منهم بفرد. ظلمته	فقد زينت كل الملوك خلاله
دلائل أخبار الخواقين[1] أجمعت	على أنه عنهم منيع مناله
عظيم مقال ما كبا زند رأيه	سنى فعال لا تسامى فعاله
له هيبة عند العدى آصفيّة[2]	يسير بها نحو القلوب جلاله
يقول أناس: طالع السعد حظه	وما السعد إلا عقله وعقاله
محا غيهب الأوهام قسرا بمصره	أما تبصر العرفان يسمو هلاله
على الدهر نذر قد وفى فيه وعده	ببحر خضم قد روتنا سجاله
يفيض على العافى الجنوح فراته	ويطفو على الجافى الجموح زلاله
دفاتر تاريخ السلاطين سطرت	مناقبهم فاستجمعتها خصاله
تلقبه ألقاب فخر وسؤدد	وتروى لنا ما صح عنه اتصاله
مآثره بين الأنام مفاخر	وآثاره لا تنتهى وكماله
دهت كل ذى فهم عزائم حزمه	وما فوقت إلا أصابت نباله
نراه دواما ظافرا بغريمه	ويحنو على من كبلته حباله
أما إنه مولى شمائله بها	حنان لمن تجنى عليه شماله
لمصر به شأن طريف زهت به	وعز منيف قد أظلت ظلاله
ألا أيها المرتاب فى أن دارنا	تفوق على كل الرجال رجاله
سل المجدعن تلك الميادين هل عدا	ببهرتها قرن يبارى نضاله
لها الآن فى كل النواحى أدلة	بها زال عن رب الجدال جداله

(١) السلاطين.

(٢) نسبة إلى آصف الذى جاء إلى سليمان بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه!

أتاح لهـا المولى مليكا قـد انـتمى إليـها ومن أقصى البلاد ارتحاله

مـحـمـد أفـعـال علىّ مكارم بديع صفات لا تعد فضاله

ومـا مثلها مقدونيا إذ أتت به وقد كان فيها حمله وفصاله

منازل منها إسكندر فاتح الورى إذا لم يكن عم الأمير فخاله

بسيف الخديوى صولة البغى قد عفت فلا صائل إلا تداعى صياله

يضاهيه فى أوصافه الغر نجله إذا ما تصدى نحو شأو يناله

دماثة أخلاق الجميع خليقة وقد زانهم خلق تجلى جماله

ترى فيهم عباسهم ذا طلاقة لدى السلم لكن لا يطاق نزاله

مساعى سعيد فى البحار سعيدة دواعى إلى الخيرات والاسم فاله

كفى الداورى فخرا بأن زمانه غدا عنده عبدا عليه امتثاله

نواصى الأعادى تحت قبضة كفه إذا جال فى قوم تناءى مجاله

أليس منيع الشأم قد زال شؤمه وصار سواء سهله وجباله

لئن قام أحياء الدروز لحتفهم فياويح من أخنى عليه ضلاله

أينتظرون «الحاكم» اليوم بعدما تبين فيما يزعمون محاله

وما «يَمَن» عند العزيز عسيرة ويسر «عسير» عنده ما تخاله[1]

هنيئا لمن ألقى السلاح بساحة يصان بها نفس النزيل وماله

ألم حمى لا ضيم فيه لوافد ولاذ بطود لا تسامى قلاله

مناهجه فى حكمه مستقيمة ملأ الكون بشرا عدله واعتداله

---

(١) الأبيات الأربعة السابقة تشير إلى حروب محمد على فى المشرق العربى، وتتحدث عن انتصاراته على الدروز، الذين ينتظرون عودة الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله! . . وتشير إلى عزم محمد على على فتح اليمن بعد أن فتح «عسير» بأرض الحجاز . . إلخ .

ولما كان تولعه بالتواريخ شديدا . وتطلعه لأخبار الملوك الماضين مزيدا . وله فى معرفة فحول رجال القرون الأولى المادة الغزيرة واليد الطولى . والقريحة الوقادة . والبصيرة النقادة . وكان تاريخ تلك العصور . بالكتب العربية فى غاية القصور . لا سيما تاريخ اليونان . المشتمل على فحول رجال تلك الأزمان . لما أن ذلك حاز كمال الرونق والبهجة . عند أمة الإفرنجة . وصح التعويل عليه . وساغ الرجوع إليه . وكان بمدرسة الألسن من يقوم بتعريب طرفه . ويخرج دره من صدفه . أعطيته لعدة أفراد . لتعريب المراد فى أقرب ميعاد . فأخذ مصطفى أفندى الزرابى المترجم بالمدرسة تاريخ اليونان ، وما زاد عليه ترجمة التلامذة المذكور اسم كل واحد منهم عند ترجمته .

ولما كان المؤلف ناقصا تاريخ الخليقة والعرب . وكان فى كتاب عماد الدين أبى الفداء سلطان حماة ما يفى بالأرب . أضفته إلى الترجمة لكمال المطلوب . وبلوغ المرغوب .

ثم إن من المعلوم . عند أرباب الفهوم . أن أخبار الأمم البائدة البالية . والقرون السالفة الخالية . والشرائع الدائرة . والآراء البائرة . لا تفهم مَعَانيها لـمُعانيها . ولا ما فيها لموافيها . إلا لمن عرف أصولها ومبانيها . وجال فى قاصيها ودانيها . وهى متوقفة على الميثولوجية . وهى العقائد اليونانية . التى هى دقائق رموزها . ورقائق كنوزها . وهى لا تعلم عندنا من القصة الواحدة ولا الفذ . مع أنها أخشن من قنفذ . فهى محض أقاويل حكوها . وترهات حاكوها . وخراعات اخترعوها . وخزعبلات ابتدعوها . ولولا أنها عن طلعة قديم التاريخ تسفر . لكانت أولى بأن تنبذ فى العراء المقفر . فما آلهتهم إلا ممن أحدث بينهم الظربان . وبال على رؤسهم الثعلبان . فلا ينبغى لفاضل أن يدخل فى تجريحهم وتعديلهم . وإطفاء سقيم ضوء قنديلهم . بل لا يقيم لهم وزنا . ولا يورثه سماعهم هما ولا حزنا . فإن الخرز لا ينفق فى سوق الجوهر . ولا يبخس السُّكر بمقدار السَّكَر[1] . غاية ما فى هذه الخرافات . مدخليتها فى فهم ما يتوقف عليه الأدبيات . ثم نبذها ظهريا بعد الإطلاع على عقل من أضله الله على علم وشقاوة . وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره

---

(١) السكر ـ بضم السين المشددة معروف ، أما بفتحها مشددة فهو المسكر المخامر للعقل .

غشاوة . بخلاف نفس التاريخ فهو صحيح يعتمد عليه . ويرجع فى الحوادث إليه . وهو أول ترجمة كتاب فى تاريخ القدماء جمع فأوعى . وإليه فى هذه المادة الرجعى . وهو من الإتحافات الإفرنجية التى يصدق عليها قول الشاعر :

يحدث حاضرا عنهن باد   ويتحف مغربىًّ مشرقيـا

ومثل هذا من سعد ولى النعم . حيث إن ما مكث فيه الإفرنج السنين العديدة . والمدد المديدة . يكتسبه فى أقرب زمان . مع غاية الإحكام والإتقان . فما أنشأه فى وقت وساعة . يكون لغيره مدة زمانه بضاعة . فقد أبدع دائما فيما أبدى . وصدع بإنجاز ما تصدى . وصار يضرب به المثل بين الملوك الأماثل . بل تواطأت الآراء على أنه ليس له فى الأزمان الأخيرة من مماثل . بل باعه طويل طائل . بين أكابر الأوائل . واقتدى بهذا الليث أشباله فى علو الهمم . ومن يشابه أباه فما ظلم . وسرى سر همته . فى سائر من خصوا بتربيته . لا سيما صاحب الدلالة والبرهان . القائل فى أخذ ثار العلوم وأثارات عثمان . صاحب العز والفخار . مصطفى بيك مختار . مدير المدارس والجفالك . والأعمال الهندسية وإصلاح مسالك الممالك . لا برحت أيام ولى النعم فى جباه الدهر غرر . ولياليه فى سوالف الأيام طرر . وسميت هذا الكتاب الحاوى للمسائل النفائس . الحرى بأن يستعمل فى المدارس . (بداية القدماء . وهداية الحكماء) . وبالله المغيث المعين . استغيث واستعين .

مقدمة

التعريبات الشافية لمريد الجغرافية

{كتبها الطهطاوى يقدم بها ترجمته لهذا الكتاب الذى كان أول كتاب شامل فى الجغرافية طبعته مطبعة بولاق سنة ١٨٣٥م، ١٢٥٠هـ .}.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن دحى الأرض وأحصى أهلها عددا، ورفع السماء ولم يجعل لها أوتادا ولا عمدا، وأجرى البحار وأفاض الأنهار، وفتح المسالك للسالك، وفتح الممالك للملوك، وهو أعظم ملك ومالك، وأيد الأرض بسكانها، وشيدها فى جميع نواحيها وأركانها، ونوع أعلامها وعوالمها، وفنن حكامها ومحاكمها، فصارت لأهل الوحى من عالم الشهادة لا الغيب. وما قاله فيها من عداهم من غير أرباب السياحة والربانيين بمثل قوانين الهيئة والطبيعة والمساحة فمن قبيل الإفك والريب. والصلاة والسلام على من إلى حرمه الشريف تشد الرحال، وإلى الخوض فى بوادى واديه تهيم كرائم النوق بكرام الرجال. وعلى آله وصحبه الذين بذلوا نفوسهم فى طاعته ونصروه فى هجرته، فكان لهم به الفتح المبين وبلوغ الآمال، ولا زال ببركته ﷺ وببركة آله وأصحابه وأتباعه فى ولاة أمته من خصه الله سبحانه وتعالى بتشييد الدين القويم مع العز والسعد. وأمده بجميل أوصاف تجل عن الحد والعد. خير من نشر على مصر ألوية المعارف، وبذل فى صلاحها من الأموال كل تليد وطارف. فعم النفع بذلك فيها وفى القطر من كل جانب. واتسع وسارت به الركبان كحسن السيرة فى المشارق والمغارب. وعنونت صدور الدفاتر بمجده ونصره، وبلغ فى عظيم صولته ما يبهر قيصر دهره ونابليون عصره، فكأنما أهداه إسكندر الأكبر ثغر الإسكندرية، ما اختطها إلا لتكون دار ولاية سعادة ولى النعم الخديوية، لا زالت تحمد فى سائر الأقطار مفاخره، وتعلو وتنشر فى الخافقين على ممر الأعصار مآثره. آمين.

(أما بعد) فيقول العبد الفقير الخاضع لأمر مولاه الراجى فضله الواسع، رفاعة بدوى رافع:

لما سمحت مشورة الجهادية، ذات الآراء السنية الزكية، أن أفتح لفنون الجغرافيا والتاريخ مدرسة، تكون على قراءة هذه العلوم مؤسسة، لتشتهر ثمراتها الزاهرة، فى إيالات أفندينا الفاخرة العامرة، فإن ذلك مما تدعو الحاجة إليه، ويتأكد العمل به والوقوف عليه، لا سيما لأرباب الدولة والسياسة المدنية، وأصحاب التدبير والإدارة الملكية، وأصول أهل المناصب وضباط الطوائف العسكرية، وكامل ذوى الصنايع والحرف والمهمات التجارية، فكل من تأمل فيها وعرف، ورقى فيها إلى أعلى مراتب الفضل والشرف. على أن كثيرا منها ما تبنى عليه أحكام شرعية، وحكم وآداب عرفية، وقوانين بين سائر ملوك البرية، فهو لمثل هذا الغرض، يعد عند أرباب الصناعة من المفترض، أخذت عدة تلامذة لهذا المعنى الممدوح، وتوجهت بالقلب والقالب لتعليمهم بصدر مشروح، وليس بيدى من كتب الجغرافيا شىء باللغة العربية، يحتوى على التفصيل والترتيب على نسق ما فى الكتب الإفرنجية، فلهذا اعتمدت كتابا موجزا فى هذا الفن النفيس، موضوعا لمدارس مبادىء العلوم بمدينة باريس، وشرعت فى ترجمته درسا بعد درس لهذا القصد، حتى لا يضيع السعى ولا يخيب الجد. ولما رأيت أن مؤلفه أطنب فى أوروبا، لكونها، وطنه، وأوجز فى غيرها، حيث لم تكن داره ولا سكنه، فبهذا الوصف لا يكون لنا كافيا، ولا لغليل المتطلعين إليه شافيا، وكنت اطلعت على غيره من كتب العلوم الجغرافية، ومارست كثيرا منها، وراعيتها حق رعايتها، مدة إقامتى بمملكة الفرنساوية، أردت أن أتمم المرام، بتلخيص ما يناسب المقام، حتى تحصل الموازاة والموازنة، والمعادلة والمقارنة، ويكمل به النفع، لهذا الأصل والفرع، فجاء بعونه تعالى فى هذا الفن عظيم الوقع، متضمنا لخلاصة كتبه المطولة، يقبله رجيح الذهن صقيل العقل صاحب النفس الفاضلة، والهمة العلية الكاملة، وسميته [التعريبات الشافية لمريد الجغرافية].

ولما أهدى مؤلفو الفرنساوية مثل هذا الكتاب لأبناء ملوكهم ليعرفوا به سائر الممالك وآداب السلاطين، أهديت هذا المؤلف لأشبال ولى النعم عظماء الشأن،

ولحفدته الذين هم لغرة طرة الدهر تيجان، وإن شاء الله يترجم من اللغة العربية إلى اللغة التركية، حتى تكون ثمرته عامة جلية. وأسأله تعالى أن يجعله من المؤلفات المطلوبة، والمصنفات المرغوبة، فى سائر مدارس أفندينا الناجحة، ومكاتب سائر بلاد الإسلام الراجحة، وأن ينفع به كل طالب، وأن يكون فى ذلك الفن غاية المقاصد والمآرب.

مقدمة الجغرافيا

ويقال أيضا جغرافية، وعلى كل بضم الجيم وفتحها وبالغين المعجمة والمهملة، كلمة يونانية معربة، ومعناها: ذكر الأرض والتكلم عليها، أو تخطيطها ورسمها. وقل أن يؤلف العلماء الإسلاميون كتبهم فى هذا المعنى ويسمونه بهذا الاسم، بل يعبرون عنه [بعلم تقويم البلدان] أو [فن تخطيط الأقاليم]، وإنما يسمونه: جغرافية، غالبا، فى معرض النقل عن كتب اليونان.

وهو ينقسم إلى عدة مباحث، كل منها علم مستقل برأسه، و ذلك لأنك إن ذكرت الأرض من جهة اعتبار شكلها وصورتها وسكونها أو حركتها أو نسبة النجوم والكواكب إليها وما أشبه ذلك، فهذا يسمى «الجغرافيا الرياضية»، ويسمى أيضا «علم هيئة الدنيا»، ويقال له «قسمغرافيا»، أى رسم العالم، وهو مغاير لعلم النجوم، فى كون هيئة الدنيا هو مجمل علم النجوم والفلك، والآخر تفصيله.

وتارة تعتبر الأرض من جهة أجزائها المقومة لها وطبقاتها الزراعية والمعدنية والبركانية ومياهها وبرورها وجبالها وما يخرج منها من المعادن والنباتات وما يعيش على وجهها من الحيوانات، وهذا يسمى «بالجغرافية الطبيعية»، أى «علم طبيعة الكرة الأرضية»، وهذا الفن أيضا مغاير لعلمى تشريح الأراضى واستخراج المعادن، لما فيهما من التفصيل دونه.

فإن نظرت إلى الأرض من جهة مادة الأديان والملل والمذاهب والطرق الباطنية والظاهرية، سمى هذا «بالجغرافية الدينية»، يعنى علم أديان أهل الأرض.

فإن لاحظتها من جهة إختلاف أحكامها وسياساتها وتدبيرها وما يتعلق بذلك، سمى هذا «بالجغرافية السياسية»، أى علم سياسة أهل الأرض، وهو يختلف عن علم التدبير والسياسة المدنية.

وإن لم تر إلا آداب أهل الأرض وإخلاقهم وعوائدهم وطباعهم وأحوالهم وأطوارهم، كان هذا يسمى «بالجغرافية الأدبية»، أى علم آداب أهل الأرض، وهذا الفن أيضا مغاير لعلم الآداب والأخلاق.

فإن لم يذكر فيه إلا التغييرات الواقعة فى أزمان مختلفة على أماكن مختلفة، فهو «الجغرافية التاريخية»، أو علم تاريخ الأرض وأهلها.

ثم إن العلماء المعتنين بهذا الفن تفننوا فيه، فمزجوا هذه الفنون ببعضها وجعلوها فنا واحدا، وهو الجغرافيا المعروفة الآن عند الإفرنج. وهذه الأقسام ستذكر فى هذا الكتاب مختلطة أولا، وممتازة آخرا.

وقد أدخلنا فى هذا الكتاب ما يحتاج إليه الحال من قوة الدول والملوك وإيرادها السنوى، واعتمدنا فيه على رسالة ألفها الخواجة «جومار»[1] أحد كبار المدرسة العظمى فى مدينة باريس، وهو السبب فى ممارستنا لهذا العلم، ومن وقت مفارقتنا له إلى الآن يفيدنا بالمراسلات فوائد جديدة من هذا الفن، تأدية لبعض ما وجب عليه من الحقوق لجانب أفندينا ولى النعم، دام سعده، ورغبة فى نشر ذلك بالديار المصرية والإيالات الخديوية.

ثم إن فائدة الجغرافية معروفة من قديم الزمان وسالف العصر والأوان، وهى نفعها فى المعاملات والمخالطات، والاطلاع على غرائب البلاد وما يوجد فيها، على أن لها فائدة أخرى وهو توقف علم التاريخ العام عليها، حتى قال بعضهم: إن التاريخ له عينان يبصر بهما، إحداهما معرفة فن الأزمان المسمى علم الخورنولوجيا، أى معرفة الأزمان، والثانية علم الجغرافيا يعنى معرفة البلدان.

---

(١) من علماء الحملة الفرنسية على مصر. استعان به محمد على فعينه مشرفًا على البعثات المصرية التعليمية بباريس.

وقد دل التاريخ على أن واضع الجغرافية هو هرمس الحكيم ومنه عرف أهل مصر أصول ذلك الفن، وأول خرطة ظهرت فى الدنيا هى الخرطة التى رسمها الملك سيستريس، وهو أول ملك من ملوك مصر، فتح البلاد وخضعت له سلاطين الهند واليمن، فأراد أن يبين لأهل مصر عظم ملكه، واتساع حكمه، فرسم لهم صورة ما احتوى ملكه عليه، ولا زال رسم الخرطات معمولا به عند المتقدمين، إلا أنهم حيث لم تكمل عندهم الآلات الهندسية والأدوات الفلكية لم يمكنهم أن يذكروا على وجه الصحة أوضاع البحور والبرور والجزائر، والمسافات بينها، وتفرغ المتأخرون لذلك بإعانة ملوكهم وأمرائهم، وظهر ذلك ببلاد الإسلام فى زمن الدولة العباسية كما هو مشهور.

ولا زال الفرنساوية إلى الآن يسارعون فى إعانة أهل هذا الفن النفيس على تحريره وتهذيبه، والبحث عما كان من بعيده وقريبه، حتى إن دولتهم عن قريب بذلت المصاريف البالغة لتخطيط بلاد مصر وذكر مدنها وقراها وجميع ما فيها والبحث عن ذلك، وقد صدرت خلاصة من مشورة العلوم العظمى فى مدينة باريس ولا زال معمولا بها عندهم دائما بأن علم الجغرافية يعد من العلوم المبادئ، أى أصول العلوم، فيكون لابد من معرفته قبل الدخول فى المدارس الكبرى، مثلا من أراد الدخول فى مدارس عرضى الرجال أو الاستحكامات أو العلوم البحرية والحكمة لابد أن يمتحن قبل ذلك فى الجغرافيا وغيرها من العلوم الأولية، ولا بأس بهذا الأمر.

ثم إنه قد تتوارد عليك عبارات من فنى الهيئة والطبيعة يأبى اعتقادها علماء الشريعة، ولكن نذكرها على سبيل الحكاية، تأدية لحق الترجمة الصحيحة، ولنمشى عليها فى الحسابات والعمليات، لا فى الاعتقادات.

واعلم أنه قد تمر عليك أسماء بلدان أبقيناها على أسمائها الفرنساوية، إما لاشتهارها فى هذا العهد بتلك الأسماء، كجزيرة سرنديب، فإنها الآن تسمى جزيرة سيلان، واشتهرت عند عامة الناس بهذا الاسم، وجزيرة صقلية، فإنها اشتهرت الآن باسم جزيرة سيسليا، وكجزيرة إقريطش، فإنها يقال لها الآن جزيرة

كريد، وإما لعدم الوقوف على الاسم العربى، ولعل هذا السبب الأخير هو الموجب لما فعله المرحوم الحاج خليفة أفندى صاحب [كتاب الجغرافية] المطبوع فى مدينة إسلامبول، من إبقائه أسماء أماكن على لفظها الفرنساوى، لعدم اطلاعه على أسمائها العربية أو التركية، فمنها مدينة أشبيلية ومدينة غرناطة وكنهر الكنك ونحوه، فإنه سمى الأولى مدينة سويلة وسمى الثانية أغرنادة، وسمى نهر الكنك نهر الغانج، فأبقى الألفاظ على أسمائها المسماة بها عند الإفرنج مع إثباتها فى كتب العربية بما قدمناه كما هى مصرح بها فى القاموس وغيره.

مقدمة

الجغرافية العمومية

{كتبها الطهطاوى مقدما بها ترجمته للجزء الأول من كتاب {الجغرافية العمومية} للكاتب الفرنسى «ملطبرون» (Malte Brun).. وطبعته مطبعة بولاق سنة ١٨٣٥م ١٢٥٠هـ .}.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم خالق السموات والأرضين . ومدبرهما على اختلاف ما فيهما من العوالم والعالمين . ونشكرك يا من جعلت من مادة الأرض خلقنا . ووزعت على مناكبها رزقنا . وقيضت لنا فرحنا وبشرنا . وحياتنا وحشرنا . وأودعت فى ظاهرها وباطنها ما ليس لنا عنه مندوحة . وما هو من باب الزينة الحميدة والحلية الممدوحة . بل جعلت كل جزء من أجزائها مستودع حكم لا تحصى . وأسرار لا تستقصى . فهل من بحارها بحر إلا وفوائده تعجز البشر عن تعدادها . وتكل العقول عن فهم تمام مرادها . وهل ثم نهر إلا وينادى بلسان الحال : جميع أسرار مائى الزلال لاتخطر على بال . ولا يدرك منها معشار مثقال . وليس ثم بحيرة ولا بطيحة[1] . إلا وتستعذب على لسانها تسبيحه . ولا شىء من الجبال الراسية . والأحجار القاسية . والطهمات الغائرة . والعيون ذات المياه المتكاثرة . إلا ويفصح بتمجيده . وينصح فى تأدية توحيده . ولا توجد أمة متمدنة . ولا قبيلة متوحشة مستهجنة . ولا سلطان ذو شوكة وبأس . ولا طاغية ذو وسواس . إلا وكل يقر له بالألوهية . ويذعن له بالربوبية . وليس ممن يعتبر من أهل الأرض من متعقل متبصر . ومتأمل متفكر . وعالم متدبر . ومنصف عند ظهور الحق غير مقصر . إلا ويضيف إلى الشهادة بوحدانية رب العالمين . الشهادة برسالة سيد المرسلين . الذى لولاه لم تكن أرض ولا سما . و لا علم ولا علما . عليه من سيده ومولاه . من الصلاة والسلام أضعاف

---

(١) البطيحة : مسيل الماء إذا كان واسعًا وبه رمل ودقائق حصى . وجمعها : بطائح .

ما أولاه. ثم أدم اللهم على جميع ممالك مصر عدل عزيزها ولى النعم وإنصافه. وإعانته لعمارتها وإسعافه. ومتعه باجتناء ثمرات اجتهاده. وبلوغ قصده ومراده. آمين.

أما بعد فيقول قليل البضاعة. الفقير رفاعة: هذا تعريب أول جزء من [الجغرافية العمومية]. الشهيرة فى سائر الديار الإفرنجية. تأليف الحكيم الإفرنجى الذى مثل كتابه فى هذا الفن لا يكون. الشهير فى أوروبا باسم «ملطبرون». وهذا الجزء الأول يبحث عن تاريخ الجغرافيا من مبدء الدنيا إلى يومنا هذا. أنجزت تعريبه. وقصدت نحو هذه الجهة تقريبه. وكان ذلك فى نحو سبعة أشهر مع تراكم غيره من الأشغال علىَّ. من ترجمة هندسة أو طبع ما كان وقت تعريبه بين يدىَّ. وإنما بادرت بانتزاعه من مكنون اللغة الفرنساوية. وسارعت فى إفراغه فى مصون اللغة العربية. قصدا لكسب رضاء ولى النعم الأكرم. الذى أمر بترجمته فى نحو هذا الزمن وحتم. ولكن بمشيئة الله تعالى وبعناية ولى النعم جاء هذا الكتاب يعجب الواقف عليه لجودة عبارته الفايقة. وحسن تراكيبه الرايقة. وممن شاركنى فى حسن سبكه. ونظمه حسب الإمكان فى عقد التأليف العربى وسلكه. الكامل الناجب. صاحب الذهن الثاقب. الأكمل الأمثل. الشيخ محمد هدهد الطنتدائى. الذى قيدته بصحبتى بوظيفة مبيض لهذا الكتاب. وكاتب لما أميله عليه، فقام بواجبات هذه الوظيفة وزيادة من غير ارتياب. وربما تصرف، بعد مشاورتى، فى بعض عبارات. أو أشار علىَّ بتغيير ما يظن أنه يعسر فهمه. على من لم يسبق له فى هذا الفن عمله. فأجبته حيث قام عندى على صحة ذلك أمارات. وحيث كان هذا الجزء أول جزء من ثمانية، هو أصغرها، أبقينا الإطناب فى هذه الخطبة لديباجة بعد تمام الكتاب بمشيئته تعالى نذكرها[1]. قال صاحب الأصل ما معناه:

* * *

(١) لم يكمل الطهطاوى أجزاء الكتاب الثمانية، ومن هنا لم يكتب الخطبة المطولة التى وعد بها هنا.

مقدمة

تعريب القانون الفرنساوى

[كتبها الطهطاوى يقدم بها ترجمته لمجموع قوانين نابليون: المدنية، والبلدية، والمحاكمات، والمرافعات، وتحقيق الدعاوى، والمدافعات، والحدود، والجنايات... ولقد طبعت مطبعة بولاق هذه الترجمة، فى جزأين سنة ١٢٨٣هـ، ١٨٦٦م].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده. (أما بعد) فهذا تعريب [مجموع القوانين الفرنساوية] التى سمح الدهر بجمعها وتدوينها بهمة فخر ملوك أوربا نابليون الأول إمبراطور فرنسا، لإجراء العمل عليها فى المملكة الفرنساوية، فاشتهرت فى ممالك أوربا بين الملل والدول، واقتبسوا منها من الأحكام والقوانين ما جرى عليه دستور العمل، فأخذت كل مملكة منها ما يناسب سياستها، ويلائم علاقاتها مع أهالى أوربا بقدر احتياجها وممارستها، فبهذا صدر الأمر العالى الخديوى بتعريبها بفصيح العبارة الحافلة بتهذيبها، الكافلة لتقريبها، حتى لا يجهل أهل هذا الوطن أصول الممالك الأخرى، لا سيما وأن علاقات الاقتضاء، ومناسبات الأخذ والعطاء، تدعو إلى الإلمام بمثل تلك الأصول الوضعية، ليكون من يتعامل معهم فى تسوية الأمور على بصيرة.

وقد انتهت ترجمة هذه القوانين المدنية والدوائر البلدية والمحاكمات والمرافعات وتحقيق الدعاوى والمدافعات والحدود والجنايات على أحسن حال، وأتم منوال، بعناية صاحب العناية الوافرة، رب المآثر المتكاثرة المتواترة، والهمم العلية، والنعم الوفية، محيى دولة العرفان، ومشيد العلوم والفنون على وجه متين القواعد والأركان، عزيز مصر الجليل، صادق الوعد إسماعيل، أدام الله دولته العلية، وجعلها غرة فى جبهة الديار المصرية، بجاه خير البرية. آمين.

مقدمة

قانون أحكام التجارة

[كتبها الطهطاوى يقدم بها ترجمته لما تعلق بالتجارة من مجموعة قوانين نابليون... وهى الترجمة التى طبعت سنة ١٢٨٥ هـ، سنة ١٨٦٨م.]

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم تجارتنا رابحة، وبالصلاة والسلام على صفوة خلقك بضاعتنا ناجحة، فنتضرع إليك اللهم بحفظ حافظ رأس مال الوطن، والباذل فى منحه بالفوائد الجمة أغلى ثمن، ألا وهو المليك الجليل، خديو مصر إسماعيل، يسر اللهم له أسباب مقاصده الخيرية الوثيقة، واجعل توفيقه للفضل والعدل رفيقه.

أما بعد. فهذا تعريب [قانون أحكام التجارة]، وتقريبه للأفهام بأسهل عبارة، أخرجته من الفرنساوى إلى الإعراب، إخراج السيف من القراب، إجابة للأوامر العلية الخديوية، وإصابة لتكميل ترجمة قوانين نابليون الأول إمبراطور الفرنساوية، لا سيما وأن هذا القانون التجارى مما تمس إليه الحاجة فى غالب الأحوال والأوقات، حيث اتسعت الآن فى مصرنا دائرة المعاملات بين أهالى الممالك الأوروبية وكثرت التَّعَلُّقات، فصار لا بأس لأرباب التجارة بمعرفة قوانين المعاملة الجارية عند الأجانب، بل صار الاطلاع عليها لمن يعقد عقود التجارات معهم من الواجب، فلهذا حسن إبراز هذا القانون بالعربية إلى حيز الوجود، وسمحت بطبعه وتمثيله عناية الخديو الأكرم مولى الكرم والجود، لا زال إنعامه على وطنه المنيف آخذا فى كمال الازدياد، ولا برح اسمه الشريف دائما معدودا فى عصره بين أسماء الملوك الأمجاد.

وها هو التعريب:

مقدمـــة

رسالـــة المعادن

{كتبهــا الطهطاوى مقدما بها طبعة هذا الكتــاب الذى ترجمه.. والذى طبع سنة ١٢٨٤هـ ، ١٨٦٧م}.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى معادن خزائنه لا تحصى، ودفاين جواهره لا تستقصى، لا يذهب ذهب نواله، ولا تنفض فضة إكماله، جعل حسن المال فى حسن المآل، وأودع حلاوة الحلى فى الحلال، وحمل كنوز الفضل والكرم، نبيه الذى جمل به العرب والعجم، سيدنا محمد خاتم الرسل وسيد الكل، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وعترته وأحبابه، ما أحيا سعادة ولى النعم حرفة أو فنا، وما ظهرت فائدة مشروعاته فى مصرنا حسا ومعنى. آمين.

أما بعد، فهذه طلعة عروس غريبة، وسطعة شموس عجيبة، تسفر عن مكنونات المنافع، وفوائد أرباب الصنايع، تنصحهم على أعالى الأشياء وأدناها، وأرفعها وأوطاها، تبتدئ من المعادن بالأرض وتختم منها بالجواهر، موفية بهما وبما بينهما وبتاليهما على وجه ظاهر باهر، مترجمة من اللغة الفرنساوية إلى اللغة العربية، للفقير رفاعة بدوى رافع الطهطاوى. وفى الحقيقة إنما نسجتها، كغيرها، يد نعمة ولى النعم، صاحب الجود والكرم، محيى العلوم فى مصر بعد العدم، وصاحب السعادة، حايز ما سبق للسلف من الفضل وزيادة، بل والمبدع ما استحال من المنافع لمن سلف، ليدخل فى حيز الإمكان لمن خلف، من هو مصداق قول القائل:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

وقد قلت فى هذا المعنى:

وقالوا: أما للسبق فضل ومنة   وفخر على التأخير، قلت لهم: كلا
فكم من مزايا قد بدت منذ عهدنا   وقد كان عصر السالفين بها كلا

خير من سعد به الزمان، وتهنيا به العرفان، حضرة ولى نعمتنا وزير مصر وأمير النصر، جعل له الله تعالى من اسمه أوفر نصيب، بجاه سميه محمد النبى الحبيب، وحيث كان صاحب مصرنا - أيد الله دولته - هو رب الكتاب فلا يهدى الشيء لمولاه، فحينئذ وجب إهداؤه لعين الأعيان، وصاحب المعرفة والبرهان، سيد من أرشد المعارف وأربابها، وقلد نظارة الفنون والعلوم لحيازتها واستيعابها، سعادة أدهم بيك أمير اللوى، فهو الأدرى بما عليه هذا الكتاب احتوى، وهو الأهل لامتحانه، ومعرفة عنوانه، حفظه الله وأبقاه. آمين.

قد بذلت فى ترجمة هذا الكتاب همتى، وأنطقته بسائر ما فى أصله من مفيد العبارات الصالحة للنقل، مبرئاً له عن فظاظة الجمل التى يمجها العقل، وقد فسرت مفرداته على حسب ما ظهر لى بالفحص التام، وما تعاصى منها حفظت لفظه ورسمته كما يمكن كتابته به، وربما أدخلته ببعض تفسيرات لطيفة، وقد افتتحته بمقدمة يحتاج إليها فى سائره كما يعرف ذلك من يطلع عليه، والعذر لى إذا زل قدم ترجمتى فى بعض التفاسير، لأن اللغة الفرنساوية لم يفض ختامها إلى الآن بقاموس شاف مترجم[1].

وقد حصر الأصل مؤلفه فى جنسين من النصايح، نصايح خاصة وأخرى عامة، وجعل الأولى عشر نصايح:

الأولى: لأرباب الفلاحة على أرض الزراعة والجير والجص والرمل والنباتات للزراعة والأكباج والأرات وتجيير الإبزار.

الثانية: للبنايين على الجير والجص وحجر النحت والحجر المتأثر بالصقعة وعلى

(١) وقد أمرنى سعادة ولى النعم أفندينا إبراهيم باشا بترجمة قاموس، وعين لى حضرة عثمان بيك قاموس أكدمية، ولكن عاقنى عنه عوايق، منها أشغال أبى زعبل، ومنها أنه يحتاج إلى وضع المترجم فى كتب خانة، ويحتاج أيضا إلى أن يكون معى مساعد فرنساوى. بل هذا الشغل هو شغل نحو عشرة أنفار حتى يكون مستوفيا ومستوعبا للألفاظ الإصلاحية. [الطهطاوى].

البوزلان المسمى بالقيشانى وعلى الرمل والآجر وحجر المسن والأغطية من القفر وعلى حجر الخط الأسود والأحمر والأبيض والأغبر وعلى ما يطلق عليه اسم معدن الرصاص .

الثالثة : على أحجار النحت والأحجار المتأثرة بالصقعة وتمييزهما بالامتحان .

الرابعة : للسباكين والبياطرة والحدادين وللسكاكينية والنحاسين والمذهبين والنقاشين والصفايحية وغيرهم على المعادن .

الخامسة : على الملح .

السادسة : للجوهرية والصقالين والصاغة والسكاكينية على الجواهر وأحجار الصقالة .

السابعة : للرخامية على الرخام والصومرمرى .

الثامنة : للفخارانية على الطين والطلا .

التاسعة : للقصارين .

العاشرة : للمزوقين للأبنية على الألوان المعدنية .

وأما النصايح العامة فهى ستة :

الأولى : على الزرنيخ .

الثانية : على الطين المذهب اللون .

الثالثة : على حجر الفتيلة .

الرابعة : على فائدة حجر الفحم فى الفنون والصنايع .

الخامسة : على التوريا ومنفعته .

السادسة : على تفتيش المعادن ومخالفة قضبان ضرابين الرمل .

ثم إن المقدمة التى ستراها هى اصطلاح لترجمة هذا الكتاب بخصوصه[١]، إذ

---

(١) أى قاموس معرب لما فيه من مصطلحات تلك الحرف والفنون . قدمه الطهطاوى بين يدى ترجمته للكتاب .

هى ترجمة ما فى أصل هذا الكتاب من المكيل والموزون والمقاس والممسوح والعدد والمعاملة، على اصطلاح فرانسا القديم بما هو معروف فى اللسان العربى فى ألفاظ الكيل والميزان، إلى آخره.

وها هى هذه المقدمة:

[(تنبيه)[1]]

لا شك أن (روضة المدارس) التى هى من العواطف الخديوية من أبهى المغارس، إنما أورقت أشجارها، وأينعت أثمارها، وزهت سطور طروسها، بأفنان الفنون، ونمقت صحائف لطائفها من محاسن الأعيان بما تقر به العيون، من وقف عليها أوقف نظره على ما فيها من كل معنى فكرى لطيف، وسرح خاطره فى كل مبنى تالد أوطريف، فكأنما نطقت بألسنة سطورها ألحان ذات الأطواق، وتمنطقت من المحاسن بكل نطاق، فهى الروضة الغنا، حسا ومعنى، ولا يطن صداها فى مسامع الآفاق، إلا بمواظبة أربابها على إمدادها فى أوقاتها بأقواتها بكمال الوفاق، والمداومة على إرسال نتائج الأفكار، واسترسال مواد الابتكار، حتى تصدر عنها فى مواعيدها القضايا الفاضلة، وإظهار مضمرات الخفايا الكاملة.

فالمرجو من فضلاء مطرزى حللها البهية، إسعافها بما يشنف آذان قارئها من القروط الفكرية، وأن يواظبوا على أداء ماعودونا به فى شرع مجدهم، وفاء بناطق عهدهم وصادق وعدهم، حتى تشرف أنوار هذه الروضة بأحسن المزايا، وتشرق شمس أنوارها بين البرايا، مع التقليل بحسب الإمكان من الأحاجى والألغاز، لتكسى عرائس تم بدورها من البهاء أكمل طراز، وذلك لا يكون إلا غبّ تنقيطها بدرر حروف المحبة، ويقنع باسم ثغرها من كل محب ولو بحبة، لتحوز من كل معنى أكمله، وهذا ما اقتضى الحال تذكاره للفضلاء الكَمَلَة.

---

(١) روضة المدارس. عدد ١٨ من السنة الأولى فى غاية رمضان سنة ١٢٨٧ هـ ص٢، ٣.